

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّمَّا هُمْ عَلَيْنِ وَمِنْ مَعْرِفَةِ بَعْدِ الْأَيَّامِ



مكتبة العراق وتراث الحنفية

ISBN 978-9933-582-04-3
Barcode
9 789933 582043 >

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية

١٣٥٥ لسنة ٢٠١٦ م

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنیف LC: BP 37.3 - N3 2017
المؤلف الشخصي: النصر الله، جواد كاظم.
العنوان: الإمام علي (عليه السلام) في فكر معتزلة بغداد.
بيان المسؤولية: تأليف الأستاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله، تقديم السيد نبيل الحسيني الكربلاوي.
بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.
بيانات النشر:
كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - مؤسسة علوم فتح البلاغة.
١٤٣٨ هـ = ٢٠١٧ م.

الوصف المادي: ٧٤٤ صفحة.

سلسلة النشر: سلسلة الكتب العلمية - وحدة علم الكلام والفرق الإسلامية؛ ١٠ - مؤسسة علوم فتح البلاغة.
تبصرة عامة:
تبصرة بيولوجافية: يتضمن هوامش - لائحة المصادر (الصفحات ٦٩٣-٧٤٠).
تبصرة محتويات:

موضوع شخصي: ابن أبي الحميد، عبد الحميد بن هبة الدين محمد، ٥٨٦ - ٦٥٦ هجرياً. شرح فتح البلاغة.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - أحاديث.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - فضائل.
موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، قبل الهجرة - ٤٠ هجرياً - تأثير في المعتزلة.
مصطلح موضوعي: المعتزلة - تأثير علي بن أبي طالب (عليه السلام).
مصطلح موضوعي: المعتزلة (علم الكلام).

مصطلح موضوعي: المعتزلة (فقة إسلامية) - العراق - بغداد - تاريخ - العصر العباسي.

مصطلح موضوعي: العلماء المسلمين - المعتزلة - تراجم.

مؤلف إضافي: الحسيني، نبيل قدوري حسن، ١٩٦٥ م، مقدم.

مؤلف إضافي: ابن أبي الحميد، عبد الحميد بن هبة الدين محمد، ٥٨٦ - ٦٥٦ هجرياً. شرح فتح البلاغة.

عنوان إضافي: شرح فتح البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة سلطان

الإمام معاوٰي وابن معاوٰي في تحرير العدل

تأليف

أ. د. جواد كاظم النصر الله

اصدار
مؤسسة الفرج للطباعة
في العبرة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الأكبر ﷺ

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع: www.inahj.org

Email: Info@Inahj.com

تنويه:

إن الأفكار والأراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ﴾

الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ *

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة النَّبِيٌّ: ١-٥)

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِضَاعَةٍ
مُّزْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾

إلهي وسيدي ومولاي

منك وإليك

مقدمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهله والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداتها، وتمام منن والاهـا، والصلـة والسلام على خير الخلق أجمعـين محمد وآلـه الطـاهـرـين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيـس والتـبيـن ولم يتـقـصـرـ الأمـرـ عـلـىـ عـلـوـمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ أوـ الـعـلـوـمـ الـإـنـسـانـيـةـ، بل وـغـيرـهـاـ مـنـ الـعـلـوـمـ الـتـيـ تـسـيرـ بـهـاـ مـنـظـوـمـةـ الـحـيـاةـ وـإـنـ تـعـدـتـ الـمـعـطـيـاتـ الـفـكـرـيـةـ، إـلـاـ أـنـ التـأـصـيلـ مـثـلـمـاـ يـجـريـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ الـذـيـ مـاـ فـرـطـ اللـهـ فـيـهـ مـنـ شـيـءـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿مـاـ فـرـطـنـاـ فـيـ﴾

الكتاب من شيءٍ^(١)، كذا نجد يجري مجرّاه في قوله تعالى: ﴿وَكُلْ شَيْءَ أَحْصِنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه حاضراً وشاهدأً فيها، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم السلام) فيسّارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين والقواعد والمفاهيم والدلائل في القرآن الكريم والعترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات العلمية المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكّرية موسومة بـ(سلسلة الكتب العلمية) والتي يتم عبرها طباعة هذه الكتب وأصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجها بغية إيصال هذه العلوم إلى الباحثين والدارسين واعانتهم على تبيان هذا العطاء الفكري والانتهال من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقوها المتعددة.

وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق صاحبها للغوص في بحر علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد أذن له بالدخول إلى مدينة علم النبوة والتزود منها بغية

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) يس: ١٢.

بيان أثر تلك المرويات العلوية والتأصيل العلمي في ميدان علم الكلام ولتقدمنا الدراسة صورة عن رؤية اعتزالية ألا وهي مسألة التفضيل، أي تفضيل الإمام علي (عليه السلام) بعد الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) التي جاءت عند المعتزلة من جانبيه، بكونه الأكثر ثواباً والأكثر مناقباً.

فجزى الله الباحث خير الجزاء فقد بذل جهده وعلى الله أجره.

والحمد لله رب العالمين..

السيد نبيل الحسني الكربلائي

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

المقدمة

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لننهي لو لا أن هدانا الله، والصلوة
والسلام على من كان نبياً، وأدم بين الماء والطين، وعلى ذوي قرباه الذين أذهب
الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وعلى الخيرة من أصحابه المنتجبين الذين
ثبتوا على الدين القويم حتى آتاهم اليقين.

شهدت الحركة الثقافية في الدولة العربية الإسلامية منذ بوادر نشأتها
نشاطاً ملحوظاً في شتى صنوف المعرفة^(١)، فقد كانت أمّة العرب هي أمّة
الشعر والبلاغة منذ ما قبل الإسلام، ثم جاء الدين الإسلامي بكتابه المقدس
القرآن الكريم الذي تحدى بلاغة فصحاء العرب، وما جاء عن النبي ﷺ وهو
أفصح من نطق بالضاد، لذا نجد اهتماماً كبيراً بالأدب، حيث تناثرت في مؤلفات

(١) انظر عبد الخضر حمادي: الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري رسالة ماجستير، الجامعة
المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤.

الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

التراث، وعلى مختلف أنواعها اللغوية والأدبية والتاريخية والكلامية والفقهية الخطب والرسائل وقصار الكلمات لبلغاء العرب سواء قبل الإسلام أو بعده.

بل لقد خصصت بعض الكتب لهذا الغرض كتاب البيان والتبيين للجاحظ ت ٢٥٥هـ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ت ٢٧٦هـ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد ت ٢٨٥هـ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ.

وما إن جاء القرن الرابع الهجري وهو قمة الإبداع العربي الإسلامي^(١) في مختلف صنوف المعرفة، حيث انجذب الكثير من فطاحل العروبة، ومنهم محمد ابن الحسين المعروف بالشريف الرضي^(٢) الذي نبغ بالأدب شرعاً ونثراً، ففي إطار الشعر ترك لنا ديواناً لا زال مثار اهتمام الباحثين^(٣). أما في مجال التراث فقد

(١) أنظر آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

(٢) عن الشريف الرضي أنظر: ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة ٤١-٣١ / ١ وسيرد باسم الشرح. الشعالبي: يتيمة الدهر ١٥٥-١٧٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢٤٦-٢٤٧. ابن الجوزي: المتنظم ٢٧٩-٢٨٣. القفعي: أنبأ الرواة ١١٤-١١٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤١٤-٤٢٠. الصفدي: الواقي بالوفيات ٣٧٤-٣٧٦. ابن عنبة: عمدة الطالب ص ٢٠٧-٢١١.

(٣) خصصت مجلة آفاق عربية، ع ١٩٨٥، في ذكره الألفية فنشرت فيه المقالات التالية: شلش: من صور البطولة في شعر الشريف الرضي ص ٧-٢٢. الشبيبي: حجازيات الشريف الرضي ص ٢٣-٦٢. الصفار: المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي ص ٦٣-٩٣. الجادر: الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشريف الرضي ص ٩٥-١٤٠. مطلوب: الشريف الرضي ناقداً ص ١٥٩-١٩٢. غزوan: بناء القصيدة عند الشريف الرضي ص ١٩٣-٢٤٦. الصائغ: الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي ص ٢٤٧-٣٢٩. وانظر: العطية: الشريف الرضي الشاعر الأبي والاديب العبقري، مجلة ثقافة الهند ص ٤٠-٦٢.

وضع سلسلة من المؤلفات التي تميزت بالطابع البلاغي.

فقد نظر في ما أثر عن النبي ﷺ من كلام فاقتبس منه قبسات أو دعها كتاباً أسماء المجازات النبوية، وقد تميز ما اقتبسه بأسلوب المجاز وهو أسلوب بلاغي. ثم نظر في ما أثر من كلام الإمام علي عليه السلام في ما توافر لديه من كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، فانتقى منه ما كان في قمة الفصاحة فأودعها في كتاب أسماء نهج البلاغة.

هذا يعني إن ما جاء في نهج البلاغة لا يمثل إلا نزراً يسيراً مما أثر عن الإمام علي عليه السلام، ونظرية متفحصة في كتب التراث تؤكد ذلك. وقد قسم الشريف الرضي كتابه هذا على ثلاثة أقسام:

الأول: خطب الإمام علي عليه السلام.

الثاني: رسائله.

الثالث: قصار كلماته.

وقد ترك نهج البلاغة وقعاً في النفوس، إذ تلاقفته أقلام المفكرين وعقولهم شرعاً وتعليقًا منذ أيام الشريف الرضي وإلى يومنا هذا، حتى بلغت شروحاته (٣٧٠) شرحاً^(١). وقد تبينت هذه الشروحات في أحجامها، فمنها الكبير كشرح حبيب الله الهاشمي المسمى منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (ط)، والمتوسط كشرح ميثم البحرياني (ط)، والصغير كشرح صبحي الصالح (ط). وتباينت أيضاً في موضوعاتها، فهناك من غلب عليه الطابع البلاغي كشرح

(١) أنظر الأميني: الغدير /٤-٢٥٧-٢٦٥. الخطيب: مصادر نهج البلاغة وأسانيده /١-٢٤٧-٣١٤.

ميشم البحرياني^(١)، أو السياسي كشرح محمد جواد مغنية (ط) أو اللغوي كشرح محمد عبده (ط).

ومن بين هذه الشروحات كان شرح - ابن أبي الحميد ت ٦٥٦هـ وهو من رجالات الاعتزال، وقبل الحديث عن هذا الشرح لابد أن نوضح ما المقصود بالاعتزال؟

الاعتزال: تيار فكري ظهر في إطار الفكر العربي الإسلامي متمثلاً بفرقة المعتزلة التي اتخذت من علم الكلام موضوعاً لها^(٢).

علم الكلام^(٣) هو الجانب النظري في الفكر الإسلامي، فالمعروف ان الدين الإسلامي جاء عقيدة و عملاً، فالعمل هو ما يقوم به الفرد من اعمال في اوقات محددة كالصلوة والصوم والزكاة والحج وغيرها لذا سميت بالاعمال، وهو ما اطلق عليه اصطلاح (فروع الدين)، والعلم الذي يهتم به يسمى علم الفقه، والشخص الذي يهتم به يسمى الفقيه.

اما القسم الأول وهو العقيدة، فهو ما عقد في القلب دون القيام بعمل

(١) قال أحد الباحثين: «يكاد يكون شرحاً بلاغيأً لولا لغة ابن ميشم القرية من المنطق والجدل والكلام» انظر: الفحام: التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام. ص ٢.

(٢) عن فكر المعتزلة انظر: الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة. الخياط: الانتصار. وانظر موسوعة القاضي عبد الجبار: المغني في التوحيد والعدل وهي في عشرين جزءاً، وكتابه الآخر شرح الأصول الخمسة. ابن متويه: كتاب التذكرة، أبي رشيد النيسابوري: كتاب مسائل الخلاف بين البصريين والبغداديين.

(٣) عن علم الكلام انظر: الجاحظ: رسالة صناعة الكلام ٤٩-٥٨. احمد محمود صبحي: في علم الكلام ١/١ - ١٠١. بدوي: مذاهب المسلمين ١/٧-٣٢.

كالاعتقاد بأن الله واحد، وأنه لا شبيه له، وأن افعاله معللة بالغايات التي هي لصلحة الإنسان كالعقل وبعثة الانبياء وإكمال رسالتهم بالأوصياء، وأن الله يبعث من في القبور، فهذه المسائل تسمى أصول الدين. والعلم الذي يهتم بها هو علم الكلام، وقد ظهرت في نطاقه فرق متعددة كالأمامية والمعتزلة والخوارج، والأشاعرة وغيرها^(١).

لقد واجهت المجتمع العربي الإسلامي مشكلات فكرية منذ أواخر القرن الأول الهجري، وقد طرح بعض المفكرين إجابات لهذه المشكلات، فإذاً مسألة هل الإنسان حر في افعاله أم مقيد؟ طرح غيلان الدمشقي^(٢) فكرة حرية الإرادة، وإذاً كنه الله سبحانه وتعالى طرح الجعد بن درهم^(٣) مسألة نفي الصفات، وكانت مسألة مرتكب الكبيرة تشغله بالكثيرين، فطرح واصل بن عطاء مسألة المنزلة بين المنزليتين.

(١) عن معنى العقيدة أنظر: الشريف المرتضى: شرح جمل العلم والعمل ص ٣٧ - ٣٨ . الشیخ الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ص ٢١ وما بعدها. ابن ميثم البحري: قواعد الكلام في علم الكلام ص ٢١ وما بعدها. العلامة الحلي: كشف المراد ص ٧ وما بعدها. المقداد السيوري: الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد ص ٤٢ - ٤٣ . التبريزى: الأنوار الإلهية ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ظهر أيام عمر بن عبد العزيز حيث ولاد الخزائن، ولما جاء هشام ابن عبد الملك صليبه. ابن قتيبة: المعارف ص ٤٨٤ . القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ٤١-٣٨ . ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠٣-٢٠٣ . ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٢٥-٢٧ .

(٣) هو من الموالي كان يسكن الجزيرة الفراتية واتصل بمروان بن محمد لما تولى الأخير الجزيرة لهشام ابن عبد الملك وكان الجعد مؤدياً لمروان، قتلته خالد القسري لنفيه الصفات. أنظر: ابن الأثير: اللباب ١ / ٢٣٠ . ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٠٣ ، ابن تغري: النجوم الزاهرة ١ / ٣٢٢ . الحفني: موسوعة الفرق ص ١٩٨-١٩٩ .

هذه الآراء التي كان التوصل إليها عقلاً، أخذ يعتقداً فيما بعد تيار عرف بالاعتزال، بدأ بالبصرة ثم بغداد مكوناً مدرستين.

وتميز الاعتزال بميزات ثلاثة:

الأولى: انه اعتبر العقل هو المصدر المعرفي الوحيد، حيث انه سابق للشائع، لأن الشائع موجهة لأناس عقلاً، فلا تأتي الشريعة للصبي، ولا المجنون لأنهما بلا عقل، بل حتى السكران والنائم يرتفع عنه تكليف الشريعة ما دام فقداً للعقل.

الثانية: التأويل: إن فهم الشريعة يكون بالعقل، لذا يجب أن تكون الشريعة مطابقة للعقل، ولكن أحياناً نجد ظاهر الشريعة يخالف العقل، هنا اضطر المعتزلة لصرف ظاهر النص الشرعي إلى معنى مجازي أي القول بالتأويل

معتمدين على قوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

ولذا قالوا: «إذا تعارض ظاهر النص مع العقل، فإن العقل هو المرجح»^(٢).

الثالثة: حرية الارادة: إن الله سبحانه وتعالى اعطى الإنسان العقل وهو امتياز عن باقي المخلوقات مقابل تكليفه. إذاً فالإنسان مسؤول عن عمله، وهذه المسئولية تقتضي أن يكون الإنسان حرّاً في إرادته^(٣).

إذاً فهذه المشكلات الفكرية أدت إلى ظهور تيار فكري عرف بالاعتزال، تمثله مدرستان الأولى في البصرة، والثانية في بغداد. وقد تميزت معتزلة بغداد عن البصرة:

(١) سورة آل عمران، آية ٧.

(٢) صبحي: في علم الكلام ٣٨٩ / ١.

(٣) الموسوي: محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ م.

الميل إلى الإمام علي عليه السلام.

الرغبة بتطبيق الاعتزال عملياً^(١).

وقد انتعشت المعتزلة أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق ولكنها واجهت تحدياً قوياً منذ عهد المتوكل، حتى جاء الصاحب بن عباد^(٢) فأحيا الفكر الاعتزالي مرة أخرى^(٣).

ولكن المعتزلة واجهت تحدياً من الاشاعرة والتصوفة منذ القرن الخامس الهجري، وهذا ما دفعهم للبحث عن اصول لهم فادعوا أن واصلاً تلمذ على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد، ومحمد تلميذ أبيه الإمام علي عليه السلام^(٤).

والملاحظ ان جذوة الاعتزال قد خفتّ منذ أواخر القرن الخامس الهجري، فلم نعد نسمع بشخصيات اعتزالية لها أثر في الفكر الاعتزالي، حتى ان ابن المرتضى ت ٨٤٠هـ لما وضع كتاب (طبقات المعتزلة) توقف في القرن الخامس الهجري^(٥).

(١) صبحي: في علم الكلام /١-٢٨٣-٢٨٧. الرواوي: ثورة العقل ص ٩٤-٩٥.

(٢) هو الوزير البوحي اسماعيل وأول من لقب بالصاحب (٣٢٦-٣٥٨)، أنظر: ابن الجوزي: المنظم /٧-١٧٩، الققطني: انباه الرواة /١-٢٠١-٢٠٣. الحموي: معجم الادباء /٦-١٦٨. الخوانساري: روضات الجنات /٢-٤٣-٣١٧.

(٣) زهدي جار الله: المعتزلة ص ١٥٨-٢١٣.

(٤) الشرح /١-١٧، /٦-٣٧١. القاضي: فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧-١٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥-٧.

(٥) ص ١١٦-١١٩.

وفي القرن السابع الهجري ظهر ابن أبي الحديد المعتزلي^(١) ٥٨٦-٦٥٦هـ الذي ولد ونشأ في المدائن ثم انتقل إلى بغداد، فدرس علوم اللغة والادب والكلام والفلسفة حتى أصبح من كبار علماء عصره، وبرز بشكل واضح في الأدب والكلام، ففي الأدب وضع كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) وهو رد على كتاب المثل السائر لابن الاثير^(٢)، أما في الكلام فقد وضع عدة مؤلفات ولكنها فقدت ولم تصل إلينا. ومن كتبه الكلامية (النقضيين)، و(نقض السفيانية) وهو رد على كتاب السفيانية للجاحظ، و(شرح الغرر) وهو شرح لكتاب الغرر للمترتضى.

ومن بين كتبه كان كتاب (شرح نهج البلاغة) الذي يقع في عشرين جزءاً، وهو كتاب موسوعي ضم اللغة والادب والتاريخ والكلام، وغيرها من نوادر المعرفة ولذا اعتبره «كتاب ادب لا نظر»^(٣).

وبأي التساؤل: لماذا شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة؟ وما الذي أراد أن يقوله من خلال شرحه هذا؟

أولاًً: الملاحظ أن المعتزلة واجهوا نقداً شديداً في هذه الفترة وما سبقها منذ القرن الخامس الهجري حول أصل الاعتزال لذا أراد رجال المعتزلة تأصيل الفكر الاعتزالي بإرجاعه إلى مصدر موثوق من قبل الجميع ألا وهو الإمام علي عليه السلام وذلك

(١) أنظر ترجمته: الحوادث الجامعية مؤلف مجهول ص ٣٦٦. الكتبى: فوات الوفيات ٢-٢٥٩ . ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/١٩٩-٢٠٠. ولمزيد من التفاصيل والتحليلات أنظر: رسالة الماجستير الموسومة «ابن أبي الحديد سيرته وأثاره الادبية والنقدية» لعلي جواد محي الدين.

(٢) محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٢١-٢٢٦ .

(٣) الشرح ٢٤٥/٢٠ .

عن طريق اتصال واصل بأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقد ساعدتهم على ذلك ما أثر عن الإمام علي عليه السلام من كلام حول التوحيد والنبوة والمعاد وخلق الأفعال وغيرها من المسائل الكلامية، مما لا يوجد مثيله لدى أحد من الصحابة. ولذا نجد ابن أبي الحديد في شرحه للنهج يشرحه شرحاً اعتزالياً ليقول بعد ذلك بأن عقائد المعتزلة مأخوذة من كلام الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: ان الميزة التي ميزت معتزلة بغداد قاطبة هو القول بالتفضيل^(١)، لذا نجد ابن أبي الحديد يفتح شرحه بالقول بالتفضيل ثم يؤكّد على هذه المسألة في اجزاء العشرين ايّها سُنحت له الفرصة.

ومثّلها وجدها الرمخشي يقول ان مدة تفسيره للكشاف استمرت ستين وثلاثة أشهر وهي مدة خلافة الخليفة أبي بكر^(٢). نجد ابن أبي الحديد يقول ان مدة إكماله شرح نهج البلاغة استمرت أربع سنوات واربعة أشهر وهي مدة خلافة الإمام علي عليه السلام^(٣). فالرمخسي يؤكّد على رؤية معتزلة البصرة القائلة بأفضلية الخليفة أبي بكر وكأن ابن أبي الحديد رد على ذلك برؤية معتزلة بغداد القائلة بأفضلية الإمام علي عليه السلام.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتقدم لنا صورة عن رؤية اعتزالية ألا وهي مسألة التفضيل أي تفضيل الإمام علي عليه السلام بعد الرسول عليه السلام التي جاءت عند المعتزلة من جانبين:

(١) أنظر: تفصيل ذلك في المدخل الذي قدمناه لهذه الدراسة.

(٢) الكشاف ١/٤.

(٣) الشرح ٢٠/٣٤٩.

بكونه الأكثر ثواباً.

الأكثر مناقباً.

لم تكن هذه الدراسة هي الأولى حول شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بل سبقتها دراسات متعددة منها:

أولاً: الكتب:

محمود الملاح: *تشریح شرح نهج البلاغة*^(١): كتاب وضع للرد على شرح ابن أبي الحديد، ومن خلال نظرة متخصصة للكتاب يعلم القارئ إلى أي مدى يستحق مؤلفه العطف على ضآلته تفكيره.

احمد الريبيعي: العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة. استعرض فيه مؤلفه أولاً مصادر الشريف الرضي في نهج البلاغة، ثم مصادر ابن أبي الحديد في الشرح مرتبًا المصادر ترتيباً ابجدياً، مكتفيًا بتعريف بسيط للمؤلف وإشارة إلى كون المصدر مطبوعاً أو خطوطاً، ثم إشارة للصفحات الوارد فيها المصدر في الشرح، واحياناً إذا كثرت الصفحات يذكر بعضها منها.

ان الذي يؤخذ على الكتاب:

ذكره لمجموعة من المصادر ليست لابن أبي الحديد وإنما للشريف الرضي^(٢). ذكره لمجموعة من المصادر ليست من مصادر ابن أبي الحديد، وإنما هي من مصادر مصادر ابن أبي الحديد^(٣).

(١) طبع في بغداد ١٩٥٤ م.

(٢) أنظر مثلاً العذيق ص ١٣٤ وقارن الشرح ١٧ / ١٣١.

(٣) أنظر مثلاً العذيق ١٦٨-١٦٧ وقارن الشرح ٤ / ١٢٠، ٥ / ٥٥٩.

لم يقم بدراسة للمصدر الذي اعتمدته ابن أبي الحديد، من حيث نوعية الاستفادة، والموضوع الذي استقى منه ابن أبي الحديد.

ومع ذلك تبقى لهذا الكتاب أهمية خاصة لمن يريد القيام بدراسة شاملة لمصادر ابن أبي الحديد المتنوعة.

ثانياً: المقالات:

د. مصطفى جواد: بعض مستندات ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(١).
مقال ذكر فيه مجموعة من مصادر ابن أبي الحديد في الشرح مكتفيًا بذكر اسمائها دون التعليق عليها.

د. صفاء خلوصي: الكنوز الدفينة في شرح نهج البلاغة^(٢). يتحدث عن بعض المصادر التي اعتمدتها ابن أبي الحديد، حيث ضم بين اجزائه العشرين مادة واسعة لمصادر فقدت ولم تصل إلينا لحد الآن، إذ يقول: «ان كثيرا من الكتب التي أصبحت في عداد التراث العربي المفقود لا تزال عنوانينها ومقتبسات منها محفوظة فيه»^(٣) ولكن بعضا من هذه الكتب قد اكتشفت الآن وحققت^(٤). بالإضافة لبعض الموضوعات التي اسهب ابن أبي الحديد في الحديث عنها كالخوارج وصاحب الزنج والتار.

(١) مجلة لغة العرب، مجلـة عـجمـة لـغـة الـعـربـ، عـدد ٩، ١٩٣١، صـ5٤٣-٥٤٦.

(٢) مجلة المعلم الجديد، مجلـة الـمـعـلـم الـجـدـيـدـ، عـدد ٢٤، حـدة ٤-٣، سـنة ١٩٦١، صـ١-٢٢.

(٣) مجلة المعلم الجديد، مجلـة الـمـعـلـم الـجـدـيـدـ، عـدد ٢٤، حـدة ٤-٣، سـنة ١٩٦١، صـ١.

(٤) مثل كتاب صفين للمنقري وكتاب الغارات لأبي هلال الثقفي وكتاب الموقفيات لابن بكار وكتاب الخراج لقدامة بن جعفر وغيرها.

د. صفاء خلوصي: مصادر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ^(١)، وهو مقال يتضمن جرداً بالاسماء فقط لطائفة من مصادر الشرح وليس كلها.

د. صفاء خلوصي: شكوك الرضي وابن أبي الحديد في بعض نصوص نهج البلاغة ^(٢). فيما إذا كانت بعض تلك النصوص هي للإمام علي عليه السلام أم للرسول عليه السلام ^(٣)، أما بالنسبة لابن أبي الحديد، فقد توقف في بعض النصوص التي اضطر إلى تأويتها أو التوقف فيها ^(٤).

د. مصطفى جواد: عبد الحميد ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ^(٥). مقال في حدود الصفحتين وهو تعريف موجز بابن أبي الحديد وشرحه للنهج.
ابراهيم الأبياري: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ^(٦)، وهو تعريف بسيط بابن أبي الحديد وبشرحه للنهج.

الرسائل الجامعية:

علي جواد محى الدين: ابن أبي الحديد سيرته وآثاره النقدية والادبية رسالة ماجستير، تناولت عصر ابن أبي الحديد وسيرته ومؤلفاته بالتفصيل، لذا اغنت كل باحث عن الرجوع للمصادر الأخرى أو الكتابة عنه.

حامد الظالمي: ابن أبي الحديد: جهوده النقدية والبلاغية رسالة ماجستير

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي، مجل ٩، س ١٩٦١، ص ٣٤٠-٣٤٨.

(٢) مجلة الاستاذ، كلية التربية، مجل ١٠، س ١٩٦٢.

(٣) أنظر مثلاً الشرح: ٣١١/١٨، نهج البلاغة ص ٤٩٠.

(٤) أنظر مثلاً الشرح: ٩/٨٨٨٧، ٣٠٧، ١٦، ١٥٦-١٥٧.

(٥) مجلة المعرفة (بغداد)، س ١٩٦٢، ع ٢٩، ص ٤-٦.

(٦) مجلة تراث الانسانية، مجل ٢، ص ١٢٥-١٣٩.

ناقش فيها الباحث جهود ابن أبي الحديد في النقد.

عبد الواحد خلف وساك آل عجيل: جهود ابن أبي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة في اللغة العربية، درس فيها الباحث جهود ابن أبي الحديد في النحو.

عبد الجبار سالم عبد الكريم: شعر عبد الحميد بن هبة الله المدائني، رسالة دكتواره جمع فيها الباحث شعر ابن أبي الحديد من شرح نهج البلاغة أو القصائد السبع العلويات أو القصائد المستنصريات لابن أبي الحديد، أو من مؤلفات أخرى.

حسن حميد فياض: ابن أبي الحديد ناقداً، وهي رسالة تتحدث عن النقد الأدبي عند ابن أبي الحديد وخاصة في كتابه الفلك الدائر على المثل السائر.

وجاءت هذه الرسالة لتناول جانبًا معيناً من فكر ابن أبي الحديد المعتزلي، حيث تقدم لنا رؤية معتزلة بغداد إزاء الإمام علي عليه السلام.

اقتضت الدراسة البدء بمدخل يبين رؤية المعتزلة عموماً للإمامية، ومسألة الأفضل وجواز امامية المفضول أم لا؟ ثم أوضحنا رؤية المعتزلة بغداد قاطبة القائلة بالتفضيل مبينين أدتهم في هذا الإطار، ثم موقف ابن أبي الحديد الذي أرجع التفضيل إلى عصر الصحابة.

ولأجل ايضاح هذه الرؤية قسمت الرسالة على خمسة فصول، اختص الفصل الأول منها بدراسة تفصيلية لعراقة نسب الإمام علي عليه السلام حيث ينتسب لبني هاشم الذين وصفهم الجاحظ بأنهم ملح الأرض، فكان هاشم الجد الأكبر للقبيلة صاحب الآلاف الذي جعل من مكة مركزاً دينياً واقتصادياً، ثم جاء

ولده عبد المطلب الذي تزامن عصره مع سلسلة احداث مهمة كحفر زمزم وفشل حملة الفيل، واستحداثه جملة أعمال أقرها الإسلام فيما بعد حتى سمي بابراهيم الثاني. وقد ترك عشرة من الأولاد وصفهم اكثم بن صيفي^(١) بأن الله إذا إراد أن ينشأ دولة أو جد لها مثل هؤلاء^(٢)، وقد أوصى إلى أبي طالب، ومن جملة وصاياه أوصاه بالنبي عليه السلام تلك الوصية التي استمرت لخمسين سنة حيث كان لأبي طالب الدور الرائد في حماية النبي عليه السلام واستمراره للدعوة لعشرين سنة بحيث لما توفي أبو طالب أخذ النبي عليه السلام يبحث عن أماكن أخرى لنشر الدعوة الإسلامية.

وكان الإمام علي عليه السلام قد ولد لأبوين هاشميين فأمه أيضاً منبني هاشم، مضافاً لذلك كان الإمام علي عليه السلام يفتخر نسباً بعمه حمزة وأخيه جعفر.

اما الفصل الثاني؛ فقد أوضحنا فيه رؤية المعتزلة لنشأة الإمام علي عليه السلام، التي عدوها من اسس تفضيله عليه السلام، فبداءً كانت ولادته في الكعبة الشريفة، ثم انتقاله إلى بيت الرسالة، حيث كان له شرف التربية على يد النبي عليه السلام، فكان لذلك اثر في نشأته الروحية، حيث كان في مقدمة من آمن بالرسول عليه السلام، ثم ما لبث ان أصبح له وزيراً يوم الإنذار، واستمر في المؤازرة طيلة وجودهما في مكة، وكان هو من نام في فراش الرسول عليه السلام ليلة الهجرة ليموه على المشركين.

وبعد الهجرة المباركة زوجه النبي عليه السلام بأمر السماء من السيدة فاطمة

(١) اكثم بن صيفي التميمي أحد حكماء العرب قبل الإسلام وقد ادرك الإسلام ويقال حد قومه على الدخول فيه. انظر: الشعالبي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٦. ابن نباته: سرح العيون ص ١٤.

. ١٦. ابن حجر: الاصابة ١/١١٠-١١٢.

(٢) اليعقوبي: تاريخ ٢/١١.

الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، فكان ذلك من أعظم فضائله حتى ان كبار الصحابة كعمر وسعد بن أبي وقاص كانوا يغبطانه على ذلك.

ومن زواجه هذا جاء ولداه الحسن والحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيدا شباب أهل الجنة، وقد تكون من هذه الاسرة أهل بيت النبوة الأطهار الذين خصهم القرآن بعدد من الآيات كآية التطهير والماهلة.

كان للإمام علي عليه السلام جملة من الخصائص الخلقية، والسبجايا النفسية فاق بها الأقران والمعاصرين وأسدل الستار على من سبقه وتلاه فيها.

هذه الخصائص خصص الفصل الثالث لبيان رؤية المعتزلة فيها، سواء في الشجاعة أو الحلم أو الصبر أو الرزء أو العيان أو غيرها. والشيء الذي يلفت النظر في خصائصه عليه السلام هو جمعه بين المتناقضات حيث كان ذلك مثار اعجاب الشريف الرضا وابن أبي الحميد.

اما تفسير المعتزلة لرؤيه الإمام علي عليه السلام لنظام الحكم، فقد تناولها الفصل الرابع، إذ يرى معتزلة بغداد ان الإمام علي عليه السلام يرى نفسه الأحق ليس بالنص، وإنما بالأفضلية، ولكنه عليه السلام لما رأى ان الأمة اجمعـت على بيعة الخليفة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان فقد بايع لهم حسبما يرى المعتزلة.

ويتخذ معتزلة بغداد مواقفهم من موقف الإمام علي عليه السلام، إذ لما قبل بخلافة من سبقه عـد المعتزلة خلافتهم صحيحة، ولكنهم خطأوا من خرج عليه أيام خلافته، وحكموا بتوبة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وأنهم من أهل الجنة. وقد اوضح ابن أبي الحميد الرؤية الاعتزالية التي قدمها الجاحظ والاسكافي والجبائي والقاضي حول كثير من الشبهات التي اثيرت حول سياسة الإمام

عليه السلام سواء قبل خلافته أو بعد توليه الخلافة.

في حين جاء الفصل الخامس والأخير ليوضح الرؤية الاعتزالية حول الإمام علي عليه السلام والفكر العربي الإسلامي، إذ أثبت المعتزلة أن الإمام علي عليه السلام هو الوحيد الذي بان في العلم الإلهي، ومن خلال ما جاء في كلامه عن التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخلق الأفعال وغيرها استمد المعتزلة آراءهم الكلامية، وكان ابن أبي الحديد يؤكّد على ذلك في شرحه أيّها سُنحت له الفرصة.

ان كثيراً ما ورد في فكر المتصوفة مأخذ من الإمام علي عليه السلام، وهذا ما أشار إليه ابن أبي الحديد في اثناء شرحه لكتاب الإمام علي عليه السلام، وأكّد انتساب المتصوفة للإمام عليه السلام.

اما في علم الفقه فقد أكّد ابن أبي الحديد أن الإمام علي عليه السلام كان مصدر الخلفاء والصحابة والمذاهب الفقهية الاربعة، حيث أثر عن الخليفة عمر قوله «لا أبقاني الله لعضلة ليس لها أبو الحسن».

وكذا الحال في علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية وخاصة البلاغة حيث ترك الإمام علي عليه السلام كنزاً من الخطابة أصبح مصدراً ومورداً للأدباء والشعراء يتتقون منه ويوحشون به خطبهم وأشعارهم.

وكان عليه السلام قد أشار بعض الحوادث التاريخية والمسائل الفلكلورية، وما يختص علم الحيوان، بالإضافة لإشارته لبعض الغيبيات التي عدها ابن أبي الحديد من أسس تفضيله.

وختمنا هذه الفصول بخاتمة اوضحتنا فيها أهم ما تم التوصل إليه من خلال

البحث، منوهين بالمواضع التي يمكن ان تكتب عن ابن أبي الحميد وكتابه شرح نهج البلاغة، التي لا زالت لم تحظ باهتمام الباحثين.

تحليل المصادر

لقد اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع يأتي في مقدمتها - شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحميد المعتزلي، إذ هو المحور الذي دارت حوله الدراسة.

لقد صنفه ابن أبي الحميد على عشرين جزءاً، اودع فيه الكثير من جوانب المعرفة سواء في اللغة أو الأدب أو التاريخ أو الكلام وغيرها، لذا عدّه كتاب ادب وليس نظراً. ولما كانت موضوعات نهج البلاغة متنوعة جاءت موضوعات شرح نهج البلاغة متنوعة أيضاً.

قال باحث معاصر في وصفه: «كتاب ولا كالكتب، بل بوعي أن اقول إنه من الكتب القليلة النادرة التي تجمع بين المتعة والفائدة إلى أقصى حدودهما، مع نصاعة في الديباجة، وحلاؤة في اللغة، وسلامة في التعبير، وسلامة في البيان، فأنت حين تقرأ الكتاب تشعر كأنك تطالع انسكلوبيديا أو دائرة معارف تزودك بمعلومات لغوية وأدبية وتاريخية وفلسفية على صعيد واحد ضمن إطار نهج البلاغة للامام علي ... و تستشف من وراء الكتاب كله عقلية نيرة غير متعصبة وتحليلات منطقية وألمعية في التفكير وابتكاراً في التعليل، قل أن تجد له نظيراً في الكتب الحديثة بله القديمة. وبوسع القارئ المطالع له ان يقتبس شيئاً جديداً من كل فصل من فصوله إن لم أقل من كل صفحة من صفحاته فهو الكتاب القديم-الجديد دائمًا وأبداً»^(١).

(١) خلوصي: الكنوز الدفينة ص ١-٢.

ويخلص للقول: «وهكذا نجد بوجه عام أن ابن أبي الحديد قد جعل شرح نهج البلاغة إطاراً جميلاً لصورة رائعة تزدحم فيها الواقع التاريخية والبحوث الأدبية والمناقشات الفلسفية، فهو بحق منجم لكنوز دفينة لا تقوّم بشمن»^(١).

وقد شرح ابن أبي الحديد نهج البلاغة شرحاً اعزاليًا ليؤكد رؤية المعتزلة القائلة بأن مصدر عقidiتهم هو الإمام علي عليه السلام، ولكنه كان يتوقف عند بعض النصوص التي لا تتفق والرؤى الاعتزالية لذا يضطر لتأويلها أو التوقف عندها وعدم اصدار حكم فيها^(٢).

ومن هنا فإن ابن أبي الحديد عامل كلام الإمام معاملة النص القرآني أو الحديث النبوي الذي يُؤول إذا خالف ظاهره العقل عند المعتزلة.

لقد حاول ابن أبي الحديد وهو من معتزلة بغداد المتأخرین أن يسدل الستار على الخلاف ما بين مدرستي الاعتزال وأن يقدم صورة موحدة للفكر الاعتزالي، وإن كان أحياناً يشير لمواضع الخلاف ويحاول تبريرها.

ولم يظهر منه تحامل على معتزلة البصرة، بل اعتمد كثيراً من مؤلفاتهم كمؤلفات الجاحظ ت٢٥٥هـ، الذي كان يقف عند ارائه قائلاً «رحم الله أبا عمرو لقد غلبت عليه البصرة وطريقها...»، ولما اتهم ابراهيم بن سيار النظام - وهو من معتزلة البصرة - الإمام علي عليه السلام بالتدليس في الحديث، رد عليه ابن أبي الحديد مستغفراً له.

وقد استخدم ابن أبي الحديد في إثبات ما يراه ونفي ما لا يراه صحيحاً

(١) خلوصي: الكنوز الدفينة ص ٢٢.

(٢) أنظر: مثلاً الشرح ٩/٨٧-٨٨، ٣٠٧، ١٦، ١٥٦/١٥٧.

الآيات القرآنية التي يأخذها على ظاهرها، أما إذا تعارض ظاهرها مع العقل فإنه يؤووها. وكذا الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، مع انه يرى ان هناك الكثير من الاحاديث النبوية موضوعاً، وكذلك كان يستخدم الروايات التاريخية ونجد له لا يقف سلبياً إزاءها بل يناقشها فيقبل ما يراه صحيحاً ويرفض العكس. ووصل إلينا من مؤلفاته أيضاً سبع قصائد في مدح الإمام علي عليه السلام سميت بالقصائد السبع العلويات، اوضح فيها رؤيته للامام علي عليه السلام.

وتأتي مؤلفات علم الكلام بعد-شرح نهج البلاغة-كمصدر للرسالة، ومنها مؤلفات المعتزلة كرسائل المحافظ الكلامية ومنها العثمانية التي اوضحت فيها وجهة نظر القائلين بعدم أفضلية الإمام علي عليه السلام، فرد عليه الاسكافي ت ٢٤٠ هـ وهو من معتزلة بغداد بكتاب (نقض العثمانية) الذي استفدنا منه في بيان رؤية معتزلة بغداد في تفضيل الإمام علي عليه السلام.

وللناشئ الأكبر ت ٢٩٣ هـ أحد رجال المعتزلة كتاب (مسائل الإمامة) أفاد الرسالة في بيان رؤية المعتزلة للامامة من حيث وجوبها؟ ثم رؤيته للامام هل يجب أن يكون الأفضل؟ أم تجوز امامنة المفضول؟ ومن هو الأفضل؟

وللخياط ت ٣٠٠ هـ أحد معتزلة بغداد كتاب (الانتصار) اثبت فيه أفضلية الإمام علي عليه السلام. وجاءت مؤلفات القاضي عبد الجبار ت ١٥٤ هـ و خاصة كتابه (المغني في ابواب العدل والتوحيد) الذي صنفه على عشرين جزءاً، اوضح فيه تفصيلاً الفكر الاعتزالي، حيث استفدنا من الجزء العشرين الذي يقع في قسمين خصصهما للامامة، وقد افرد فصلاً عن التفضيل مبيناً آراء المعتزلة فيه كالاسكافي وابي علي وابي هاشم الجبائيان. اما كتابه فضل الاعتزال فقد أفادنا

في دراسة تراجم رجالات المعتزلة قبل القاضي، وقد نشر - النشار - كتاباً بإسم فرق وطبقات المعتزلة - أخذه من كتاب المنية والأمل لابن المرتضى^(١)، فإن الموجود منه هو ما جاء لدى ابن المرتضى في كتابه (المنية والأمل) أما الكتاب الأصلي فلم يحصل عليه.

ومن المؤلفات الكلامية مؤلفات الأشاعرة، كمقالات المسلمين لأبي الحسن الأشعري ت ٣٢٤ هـ، والتمهيد للباقلاني ت ٤٠٣ هـ، والفرق بين الفرق للبغدادي ت ٤٢٩ هـ. ومن كتب الإمامية الكلامية: تنزيه الانبياء للشريف المرتضى ت ٤٣٦ هـ، الذي استفدى منه في رؤيته لرواية خطبة الإمام علي عليه السلام جويرية بنت أبي جهل.

وكتابه (الشافي في الإمامة) وهو رد على كتاب المغني للقاضي عبد الجبار، وقد اعتمد ابن أبي الحديد كثيراً في معرض المقارنة بين آراء القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى. ويلاحظ على ابن أبي الحديد عدم الميل نحو القاضي لأنَّه معتزلي مثله، بل تارة يؤيد هذا وتارة يؤيد ذاك حسبما يراه صحيحاً.

لقد اعتمد ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة على جملة من المصادر التاريخية بعض منها وصل إلينا، لذا آثرنا من باب التوثيق التاريخي الرجوع إلى هذه المصادر كسيرة ابن اسحق ت ١٥١ هـ، ومحاكي الواقدي ت ٢٠٩ هـ، وتاريخ الرسل والملوك للطبرى ت ٣١٠ هـ، ومروج الذهب للمسعودي ت ٣٤٦ هـ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ت ٦٣٠ هـ وغيرها.

وهناك من المصادر التاريخية لم يعتمدتها ابن أبي الحديد، ولقد رجعنا إليها

(١) أنظر: رأي: البطاط في هذا الكتاب: قاضي القضاة عبد الجبار ص ٤٢-٤٣.

في مواضع من البحث كتاريخ العقوبي ت بعد ٢٩٢ هـ الذي قدم لنا رؤية لبني هاشم قبل الإسلام خاصة موقف عبد المطلب في حملة أبرهة وانعكاس ذلك الموقف في رؤية العرب له، وإشارته إلى ما سُنّه من سنن اثبّتها الإسلام فيما بعد.

اما كتب التفسير فقد اعتمدت الدراسة في تفسير بعض الآيات على جامع البيان للطبرى، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ت ٤٦٠ هـ، وال Kashaf للزمخشري ت ٥٢٨ هـ. ويعد الزمخشري من معتزلة البصرة، لذا أخذنا منه كثيراً في بيان رؤية معتزلة البصرة في الآيات الخاصة بالإمام علي عليه السلام، والجامع لاحكام القرآن للقرطبي ت ٦٧١ هـ.

اما كتب الحديث؛ فقد استفاد البحث من عدد من كتب الصحاح ك صحيح البخاري ت ٢٥٦ هـ، ومسلم ت ٢٦٣ هـ، وكتب السنن كسنن ابن ماجه ت ٢٧٣ هـ، وأبي داود ت ٢٧٥ هـ، والترمذى ت ٢٧٩ هـ، والنمسائى ت ٣٠٣ هـ، والبيهقي ت ٤٥٨ هـ، ومن المسانيد مسند احمد بن حنبل ت ٤٠٠ هـ. ومنها المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ الذي استخدنا منه في مواضع متعددة، ومنها تأكيده على ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة إذ يقول: «وتواترت الاخبار ان فاطمة بنت اسد ولدت علياً كرم الله وجهه في جوف الكعبة».

اما كتب الصحابة فقد رجعنا إلى الطبقات الكبرى لابن سعد ت ٢٣٠ هـ، والاستيعاب لابن عبد البر ت ٤٦٣ هـ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ت ٥٥٩٧ هـ، وأسد الغابة لابن الأثير ت ٦٣٠ هـ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ت ٨٥٢ هـ، وغيرها.

ومن كتب التراجم رجعنا لكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ، و معجم الادباء لياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ، ووفيات الاعيان لابن خلkan ت ٦٨١ هـ، وفوات الوفيات للكتبي ت ٧٦٤ هـ، والوافي بالوفيات للصفدي ت ٧٦٤ هـ، ومرآة الجنان لليافعي ت ٧٦٨ هـ.

اما كتب الأدب فقد رجعنا لكتاب البيان والتبيين للجاحظ ت ٢٥٥ هـ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ، والكامن في الأدب للمبرد ت ٢٨٥ هـ، والاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ت ٣٥٦ هـ، وربيع الابرار للزمخشري ويلاحظ أن كثيراً من نصوص الشرح ربها منقوله عن الأخير ولكن لم يشر لذلك.

واعتمد البحث على كتب الجرح والتعديل لمناقشة بعض الروايات ككتاب الضعفاء لأبي زرعة ت ٢٤٦ هـ، ورجال البرقي ت ٢٧٤ هـ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ت ٣٢٧ هـ، ورجال الكشي ت ٣٤٠ هـ، والكامن في ضعفاء الرجال لابن عدي ت ٣٦٥ هـ، ورجال النجاشي ت ٤٥٠ هـ، ورجال وفهرست الطوسي ت ٤٦٠ هـ، ورجال ابن المظفر الحلي ت ٧٢٦ هـ، ورجال ابن داود الحلي ت ٧٤٠ هـ، وميزان الاعتدال للذهبي ت ٧٤٨ هـ، وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ.

ورجعنا لعدد من الدواوين الشعرية لتوثيق كثير من الأبيات الشعرية كديوان امرئ القيس، والنابغة، وأبي طالب بن عبد المطلب، وامية بن أبي الصلت، والفرزدق، والسيد الحميري، وابي تمام، والبحترى، والمتني، والشريف الرضي، وعبد الباقي العمري وغيرهم.

فضلاً عن اعتماد الدراسة على مجموعة من الكتب الحديثة والرسائل الجامعية

وبعض المقالات، حيث اقتبست الرسالة آراءهم إما للتأييد أو للمناقشة. ولما كانت الدراسة حول كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد لذا آثرنا إذا تعددت المصادر في الهاشم الوارد الاشارة أولاً إليه ثم إلى المصادر الأخرى حتى وإن كانت أسبق منه زمنياً واقتصرنا في الاشارة إليه بكلمة الشرح. ولغرض عدم اثقال الموسوعة بالمعلومات لذا اقتصرنا على الاشارة لاسم المؤلف وكتابه والجزء إن وجد والصفحة، أما باقي المعلومات فسيجدها القارئ في فهرس المصادر والمراجع.

وختاماً لابد من القول أن الله سبحانه وتعالى أبى أن يكون هناك صحيح إلا كلامه المقدس، ولذا فإن هذه الدراسة المتواضعة لا تخلي من الانتقادات، وما احرى كاتبها بالقول:

أَسْهُوْ وَأَخْطِيْ ءَمَّا مِلْ يَحْمِنِي قَدْرُ	وَمَا أَبْرِيْ ءَنْسِيْ أَنْبِيْ بَشَرُ
مِنْ أَنْ يَقُولَ بَأْنِي بَشْرٍ	وَلَا تَرِيْ عَذْرَا أَوْلِي بَذِي زَلْلِ

فإن كنت أصبت الذي أردت فهذا من جزيل نعم الله تعالى فله الحمد والشكر مبلغ رضاه، وإن كنت لم أبلغ ذلك فيكفيني نيتى التي أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم... ونية المرء خير من عمله.

وآخر دعوانا رب... توفيني مسلماً وألحقني بالصالحين واجعلني من ورثة جنة النعيم... والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده.

جود كاظم النصر الله

البصرة

رمضان ١٤٢٣ هـ كانون أول ٢٠٠٢ م

المدخل

المدخل

التفضيل عند المعتزلة

اقتضت الحكمة الإلهية تكليف الإنسان للقيام ببعض الاعمال، والانتهاء عن اعمال أخرى، وسيقابل هذا الانجاز بثمرات دنيوية وأخروية على أن ذلك لن يكون إلا بوجود ضمادات له توجه الإنسان للقيام به. ومن هنا فإن الإسلام لم يطرح النظرية فقط، بل وضع لها اسس التطبيق العملي حيث أوجد نظاماً سمي «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» مهمته حماية المجتمع والنظام، مما يساعد على تحقيق ما كلف به الإنسان على الوجه الأفضل ويقف على رأس هذا النظام -الحاكم- الذي وصل لهذا المنصب بناءً على شروط معينة^(١).

لقد عدَّ المعتزلة -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- اصلاً من اصولهم الخمسة^(٢)، وهو الاصل العملي الوحيد، إذ باقي الاصول نظرية^(٣)، وهذا الاصل واجب عند المعتزلة ووجوبه شرعي بدليل قوله تعالى:

(١) د. عبد الكريم عثمان: قاضي القضاة ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) وهي -التوحيد- العدل- الوعد والوعيد- المنزلة بين المترفين- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكل من قال بهذه الاصول مجتمعة فهو معتزلي. انظر: الخياط: الانتصار ص ٩٣. وقد سرح هذه الاصول القاضي عبد الجبار بكتاب اسمه شرح الاصول الخمسة. وهو مطبوع.

(٣) صبحي: في علم الكلام /١٧٤-١٧٧.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١).

بالاضافة لوجوبه العقلي^(٢)، فهو يجب إلى درجة استخدام القوة، ومن هنا أجاز المعتزلة الخروج على الامام الجائز، وبهذا فهم يماطلون الخوارج^(٣)، لكنهم اكتفوا بالقول دون الفعل لذا سموا مخانيث الخوارج^(٤).

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عند المعتزلة على كل مكلف وفق شروط^(٥)، وهو فرض كفاية إذا قام به من به الكفاية سقط عن الآخرين^(٦).

وفي مقدمة من يجب عليهم القيام بهذا الاصل هو الامام، لذا أصبح موضوع الإمامة من موضوعات هذا الاصل «ووجه اتصاله بهذا الباب إن أكثر ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقوم به إلا الأئمة»^(٧).

و قبل التحدث عن موضوع الإمامة لابد من الاشارة إلى أن التطور التاريخي للمنتزلة يشير لمدرستين للاعتزال، الاولى نشأت في البصرة و اشارت الروايات إلى أن أول من قال بالاعتزال هو واصل بن عطاء وزميله عمرو بن عبيد،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ١٤٢، ٧٤١ - ٧٤٦.

(٣) ابن أبي الحميد: الشرح ٥/٧٨.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٧١.

(٥) القاضي: شرح الأصول ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٦) القاضي: شرح الأصول ص ١٤٨.

(٧) القاضي: شرح الأصول الخمسة ص ٧٤٩.

وسميت بمدرسة البصرة لنشوئها في البصرة، وقد وضع رجالات هذه المدرسة القواعد والاصول الاساسية للاعتزال، وبرز فيها كبار رجالات المعتزلة كأبي الهذيل العلاف، وابراهيم بن سيار النظام، والجاحظ، والجباين، والقاضي عبد الجبار، وابن متويه، وأصبح كل من يحمل آراء هذه المدرسة يعد بصرياً بغض النظر عن بلدته^(١).

اما بالنسبة لمعتزلة بغداد فهي التي ينسب تأسيسها إلى بشر بن المعتمر الذي تلمند على يد معتزلة البصرة، ثم جاء لبغداد مؤسساً فرعاً جديداً للاعتزال عرف بمعتزلة بغداد، فأصبح كل من يأخذ بآراء هذه المدرسة يعد من معتزلة بغداد بغض النظر عن بلدته. ومن رجالات هذه المدرسة بشر بن المعتمر، والجعفريان، والاسكافي، واحمد بن أبي دؤاد^(٢)، والخياط، والكعبي، وابن أبي الحميد^(٣).

والذي يميز مدرسة بغداد عن مدرسة البصرة:

أولاًً: ميل مدرسة بغداد قاطبة إلى الإمام علي عليه السلام.

ثانياً: إنها طبقت عملياً رؤية معتزلة البصرة في التوحيد حيث ألغت القول

(١) عن مدرسة البصرة أنظر: صبحي: في علم الكلام /١٠٥-٣٩٣. الراوي: ثورة العقل ص ٢٣-٧٧. النعيمي: مدرسة البصرة الاعتزالية ص ٧ وما بعدها.

(٢) هو احمد بن أبي دؤاد فرح بن جرير القاضي، والمتولى لمهمة القول بخلق القرآن فيها عرف بالمحنة. انظر: الماطي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم: الفهرست ص ٤-٣ (ترجم ملحقة بآخر الكتاب). ابن الاثير: اللباب /١ ٤٢٧. الصفدي: الوافي بالوفيات ٢/٣٣. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٢٣-١٢٦.

(٣) عن مدرسة بغداد أنظر: صبحي: في علم الكلام /٢٨٣-٣١٧. الراوي: ثورة العقل ص ٨١-٨٣.

الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بالصفات، وقالت بخلق القرآن، فكان ما عرف تاريخياً بالمحنة، حيث كان معتزلة بغداد القائمين بها^(١).

ثالثاً: النزعة العملية: حيث لما اتسم الاعتزال البصري بالسكونية والنظارات التجريدية، وجعل البحث النظري حواراً وجداً طابعه العقائدي، نجد معتزلة بغداد تسعى لإيجاد بعد عملي لفkerها على نحو تحقيق رغبتها بإقامة دولة اعزالية.

رابعاً: اقتضاهم عصر النهضة الفكرية، وقراءتهم للفلسفة، تعميق وتطوير مباحث العدل الالهي^(٢)، بعد أن شرحتها معتزلة البصرة، كالقول بالتوليد^(٣)، واللطف الالهي^(٤).

خامساً: تصدى معتزلة بغداد للمباحث الدقيقة في الكلام، كمسألة

(١) صبحي: في علم الكلام /١٢٨٣-٢٨٧، الرواية: ثورة العقل ص ٩٥. وعن مسألة خلق القرآن أنظر: الجاحظ: رسالة في خلق القرآن ص ١٦٣-١٧٥. الأزدي: تاريخ الموصل: ٤١٤-٤١٢.

(٢) العدل: ما يقتضيه العقل من الحكمة، أو صدور الفعل على وجه الصواب والمصلحة، ويناقش المعتزلة تحت هذا الأصل موضوعات. (نفي صدور القبح عن الله، اللطف الالهي، حرية الارادة)، أنظر الشهريستاني: الملل والنحل /١٤٨-٥٥. صبحي: في علم الكلام /١٤٨-١٦٥.

(٣) هو الفعل الذي يتولد من فعل الانسان، فإذا ضرب انسان انساناً فالضررية من فعل الضارب، وهو مسؤول عنها، ولكن ماذَا عن الألم المتولد، أو إذا فعل الانسان فعلاً عن غير قصد. أنظر الخياط: الانتصار /٦٠-٦١، الباقلاني: التمهيد /٢٩٦-٣٠٢، الشهريستاني: الملل والنحل .

١٩٢-١٩٧، بدوي: مذاهب الاسلاميين /١٨٨-٩٠.

(٤) هو كل ما يوصل الانسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية. أنظر القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة ص ٥١٨-٥٢٥، الباقلاني: التمهيد /٣٣٨-٣٤٠، الشهريستاني: الملل والنحل /٢٩٣-٢٩٧، بدوي: مذاهب الاسلاميين /١٩٣-٨٢.

الجوهر^(١)

سادساً: الزهد: كانت هذه الصفة غالبة على اكثريه معتزلة بغداد كبشر بن المعتمر، وتلميذه أبي موسى، والاسكافي وغيرهم، ولشيع هذه الصفة فيهم عرفوا بـ «نسك بغداد»^(٢).

لقد ناقش المتكلمون على اختلاف توجهاتهم موضوع الإمامة، من حيث وجوب نصب الإمام أو لا؟ وهل أن الإمامة واجبة عقلاً أم شرعاً؟ وهل يجب أن يكون الإمام أفضل الأمة؟ أم تجوز امامنة المفضول مع وجود الأفضل؟^(٣) قال ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة، وجميع المعتزلة، وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة... حاشا النجدات^(٤) من الخوارج»^(٥).

(١) هو الجزء الذي لا يتجاوز أول من قال به أبو الهذيل العلاف، انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٧، أبو رشيد: المسائل في الخلاف ص ٢٨، ابن متويه: التذكرة ص ٤٧ ١٤٥. الجرجاني: التعريفات ص ١٣، التهانوي: كشاف اصطلاحات العلوم ١/٢٠٧. بيتس: مذهب الذرة عند المسلمين ص ١-١٦.

(٢) الراوي: ثورة العقل ص ٩٤-١٠٠.

(٣) افرد المتكلمون مؤلفات لهذا الغرض. انظر: الناشئ الأكبر: مسائل الإمامة، وخصوص القاضي عبد الجبار الجزء العشرين من كتابه (المغني) في قسميه الأول والثاني لمسائل الإمامة ووضع الشريف المرتضى: الشافي في الإمامة أنظر ص ٢ وما بعدها، الطوسي: تلخيص الشافي ١/٦٣-٢٠٧، ١٩٠.

(٤) اصحاب نجدة بن عامر الحنفي. انظر الاشعري: مقالات الاسلاميين ١/١٦٢-١٦٤. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٩. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٥٢-٥٤. الشهري: الملل ١/١٦٥-١٦٩.

(٥) الفصل في الملل ٤/١٤٩.

وأوضح - الناشئ الأكبر - وجهة نظر المعتزلة فقال: «المعتزلة صنفان: صنف أوجبوا الإمامة وزعموا أن نصب الامام فرض على الأمة في عقد الدين، وصنف انكروا وجوب الإمامة، وزعموا أنَّ لل المسلمين أن يقيموا اماماً، وهم أن لا يقيموه، وليس أحد الأمرين بأولى من الآخر»^(١).

بينما أشار ابن أبي الحميد إلى أن المعتزلة جميعهم قالوا بالوجوب ما عدا أبا بكر الأصم^(٢) الذي يرى «إنها غير واجبة إذا تناصفت الأمة ولم تظامل». وهذا الرأي عده متآخرو المعتزلة قولًا بالوجوب، وذلك لأن في العادة لا تستقيم امور الناس من دون رئيس يحكم^(٣).

وقد تبينت وجهة نظر المعتزلة حول طريق وجوب الإمامة، هل هو شرعي؟ أم عقلي؟ فالبعض من معتزلة البصرة يرى أن طريق وجوبها الشرع. أما معتزلة بغداد وبعض من معتزلة البصرة كابن حافظ، وأبو الحسين البصري، فيرون أن طريق وجوبها العقل واتفقت معهم الإمامية^(٤) بذلك^(٥).

(١) مسائل الإمامية ص ٤٩.

(٢) هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم من معتزلة البصرة، يعد من الطبقة السادسة. أنظر: الملطي: التنبيه ص ٣٩، القاضي: فضل الاعتراف ص ٢٦٧، الشهري: الملل ١ / ٩٣. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٥٦-٥٧، الداودي: طبقات المفسرين ١ / ٢٧٤.

(٣) الشرح ٢/٣٠٨. أنظر رأي الأصم: الأشعري: مقالات المسلمين ٢ / ١٣٣.

(٤) إن كل الفرق الإسلامية قالت بالإمامية، ولكن لفظ (الإمامية) إذا ذكر ينصرف إلى تلك الفرقة التي حددت عدد أئمتها واسماءهم بلا زيادة ولا نقصان. وهم المعروفون بالاثني عشرية. فيما لم تحدد باقي الفرق الإسلامية عدد أئمتها. أنظر الأشعري: مقالات المسلمين ١ / ٨٧-٨٨. الفياض: تاريخ الإمامية ص ٧٣-٨٥.

(٥) الشرح ٢/٣٠٨.

وإذا كانت المعتزلة ترى ان الهدف من وجوب الإمامة لأن فيها مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية، فإن الإمامية يوجبونها على الله لأن فيها لطف وابعاد للملكون عن مواجهة القبائح العقلية^(١).

وناقش المتكلمون: هل يجب أن يكون الامام هو الأفضل؟ أم تجوز امامنة المفوض؟^(٢) يرى الباقياني^(٣) انه «واجب أن يكون الامام أفضل الأمة». وقد رد عليه ابن حزم قائلاً: «هذا خطأ متيقن لبرهانين؛ احدهما: إنه لا يعرف الأفضل إلا بالظن في ظاهر أمره، وقد قال تعالى:

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيئًا﴾^(٤).

والثاني: ان قريشاً انتشرت في مشرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها، ولا سبيل لمعرفة الأفضل، ويكتفي بطلان قول الباقياني؛ ان الصحابة الذين ادركوا امامنة الحسن ومعاوية قالوا بها مع أن فيهم من هو أفضل من الحسن ومعاوية كسعد، وسعيد بن زيد، وابن عمر»^(٥).

(١) الشرح ٣٠٨/٢. عن الإمامة أنظر: الناشيء الأكبر: مسائل الإمامه ص ٤٩. الشريف المرتضى ص ٤٥. الطوسي: تلخيص الشافعي ٦٣/١ ١٩٠.

(٢) الاشعري: مقالات الاسلاميين ١٣١/٢ وما بعدها.

(٣) أبو بكر محمد بن الطيب ولد بالبصرة ثم سكن بغداد وهو من كبار رجالات الاشاعرة ت ٤٠٣ هـ. أنظر: السمعاني الانساب ١/٢٦٦. ابن الاثير: اللباب ١/٥١-٥٢. النباهي: تاريخ قضاة الاندلس ص ٣٧-٤٠. الصفدي: الواقي ٣/١٧٧. محمد عبد الله رمضان: الباقياني ص ٩٦ وما بعدها. بدوي: مذاهب الاسلاميين ١/٥٦٩-٦٣٣.

(٤) سورة يونس، آية ٣٦.

(٥) الفصل في الملل ٤/١٧٩-١٨٠.

إن التمعن في فهم معنى آيات التطهير والماهلة والمؤودة وهل أتى، وكذا أحاديث النبي عليه السلام كحديث الثقلين، وقوله عليه السلام: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا». يقطع بأفضلية الإمام الحسن على من ذكرهم فضلاً عن كل الأمة بعد أبيه عليهما السلام.

اما المعتزلة فقد انقسموا لقسمين:

الأول: يرى عدم جواز عقد الإمامة إلا للأفضل، لأنهم يرون انه ليس بعد النبوة منزلة أفضل من الإمامة، فكما كان النبي عليه السلام أفضل الناس فكذلك الإمام، لأن الإمام هو الذي يؤدب الأمة ويعرفها معلم دينها، فلا يجوز أن يكون المؤدب أفضل من المؤدب، وإلى هذا المذهب يذهب عمرو بن عبيد^(١)، وإبراهيم النظام^(٢).

اما القسم الثاني فيرى جواز امامية المفضول مع وجود الأفضل حيث يرون ان النبي عليه السلام ولد المفضول على الأفضل كما في تولية عمرو بن العاص في غزوة

(١) هو صاحب واصل بن عطاء ولد في البصرة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٠ هـ. أنظر: البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٨٦-٩٧. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٤٢-٢٥٠. الشهري: الملل: ١/٦٢. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/٤٦٠-٤٦٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٣٥-٤١. المقرizi: الخطط ٢/٣٤٦.

(٢) أحد معتزلة البصرة، سمي بالنظام لاشتغاله بنظم الخرز. له آراء ومؤلفات فلسفية ويعده فيلسوف المعتزلة. أنظر: الخياط: الانتصار ص ١٩، ٢١-٤٧. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٧٠-٧١. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٦٤-٢٦٥. ابن النديم: الفهرست ص ٢ (ترجم ملحقة بآخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٩-٩١. الشهري: الملل ١/٦٧-٨١، ابن نباتة: سرح العيون ص ٤٩-٥٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٩-٥٢. ابن تغري: التجوم الزاهرة ٢/٢٣٤. بدوي: مذاهب المسلمين ١/٩٨-١٥٧.

ذات السلاسل^(١) على جيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، وهم أفضل منه، وتولية أسامة بن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر^(٢)، ويرون «إذارأينا رجلاً تجمع عليه الكلمة ولم يكن ساقط العدالة، وكان معه علم بالكتاب والسنّة، وليناه أمر الأمة، وإن كان فيهم من هو أفضل منه وأوسع علماً. والقائلون بهذا القول واصل بن عطاء^(٣)، ومعزلة بغداد قاطبة^(٤).

وناقش المتكلمون من هو الأفضل بعد الرسول ﷺ، قال ابن حزم: «اختلف المتكلمون فيمن هو أفضـل الناس بعد الانبياء ﷺ، فذهب بعض السنـة وبعض المعـزلة، وبـعض المرـجـة^(٥)، وجـمـيع الشـيـعةـ إلىـ أنـ أـفـضـلـ الـأـمـةـ بـعـدـ

(١) كانت في السنة السابعة للهجرة. أنظر: الشرح ٦/٣١٩-٣٢٠. ابن سعد: الطبقات ٢/١٣١.

البخاري: الصحيح ٥/٦٨. الطبرى: تاريخ ٣/٣٢. الحاكم: المستدرك ٣/٤٥. الشهرستاني: الملل ١/٢١٩.

(٢) في مرض الرسول ﷺ. الشرح ١/١٥٩، ٦/٥٢، ١٧/١٨٣. ابن سعد: الطبقات: ٢/٢٤٩.

اليعقوبي: التاريخ ٢/١٠٣. أبو هلال العسكري: الاولى ص ١٣٧.

(٣) ينسب إليه تأسيس الاعتزاز. وكان ألغـنـ بالـرـاءـ وـمـعـ ذـلـكـ كـانـ يـلـقـيـ الخطـبـ البـلـيـغـةـ الـخـالـيـةـ منـ الرـاءـ. وـهـوـ أـوـلـ مـنـ قـالـ بـالـمـتـزـلـةـ بـيـنـ الـمـتـزـلـتـيـنـ. أنـظـرـ: ابنـ عـطـاءـ:ـ الخطـبـ الـخـالـيـةـ مـنـ الرـاءـ،ـ نـوـادـرـ المـخـطـوـطـاتـ ٢/١١٨ـ ١٣٦ـ . الـبـلـخـيـ:ـ بـابـ ذـكـرـ الـمـعـزلـةـ صـ ٦٤ـ ٦٨ـ . ابنـ النـديـمـ:ـ الفـهـرـسـ صـ ١٠ـ (ـ تـرـاجـمـ مـلـحـقـةـ بـآـخـرـ الـكـتـابـ). الـبـغـادـيـ:ـ الفـرقـ صـ ٧٠ـ ٧٢ـ . الشـهـرـسـتـانـيـ:ـ المـلـلـ ١/٦٢ـ ٥٧ـ . ابنـ المـرـتضـيـ:ـ طـبـقـاتـ الـمـعـزلـةـ صـ ٢٨ـ ٤٥ـ . بدـوـيـ:ـ مـذـاـهـبـ الـاسـلـامـيـنـ ١/٧٣ـ .

٩٦

(٤) النـاشـئـ الـأـكـبـرـ:ـ مـسـائـلـ إـلـمـامـةـ صـ ٢/١٣٤ـ ٥٢ـ ٥ـ . أـنـظـرـ الـأـشـعـريـ:ـ مـقـالـاتـ الـاسـلـامـيـنـ ٢/٥ـ . وـيـوـافـقـهـمـ الـزـيـدـيـةـ. الشـهـرـسـتـانـيـ:ـ المـلـلـ ١/٢٠٨ـ .

(٥) هي فـرـقةـ كـلـامـيـةـ نـاقـشتـ مـسـأـلـةـ إـلـيـانـ وـالـعـمـلـ وـيـرـىـ اـصـحـاحـهـ أـنـ مـثـلـاـ لـاـ يـنـفعـ مـعـ الـكـفـرـ طـاعـةـ لـاـ يـضـرـ مـعـ إـلـيـانـ مـعـصـيـةـ. أـنـظـرـ:ـ الـمـلـطـيـ:ـ التـنبـيـهـ صـ ٤٣ـ ٤٧ـ ١٤٦ـ ١٥٦ـ ،ـ الـبـغـادـيـ:ـ الفـرقـ =

رسول الله عليه السلام علي بن أبي طالب عليهما السلام وقد روينا هذا القول نصاً عن بعض الصحابة عليهما السلام وعن جماعة من التابعين والفقهاء.

«وذهب الخوارج كلها وبعض أهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، إلى أن أفضل الصحابة بعد الرسول أبو بكر ثم عمر، وروينا عن أبي هريرة أن أفضل الناس بعد الرسول عليهما السلام جعفر ثم حمزة، وروينا عن نحو عشرين من الصحابة «اكرم الناس على الرسول عليهما السلام علي والزبير»^(١).

ثم قال: «والذي تقول به، وندين الله تعالى به، ونقطع على أنه الحق عند الله عز وجل: أن أفضل الناس بعد الانبياء عليهما السلام نساء رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم ثم أبو بكر»^(٢).

حيث يرى أن أفضل الناس بعد الرسول عليهما السلام هم الصحابة لأن فضيلة الصحابة لها فضل عظيم، ولما كانت نساء النبي عليهما السلام، قد اشتراكن في الصحبة، وزدن بفضيلة الأمة (أمها المؤمنين)، ثم كونهن زوجات الرسول عليهما السلام، وهذا يعني انهن معه في الدنيا والآخرة، لذا أصبحن هن الأفضل^(٣).

واوضح البغدادي رؤية الاشاعرة الذين «قالوا بتفضيل أبي بكر وعمر على من بعدهما، وإنما اختلفوا في التفاضل بين علي وعثمان...»^(٤).

أما بالنسبة إلى المعتزلة فقد تعدد وجهة نظرها بتنوع مدارسها فمدرسة

= بين الفرق ص ١٢٢-١٢٥، الشهريستاني: الملل ١/١٨١-١٩٥.

(١) الفصل ٤/١٨١.

(٢) الفصل ٤/١٨١.

(٣) الفصل ٤/١٨٣.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢١١.

البصرة تنقسم على عدة اقسام:

القسم الأول: يرى أفضلية الخلفاء حسب تسلسلاهم بالخلافة.

القسم الثاني: يرى أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان.

القسم الثالث: يرى أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عبد الرحمن بن عوف ثم عثمان.

القسم الرابع: يتوقف في القول الأفضلية بين أبي بكر والإمام علي عليهما السلام.

القسم الخامس: يرى أفضلية الإمام علي عليه السلام ثم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان.

بالنسبة إلى القسم الأول دليلهم «ان اصحاب النبي صلوات الله عليه قدمواه (أبو بكر) في الإمامة على سائر الناس، قالوا: ووجدنا المفضول لا يتولى على الفاضل إلا بإحدى خصالتين: إما بأن يغلب المفضول الأمة على أمرها، ويتولى على الفاضل، والناس لذلك كارهون، وأما بأن يكون الذين يتولون اختيار الامام غير مناصحين للامة ولا ناظرين ولا محتاطين في حسن الاختيار لإمام يرعاها فينحرفون عن الفاضل البارع إلى المفضول الناقص، وقالوا: كما وجدنا اماماً أبي بكر قد زال عنها هذان الأمران وذلك انه لم يستكره الأمة، ولم يغلبها على الإمامة، ولو كان ذلك بجاءت الاخبار به، وكان الذين عقدوا امامته خيار الخلق والحجۃ، وهم الذين الرسول لآدابه، وباجتماع منهم عليه، وقد قال النبي صلوات الله عليه [وآلہ وسلم]: ولم تكن امتی لتجتمع على ضلاله^(١). علمًا إن أبو بكر إنما عقد المسلمين له الإمامة لأنه افضلهم عندهم. وقالوا مثل ذلك

(١) اخرجه أبو داود: السنن ٤/٩٨ . ابن الطيب: المعتمد ٢/٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ ،

٤٩٦ ، ٤٩٩ ، ٥٠٢ ، ٥١٥ . الشهري: الملل ٢/٣٧

٥٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

في عمر، أنه أفضل الناس بعد بيعة أبي بكر، وأن عثمان أفضل الناس بعد عمر في الوقت الذي ولي إلى سنة ست من خلافته... واثبتوه اماماً على فقالوا: كان أفضلاً الناس في الوقت الذي عقد له الخلافة...»^(١).

اما القسم الثاني فهو رأي واصل بن عطاء حيث قدم الإمام علياً على عثمان بالفضلية لتوقف واصل في احداث الفتنة^(٢).

وأنفرد أبو بكر الاسم في القسم الثالث بإثباته أفضلية عبد الرحمن بن عوف بعد أبي بكر وعمر، وتقديمه على عثمان، لأنه يرى أن عبد الرحمن أزهد الناس، فيما لم يثبت أي اماماً للامام علي عليه السلام وذلك «ان بيته عن غير شوري، وأن اكفاءه ونظرائه في الفضل نازعوه وأبوا أن يسلموه الإمامة فحاربهم، قال: والامامة لا تعقد بالسيف، وإنما تعقد ملن تحد إليه الاعناق طوعاً بعد النظر والتشاور ورضي الأمة، واجتماع الكلمة. وصوب معاوية في حربه علياً ومنعه من الشام لأن عمر ولـى معاوية ثم اثبته عثمان، وهما امامان. فلما قتل عثمان كان على معاوية ألا يسلم الشام إلا إلى أمام مفترض الطاعة، فإذا أراد ذلك الإمام أن يأخذ الشام بالقوة وجـ جـ عـلـىـ مـعـاوـيـةـ مـحـارـبـتـهـ ...ـ »^(٣).

أما القسم الرابع فقد توقفوا في القول بالتفضيل بين أبي بكر وعمر وبين الإمام علي عليه السلام، ومن هؤلاء أبو الهذيل العلاف^(٤) الذي يعد المؤسس الثاني

(١) الناشئ الأكير: مسائل الإمامة ص ٥٢-٥٣.

(٢) الشرح ١/٨. القاضي: شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧. المغني ٢٠ / ١١٤.

(٣) الناشيء الأكبر: مسائ الإمامة ص ٥٩-٦٠

(٤) هو محمد بن الهذيل العلاف (١٢٥-٢٣٥): لقب بالعلاف لأن داره في العلافين بالبصرة. أنظر

ترجمته: الخطاط؛ الانتصار، ص ١٥-٢١، ٥٩-٥٦، ٨٣-٨٠، ٩٢-٩٠، ١١٣-١١٤، ١١٥.

للاعتزال بعد واصل، هو وان توقف بين أبي بكر وعمر والإمام علي، فإنه يقطع بتفضيل الإمام علي على عثمان^(١).

ومن الذاهبين إلى التوقف أيضاً - أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي^(٢) (٢٤٧-٣٢١هـ) وهو من متأخري معتزلة البصرة، وقد عده القاضي في الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة.

كان يرى في التفضيل بأنه لو صح خبر الطائر^(٣) لوجب القطع بأفضلية

(١) ١٢٠، ١٢١. البلخي: باب ذكر المعتزلة ص ٦٩-٧٠. المطلي: التنبيه ص ٣٨-٣٩.

القاضي: فضل الاعتزال: ص ٢٥٤-٢٦٣. ابن النديم: الفهرست ص ١-٢ (ترجم أحقت في آخر الكتاب). البغدادي: الفرق ص ٧٣-٧٩. الشهروستاني: الملل /١ ٦٢-٦٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/٤ ٢٦٥-٢٦٧. اليافعي: مرآة الجنان ٢/١١٦. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٤-٤٩. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٤١، ٤١٤.

(٢) الشرح ١/٨. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٤١٣-٤١٤.

(٣) أنظر ترجمته: المطلي: التنبيه ص ٤٠. القاضي: فضل الاعتزال ص ٤-٣٠. الممداني: تكميلة تاريخ الطبرى ص ٢٧٨-٢٧٩. ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٧. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١١١-١١٩. الشهروستاني: الملل ١/٩٨-١٠٨. السمعانى: الانساب ٣/١٨٧-١٨٨. ابن الاثير: اللباب ١/١٥٧. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦. المقرizi: الخطط ٢/٣٤٨. ابن حجر: لسان الميزان ٤/١٦.

(٤) أشارت كتب الحديث انه اهدى للنبي ﷺ طائر مشوي فقال: اللهم ائنني بأحب الخلق اليك يأكل معى هذا الطائر فجاء علي بن أبي طالب رض. اخرجه: الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٣١، ٢٣٢-٢٢٠. الترمذى: صحيح ١٢/١٧٠. البلاذري: الانساب ٢/١٤٢. النسائي: خصائص ص ٥٢-٥٥. ديوان الصاحب بن عباد ص ٣٥، ٤٤. ابن اخي تبوك: مناقب علي بن أبي طالب ص ٤٣٥. الحاكم: المستدرك ٣/١٤٢-١٤٣. الخطيب: تاريخ بغداد ٣/١٧١.

ابن الغازى: المناقب ص ١٥٦-١٧٥. الخوارزمي: المناقب ص ٥٩-٦٥. سبط ابن الجوزى:

الإمام علي عليه السلام ولكنه لما لم يصح، لذا لم يعلم فضل أحدهما لأن الاعمال لا تبني على فضل الإنسان إذا لم يعلم المغيب من حالة، فإذا فقدنا الدلالة وجب التوقف^(١).

ومن المتوقفين أيضاً أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، كان حسن العبارة غزير المادة، وله تصانيف في اصول الفقه منها - المعتمد^(٢) - وهو كتاب كبير، واصبح هذا الكتاب مع كتاب المستصنف للغزالى^(٣) مصدراً لفخر الدين الرازي^(٤) في تأليفه لكتاب المحسوب^(٥) وتوفي سنة ٤٣٦ هـ^(٦).

= تذكرة ص ٣٨-٣٩. محب الدين: الرياض النظرة / ٢١٢-٢١١ . الجوني: فرائد السقطين

- ٣٥١ / ٧-٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٣٢٢ . ابن تيمية: منهاج السنة / ٣ / ١٣ . ابن كثير: البداية والنهاية

٣٥٤ . وقال في نهاية حديثه عنه: «وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم أبو بكر

ابن مردوية، والحافظ أبو طاهر محمد بن احمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي،

ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبرى المفسر صاحب التاريخ، ثم

وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سندًا ومتناً للقاضى أبي بكر الباقلانى المتكلم. وبالجملة

ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر، وإن كثرت طرقه والله أعلم». البداية والنهاية / ٧ / ٣٥٤ .

(١) القاضي: المغني / ٢٠ / ١١٩-١٢٠ .

(٢) طبع بجزئين في دمشق ١٩٦٤ .

(٣) كتاب في علم الاصول وقد طبع بجزأين في بيروت سنة ١٣٢٢ .

(٤) أحد كبار المفسرين وصاحب مفاتح الغيب ولد في سنة ٥٤٤ هـ وتوفي في سنة ٦٠٦ هـ. تنظر

ترجمته: ابن خلkan: وفيات ٤ / ٤٥٢-٢٤٨ . الذهبي: العبر / ٣ / ١٤٢ . السبكي: طبقات الشافعية

٥ / ٥٥-٣٣ . ابن كثير: البداية والنهاية / ١٣ / ٥٥-٥٦ .

(٥) كتاب في علم اصول الفقه. وقد طبع في جدة سنة ١٣٩٩ هـ. أنظر: صالحية: المعجم الشامل

. ٢١ / ٣

(٦) الشرح ١ / ٩ . الخطيب: تاريخ بغداد / ٣ / ١٠٠ . الحاكم: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة =

اما القسم الخامس من معتزلة البصرة فهم الذاهبون لتفضيل الإمام علي عليه السلام وسنشير إليهم فيما بعد ^(١).

أما بالنسبة لمعزلة بغداد فقد اجمعـت على القول بأفضلية الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة بعد الرسول عليه السلام . ومن أشهر رجالاتها: **أولاً: بشر بن المعتمر الهلالي** ^(٢) ت ٢١٠ هـ:

يعد مؤسس مدرسة بغداد المعتزليـة. كانت ولادته ونشأتـه في الكوفـة، ثم انتقل للبصرـة لدراسة الاعـزال على يـد رجـالـات مـعـزلـة البـصـرة، ثم ذـهـبـ لـبغـدادـ مؤـسـساً لـالـاعـزالـ الـبغـدادـيـ، وـقدـ تـلـمـذـ عـلـىـ يـدـيهـ كـبـارـ مـعـزلـةـ بـغـدادـ كـأـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ دـؤـادـ الـذـيـ كانـ لـهـ الدـورـ الـأـكـبـرـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـمـحـنـةـ ^(٣).

كانـ بـشـرـ أـوـلـ مـنـ قـالـ بـالـتـفـضـيلـ وـمـنـهـ سـرـىـ القـوـلـ إـلـىـ مـعـزلـةـ بـغـدادـ وـبـعـضـ منـ مـعـزلـةـ الـبـصـرةـ ^(٤).

=من كتاب سرح العيون، ص ٨٣٧. ابن خلـكانـ: وفيات ٤ / ٢٧١. الصـفـديـ: الـواـفيـ ٤ / ١٢٥ . اليافـعيـ: مرـآةـ ٤ / ٥٧.

(١) الشرح ١/٨-٧. وانظر رؤية الريـديةـ القـائـلـينـ بـأـفـضـلـيـةـ الـإـمـامـ عـلـيـهـ أـيـضاـ: الـجـاحـظـ: استحقـاقـ الـإـمامـةـ صـ ١٨٤ـ . الـملـطـيـ: التـنبـيـهـ صـ ٣٤ـ . الـصـاحـبـ بنـ عـبـادـ: نـصـرـهـ صـ ٨٤ـ-١٢٩ـ .

(٢) أنظر ترجمـتهـ الـبـلـخـيـ: بـابـ ذـكـرـ الـمـعـزلـةـ صـ ٧٢ـ-٧٣ـ . الـمـلـطـيـ: التـنبـيـهـ صـ ٣٨ـ . الـقـاضـيـ: فـضـلـ الـاعـزالـ صـ ٢٦٥ـ-٢٦٦ـ . الـبغـدادـيـ: الـفـرقـ صـ ٩٤ـ-٩٦ـ . ابنـ الـمـرـتضـيـ: طـبقـاتـ الـمـعـزلـةـ صـ ٣٣ـ/٢ـ . الـداـوـودـيـ: طـبـقـاتـ الـمـفـسـرـينـ صـ ٥٢ـ-٥٤ـ . الـمـقـرـيـيـ: الـخـطـطـ ٢/٣٤ـ . ابنـ حـجـرـ: لـسانـ الـمـيزـانـ ٢/٣٣ـ . الـدـاـوـودـيـ: طـبـقـاتـ الـمـفـسـرـينـ ١١٧ـ/١ـ .

(٣) أنظر تفاصـيلـ الـمـحـنـةـ: الـراـوـيـ: ثـورـةـ الـعـقـلـ صـ ٢٠٣ـ-٢٣٨ـ .

(٤) الشرح ٣ / ٢٨٨ـ-٢٨٩ـ .

يقول الناشئ الأكبر: «قال بشر بن المعتمر ومن قال بقوله: كان علي أفضـل بعد النبي (صلـعـمـ) وكان أبو بكر يـليـهـ فيـ الـفـضـلـ، إـلاـ انـ قـرـيـشاـ كـانـتـ أـمـيلـ إلىـ أبيـ بـكـرـ مـنـهـاـ إـلـىـ عـلـيـ لـأـنـ عـلـيـ كـانـ قـدـ وـتـرـ مـنـهـاـ وـقـتـلـهـاـ فيـ غـزـوـاتـ النـبـيـ (صلـعـمـ)، فـكـرـهـ اـصـحـابـ حـمـدـ أـنـ يـوـلـواـ عـلـيـاـ فـتـخـلـفـ الـكـلـمـةـ، فـوـلـواـ أـبـاـ بـكـرـ وـكـانـ دـوـنـهـ فيـ الـفـضـلـ غـيرـ اـنـ تـخـلـفـهـ عـنـهـ لـمـ يـكـنـ يـقـعـدـ بـهـ عـنـ أـنـ يـكـونـ مـضـطـلـعاـ بـالـإـمـامـةـ. قـالـواـ: وـكـانـ أـبـوـ بـكـرـ فيـ تـلـكـ الـحـالـ اـصـلـحـ لـلـامـةـ عـلـيـ هـذـهـ الـعـلـةـ»^(١).

وـأـضـافـ: «وـاحـجـوـ فـيـ ذـلـكـ اـنـ عـلـيـاـ كـانـ أـفـضـلـ النـاسـ بـعـدـ النـبـيـ (صلـعـمـ) بـأـنـ قـالـواـ: إـنـاـ وـجـدـنـاـ الـفـضـلـ فـيـ الـدـيـنـ إـنـمـاـ يـنـالـ بـالـعـلـمـ وـالـعـمـلـ، فـلـمـ اـعـتـرـنـاـ عـلـمـ اـصـحـابـ النـبـيـ (صلـعـمـ) وـعـلـمـهـمـ عـلـىـ مـاـ تـنـاهـتـ بـهـ الـاـخـبـارـ إـلـيـنـاـ عـنـهـمـ وـجـدـنـاـ عـلـيـاـ اـرـجـحـهـمـ عـلـمـاـ وـأـفـضـلـهـمـ عـمـلـاـ، وـذـلـكـ إـنـاـ إـذـاـ قـلـنـاـ: مـنـ كـانـ اـقـدـمـ الـمـسـلـمـينـ إـسـلـامـاـ؟ـ قـالـواـ: عـلـيـ، وـقـالـ قـوـمـ: أـبـوـ بـكـرـ، وـقـالـ قـوـمـ: زـيـدـ، وـقـالـ قـوـمـ: خـبـابـ. فـقـلـنـاـ لـأـقـلـ مـنـ أـنـ نـجـعـلـ عـلـيـاـ وـاحـدـاـ مـنـ هـؤـلـاءـ، فـلـاـ نـقـضـيـ لـهـ بـأـنـهـ اـقـدـمـهـمـ إـسـلـامـاـ، وـلـاـ عـلـيـهـ بـأـنـ إـسـلـامـهـ مـتـأـخـرـ عـنـهـمـ، وـإـنـ كـانـ الـاـخـبـارـ فـيـ أـنـ عـلـيـاـ كـانـ اـقـدـمـهـمـ إـسـلـامـاـ أـشـهـرـ وـأـكـثـرـ.

وـإـذـاـ قـلـنـاـ مـنـ كـانـ أـعـظـمـ اـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ (صلـعـمـ) جـهـادـاـ وـأـقـتـلـهـمـ لـلـأـكـفـاءـ وـاـشـدـهـمـ بـذـلـاـ لـمـهـجـتـهـ فـيـ الـحـرـبـ؟ـ فـالـقـائـلـوـنـ: عـلـيـاـ وـالـزـبـيرـ وـعـمـرـ وـأـبـوـ دـجـانـةـ وـالـبـرـاءـ بـنـ مـالـكـ، غـيرـ أـنـهـمـ قـدـ اـجـمـعـوـاـ أـنـ لـعـلـيـ مـنـ الـأـكـفـاءـ وـالـأـقـرـانـ مـاـ لـيـسـ لـأـحـدـ مـنـهـمـ. فـقـلـنـاـ: لـأـقـلـ مـنـ أـنـ نـجـعـلـهـ رـجـلـاـ مـنـ هـؤـلـاءـ وـلـاـ يـحـتـسـبـ بـهـاـ لـهـ مـنـ الـفـضـلـ عـلـيـهـمـ وـإـذـاـ قـلـنـاـ مـنـ كـانـ أـعـلـمـ اـصـحـابـ رـسـوـلـ اللـهـ (صلـعـمـ)؟ـ قـالـ

(١) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامية ص ٥٦.

قوم: معاذ بن جبل وعمر وعبد الله بن مسعود وعلي. غير انهم اجمعوا ان علياً يُسأل ولا يسأل، فقلنا: لا أقل من أن نجعله كأحدهم في العلم، ولا يحتسب بها جاء من الاخبار في فضله عليهم. وإذا قلنا: من كان ازهدهم في الدنيا؟ قال قوم: أبو ذر أو عمر وسلمان أو أبو الدرداء أو علي، غير انهم اجمعوا: ان علياً ملك رقاب العرب والعمجم وبيوت الاموال، فكان إذا أتى المال قسمه في الناس، ولا يدخل شيئاً منه، ثم يكتس بيت المال، وييرشه، ويقول: يا صفراء، ويا بيضاء^(١) غري غيري^(٢). وكان يقول إذا قسم الاموال بين الناس^(٣):
 هذا جنای وخياره فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

فقلنا: لا أقل من أن يكون علي كأحدهم، قالوا: فلما رأينا علياً شارك كل ذي فضل من اصحاب رسول الله (صلعم)، وبان هو بفضائل لم يشركه فيها علمنا انه أفضل الناس بعد النبي (صلعم). فوجب علينا أن نفضلة على سائر أصحاب النبي (صلعم)^(٤).

(١) الصفراء (الذهب) أي الدنانير، والبيضاء (الفضة) أي الدراجم.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٥٣. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠. البلوي: ألف باء ١/٢٢٣. الشعالي: التمثيل والمحاضرة ص ٣٠. ابن الجوزي: صفة الصفوٰ ١/٣١٤-٣١٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٠.

(٣) أنسدَه عمرو بن عدي الذي كان يخرج مع خدم خاله الملك جذيمة الابرش، لاجتناء الكمة، فكان الآخرون إذا وجدوا كمةً جيدةً اكلوها، أما هو فلا، وحين يعود يردد هذا البيت. أنظر: ابن قتيبة: عيون الأخبار ١/٥٣. ابن عبد ربّه: العقد الفريد ٤/٣١٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٤. الميداني: مجمع الأمثال ٢/٣٩٧. ابن الجوزي: صفة الصفوٰ ١/٣١٤.

(٤) الناشئ الأكبر: مسائل الإمامية ص ٥٦-٥٧. وانظر الجاحظ: رسالة استحقاق الإمامة ص ١٧٩ -

٦٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

ويؤكد بشر أن الإمام علياً أشجع وأسعى الصحابة لذلك استحق التفضيل^(١):

وكان يشر بن المعتمر قد ألف كتاباً في الرد على أبي بكر الاسم، حيث يخطئ الأخير الإمام علياً عليه السلام، ولا يرى له امامية أصلاً^(٢).

ثانیاً: آيو موسى عيسى بن صبيح ت ٢٢٦ھ (۳).

أخذ الاعتزال عن استاذه بشر بن المعتمر، حتى أن آراءه تحاكي آراء استاذه، وتولى رئاسة معتزلة بغداد بعد وفاته، وقد تخرج على يديه الحيل التالي من كبار معتزلة بغداد كجعفر بن حرب ^(٤) وجعفر بن مبشر، وقد انتشر الاعتزال البغدادي في أيامه بكثرة، وكان أبو موسى يتميز بالورع والزهد حتى سمي -الناسك- وعرف «براهم المعتزلة» وكان على نسق معتزلة بغداد في القول بأفضلية الإمام على ^(٥).

ثالثاً: جعفر بن مبشر بن احمد بن محمد الثقفي ت ٢٣٤ هـ^(٦)

٢٨٩-٢٨٨ / ٣) الشرح (١)

(٢) الراوى: ثورۃ العقال ص ١٠٦.

(٣) أنظر ترجمته: الخياط: الانتصار ص ٥٣-٥٦، ٥٩، ٧٣-٧٤. البلخي: باب ذكر المعتلة ص ٧٤.
 - الملطي: التنبيه ص ٣٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٧٧-٢٧٩. البغدادي: الفرق ص ١٠٠
 - ١٠١. الشهرستاني: الملل ١/٨٨-٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتلة: ص ٧٠-٧١. المقرizi: الخطط ٢/٣٤٦. ابن حجر: لسان الميزان ٤/٣٩٨.

(٤) أنظر ترجمته: البغدادي: الفرق ص ١٠٢-١٠١ . ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٣-٧٦ . ابن حجر: لسان الميزان ٢/١١٣ .

.٧ / ١ (الشرح ٥)

^٦) انظر: الخياط: الانتصار ص ٦٣-٤، ٧٣، ٨، ٧٤. القاضي: فضل الاعتراض ص ٢٨٣.

كان تلميذ أبي موسى مع زميله جعفر بن حرب حتى عرفا بالجعفريان، وكان يرتقى ببيع القصب لذلك عرف بالقصبي، عاش عيشة زهد أكثر معتزلة بغداد، وكان من القائلين بأفضلية الإمام علي عليهما السلام^(١).

رابعاً: أبو جعفر الاسكافي^(٢) ت ٢٤٠ هـ:

هو محمد بن عبد الله، عدّه القاضي في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، درس على يد جعفر بن حرب حتى بلغ مبلغاً من العلم في الاعتزال، وكان من أشهر معتزلة بغداد في الميل إلى تفضيل الإمام علي عليهما السلام حيث «يبلغ في ذلك، وكان علوي الرأي، محققاً منصفاً، قليل العصبية»^(٣).

هذه الرؤية جاءت في كتابه «نقض العثمانية»^(٤) الذي وضعه رداً على كتاب «العثمانية» للجاحظ، وفيه أثبت الاسكافي أفضلية الإمام علي عليهما السلام حيث كان «من المتحققين بموالاة علي عليهما السلام، والبالغين في تفضيله، وإن كان القول

= البغدادي: الفرق ص ١٠٢-١٠٣. الخطيب: تاريخ بغداد ٧/١٦٢. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٦-٧٧. ابن حجر: لسان الميزان ٢/١٢١.

(١) الشرح ١/٧. وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٤.

(٢) أنظر ترجمته: الملطي: التنبيه ص ٣٤٢. الخياط: الانتصار ص ١٩، ٦٨، ٧٤، ٩، ٧٦، ١٠٣. ابن الأثير: اللباب البغدادي الفرق ص ١٠٣-١٠٢. السمعاني: الانساب ١/٢٣٤-٢٣٥. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٨. المقرizi: الخطط ٢/٣٤٦. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٢٢١. الرواية: ثورة العقل ص ١٥٥-١٦٧. محمد السيد أبو جعفر الاسكافي: ص ٧ وما بعدها.

(٣) الشرح ١٧/١٣٢-١٣٣.

(٤) ورد هذا الكتاب في شرح نهج البلاغة، وقد نشر ملحق بكتاب العثمانية للجاحظ حيث أخذه المحقق من الشرح. أنظر الجاحظ: العثمانية ص ٢٨١-٣٤٢. وقارن الشرح ٣/٢١٥-٢٩٥.

الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من اصحابنا كافة، إلا أن أبا جعفر كان أشدهم في ذلك قوله وأخلصهم فيه اعتقاداً^(١).

والمقصود بالأفضل عند الاسكافي «أكرمهم عند الله، وأكثرهم ثواباً وأرفعهم في دار الجزاء منزلة»^(٢).

والطريقة التي استخدمها الاسكافي في التوصل للافضل هي الموازنة في الاعمال بين الإمام علي عليه السلام وغيره من الصحابة وقد وضع كتاباً باسم المعيار والموازنة^(٣).

قال القاضي: «فإن شيخنا أبو عبد الله (الاسكافي) فإنه يقطع على أن علي عليه السلام أفضل لأنباء يقطع بصحتها، ثم يذكر مع ذلك موازنة الاعمال، ويبين أن لفضائل أمير المؤمنين مزية»^(٤).

ومن جملة الامور التي استدل بها الاسكافي على أفضلية الإمام علي عليه السلام^(٥):
أولاً: حديث الطائر حيث أهدى للنبي عليه السلام طائر مشوي فقال عليه السلام: اللهم ائنني بأحب الخلق إليك ليأكل معي هذا الطائر. فجاء الإمام علي عليه السلام.
وقد استدل الاسكافي على صحة هذا الحديث بطرقتين:

الأول: ان هذه الاخبار كانت مشهورة في الصحابة، ولم يختلفوا في قبولها

(١) الشرح ٦٣/٤.

(٢) الشرح ١٢٠/١١.

(٣) القاضي: المغني ٢٠/٢٠. أبو حيان التوحيدى: الامتعة والمؤانسة ٩٨/١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٤) القاضي: المغني ٢٠/٢٠.

(٥) القاضي: المغني ٢٠/٢٠.

مع وقوع الكلام في التفضيل ولم يقع من أحدهم الرد والنكير، ولم يجرؤه مجرى أخبار الآحاد.

الثاني: ان الإمام علياً أنسد أهل الشورى هذا الخبر مع سائر الفضائل فأقرروا به. فدل على صحة الخبر.

ثم اوضح دلالته على أن الإمام علياً أفضل لأن المحبة إذا اضيفت إلى الله تعالى لم يتحمل إلا الفضل في باب الدين فهو مخالفة للمحبة التي تضاف إلى من يجوز خلاف ذلك عليه»^(١).

ثانياً: حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

قال الاسكافي: «و ثبوته مثل ثبوت الخبر المتقدم بل اولى، وقد ثبت أنه^{عليه} جمع الناس لإظهار هذا الأمر، فلا بد من أن يفيد فائدة تليق بالحال، ولا بد من

(١) القاضي: المغني ٢٠/٢-١٢٢.

(٢) اخرجه: احمد: المسند ٥/٤٧، ٣٦٦، ٣٤٧. الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠. البلاذري: انساب ٢/١٠٨-١١٢. ابن ماجه: الصحيح ١/٢٦. الترمذى: صحيح ١٢/٦٥. النسائي: خصائص ص ٦٤. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٣١١. المطبي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرك ٣/٩٠، ١١٦، ١١٩، ١١٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٩. ابن المازلي: مناقب علي بن أبي طالب ص ١٦-٢٧. البلوي: ألفباء ١/٢٣. الخوارزمي: المناقب ص ٧٤. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٣. النووي: تهذيب الأسماء ١/١. حب الدين: الرياض ٢/٢٢٢-٢٢٥. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٣. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٥. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٩٦. وقد استعرض عبد الحسين الأميني هذا الحديث ومصادره التاريخية والأدبية وأثاره في كتاب أسماء الغدير في أحد عشر جزءاً.

أن يعرف بها، ما لم يكن معروفاً من قبل، وقد ثبت إنه لا يجوز أن يراد به الإمامة على ما قاله بعضهم. وثبت أنه لن يرد به استحقاق الولاء على ما روي من ان منافرة وقعت بين علي وزيد بن حارثة في ذلك... فكيف يحمل عليه وقد قال له عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن. وفي بعض الاخبار هنالك أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. حتى روي عن جماعة من الانصار كأبي ايوب وغيرهم أنهم عند ذلك سلموا عليه وقالوا له: يا مولانا، وبطل أن يراد بذلك النص والموافقة، لأن ذلك كان معروفاً لأمير المؤمنين من قبل، فيجب حمله على أن المراد به أنه يليه في الفضل وأفضلهم عنده، لأن ذلك ما يجوز أن يجمع له الناس لما فيه من التشريف العظيم الذي يبين به من غيره.^(١)

ثالثاً:- قوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢) قال الاسكافي: «أما أريد به في باب الإمامة، وقد علمنا

(١) القاضي: المغني ٢٠/٢ - ١٢٥/٢.

(٢) اخرجه: ابن حنبل: المسند ١/١٧٣، ٤/٣٦٨. رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٩. البخاري: الصحيح ٥/٩٠. البلاذري: انساب ٢/٩٦. ابن ماجه: صحيح ١/٢٧-٢٥. الترمذى: صحيح ١٢/١٧١، ١٧٥. النسائي: خصائص ص ٤٨-٤٥. البهيكى: المحاسن والمساوئ ص ٤٤. ابن عبد ربہ: العقد الفريد ٤/٣١١. الملطي: التنبيه ص ٢٥. الطبراني: المعجم الكبير ١٢/٧٨. الحاکم: المستدرک ٣/١١٧، ١٤٤. ابن حزم: الفصل ٤/١٥٩، ١٥٩/٢٢٤. ابن عبد البر: الاستیعاب ٣/١٠٩٧-١٠٩٨. المغازی: مناقب ص ٢٧-٣٧. سبط ابن الجوزی: تذکرہ ص ١٨-٢٠، ٢٣. النووی: تهذیب الاسماء ١/٣٤٦. الخوارزمی: المناقب ص ١٩، ٥٩. حب الدین: ذخائر العقبی ص ٧٣. الرياض ٢/٢١٤-٢١٦. الجوینی: فرائد الس冩طین ص ١١٦، ١٢٢، ١٢٦، ٣١٧، ٣٢٩. ابن کثیر: البداية والنهاية ٧/٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢-٣٣٩. الهیشی: مجمع الزوائد ٩/١٢٠. ابن حجر: الإصابة ٢/٥٠٩. تهذیب التهذیب ٧/٣٣٧.

خلافه أو في باب أنه خلفه على قومه على ما روي في غزارة تبوك عند كلام المنافقين وأنه أراد أن يزيل الشبهة في أن يبين إنه خلفه على أمر هو أعظم أثراً من إخراجه معه في الجهاد، أو يراد بذلك في باب المؤازرة والمعونة على ما كلف وحمل، أو يراد بذلك أن يليه في الفضل وإذا بطل بطل باب الإمامة وجب في ما عداه أن يكون الكل مراداً بالكلام إذ كان يحتمله، لأن جميع ذلك يدخل تحت المنازل»^(١).

رابعاً:-Hadith Al-Mawâkhâ: أخى الرسول بين الصحابة بعد الهجرة وقال تعالى: أنت أخي^(٢).

هذا الدليل عدّه القاضي من أقوى الأدلة التي استدل بها القائلون بأفضلية الإمام علي عليه السلام، ومنهم الإسكافي^(٣).

خامساً: ما ورد في القرآن الكريم من آيات تشمل الإمام علياً كقوله تعالى:

=لسان الميزان / ٢٣٢٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٨. الهيثمي: الصواعق ص ١١٨ -

١١٩. تجدر الاشارة إلى أن هناك حديثاً مشابهاً مضمونه «أبو بكر مني بمنزلة هارون من موسى ولقد اعتبره الذهبي موضوعاً. انظر ميزان الاعتدال ٣/١٢٢ .

(١) القاضي المغنى ٢٠/٢.

(٢) الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢٢٠. الترمذى: صحيح ١٢١٧٠. ابن حبيب: المحرر

ص ٧٠. الحاكم: المستدرك: ١٥/٣-١٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٩-١٠٩٨. ابن

المغازى: مناقب ص ٣٧-٣٩. ابن الجوزى: صفة الصفوة ١/٣١٢. النووى: تهذيب الاسماء

١/٣٤٨. محب الدين: الرياض ٢/٢٢٠. الجوهري: فرائد السمطين ص ١١٦-١٢١. ابن

كثير: البداية والنهاية ٧/٣٣٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٦، ١٧٠، المتقي الهندي: كنز

العمال ١٢/٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٠ .

(٣) القاضي: المغنى ٢٠/٢-١٢٦.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ
تَطْهِيرًا﴾^(١).

وآية المباهلة^(٢)، قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُجَّةٍ﴾^(٣).

أشار ابن أبي الحميد إنه وقع بيده كتاب للاسكافي يذكر فيه عقيدته في التفضيل إذ يقول: «ثم وقع بيدي بعد ذلك كتاب لشيخنا أبي جعفر الاسكافى ذكر فيه ان مذهب بشر بن المعتمر، وابي موسى، وجعفر بن مبشر، وسائر قدماء

(١) سورة الأحزاب ٣٣. وانظر: الترمذى: صحيح ١٢ / ٢٠٠. النسائي: خصائص ص ٤٩.
الطبرى: جامع البيان ٢٢ / ٥-٨. البيهقى: المحسن ص ٨٧. الحاكم: المستدرك ٣ / ١٥٨ - ١٦٠.
الواحدى: أسباب النزول ص ٢٣٩-٢٤٠. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣ / ١١٠٠. ابن
المغازى: المناقب ص ٣٠٧-٣٠٨. الخوارزمى: المناقب ص ٢٣، ٧٣. الزمخشري: الكشاف
١ / ٣٦٩. سبط ابن الجوزى: تذكرة ١٧، ٢٣٣. ابن تيمية: منهاج السنة ٢ / ١٢١.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَّهُلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِبِينَ﴾.
سورة آل عمران (٦١). الترمذى: صحيح ١١ / ١٢٦، ١٢٦، ١٧٣. الطبرى: جامع ٤ / ٢٩٩-٣٠١.
البيهقى: المحسن ص ٤٢. الحاكم: المستدرك ٣ / ١٦٣. الواحدى: أسباب النزول ص ٦٧ - ٦٨.
ابن المغازى: المناقب ص ٢٦٣. الزمخشري: الكشاف ١ / ٣٦٩-٣٦٨. النووي: تهذيب
١ / ٣٤٧. محب الدين: الرياض ٢ / ٢٤٨. ابن كثير: البداية ٧ / ٣٤٠. ابن حجر: الاصابة
٢ / ٥٠٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ١٦٩. الهيثمى: الصواعق ص ١١٣، ١٤٣، ١٥٥.

(٣) سورة الإنسان آية (٨). الواحدى: أسباب النزول ص ٢٩٦. الزمخشري: ربيع الابرار ٢ / ١٤٧ - ١٤٨.
١٤٨. الكشاف ٤ / ٦٧٠. الخوارزمى: المناقب ص ١٩٢. محب الدين: الرياض ٢ / ٢٧٤، ٣٠٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٣٥٩.

البغداديين أن أفضل المسلمين علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين، ثم حمزة بن عبد المطلب ثم جعفر بن أبي طالب، ثم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان»^(١).

سادساً: أبوالحسين الخياط^(٢) ت ٣٠٠ هـ

هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط، تولى زعامة معتزلة بغداد، وكان قد تصدى لأحد الخارجين على الاعتزال ألا وهو ابن الروandi^(٣)، فألف ضده كتاب الانتصار.

كان الخياط من يقول بتفضيل الإمام علي عليه السلام إذ قال: «الاقتصاد في التشيع حق، وهو ديننا، وهو وضع علي بن أبي طالب حيث وضعه الله»^(٤).

ولما سئل عن أفضل الصحابة قال: «امير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأن الخصال التي فضل الناس بها متفرقة في الناس وهي مجتمعة فيه، وعد الفضائل فقيل: فما منع الناس من العقد له بالإمامية؟ فقال: هذا باب لا علم لي به إلاّ بما

(١) الشرح ١١٩/١١.

(٢) أنظر ترجمته: القاضي: فضل الاعتزال ص ٢٩٦-٢٩٧. البغدادي: الفرق ص ١٠٧-١٠٨. الشهري: الملل والنحل ١/٩٧-٩٨. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٥-٨٨. ابن حجر: لسان الميزان ٤/٨-٩.

(٣) أبو الحسين احمد بن يحيى اسحق الروandi، عدّ من الطبقة الثامنة للمعتزلة ثم خرج عليهم وألف كتاب فضيحة المعتزلة رد به على كتاب فضيلة المعتزلة للجاحظ، فرد عليه الخياط بكتاب الانتصار. الخياط: الانتصار ص ١١، ٧٨، ١١، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٢. الخوانساري: روضات الجنات ١/١٩٣-١٩٥.

(٤) الانتصار: ص ١١٢.

فعل الناس وتسويقه للأمر على ما امضاه عليه الصحابة لأنني لما وجدت الناس قد عملوا ولم أرئه أنكر ذلك ولا خالف علمت صحة ما فعلوا»^(١).

يمكن القول ان جواب الخياط يثير الاستغراب، إذ إن ما توصل إليه من أفضلية الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة لم يتأت له إلا بعد استقراءه لمصادر الصدر الأول للإسلام، ومن خلال هذا الاستقراء قطع الخياط بلا نقاش بأفضلية الإمام علي عليه السلام، ولكن العجب كيف لم يجد جوابا عن سبب عدم عقد الإمامة للإمام علي عليه السلام. والحال ان المصادر واحدة فمن خلالها يتم إثبات أفضلية الإمام علي عليه السلام وأيضاً يجد فيها الجواب على سبب عدم عقد الإمامة له؟!! والأشد غرابة قوله إن الإمام لم ينكر ولم يخالف؟!! إذ كيف يخفي ذلك على مثل الخياط؟!!

وعقب باحث معاصر على موقف الخياط هذا قائلاً: (وفي ظل هذا التفسير يسقط الخياط كل الدعوات المتطرفة التي حاول أصحابها خلق ثغرة مذهبية ضيقة في صفوف المسلمين أو إحداث الانشقاق داخل المجتمع العربي الإسلامي تحت ستار من الشعارات المحرضة.. وبهذا التفسير أيضاً يثبت أبو الحسين عقلانية الاتجاه الثوري وحيويته الذي يتوجه بحركته الوعائية إلى ما هو موجود وإلى ما ينبغي أن يكون بدرأة نقدية تلتقط وتبوب، تحلّل وتركب وتستخلص نتائج تجربتها الفكرية داخل التاريخ وفي عمق حركته، لتنتفي فيها بعد كل الاتجاهات المذهبية والعنصرية المريضة، التي لم تستطع أن تنفذ إلى الحياة الاجتماعية فعاشت متطفلة على محيطها) ^(٢).

(١) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٦.

(٢) الراوي: ثورة العقل ص ١٨٠-١٨١.

وبلا حظ ان الباحث أعلاه قد ذهب بعيدا فالسائل كان وجيهأً في سؤاله!! إذ مadam الإمام علي هو أفضل الصحابة بنظر الخياط فلماذا لم يعقدوا له الإمامة؟!! وقد يكون السائل من المعتزلة اصحاب الخياط الذي اشاد به الباحث. ولم يتضح من سؤال السائل وجواب الخياط ما هول له هذا الباحث؟!!

سابعا: أبو القاسم الكعبي ت ٣١٩ هـ^(١):

عبد الله بن احمد بن محمود البلخي، ولد في بلخ ثم انتقل إلى بغداد ودرس على يد الخياط حتى أصبح من المتحمسين لآراء معتزلة بغداد والمدافعين عنها وكان له دور في إسلام كثير من أهل خرسان.

يرى الكعبي ان مسألة وجوب نصب الإمام عقلية وليس سمعية أي حتى لو لم ينص على نصب إمام فإنه يجب على المسلمين أن ينصّبوا إماما لأن مصلحة المسلمين الدينية تقضي ذلك^(٢).

اما في التفضيل فيذهب إلى أن الإمام علي عليه السلام (لو نازع عقيب وفاة رسول الله عليه السلام)، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقديم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها،

(١) أنظر ترجمته: الممذاني: تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٧١. القاضى: فضل الاعتزال ص ٢٩٧.
البغدادى: الفرق ص ١٠٨-١١٠. الخطيب: تاريخ بغداد ٣٨٤/٩، ابن الجوزى: المتنظم
٢٣٨/٦، ابن خلkan: وفيات الاعيان ٣/٤٥. الذهبي: العبر ٤/٢، ابن كثير: البداية
١٦٤/١١، المقرizi: الخطط ٢/٣٤٨، ابن حجر: لسان الميزان ٣/٢٥٥-٢٥٦. ابن قطلو بغا:
تاج التراثم ص ٣١. القرشى: الجوادر المضية ١/٢٧١، المشهدانى: فلسفة أبو القاسم الكعبي:
رسالة دكتوراه غير منشورة.

(٢) القاضى: شرح الاصول الخمسة ص ٧٥٨-٧٥٩.

وجب علينا القول بتفسيق من ينazuه فيها، وإذا امسك عنها وجب علينا القول بعدالة من اغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله عليه عليه السلام، لأنه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة انه قال: على مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار^(١)، وقال غير مرة: حربك حربى، وسلمك سلمى^(٢).

ان القول بالتفضيل لدى معتزلة بغداد نجده قد سرى فيما بعد إلى متاخرى معتزلة البصرة فمن قال بالتفضيل منهم:

أولاً: أبو علي الجبائى (٢٣٥-٢٣٠ هـ)

(١) أخرجه الترمذى: صحيح ١٢/١٦٦ . الحاكم: المستدرك ٣/١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٥ . ابن الطيب: المعتمد ٢/٩٤٥-٩٤٦ . الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/٣٢١ . الخوارزمي: المناقب ص ٥٦-٥٧ . الزخشري: ربيع الابرار ١/٨٢٨ . الجويني: فرائد الس冇طين ١/١٧٧ . الهيشمى: مجمع الروايد ٢٣٦/٧ .

(٢) ابن حنبل: المسند ٢/٤٤٢ . الطبراني: المعجم الكبير ٣/٤٠ . الحاكم: المستدرك ٣/١٦١ . الخطيب: تاريخ بغداد ٧/١٣٧ . ابن المغازى: مناقب ٦٣-٦٤ . الخوارزمي: المناقب ص ٩١-٧٦ . حب الدين: الرياض الناظرة ٢/٢٤٩ . ابن تيمية: منهاج السنة ٢/٢٣١ . ابن كثير: البداية والنهاية ٨/٣٦ . ابن حجر: الصواعق ص ١٤٢ .

(٣) الشرح: ٢٩٦-٢٩٧ .

(٤) أنظر ترجمته: الملاطي: التنبيه ص ٣٩-٤٠ . ابن النديم: الفهرست ص ٦ (ترجم ملحقة بآخر الكتاب). الهمذانى: تكملة تاريخ الطبرى ص ٢٠٨-٢٠٩ . القاضى: فضل الاعتزال ص ٢٨٧-٢٩٦ . البغدادى: الفرق ١١٠-١١١ . الشهري: الملل والنحل ١/٩٨-١٠٨ . السمعانى: الانساب ٣/١٨٧ . ابن الاثير: اللباب ١/٢٠٨ . ابن خلkan: وفيات ٤/٢٦٧-٢٦٩ . الصفدى: الوافى ٤/٧٤-٧٥ . ابن كثير: البداية ١١/١٢٥ . ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٩٤-٩٦ . المقريزى: الخطط ٢/٣٤٨ . ابن حجر: لسان الميزان ٥/٢٧١ .

محمد بن عبد الوهاب ولد في جبا^(١)، ثم رحل إلى البصرة والتقي بأبي يعقوب الشحام^(٢) الذي انتهت إليه رئاسة معتزلة البصرة، وبعد وفاة الشحام ترأس الجبائي معتزلة البصرة وبغداد، وقد عرف بغزاره انتاجه العلمي سواء في التفسير أو الفقه أو الكلام، وقد عدّه القاضي في الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة.

كان في البدء متوقفاً في تحديد الأفضل وهذا يتضح مما جاء به القاضي^(٣)، وإن (كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته، وقال في كثير من تصانيفه: إن صح خبر الطائر فعلي أفضلي، ثم أن قاضي القضاة رحمه الله ذكر في شرح المقالات^(٤) لأبي القاسم البلخي، إن أبا علي رحمه الله ما مات حتى قال بتفضيل علي عليه السلام وقال: إنه نقل ذلك عنه سهلاً ولم يوجد في شيء من مصنفاته وقال أيضاً: إن أبا علي رحمه الله يوم مات استدنه ابنه أبا هاشم إليه، وكان قد ضعف عن رفع الصوت، فألقى إليه اشياه من جملتها القول بتفضيل علي عليه السلام^(٥).

(١) تقع جنوبی خوزستان. یاقوت الحموی: معجم البلدان ٢/٩٧.

(٢) یوسف بن عبد الله أحد معتزلة البصرة، توفي سنة ٢٦٧هـ، أنظر المطی: التنیہ ص ٣٩. القاضی: فضل الاعزال ص ٢٨٠-٢٨١. البغدادی: الفرق ص ١٠٧. ابن المرتضی: طبقات المعتزلة ص ٧١-٧٢.

(٣) المعني ٢٠/٢، ١١٤، ١١٧، ١٢٥، ٨-١١٧. ١٣٣.

(٤) ألهه سنة ٢٧٩هـ، وطرح فيه وجهة نظر الاعزال، أنظر ابن المرتضی: طبقات المعتزلة ص ٨٩، حاجی خلیفة: کشف الظنون ٢/١٧٨٢.

(٥) الشرح ١/٧-٨.

وقال القاضي: إن البعض لجهلهم بأبي علي الجبائي يرمونه بالنصب (وكيف وقد نقض كتاب عباد^(١) في تفضيل أبي بكر ولم ينقض كتاب الاسكافي المسمى المعيار والموازنة، في تفضيل علي على أبي بكر)^(٢).

ثانياً: الشيخ المرشد أبو عبد الله الحسين بن علي البصري^(٣) ت ٣٦٧ هـ:

من فقهاء ومتكلمي مدرسة معتزلة البصرة وهو من تلامذة أبي هاشم الجبائي، وعده القاضي في الطبقة العاشرة من طبقات المعتزلة، وكان يميل إلى الإمام علي عليه السلام ميلاً عظيماً، وصنف كتاب التفضيل وأحسن فيه غاية الاحسان^(٤). قال ابن أبي الحميد: كان متحققاً بفضيله وبمبالغة في ذلك، وصنف فيه كتاباً مفرداً^(٥).

ولما سُئلَ: أتتجد في النصوص ما يدل على تفضيل علي عليه السلام، بمعنى كثرة الثواب لا بمعنى كثرة مناقبه، فإن ذلك أمر مفروغ منه؟ ذكر حديث الطائر

(١) عباد بن سليمان من تلامذة هشام الفوطي، وله كتاب الأبواب الذي نقضه أبو هاشم الجبائي وكتاب تفضيل أبي بكر ورد عليه الجبائي أيضاً. المطلي: التنبيه والرد ص ٣٩. ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٧، ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧٧-٧٨، ٨٤، ١٠١. ابن حجر: لسان الميزان ٢٢٩/٣.

(٢) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٨٤.

(٣) أظر ترجمته: ابن النديم: الفهرست ص ٢٤٨. القاضي: فضل الاعتزال ص ٣٢٥-٣٢٨. أبو حيان: الامتناع والمؤانسة ١/١٤٠. ابن الجوزي: المتنظم ٧/١٠١. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٦٧-١٠٥. ابن حجر: لسان الميزان ٢/٣٠٣. اللكتوي: الفوائد البهية ص ١٥٩. الداودي: طبقات المفسرين ١/١٥٩.

(٤) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١٠٧.

(٥) الشرح ١/٨.

المشوي، إذ ان المحبة من الله إرادة الشواب، فقيل له: قد سبقك الشيخ أبو علي

رحمه الله تعالى إلى هذا فهل تجد غير ذلك؟ فقال: نعم! قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَانُوهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(١).

فإذا كان أصل المحبة ملن ثبت كثبوت البنيان المرصوص فكل من زاد ثباته زادت المحبة له، ومعلوم أن عاليات ما فر في زحف قط، وفر غيره في غير موطن^(٢).

ثالثاً: قاضي القضاة أبوالحسن عبد الجبار بن احمد الهمداني^(٣) ت ٤١٥ هـ:

«وهو الذي فتق علم الكلام، وتكلم في دققه وجليله، وإليه انتهت رئاسة المعزلة وصار المعتمد على كتبه ومسائله»^(٤).

ومن خلال ما جاء في كتاب المغني يتضح انه كان متوقفا^(٥) ويقول مانكديم تلميذ القاضي (وقد كان قاضي القضاة يتوقف في الأفضل من هؤلاء

(١) سورة الصاف آية ٤.

(٢) الشرح: ٢٦٤ / ٣.

(٣) أنظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان الحادية عشرة والثانية عشرة من كتاب سرح العيون ص ٣٦٥ - ٣٧٥ . الذهبي: العبر ٢/٢٢٩ . اليافعي: مرآة الجنان ٣/٢٩ . ابن المرتضى: طبقات المعزلة ص ١١٣ - ٢٦٣ . ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٨٦ - ٣٨٧ . الداودي: طبقات المفسرين ١/٤٨٤ - ٣٨٠ . عثمان: قاضي القضاة عبد الجبار ابن احمد الهمداني ص ١١ ، وما بعدها . الرواية: القاضي عبد الجبار ص ٢٨ - ٦٠ . البطاط: قاضي القضاة ص ١٢ - ١٧٦ .

(٤) ابن المرتضى: طبقات المعزلة ص ١١٢ - ١١٣ .

(٥) المغني: ٢٠ / ٢ - ١١٢ / ٢ .

⁷⁴ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

الرابعة كالشيوخين إلى أن شرح هذا الكتاب (شرح الأصول الخمسة) فقطع على
أن أفضل الصحابة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) (١).

وقال ابن أبي الحديд: (ذكر ابن متوه في كتاب الكفاية^(٢) في علم الكلام إنه كان من المتوقفين بين علي عليهما السلام وبكر ثم قطع على تفضيل علي عليهما السلام بكامل المنزلة^(٣)).

رابعاً: ابن متوبيه:

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن متويه^(٤) ت ٤٦٩ هـ من معتزلة البصرة، تتلمذ على يد القاضي عبد الجبار وله عدة مؤلفات في الكلام، أكده في كتابه الكفاية على تفضيل الإمام علي عليه السلام (واحتاج لذلك وأطال في الاحتجاج)^(٥).

خامساً: أبن أبي الحديد

يؤكد ابن أبي الحديد ان اعتقاده كاعتقاد سائر معتزلة بغداد في إثبات أفضلية الإمام علي عليهما السلام ويقول: (وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل؟ وهل المراد به الأكثر ثوابا أم الأجمع لزيادة الفضل والخلصال الحميدة؟ وبيانا أنه عليهما السلام أفضل على التفسيريين معا) ^(٦).

(١) شرح الاصول الخمسة ص ٧٦٧

(٢) من الكتب المفقودة حيث لم يشر إليه حاجي خليفة في كشف الظنون ١٤٩٦/٢ - ١٥٠٢. ولا صالحية: المعجم الشامل ٥/٢٤.

(٤) أنظر ترجمته: الجشمي: الطبقتان ص ٣٨٩. ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٩، صبحي: في علم الكلام / ٢٧٢.

٨ / ١ (الشرح)

٦) الشّـرح: ١/٩

والملاحظ ان ابن أبي الحميد افتتح شرحه لنهج البلاغة بالحديث عن القول في التفضيل^(١)، وأخذ يؤكّد على هذه المسألة في ثنايا كتابه كلما سُنحت الفرصة محاولاً إثبات صحة ما يذهب إليه معتزلة بغداد في القول بالتفضيل وقد كان هذا الإجماع من معتزلة بغداد وكثير من معتزلة البصرة مثار اعجابه وسروره فعد ذلك أعدل المذاهب^(٢) حيث يقول: (فأعجبني هذا المذهب وسررت به بأن ذهب الكثير من شيوخنا إليه، ونظمته في الأرجوزة التي شرحت بها عقيدة المعتزلة فقلت^(٣):

وخير خلق الله بعد المصطفى	بعل البتول المرتضى على
أعظمهم يوم الفخار شرفا	وابناه ثم حزوة وجعفر
ثم عتيق بعدهم لا ينكر	المخلص الصديق ثم عمر
فاروق دين الله ذاك القسورة	وبعده عثمان ذو النورين
هذا هو الحق بغير مين	

وأكد ابن أبي الحميد ان القول بتفضيل الإمام علي^{عليه السلام} كان معروفاً لدى البعض من كبار الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمّار بن ياسر والمقداد^(٤) وأبو ذر الغفاري وسلمان المحمدي وجابر بن عبد الله الانصاري^(٥) وأبي بن

(١) الشرح: ٩-٧/١.

(٢) الشرح: ٢٩٧/٢.

(٣) الشرح: ١٢٠/١١.

(٤) هو المقداد بن عمرو الكندي، هاجر متخفياً بعد المجزرة ونال حظوة لدى الرسول^{صلوات الله عليه وسلم}، توفي سنة ١٤٨٢-١٤٨٠ هـ. الطبرى: المتخب ص ٥٦. ابن عبد البر: الاستيعاب / ٤.

(٥) لم يشهد بدرأ لأنّه صغير وشهد سائر المشاهد واشترك في صفين مع الإمام علي^{عليه السلام}، توفي سنة

كعب^(١) وحذيفة بن اليمان^(٢) وبريء بن الحصيب الاسمي^(٣) وأبو اイوب الانصاري^(٤) وسهل بن حنيف^(٥) وعثمان بن حنيف^(٦) وأبو الهيثم بن التيهان^(٧)
.....

٧٤. الطبرى: المتىخ ص ٥٢٦. الكشى: رجال ص ٤٢-٤٥. ابن عبد البر: الاستيعاب .٢٢٠ / ١

(١) انصارى شهد العقبة الثانية وهو من قراء الصحابة مات فى خلافة عمر أو عثمان بن سعد: الطبقات ٢/٣٤٠-٣٤١. مسلم: الصحيح ١٩/١٦. الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٢. ابن النديم: الفهرست ص ٤٠-٤١. ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٦٥-٦٧. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٣٢.

(٢) كان يسمى صاحب سر المنافقين، وهو أحد الانصار مات سنة ٣٦ هـ. الطبرى: المتىخ ص ٥٧٣. الكشى: رجال ص ٣٧-٣٨. الحاكم: المستدرك ٣/٤٢٧-٤٢٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣٣٤-٣٣٥.

(٣) انصارى شهد الخديبية وبيعة الرضوان مات أيام يزيد بن معاوية بمرو، ابن عبد البر: الاستيعاب .١٨٥-١٨٦ / ١

(٤) خالد بن يزيد انصارى شهد سائر مشاهد الرسول عليه السلام وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام على حدود بيزنطة أيام معاوية. الطبرى: المتىخ ص ١٥. البيهقي: المحاسن والمساوئ ص ١٣٦-١٣٧. الحاكم: المستدرك ٣/٥٢٣-٥١٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٦٦-١٦٧.

(٥) انصارى من الأوس شهد مشاهد الرسول عليه السلام واستخلفه الإمام علي على المدينة أيام خلافته توفي سنة ٣٨ هـ بالكوفة. رسائل الجاحظ السياسية: ص ٢٤٠. الطبرى: المتىخ ص ٥١٢. الحاكم: المستدرك ٣/٤٦١-٤٦٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/١٦٢-١٦٣.

(٦) أخوه سهل بن حنيف تولى مهمة مسح السواد للخليفة عمر بن الخطاب وتولى البصرة للإمام علي عليه السلام. الطبرى: المتىخ: ص ٥٣٥. الشريف الرضى: المجازات النبوية ص ١٥٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٣٣.

(٧) مالك بن التيهان انصارى من الأوس أحد النقباء ليلة العقبة ومن شهد بدرًا وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام وقت فيها، الحاكم: المستدرك ٣/٣٢٣-٣٢٤. ابن عبد البر: الاستيعاب

..... وخزيمة بن ثابت^(١) وأبو الطفيل عامر بن وائلة^(٢) والعباس بن عبد المطلب وبنوه وبنو هاشم كافة، وبنو المطلب كافة بل حتى الزبير بن العوام كان أولاً من القائلين بالتفضيل ثم رجع عنه، وكان من الأسرة الأموية من يقول بالتفضيل مثل خالد بن سعيد بن العاص^(٣) وعمر بن عبد العزيز^(٤).

أما من التابعين فمن قال بأفضلية الإمام علي عليه السلام ذكر ابن أبي الحديد منهم، أو يسأ القرني^(٥). وزيد بن صوحان^(٦)

٤/١٧٧٣ . ابن الجوزي: صفة الصفوة /١ ٤٦٢-٤٦٣ .

(١) انصاري عرف بذوي الشهادتين شهد مشاهد الرسول عليهما السلام وقتل بصفتين مع الإمام علي عليهما السلام، الشرح: ١٠٨-١٠٩ . الطبرى: المتى خب ص ٥١١، ٥٧٢ . ابن عبد البر: الاستيعاب /٢ ٤٤٨، ابن الجوزي: صفة الصفوة /١ ٧٠٢ .

(٢) أسلم يوم أحد وكان آخر من يقى من الصحابة من رأى النبي عليهما السلام شهد مشاهد الإمام علي عليهما السلام، توفي سنة ١٠٠ هـ: ابن عبد البر: الاستيعاب /٤ ١٦٩٦-١٦٩٧ .

(٣) أسلم منذ بوادر الدعوة الإسلامية وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وولاه الرسول عليهما السلام اليمن، وكان من دعا لبيعة الإمام علي عليهما السلام، الشرح: ٦/٣١-٣٣ . رسائل الجاحظ السياسية: ص ٢٥٢-٢٥٣ . الحاكم: المستدرك /٣ ٢٧٧-٢٨٠ .

(٤) الشرح: ٢٢٢-٢٢٥ /٢٠ .

(٥) اويس بن عامر، تابعي شهد صفرين مع الإمام علي عليهما السلام ويرجح البعض انه قتل فيها. ابن سعد: الطبقات ٧/١٣٢ . مسلم: الصحيح: ١٦/٩٤ . الطبرى: المتى خب ص ٦٢٧-٦٢٨ . الحاكم: المستدرك /٣ ٤٥٥-٤٦١ . أبو نعيم: حلية الأولياء /٢ ٧٩-٨٧ .

(٦) أسلم على عهد النبي عليهما السلام وشارك مع الإمام علي عليهما السلام في معركة الجمل وقتل فيها، الكشي: رجال ٦٣-٦٤ . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨/٤٣٩-٤٤٠ . ابن عبد البر: الاستيعاب . ٥٥٥-٥٥٧ /٢

الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وأخاه صعصعة بن صوحان^(١) وجندب الخير^(٢) وعبيدة السلماني^(٣) وغيرهم^(٤).

وأضاف ابن أبي الحميد: (ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلا ملن قال بتفضيله ولم تكن مقالة الإمامية ... على هذا النحو من الاشتهر فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة، وجميع ما ورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة^(٥)، فهو لا يهم المعنيون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً، فهذا القول هو أقرب إلى السلاممة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الافراط والتفريط إن شاء الله)^(٦).

ان المعتزلة بقولها بالتفضيل لا على اساس النص كما تعتقد الإمامية وإنما

(١) كان من سادات عبد القيس معروفا بالفضل والدين والبلاغة، ويعد من أصحاب الإمام علي عليه السلام حيث شارك معه في صفين، ثم نفاه المغيرة إلى البحرين في خلافة معاوية. الكشي: رجال ص ٦٤-٦٥. ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٧١٧. ابن حجر: الاصابة ٢/٢٠٠. المرصفي: رغبة الآمل ٧/١٣٨.

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي له صحبة، أخذ عنه الحسن البصري وابن سيرين، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٢٥٦-٢٥٧، ابن حجر: الاصابة ١/٢٤٨-٢٤٩.

(٣) عبيدة بن عمرو السلماني أسلم أيام النبي عليه السلام وعد من أصحاب ابن مسعود الفقهاء، ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٢٣.

(٤) الشرح: ٢٠/٢٢٦.

(٥) أنظر مثلاً: سبط بن الجوزي: تذكرة ص ٥٤.

(٦) الشرح: ٢٠/٢٢٦، وانظر الملطي: التنبيه ص ٣٥.

على أساس أفضلية الإمام ذاته لكثرة فضائله و مناقبه^(١)، ومع القول بأفضلية الإمام لكن المعتزلة تحكم بصحمة خلافة المفصول، فكل من سبق الإمام علياً عليهما السلام بالخلافة فخلافته صحيحة بلحاظ موقف الإمام علي عليهما السلام، ولو نازع الإمام علي عليهما السلام حكم بتفسيق المنازع له ما لم يتبع فإذا ثبتت توبته يحكم المعتزلة له بالجنة، وإذا لم تثبت يحكمون له بالنار^(٢).

وفي الفصول التالية نستعرض رؤية معتزلة بغداد في تفضيل الإمام علي عليهما السلام بإسهاب.

(١) الشرح: ١٥٧/١، ٣٠٥/٩، ٣٠٧/١٠، ٢٥٤/٩. إن الإمامية بقولها بأفضلية الإمام علي عليهما السلام تعتمد على النص مضافاً إلى فضائل الإمام علي عليهما السلام التي فاق بها الآخرين، أما المعتزلة فتنفي النص وتعتمد على الفضائل فقط. أنظر: العلامة الحلي: الألفين في إمامية أمير المؤمنين ص ١١ وما بعدها. كشف المراد ص ٧ وما بعدها.

(٢) الشرح: ١٥٧/٢، ٣٢٨/٩، ٢٩٧-٢٩٦/٢٠، ٢٥٥/١٠. ٢٢٢-٢٢١.

الفصل الأول

**عراقة
الناسب**

الفصل الأول

عراقة النسب

كان أمير المؤمنين عليه السلام في مصاخص الشرف ومعدنه ومعانيه لا يشك عدو ولا صديق انه أشرف خلق الله نسبا بعد ابن عمه رسول الله عليه السلام^(١). فهو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(٢)، يتتمي إلى قبيلة قريش^(٣) اصرح القبائل العربية، والتي نزل القرآن بلهجتها^(٤)، وهو من أعرق بطنها وأشرفها -بني هاشم-^(٥).

(١) ابن أبي الحديد: الشرح ١ / ٥١.

(٢) لا يكاد يخلو مصدر من مصادرنا الاولية أيا كان نوعها من إشارة إلى سيرة الإمام علي عليه السلام إلا ما ندر، لذا لا نجد مسوغًا للإشارة لمصادر ترجمته، ومن إراد فعليه بهذا الكتاب الذي حاولنا الألما نقدر الامكان بعدد من مصادر ترجمته.

(٣) عن قبيلة قريش أنظر: الجميلي: قبيلة قريش ص ٥ وما بعدها.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٠١. هاشم يحيى الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٤٠٣.

(٥) ان اعداد رسالة جامعية اكاديمية حول قبيلة بنى هاشم سيعطي صورة اوضح ليس على نطاق مكة فحسب بل بجمل الحزيرة العربية، والعالم القديم يومذاك، لذا يلفت الباحث نظر الباحثين الكرام للدراسات بهذه.

ولهاشم^(١) بن عبد مناف تاريخ معروف وحافل بالأمجاد، كان اسمه أو لا عمرًا، ولقب بالقمر لجلاله، ولما أصابت قريش ضائقه اقتصادية أخذ يهشم لهم الخبر ثريدا، فلقب بهاشم وغلب هذا اللقب عليه ومن أشهر أعماله (الإيلاف)، حيث كان هاشم كثير السفر والتجارة، ففي الشتاء يتوجه إلى اليمن وفي الصيف إلى بلاد الشام، وشاركه في تجارتة زعماء القبائل العربية، وأخذ عهوداً من ملوك الأطراف، فكانت تجارتة تدر الربح الوفير، بعد أن تمكن بوساطة هذه العهود من حماية تجارتة من مخاطر الطريق، لذلك ازدهرت تجارة قريش حتى قال فيه

الحارث بن حنش السلمي^(٢):

ليس أخي هاشم	إن أخي هاشم
القائم للقاعد	الأخذ الإيلاف و

ولهذا فسر البعض قوله تعالى:

﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ حَوْفٍ﴾^(٣).

أي ان تجارتهم اصبحت آمنة من مخاوف الطريق^(٤).

(١) عقد ابن أبي الحديد فصلاً أوضح فيه أفضلية بنى هاشم قبل الإسلام وبعده، مبرزاً أهم الانجازات التي تحققت على يد رجالاتهم. شرح نهج البلاغة ١٩٨/١٥ - ٢٩٥. وانظر: الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧ - ٦٠.

وكذلك رسالة الاوطان والبلدان ص ١٠٦ - ١١٠.

(٢) هو أخو هاشم وعبد شمس والمطلب أبناء عبد مناف من أمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح ابن ذكوان بن سليم. ينظر: ابن حبيب: المنمق ص ٤٣. البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٥٩.

(٣) سورة قريش، آية ٤، أنظر الزمخشري: الكشاف ٤/ ٨٠١.

(٤) الشرح ٥/ ١٩٩ - ٢٠٣. وانظر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق السنديوي ص ٦٨ - ٧١.

وتولى هاشم الرئاسة والسكنية والرفادة^(١) بعد أبيه من دون إخوته، فازدادت مكانة مكة في زمانه حيث كانت مورداً لجموع الحجاج من أرجاء الجزيرة العربية، لذا دعا هاشم أهل مكة إلى ضرورة الاهتمام بموسم الحج من حيث توفير الأمن والطعام والشراب، والظروف اللازم لتأدية مناسك الحج فكان لذلك أثره في ازدهار مكانة مكة في داخل الجزيرة العربية وخارجها^(٢).
 ان توفير الطعام في بيته فقيرة يعد من اكبر الفضائل التي يمدح صاحبها، وبسببها ينال الاحترام، والمؤاكلة تعد جواراً عند العرب، فإنّ الطعام قريش لقبائل العرب يعني إنها تناول احترام القبائل العربية لها وعقداً للجوار من هذه القبائل لذا أصبحت قريش آمنة عند سيرها في اراضيها^(٣).

ومن مآثر هاشم بن عبد مناف انه خلفه في الزعامة ولدُ يحمل سيماه ألا وهو عبد المطلب، واسميه شيبة الحمد، وسيد الوادي بلا مدافع، أجمل الناس جمالاً، وأظهرهم جوداً، وأكملهم كما لا، وهو صاحب الفيل، والطير الأبابيل، وصاحب زمزم، وساقي الحجيج وقد أعطاه الله في زمانه وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يعرف إلا النبي مرسلاً، وهذا ما نجده في كلامه لأبرهة وتوعدَه إياه برب الكعبة وفعلاً تحقق وعيده بقتل أصحاب الفيل بالطير الأبابيل والحجارة السجيل حتى تُركوا كالعصف المأكول^(٤).

=الطبرى: تاريخ ٢٥١-٢٥٢. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٢١-٢٢.

(١) الرفادة: توفير الطعام للحجيج، وأول من أوجده قصي. أنظر الطبرى: تاريخ ٢/٢٦٠.

(٢) الشرح ١٥/٢٠٩-٢١٣. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١/٢١٢-٢١٤. الطبرى: تاريخ ٢/٢٥٢-٢٥٤.

(٣) الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٨٢.

(٤) إشارة لما جاء في سورة الفيل.

وهذا من أعجب البراهين وأسنى الكرامات وقد يكون ذلك ارهاصاً للنبوة وتأسيماً لما اراده الله من الكرامة وليجعل بهاء عبد المطلب متقدماً وإشارة لنبوة النبي عليه السلام حتى يكون أشهر في الآفاق وأجل في صدور الفراعنة والجبابرة والأكاسرة، وأن يقهر المعاند ويكشف غباوة الجاهمل^(١).

يقول الجاحظ: (ولو عزلنا ما أكرمه الله به من النبوة حتى نقتصر على اخلاقه ومذاهبه وشيمه، لما وفي به بشر ولا عذر له شيء، ولو شئنا أن نذكر ما أعطى الله به عبد المطلب من تفجر العيون وينابيع الماء من تحت كلكل بعيره^(٢)، واحفافه بالأرض القسي، وبها أعطى من المساعدة وعند المقارعة من الأمور العجيبة)^(٣). إن أشهر ما وقع في عهد عبد المطلب هو ما عرف بحملة الفيل^(٤)، تلك الحملة التي قادها أبرهة الحبشي في محاولة منه هدم الكعبة وصرف العرب عن الحج إليها، ومن ثم دفعهم إلى التوجه نحو كنيسة بناها في اليمن اسمها

(١) الشرح ١٥/٢٠٠-٢٠١. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بنى هاشم على بنى عبد شمس، ص ٤١١-٤١٢. أبو الفرج: الأغاني ١/١٥، الشهريستاني: الملل والنحل ٣/٢٢٣-٢٢٤. وأوضح السيوطي أن عبد المطلب كانت لديه دلائل على أن محمدًا نبي مرسى: الخصائص الكبرى ١/٢٠١-٢٠٤.

(٢) إشارة لقصة زمم ومنافرة قريش له. الشرح ١٥/١٥، ٢١٧-٢١٥، ٢٢٨، ٢٢٩. وانظر ابن اسحق: السير والمعازى ص ٢٥، ابن هشام: السيرة ١/١٥٢-١٥٣. الأزرقي: اخبار مكة ٢/٤٢-٤٨. ابن حبيب: المنقى ص ٤١٣-٤١٦. اليعقوبي: التاريخ ١/٢١٦-٢٢٠.

(٣) الشرح ١٥/٢٠١-٢٠٢. وانظر الجاحظ: رسالة في فضل بنى هاشم على بنى عبد شمس، ص ٤١٢.

(٤) أنظر: خالد العسلي: عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، ١٩٨٢، ٢١٧، ص ١٧١-١٩٢.

(القليس) في محاولة منه لنشر النصرانية.

وقد أفادت المصادر ان مكانة عبد المطلب ازدادت لدى العرب بعد هذه الحملة، وفي ذلك دلالة على أن ما قام به عبد المطلب له أثر في فشل حملة أبرهة، فلا يصح أن يقال إن عبد المطلب دعا قريشاً للذهب إلى قمم الجبال حتى لا تصيبهم معركة الجيش، وإنه اكتفى بالطالبة بإبله التي أخذها جيش أبرهة، أما عن مصير الكعبة فاكتفى عبد المطلب بالقول: أنا رب الأبل، ولليبيت رب يحميه^(١).

إن موقفاً سلبياً كهذا لا يمكن أن يصدر من زعيم مكة إزاء الكعبة التي هي عِمَاد حياة مكة على مختلف الأصعدة، فمكة ما وجدت ولا قامت فيها الحياة إلا ببناء الكعبة المشرفة، ومكانة مكة السياسية والاقتصادية والدينية كلها متعلقة بالكعبة، إذا فهل يمكن أن نتصور أن عبد المطلب يترك أمر الكعبة كهذا برؤية (إن للبيت رباً يحميه). وإذا كان كذلك فلماذا اعظمت العرب عبد المطلب بعد هذه الحملة؟!!

والأصح هو ما أشار إليه اليعقوبي^(٢) بقوله: (لما قدم أبرهة ملك الحبشة صاحب الفيل مكة ليهدم الكعبة، فتهاربت قريش في رؤوس الجبال، فقال عبد المطلب: لو اجتمعنا فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله. فقالت قريش: لا بد لنا به. فأقام عبد المطلب في الحرم وقال: لا أربح من حرم الله ولا أعود بغير الله فأأخذ أصحاب أبرهة إبلًا لعبد المطلب وصار عبد المطلب إلى أبرهة فلما استاذن عليه،

(١) انظر تفاصيل ذلك: الأزرقي: أخبار مكة ١/١٤١، ٧-٤٢/٢، ٤٩-٤٢. الطبرى: تاريخ ٢/١٣٠ -

قيل له: قد أتاك سيد العرب وعظيم قريش وشريف الناس. فلما دخل عليه أبرهة وجَّلَ في قلبه لما رأى من جماله وكماله وبنبله. فقال لترجمانه: قل له: سل ما بدا لك. فقال: إبلاً لي أخذها أصحابك فقال: لقد رأيتك فأجللتك وأعظمتك وقد تراني حيث تهدم مكرمتك وشرفك فلم تسألني الانصراف، وتكلمني في إيلك، فقال عبد المطلب: أنا رب هذا الإبل، ولهذا البيت الذي زعمت تريده هدمه رب يمنعك منه، فرداً بالإبل وداخله ذعر لكلام عبد المطلب.

فلما انصرف جموع ولده ومن معه ثم جاء إلى باب الكعبة فتعلق به وقال:

رَحْلَهُ فَامْنَعْ رَحَالَكْ	لَا هَمَّ أَنَّ الْمَرَأَ يَمْنَعْ
وَحَالَهُمْ عَذْوَأَحَالَكْ	لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ
أَمْرُ ثَمَّ بِهِ فِعَالَكْ	وَلِئِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ
فَأَمْرُ مَا بَدَالَكْ	إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقِبْلَتَنَا

وأقام بموضعه فلما كان من غد بعث ابنه عبد الله ليأتيه بالخبر، ودنا وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه، إن أمكنهم ذلك، فأتى عبد الله على فرس شقراء يركض، وقد جردت ركبته، فقال عبد المطلب: قد جاءكم عبد الله بشيراً ونذيراً والله ما رأيت ركبته قط قبل هذا اليوم فأخبرهم ما صنع الله بأصحاب الفيل).

إن هذا النص يوضح لنا الواجب الذي كان على عبد المطلب أن يضطلع به لمواجهة أكبر خطر يواجه مدينة مكة، ويتمثل ذلك بـ:

أولاً: ثبات عبد المطلب بعد هروب قريش في الجبال حينما أدركت أنه لا طاقة لها بمحاربة أبرهة فيما كان هو يدعوها للوقوف بوجهه.

ثانياً: مقابلته لأبرهة، تلك المقابلة التي كان لها أكبر الأثر في نفس أبرهه حيث يشير النص إلى أن أبرهه (داخله ذعر لكلام عبد المطلب). وهذا بالتأكيد يوضح لنا حسن استخدام عبد المطلب للحرب النفسية.

ثالثاً: استخدام عبد المطلب لعبارة: (ان للبيت رباً يحميه). لا تعني تركه أمر البيت وإنما تلقي ضوءاً على إيمان عبد المطلب وتوكله على الله سبحانه وتعالى وكأنه يطبق قوله تعالى:

﴿فَإِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

فالملاحظ ان عبد المطلب بعد توكله على الله قام بالعمل الفعلي حيث جمع أولاده ومن معه ثم ساروا نحو الكعبة مرابطين عازمين على الدفاع عنها.

رابعاً: وضع عبد المطلب ما يسمى (بقوة الاستطلاع) لمعرفة اخبار العدو متمثلة بولده عبد الله، واختياره لعبد الله قد يعطيانا انطباعاً عن كون هذا الابن شخصية مهيأة لمواقف كهذه وهذا لا يعني ان عبد الله كان لوحده بل ربما كان قائداً لقوة الاستطلاع.

خامساً: بعد أن علم الله صدق عزيمة عبد المطلب، أنزل نصره وأهلك أعداءه وكان عبد المطلب قد أوفد ولده عبد الله، الذي عندما عاد إليه قال عنه: قد جاءكم عبد الله بشيراً أو نذيراً. وفي هذا دلالة على ان عبد المطلب كان لديه اعتقاد بتدخل العناية الإلهية.

كان مدركاً لنوايا أبرهه ولذا فسر عودة عبد الله بهذا الشكل بأنه يريد انذارهم من تحرك أبرهه نحو الكعبة.

(١) سورة آل عمران، ١٥٩.

ونتيجة لهذا أصبح عبد المطلب سيد قريش، حيث أعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحداً وسقاه زمم، وحكمته قريش في اموالها، وأطعم في محل حتى اطعم الطير والوحوش في الجبال. ورفض عبادة الاصنام^(١)، حتى عدّه ابن أبي الحديد من المتألهين البعيدين عن القبائح^(٢).

وقد سنَ عبد المطلب سننَ نزول القرآن بأكثراها، وأثبتتها السنة الشريفة، كالوفاء بالنذر^(٣)، وجعل الديمة مئة من الإبل^(٤)، وحرمة زواج المحارم^(٥)، وأن لا تؤتى البيوت من ظهورها^(٦)، وقطع يد السارق^(٧)، والنهي عن قتل

(١) اليعقوبي: التاريخ .٩ / ٢

(٢) الشرح / ١٢٠

(٣) ورد في الشريعة الإسلامية قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾. سورة الانسان، آية ٧.

(٤) دية الفرد المسلم في الشريعة الإسلامية مائة من الإبل أو ألف رأس من الغنم أو ألف مثقال من الذهب.

(٥) قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِي وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّاتِي أَرَضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِيلُكُمُ الَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَالَئِلُّ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْعَلُوهُوا يَبْيَنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. سورة النساء، آية ٢٣

(٦) قوله تعالى: ﴿وَلَيَسَ الَّبِرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَ الَّبِرُ مِنْ أَنْ تَقْنَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة البقرة، آية ١٨٩

(٧) قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة المائدة، آية ٣٨

المؤودة^(١)، والمباهلة^(٢)، وتحريم الخمر^(٣)، والزنا وفرض الحد عليها^(٤)، والقرعة، ولا يطوف بالبيت عريان^(٥)، واستضافة الضيف^(٦)، وألا ينفقوا إذا حجو إلّا من طيب أموالهم^(٧)، وتعظيم الأشهر الحرم^(٨)، ونفي ذوات الرأيات^(٩).

ولذا عظمته قريش وكانت تسمّيه ابراهيم الثاني وقالوا فيه: (ان كنت

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمُؤْدَدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾. سورة التكوير، آية ٩.

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَائَنَا وَأَبْنَاءَ كُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَ كُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. سورة آل عمران، آية ٦١.

(٣) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخُمُرُ وَالْمُيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة المائدة، آية ٩٠.

(٤) قوله تعالى: ﴿الرَّازِيَةُ وَالرَّازِيَ فَاجْلِدُو كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةً جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذُ كُمْ بِهَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيُشَهِّدَ عَدَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة النور، آية ٢.

(٥) كان مما اوصى به الرسول ﷺ الإمام علي عليه السلام ليقرأه على الناس في الحج (ألا يطوف في البيت عريان) البخاري: الصحيح ٦/١٢٣-١٢٤. الطبرى: تاريخ ٣/١٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥٨. القسطلاني: إرشاد السارى ٣/٢٠٩.

(٦) قال ﷺ: (من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...) مسلم: الصحيح ٢/٢٠. الترمذى: صحيح ٨/١٤٥.

(٧) وهذا أمر طبيعي في الشريعة الإسلامية.

(٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ حُرُومٌ دَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَنْظِلُمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَاتِلُوكُمْ كَافَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبه، آية ٣٦.

(٩) العقوبي: التاريخ ٢/٩-١٠.

عظيم البركة، لم يمون الطائر مذ كنت^(١)). ولقد عظمت قريش موته فغسل
بالماء والسرير، ولفَّ في حلتين من حلل اليمن قيمة الواحدة ألف مثقال ذهباً،
وحمل على ايدي الرجال اياماً إعظاماً وإكراماً له من تغيبه تحت التراب^(٢).

وقد روي عن الرسول عليه السلام أنه قال:

(ان الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء وزي الملوك)^(٣).

وقد خلف عبد المطلب في الزعامة ولده أبو طالب الذي كان سيداً شريفاً
مطاعاً مهيباً مع فقره، ولذا قال الإمام علي عليه السلام:

(أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله)^(٤).

وكان عبد المطلب قد أوصى إليه من بين أولاده العشرة، ومن ضمن وصاياته
المهمة أوصى إليه بمهمة كفالة الرسول عليه السلام حيث كان عليه وقتها في الثامنة من
عمره الشريف. فكان أبو طالب خير كافل^(٥)، والملحوظ أن أبو طالب كان
أخَاً لعبد الله والد الرسول من أبيه وأمه^(٦)، ونتيجة لمكانة أبي طالب فقد عرف

(١) اليعقوبي: التاريخ /٢ /١٠.

(٢) اليعقوبي: التاريخ /٢ /١٢.

(٣) الشرح ٦٨/١٤. وانظر: اليعقوبي: التاريخ /٢ /١٣. ابن حجر: الأصابة /٤ /١١٧-١١٨.

(٤) الشرح ١/٢٩، ٢٩/١٤، ٧٠. وانظر: اليعقوبي: التاريخ /٢ /١٣. إن الإمام يقصد بفقره هنا ان وضعه المادي لا يتناسب مع مكانته الاجتماعية.

(٥) الشرح ١/٢٩. وانظر: اليعقوبي: التاريخ /٢ /١٣. الطبرى: التاريخ /٢ /٢٧٧. أبو نعيم: دلائل النبوة ص ١٢٣. سبط بن الحوزي: تذكرة ص ٦، ٨، ٢٧٧. ابن حجر: الأصابة /٤ /١١٥.

(٦) الشرح ١/١٤، وانظر: الطبرى: التاريخ /٢ /٢٧٧.

باليمن أو شيخ البطحاء^(١).

لذا كان الإمام علي عليه السلام يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل بابن عمه وبنفسه وبأبيه أبي طالب (فإنه من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً)^(٢).

والملاحظ أن عبد المطلب كأنها كان ينظر من وراء الغيب لما سيجري على النبي عليه السلام، ولذا فهذه الكفالة لا تقتصر على النبي عليه السلام زمن الصبا، بل استمرت حتى بلغ عليه السلام الخمسين من عمره الشريف، وما انتهت كفالة أبي طالب إلا بنهاية عمره، يقول ابن أبي الحميد: (أبو طالب هو الذي كفل رسول الله عليه السلام وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش ولقي لأجله عتنا عظيماً، وفاسى بلاً شديداً وصبر على نصره والقيام بأمره وجاء في الخبر إنه لما توفي أبو طالب أوحى إليه الله عليه السلام، وقيل له: اخرج منها فقد مات ناصرك)^(٣).

إذن فخلائق أبي طالب الذي درج في حجر والده، أن يكون المثل الأعلى في نسأته من حيث الطموح إلى رفيعات المراتب، والتأهّب لمستوى فوق مستوى قومه، وأن يخلف أباء في جميع مزاياه في حكمته وتوحده، ومناذنته لخرافات عصره^(٤).

وكان أبو طالب أول من سن القساممة قبل الإسلام^(٥)، ولما جاء الإسلام

(١) الشرح ١/٢٩، ١٣/٢٢٧. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩، ابن الاثير: اسد الغابة ٣/٤١٤.

(٢) الشرح ١/١٤٢.

(٣) الشرح ١/٢٩.

(٤) العاملي: شيخ الابطح ص ٨.

(٥) الشرح ١٥/٢١٩.

أثبته^(١) والقسامة كلمة مشتقة من القسم وهو اليمين، حيث لما قتل عمرو ابن علقة بن المطلب بن عبد مناف، واتهم خداش بن عبد الله بن أبي قيس العامري بقتله، طلب أبو طالب أن يخلف منهم خمسون رجلاً بأن لا علم لهم بقاتل القتيل، ويقال إنهم حلفوا بأجمعهم ما عدا حويطب بن عبد العزى، فهل كانوا بأجمعهم قبل أن يدور الحول^(٢).

إن ذلك الدور الذي أداه أبو طالب في حمايته للرسول عليه السلام ونصرته إياه، مما مكنه^{عليه السلام} من القيام بالدعوة للإسلام عشر سنوات، كان ولا زال مثار نقاش بين الباحثين، فهل كان ذلك الدفاع عن الرسول عليه السلام دليلاً لإيمان من أبي طالب؟ أم أنه كان بداع العصبية القبلية؟.

عقد ابن أبي الحديد فصلاً عن الآراء التي قيلت في ذلك، فأوضح أن الإمامية وأكثر الزيدية، وبعضاً من شيوخ المعتزلة كالكتبي والإسكافي يرون إنه ما مات إلاّ مسلماً، فيما يرى أهل الحديث وال العامة من معتزلة البصرة بأنه مات على دين قومه^(٣).

وقبل أن يصدر ابن أبي الحديد حكمه في هذه المسألة استعرض أدلة الطرفين، فذكر أولاً أدلة القائلين ببقاءه على دين قومه. وهي:

أولاً: إن رسول الله عليه السلام قال له عند موته: (قل يا عم كلمة أشهد لك بها

(١) النسائي: سنن ٦/٤-٥. الطحاوي: شرح معاني الأثار ٣/١٩٧-٢٠٣.

(٢) مصعب الزبيري: نسب قريش ص ٤٢٤-٥. ابن حبيب: المحرر ص ٣٣٥-٣٣٧. المحقق

ص ١٤٠-١٤٢. النسائي: سنن ٦/٣-٤. أبو هلال العسكري: الاولى ص ٣٦-٣٧. ابن

حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٦٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٥.

(٣) الشرح ١٤/٦٥-٦٦.

غداً عند الله تعالى. فقال: لو لا أن تقول العرب أن أبا طالب جزع عند الموت لأنقررت بها عينك^(١).

ثانياً: روي إن أبا طالب قال عند موته: أنا على دين الأشياخ، أو أنا على دين عبد المطلب^(٢).

ثالثاً: إن قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ...﴾^(٣).

نزلت في أبي طالب لأن الرسول ﷺ استغفر له بعد موته^(٤).

رابعاً: إن قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥). نزلت في أبي طالب^(٦).

(١) الشرح: ٦٦/١٤. وانظر الطبرى: جامع البيان ٩٢/٢٠. الشعابى: الجواهر الحسان ٢/١٦٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٢٤.

(٢) الشرح: ٦٦/١٤، وانظر ابن هشام: السيرة ١/٢٦٤. ابن سعد: الطبقات ١/١٢٢. الطبرى: تاريخ ٢/٣٢٥. الوادى: أسباب النزول ص ٢١٨، ١٧٧. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٢٤.

(٣) سورة التوبة، الآيات ١١٣-١١٤.

(٤) الشرح: ٦٦/١٤. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١/١٢٢. البخارى: الصحيح ٦/١٣٢-١٣٣. الطبرى: جامع البيان ١١/٤١. الوادى: أسباب النزول ص ١٧٦-١٧٨. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٨/٨. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٢٤.

(٥) سورة القصص، آية (٥٦).

(٦) الشرح: ٦٦/١٤، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٣. الطبرى: تاريخ ٢/٣٢٥. وايضاً جامع البيان ٢٠/٩١. الوادى: أسباب النزول ص ٢٢٨. الشعابى: الجواهر الحسان ٢/١٦٠، =

خامساً: إن الإمام علي عليه السلام جاء للرسول عليه السلام بعد وفاة أبي طالب فقال: إن عمك الضال قد قضي بما الذي تأمرني فيه؟^(١)

سادساً: لم ينقل عن أبي طالب أنه رأه أحد يصلّي، والصلاحة هي المفرقة بين المسلم والمشرك.^(٢)

سابعاً: إن الإمام علي عليه السلام وعمره لم يأخذا من تركته.^(٣)

ثامناً: قول النبي عليه السلام: (إن الله قد وعدني بتخفيف عذابه، لما صنع في حقي وإنه في ضحاص من نار).^(٤)

تاسعاً: قيل للرسول عليه السلام: لو استغفرت لأبيك وأمك! فقال: لو استغفرت لهم لا تستغفرت لأبي طالب فإنه صنع إلى مالم يصنعوا، وإن عبد الله وآمنة وأبا طالب جمرات من جمرات جهنم).^(٥)

١٧٩/٣ = ١٨٠. القرطبي: الجامع /١٧. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٤. السيوطي:
الخصائص /١٢٧.

(١) الشرح: ٦٦/١٤، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٥.

(٢) الشرح: ٦٦/١٤. وهذا الدليل إن ثبت فهو صحيح لأن الرسول عليه السلام قال: بين الكفر والإيمان ترك الصلاة ولكن أنظر تعليقنا فيما بعد على هذا الدليل. مسلم: الصحيح ٢/٧٠-٧١. الترمذى:
صحيح ١٠/٨٩. ابن ماجة: صحيح ١/١٧٧.

(٣) الشرح: ٦٦/١٤. وانظر: ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. ابن قتيبة: المعارف ص ٢٠٣. وانظر رد ابن معذ: الحجة على الذاهب ص ١٦٢ - ١٦٨.

(٤) الشرح: ٦٦/١٤. ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤. مسلم: الصحيح ٣/٨٤-٨٥. الطبرى: جامع البيان ٢٠/٩٣. الماطفى: التنبیه ص ١٦٢. ابن معذ: الحجة ص ٨٧-١٠٣. ابن كثير: البداية والنهاية: ٣/١٢٥. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥.

(٥) الشرح: ٦٦/١٤.

بعد طرحه لهذه الأدلة، لم يجد ابن أبي الحديد إلاً تعليقاً واحداً حول الدليل السادس القائل بأنه لم ينقل عن أبي طالب صلاة، حيث قال عنه: (فأمّا الصلاة وكونه لم ينقل عنه انه صلى، فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلا غير واجب فمن شاء صلى ومن شاء ترك ولم تفرض إلاً بالمدينة) ^(١).

ثم استعرض أدلة القائلين بإسلامه ^(٢):

أولاًً: عن الإمام علي عليه السلام: قال عليه السلام: قال لي جبرائيل: إن الله مشفعك في ستة، بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفالك، أبي طالب، وبيت آواك، عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، قيل: يا رسول الله: وما كان فعله؟ قال: كان سخيا يطعم الطعام ويحجود بالنوال، وثدي أرضعتك، حليمة بنت أبي ذؤيب) ^(٣).

ثانياً: قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نقلنا من الاصطاب الطاهرة إلى الارحام

(١) الشرح: ١٤/٨٣. وانظر ابن هشام: السيرة ١/٢٥٩-٢٦١. دحلان: اسنن المطالب ص ٢٧.

(٢) وضعت قديباً مجموعة من الكتب تناقش مسألة صحة إيمان أبي طالب وقد أوردها بحر العلوم عند تحقيقه لكتاب الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب ص ١٧-٢٦، لكن هذه الكتب فقدت ولم يصل إلينا إلا ثلاثة كتب وهي كتاب أبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي ت ٣٧٥ هـ والذى لا زال مخطوطاً في إحدى مكتبات سامراء. ن. م ص ٢٧. وكتاب الشيخ المفيد وكتاب ابن معذ وقد طبعا واستخدمناهما.

(٣) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر: اليعقوبي: التاريخ ٢/٣٠، ابن معذ: الحجة ص ٤٨-٥٥، محب الدين: ذخائر العقبى ص ٩، ومؤلفات السيوطي: الدرج المنيفه ص ٦: مسائل الحنفأ ص ١٤. التعظيم والمنة ص ٢٥، الخصائص الكبرى ١/٢١٦. الحلبي: السيرة الحلبية ١/٣٨٢. دحلان: اسنن المطالب ص ٢٤. مع اننا نتحفظ على هذا الحديث.

الزكية)^(١). فوجب بهذا أن يكون آباءه كلهم منزهين عن الشرك، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا ظاهرين^(٢). والظاهر ان هذا الدليل قد تعرض للنقد حيث أن القرآن أشار إلى أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان مشركاً: فقالوا: هذا لا يقبح في مذهبنا لأن المذكور في القرآن عمّ إبراهيم (آزر) أما أبوه (تارح) فكان مسلماً، وقد سمي القرآن العمّ أبا كما في قوله تعالى:

﴿أَمْ كُتُمْ شُهَدَاءِ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَائِكَ﴾^(٣).

ثم عدّ فيهم إسماعيل عليه السلام وليس من آبائه ولتكنه عمّه^(٤).

وقد احتجوا بإسلام الآباء بما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول عليه السلام إنّه قال: إن الله يبعث عبد المطلب يوم القيمة وعليه سبعة الأنبياء وبهاء الملوك^(٥).

ثالثاً: سأله العباس النبي عليه السلام: يا رسول الله: ما ترجوا لأبي طالب؟ فقال: أرجوه كل الخير من الله عز وجل^(٦).

رابعاً: كتب أبان بن محمود^(٧) للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت

(١) أخرجه السيوطي: الدرج المنيف ص ٩. السبل الجلية ص ١١. مسالك الحنفية: ص ١٨.

(٢) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٦-٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

(٤) الشرح: ٦٧/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٥٨-٥٩.

(٥) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/١٣. ابن معد: الحجة ص ٥٦.

(٦) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٤-١٢٥. المقيد: إيمان أبو طالب ص ٧٦. ابن

معد: الحجة ص ٧١-٧٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨. السيوطي: الحصائر الكبرى ١/٢١٥.

(٧) لم أؤثر على ترجمته.

فداك! إني قد شكت في إسلام أبي طالب! فكتب إليه: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له المدى ويتبع غير سبيل المؤمنين...) ^(١) إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار ^(٢).

خامساً: سئل محمد بن علي الباقر عليه السلام عما يقوله الناس: إن أبي طالب في ضحاص من نار! فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وابي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم ^(٣).

سادساً: إن أبو بكر جاء بأبيه أبي قحافة إلى النبي صلوات الله عليه وسلم عام الفتح يقوده، وهو شيخ كبير أعمى، فقال صلوات الله عليه وسلم: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه! فقال: أردت يا رسول الله ان يأجره الله! أما والذى بعثك بالحق لأننا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي التمس بذلك قرة عينك فقال صلوات الله عليه وسلم: صدقت ^(٤).

سابعاً: سئل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن إسلام أبي طالب فقال: واعجبا! إن الله تعالى نهى رسوله صلوات الله عليه وسلم أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات في الإسلام ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات ^(٥).

ثامناً: يروي بعض الزيدية إن أبو طالب حدث عن النبي صلوات الله عليه وسلم قائلاً: حدثني محمد ابن أخي أن ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبده وحده لا يعبد معه غيره،

(١) سورة النساء آية ١١٥.

(٢) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٧٦-٧٧، ٨٢.

(٣) الشرح: ٦٨/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ٨٤-٨٥.

(٤) الشرح: ٦٨/١٤-٦٩، وانظر ابن معد: الحجة ص ١١٥-١١٦-١١٩.

(٥) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٢٣-١٢٤.

ومحمد عندي الصادق الأمين^(١).

تاسعاً: ان معنى قوله عليه السلام: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة^(٢)، إن كافل اليتيم هو أبو طالب لأنه كفل الرسول عليه السلام^(٣).

عاشرًا: إن ما يروى من أن علياً أو جعفرًا لم يأخذا من تركة أبي طالب شيئاً حديث موضوع حيث ان مذهب أهل البيت عليهما السلام بخلاف ذلك، فإن المسلم عندهم يرث الكافر ولا يرث الكافر المسلم^(٤). ولو كان أعلى درجة منه في النسب، ولذا فسروا قوله عليه السلام: لا توارث بين أهل ملتين^(٥). قالوا: نقول بموجبه لأن التوارث تفاعل ولا تفاعل عندنا في ميراثهما ولله لفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب لا يكون إلا من اثنين^(٦).

حادي عشر: إن حب الرسول عليه السلام لعممه أبي طالب معلوم مشهور وإذا كان كافراً فكيف يجوز له أن يحبه لقوله تعالى^(٧):

﴿لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ﴾

(١) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٣٣-١٣٧، ابن حجر: الاصابة ٤/١١٦. زيني دحلان: انسى المطالب ص ٦.

(٢) اخرجه ابن حنبل: المسند ٥/٣٣٣.

(٣) الشرح: ٦٩/١٤، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٤٣-١٤٢.

(٤) روى الترمذى: قال رسول الله عليه السلام: لا يرث المسلم كافر ولا الكافر المسلم، الترمذى: صحيح ٢٧٦/٨. ابن ماجة: صحيح ٢/١١٥. ابن حزم: الفصل ٣/٢٧٦.

(٥) اخرجه الترمذى: صحيح ٨/٢٥٩. ابن ماجة: صحيح ٢/١١٦.

(٦) الشرح: ٦٩/١٤. وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٤-١٦٢.

(٧) سورة المجادلة، آية ٢٢.

وَرَسُولَهُ ﷺ (١).

ثاني عشر: استفاض عنـه ﷺ قوله لـعـقـيلـ: أـنـا أـحـبـكـ حـيـنـ: حـبـاـ لـكـ، وـحـبـاـ
لـحبـ أـبـي طـالـبـ فـإـنـهـ كـانـ يـحـبـكـ) (٢).

ثالث عشر: ان الخطبة التي ألقاها أبو طالب لما خطب خديجة (٣)
للرسول ﷺ تدل على توحيدـهـ وهيـ: (الحمد للـهـ الـذـيـ جـعـلـنـاـ مـنـ ذـرـيـةـ إـبـرـاهـيمـ،ـ
وزـرـعـ إـسـمـاعـيلـ،ـ وـجـعـلـ لـنـاـ بـلـدـاـ حـرـاماـ،ـ وـبـيـتـاـ مـحـبـوـبـاـ،ـ وـجـعـلـنـاـ الحـكـامـ عـلـىـ النـاسـ
ثـمـ اـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ أـخـيـ مـنـ لـاـ يـواـزـنـ بـهـ فـتـىـ مـنـ قـرـيـشـ إـلـاـ رـجـعـ عـلـيـهـ بـرـأـ
وـفـضـلـاـ وـحـزـمـاـ وـعـقـلـاـ وـرـأـيـاـ وـنـبـلـاـ وـإـنـ كـانـ فـيـ المـالـ قـلـ،ـ فـإـنـاـ المـالـ ظـلـ زـائـلـ
وـعـارـيـةـ مـسـتـرـجـعـةـ وـلـهـ فـيـ خـدـيـجـةـ بـنـتـ خـوـيـلـدـ رـغـبـةـ،ـ وـلـهـ فـيـهـ مـثـلـ ذـلـكـ،ـ وـمـاـ
أـصـبـتـ مـنـ الصـدـاقـ فـعـلـيـ وـلـهـ وـالـهـ بـعـدـ نـبـأـ شـائـعـ وـخـطـبـ جـلـيلـ) (٤).

قالوا: أفتراء يعلم نباء الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكتبه وهو من
أولى الألباب فهذا غير سائع في العقول (٥).

(١) الشرح: ١٤/٦٩-٧٠، وانظر ابن معد: الحجة ص ١٦٢-١٦٤.

(٢) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: الحكمـ: المستدركـ ٣/١٦٧ـ.ـ ابن عبد البرـ: الاستيعابـ ٢/٥٠٩ـ.ـ ابن معدـ:
الـحـجـةـ صـ ١٧٩ـ.ـ مـحـبـ الدـيـنـ: ذـخـائـرـ الـعـقـىـ صـ ٢٣٢ـ.ـ سـبـطـ ابنـ الجـوزـيـ: تـذـكـرـهـ صـ ١٢ـ.ـ الـهـشـيـميـ:
مـجـمـعـ الزـوـاـيدـ ٩/٢٧٣ـ.ـ ابنـ عـنـبـةـ: عـمـدةـ الطـالـبـ صـ ٣١ـ.ـ الـعـامـرـيـ: بـهـجـةـ الـمـحـافـلـ ١/٣٢٧ـ.

(٣) عن سيرة السيدة خديجة. أنظر: حسين علي الشرهاني: حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد
إلى اللحد ص ٤٥ وما بعدها.

(٤) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: ابوهلال العسكريـ: الاوائلـ ٩١ـ.ـ ابنـ المـغـازـيـ: منـاقـبـ صـ ٣٣٣ـ-٤ـ.
الـزـخـشـريـ: رـبـيعـ الـابـرارـ ٤/٣٠٠-٢٩٩ـ.ـ ابنـ مـعـدـ: الـحـجـةـ صـ ١٨٢-١٨٦ـ.ـ سـبـطـ ابنـ
الـجـوزـيـ: تـذـكـرـهـ صـ ٣٠٢ـ.ـ دـحـلـانـ: اسـنـىـ الـمـطـالـبـ صـ ٨ـ،ـ ٦٦٠ـ.

(٥) الشرح: ١٤/٧٠، وانظر: ابن معد: الحجة ص ١٨٥-١٨٦ـ.

رابع عشر: روى الإمام الصادق عليه السلام أن الرسول عليه السلام قال: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر فاتاهم الله أجراً لهم مرتين، وإن أبو طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجراً مرتين^(١).

خامس عشر: إن جبرائيل عليه السلام قال للرسول عليه السلام في الليلة التي مات بها أبو طالب: أخرج منها فقد مات ناصرك^(٢).

سادس عشر: أما حديث الضحاض من النار^(٣)، فهو يروى عن شخص واحد وهو المغيرة بن شعبة المعروف ببغضه لبني هاشم وخاصة الإمام علي عليه السلام وقصته وفسقه غير خافٍ على أحد^(٤).

سابع عشر: روي بأسانيد مختلفة عن العباس وابي بكر: أن أبو طالب ما مات حتى قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهناك خبر مشهور: إن أبو طالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه العباس ثم قال للنبي عليه السلام: يا ابن أخي والله لقد قالها عمّك، ولكن ضعف عن أن يبلغك صوته^(٥).

ثامن عشر: قال الإمام علي عليه السلام: ما مات أبو طالب حتى أعطى الرسول عليه السلام من نفسه الرضا^(٦).

(١) الشرح: ٧٠ / ١٤.

(٢) الشرح: ١٤ / ٢٩، ٢٩ / ١٤. وانظر المفيد: إيمان أبي طالب ص ٧٤. ابن معد: الحجة ص ٢٦٠.

(٣) الشرح: ١٤ / ٧٠. وانظر: ابن معد: الحجة ص ٧٧-٧٧.

(٤) أنظر تفاصيل ذلك في الشرح ١٢ / ٢٢٧-٢٤٦، أبو الفرج: الأغاني ١٦ / ١٠٣-١٠٤. الحكم المستدرك ٣ / ٥٠٧-٥٠٨.

(٥) الشرح: ١٤ / ٧١، وانظر ابن هشام: السيرة: ٢ / ٥٨-٥٩، ابن معد: الحجة ص ٦-١٠٦، ١٠٨-١٠٩. تاريخ أبو الفداء ١ / ١٢٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٣ / ١٢٣، وما بعدها.

(٦) الشرح: ١٤ / ٧١، وانظر: ابن معد: الحجة ص ١٠٨-١٠٩.

تاسع عشر: ان أشعار أبي طالب تدل على أنه كان مسلماً، حيث لا فرق بين الكلام المنظوم والمنتور إذا تضمنا إقراراً بالإسلام، ألا ترى أن يهودياً لو توسط جماعة من المسلمين وأشاد شعراً قد ارتجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوة محمد ﷺ: لكننا نحكم بإسلامه، كما لو قال: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ^(١) ومن هذه الأشعار^(٢):

أَمْرُّ أَتَى مِنْ عَنْدِ ذِي الْعَرْشِ قِيمٍ
وَظُلْمٌ بَيْ بِي جَاءَ يَدْعُوا إِلَى الْهُدَى
رَسُولًا كَمُوسِي حُطَّفَ فِي أُولِ الْكُتُبِ
وَمِنْهَا (٣):
لَعْزَاءَ مِنْ غَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرِبٌ
فَلَسْنَا وَبِيَتِ اللَّهِ نُسْلِمُ أَحْمَدًا
وَقَالَ (٤):
وَمَا جَاهَلٌ فِي قَوْمِهِ مُثْلُ عَالِمٍ
يَرَى النَّاسُ بِرَهَانًا عَلَيْهِ وَهِيَهُ
وَمَنْ قَالَ لَا: يُقْرَغُ بِهَا سَنْ نَادِمٍ
نَبِيٌّ أَتَاهُ الْوَحْيُ مِنْ عَنْدِ رَبِّهِ

(١) الشرح: ٧١/١٤، وانظر: ابن مع德 الحجة ص ١٨٦-٣٢٤.

(٢) من قصيدة في سبعة أبيات: الشرح: ٧١/١٤، ٧٢-٧١، وانظر ديوان أبي طالب، ط بحر العلوم ص ٣١-٢٩. ابن مع德: الحجة ص ١٨٩.

(٣) الشرح: ٧٢/١٤-٧٣، وانظر ديوان أبي طالب، ط حسن آل ياسين ص ٥٠. ابن هشام: السيرة ١/٢٢٠. ابن مع德: الحجة ص ١٩٣-١٩٢. السمهيلي: الروض الانف ١/٢٦١. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٨٧، البغدادي: خزانة الأدب ١/٢٦١. دحلان: انسى المطالب ص ١٧، ٧.

(٤) من قصيدة في ثانية أبيات. الشرح: ١٤/٧٣. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٥٠. ابن مع德: الحجة ص ٢٠١.

وقال من قصيدة لما غضب لعثمان بن مظعون الجمحي لما عذبه قريش^(١):

أَوْ تَؤْمِنُوا بِكِتَابٍ مُنْزَلٍ عَجِيبٍ **عَلَى نَبِيٍّ كَمُوسِيْ أَوْ كَذِي النُّونِ**

وروي أن أبا جهل أراد أن يرضخ رأس الرسول عليه السلام وهو ساجد بحجر
فلصنق الحجر بكفه ولم يستطع فعل شيء فقال أبو طالب^(٢):

عَجَابٌ فِي الْحَجْرِ الْمَلْصِقِ	وَأَعْجَبٌ مِنْ ذَاكَ فِي امْرِكُمْ
إِلَى الصَّابِرِ الصَّادِقِ التَّقِيِّ	بِكَفِ الَّذِي قَامَ مِنْ حَيْنِهِ
عَلَى رَغْمِهِ الْخَائِفِ الْأَحْمَقِ	فَأَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي كَفِهِ

وقال المؤمن إن أبا طالب أسلم بقوله^(٣):

بِبِيضٍ تَلَالًا كَلْمِعَ الْبَرُوقِ	نَصَرْتُ الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِيكِ
حَمَايَةً حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقٍ	أَذْبُّ وَأَحْمَيْ رَسُولَ الْإِلَهِ

ولما ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة ليحرض النجاشي على تسليم
مهاجري الحبشة، كتب أبو طالب قصيدة إلى النجاشي يطلب منه إكرام جعفر
والهاجرين، ومنها^(٤):

(١) من قصيدة في سبعة أبيات: الشرح: ١٤ / ٧٣-٧٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٣٠٧. ابن معد: الحجة ص ٢٢٢.

(٢) الشرح: ١٤ / ٧٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٥٦. ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٣) الشرح: ١٤ / ٧٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٦٦-٦٧. ابن معد: الحجة ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٤) الشرح: ١٤ / ٧٥، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٤٥. ابن هشام: السيرة ١ / ٣٥٧. ابن معد: الحجة ص ٢٣٩. ابن كثير: البداية ٣ / ٧٧.

الآلية شعرية كيف في النأي جعفر وعمرو وأعداء النبي الأقرب!

وقال في تحريض ولديه علي وجعفر على نصرة النبي ﷺ (١):

عند ملم الزمان والنوب أخي لأمي من بينهم وأبي يخذلَه منبني ذو حسبِ	إن علياً وجعفرا ثقتي لا تخذلا وانصرا ابن عمكما والله لا أخذلُ النبي ولا
-------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------

ومن شعره يخاطب به أخاه حمزة ويدعوه لنصرة النبي ﷺ (٢):

وكنْ مُظهراً للدين وفَقْتَ صابرا بصدقٍ وعزِّم لا تكنْ حمُزُ كافرا فكُنْ لرسولِ الله في الله ناصرا جهاراً وقل ما كانَ أَحْمَدَ ساحرا	فصبراً أبا يعلى على دينِ أَحَدٍ وَحَطَّ من أتى بالحقّ من عندِ رَبِّه فقد سرَّني إِذ قُلتَ إِنَّكَ مؤمنٌ وبادِ قريشاً بِالذِّي قد أثبَتْهُ
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وله قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ منها:

قرمٌ أعزُّ مسَودٌ طابوا وطابَ المولُدُ	انتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لِمُسَوَّدِينَ أَكَارِمٍ
-------------------------------------------	-------------------------------------------------------

(١) الشرح: ٧٦/١٤، وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٦٣-٦٤. أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٧٥. المفيد: إيمان أبو طالب ص ٨٢-٨٣، ابن معد: الحجة ص ٢٤٩-٢٥١. جعفر

نقدي: زهرة الادباء ص ٦.

(٢) الشرح: ٧٦-٧٧/١٤. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ١٥٣. المفيد: إيمان أبو طالب: ص ٨٠. ابن معد: الحجة ص ٢٧٧. الحلبي: السيرة الحلبيّة: ١/٢٨٦. جعفر نقدي: زهرة الادباء ص ٦.

ومنها^(١):

ما زلت تنطق بالصواب

ومن شعره أيضاً^(٢):

لقد أكرم الله النبي محمدأً

وشق له من اسمه ليجله

وقوله^(٣):

يا شاهد الله على فاشهد

من ضل في الدين فإني مهتد

ومن شعره قصيده اللامية التي أورد ابن هشام^(٤) منها - اربعة وتسعين بيتاً - ذكر ابن أبي الحديد سبعة عشر منها فقط، ومنها^(٥):

(١) الشرح: ١٤/٧٧. ابن معد: الحجة ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) الشرح ١٤/٧٨. وانظر: أبو نعيم: دلائل النبوة ١/١١. ابن معد: الحجة ص ٢٨٤. ابن كثير: البداية والنهاية ١/٢٢٦، ٢/٣٢٥. ابن حجر: الأصابة ٤/١١٥. القسطلاني: المواهب ١/٥١٨. دحلان: أسمى المطالب ص ١٨.

(٣) الشرح ١٤/٧٨. وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) السيرة النبوية ١/٢٩١-٢٩٩. وذكر بعضها المقيد: إيان أبي طالب ص ٧٠-٧٢.

(٥) الشرح ١٤/٧٨-٧٩. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٥-٩٤. حيث ذكرها في (١١٥) بيت. الطبرى: تاريخ ٤٤٦/٤/٢٢٢. الشهريستاني: الملل والنحل ٣/٢٢٦. ابن معد: الحجة ٣/٥٣-٧٥. وقد ذكر ابن كثير منها (٩٢) بيتاً وقال: هذه قصيدة عظيمة بلغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحى من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها وقد أوردها الأموي في مغازيه مطولة بزيادات آخر، =

علينا بسوء أو يلوح يباطل ولما نطاعن دونه ونناضل لدينا، ولا يعبأ بقول الأبطال	أعود بربّ البيت من كل طاعن ومنها كذبتم وبيت الله نبزي محمد ومنها ألم تعلموا ان ابنتنا لا مكذب
------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------

يرى القائلون بتوحيده أن هذه الاشعار جاءت مجيبةً للتواتر، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها يدل على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ، ومجموعها متواترة، كما أن كل واحدة من قاتلات علي عليهما السلام الفرسان منقوله احاداً، ومجموعها متواتر، ولذا يفيينا العلم الضروري بشجاعته، كذلك القول بسخاء حاتم، وحلم الاحنف، وذكاء إياس وغير ذلك^(١).

عشرون: لما مات أبو طالب جاء الإمام علي عليهما السلام فأعلم النبي ﷺ فتوعد ^{عليهما السلام}
 وجعاً عظيماً وحزناً شديداً، ثم قال: امضِ فتولَّ غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلموني، ففعل، فاعترب له ^{عليه السلام} وهو محمول على رؤوس الرجال.
 فقال ^{عليه السلام}: وصلتك رحم يا عم، وجزيت خيراً: أما والله لاستغفرن لك،
 ولا أسفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان^(٢).

= والله أعلم. ٥٧/٣. وقال القسطلاني في إرشاد الساري: قصيدة جليلة بلية من بحر الطويل، وعدّة أبياتها مائة وعشرة أبيات ٢٢٧/٢. وذكر البغدادي منها في خزانة الأدب (٤٢) بيّناً مع شرحها ١١٢٥-٢٦١. دحلان: انسى المطالب ص ١٨-١٩. السيرة الدخلانية ١/٩٤-٩٥.
 وقد شرحتها جعفر نقيدي في كتابه: زهرة الادباء في شرح لامية شيخ البطحاء ص ٧-٤١.

(١) الشرح ١٤/٧٨.

(٢) الشرح ١٤/٧٦ يه السلام إلى اللحد ص ٤٥ وما بعدها. وانظر ابن سعد: الطبقات ١/١٢٣.
 اليعقوبي: التاريخ ٢/٣٠. المفيد: إبيان أبي طالب ص ٧٥. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣١٦/١٩٦. ابن معد: الحجة ص ٢٦٤-٢٦٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨-٩. ابن كثير: البداية والنهاية =

قال القائلون بتوحيده: والمسلم لا يجوز أن يتولى غسل الكافر، ولا يجوز للنبي عليه السلام أن يرق لكافر، ولا يدعوه له بخير، ولا الاستغفار والشفاعة، وكان سبب تولية الإمام علي عليه السلام - غسله، لأن طالباً وعقيلاً لم يكونا قد أسلموا، أما جعفر فكان بالحبشة، وأما بخصوص صلاة الجنائز فإنها لم تشرع بعد ولذا لم يصل النبي لا على أبي طالب ولا خديجة، إنما كان تشيع وداعه^(١).

إحدى وعشرون: إن رسول الله عليه السلام استغفر لأبي طالب بعد معركة بدر لما ذكر عبيدة بن الحارث^(٢) شعر أبي طالب^(٣):

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً	ولانطاعن دونه ونناضل
ونذهب عن أبناءنا والخلائط	

اثنتان وعشرون: روی أن اعریباً أنسد النبي عليه السلام شعراً لما حل به من جدب، فدعا النبي عليه السلام واستسقى، فاستجاب الله له، ثم قال عليه السلام الله در أبي طالب: لو كان حياً لقرت عينه. من ينشدنا قوله فأنسد على قصيده التي منها:
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامي عصمة للأرامل
 يطيف به الهملاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

١٢٥/٣ = ابن حجر: الأصابة /٤. الحلبـي: السيرة الحلبـية /١ ٣٧٣.

(١) الشرح /١٤. وانظر ابن معـد: الحجـة ص ٢٦٦-٢٦٧. سبط ابن الجوزـي: تذكرة ص ٣٠٤.
 الشبلنجـي: نور الابصار ص ١٣.

(٢) استشهد في معركة بدر. أنظر ترجمته، ابن الأثير: اسد الغـابة /٣ ٣٥٦-٣٥٧. ابن حـجر: الأصـابة . ٥٤٩/٢

(٣) الشرح /٣ ٢٥٨-٢٥٩، ١٤-١٥. وانظر ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٨. الواقـدي: المـغـازـي . ٣٠٢-٣٠٠. ابن هـشـام: السـيرـة /١ ٢٩٤، ٣/٢٢٤. ابن معـد: الحـجـة ص ٦٩-٧٠.

ورسول الله ﷺ قائم يستغفر لأبي طالب على المنبر^(١).

ثالث وعشرون: أما سبب عدم إظهار أبي طالب لإسلامه، فلأنّه لو أظهره لم يتهيأ له نصرة الرسول ﷺ، فيكون بذلك كأحد المسلمين نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما، وإنما تمكن من نصرته، والدفاع عنه بالثبات ظاهراً على دين قريش، وإن أبطن الإسلام^(٢).

هذه الأدلة لم يجد ابن أبي الحديد عليها تعليقاً ما عدا الدليل الثاني وهو قول النبي ﷺ :

«نُقلنا من الأصلاب الظاهرة إلى الأرحام الزكية».

فوجب بهذا أن يكون آباءه كلّهم متزهين عن الشرك لأنّهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا ظاهرين».

قال ابن أبي الحديد: هذا الاحتجاج عندي ضعيف لأنّ المراد من قوله: نقلنا من الأصلاب الظاهرة إلى الأرحams الزكية». وهو تنزيه آبائه وأجداده وأمهاته عن السفاح لا غير، لأنّ العرب كان يعيّب بعضها البعض باختلاط المياه، واشتباه الأنساب، ونكاح الشبهة. وردّ ابن أبي الحديد على قوله: لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا ظاهرين. قال: إنّه لا منافاة بين طهارة الأصلاب وعبادة الأصنام، فلو أراد ﷺ ما زعموه لذكر العقائد بدل الأصلاب والأرحams. كذلك

(١) الشرح /١٤-٨٠/٨١. أنظر: ديوان أبي طالب، ط آل ياسين ص ٨٩، ٩٦. ابن هشام: السيرة /١٣٠٠. اليعقوبي: التاريخ /٢٢/٢٢. ابن معد: الحجة ص ٣٠٥-١١. الشهستاني: الملله /٣٢٥-٢٢٦. ابن حجر: الاصابة /٤/١١٥. السيوطي: الخصائص الكبرى /١٢١٤. الديار بكري: تاريخ الخميس /١٣٥٤. دحلان: أسنى المطالب ص ١٤، ١٨.

(٢) الشرح /١٤-٨١/٨٢. ابن معد: الحجة ص ٣٤٠-٣٤٢.

رد على قولهم: إن أبا ابراهيم كان مسلماً، وإن المشرك عمّه. قال: إن هذه الآية لا تفيدهم، فإن أبو طالب هو عم النبي عليه السلام، ولذلك فهذه الآية ليست لهم بحجة في إسلام أبي طالب^(١).

موقف ابن أبي الحميد:

لقد بنى ابن أبي الحميد حكمه في أبي طالب على امررين:
الأول: إنه قد روي في إسلامه أخبار، وروي في موته على دين قومه أخبار أخرى، لذا تعارضت الأدلة فتعارض الجرح والتعديل ويمكن أن يقول أصحاب الحديث: إذا تعارض الجرح والتعديل، فالترجح عند أصحاب الأصول لجانب الجرح، لأن الجارح قد اطّلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل.
أجاب ابن أبي الحميد: إن هذا يكون في اصول الفقه في طعن مفصل في مقابلة تعديل مجمل، فعلى سبيل المثال يروي شعبة^(٢) حديثاً عن شخص ما هو عنده ثقة، ويكتفي توثيقه إنه بالنسبة إليه مستور الحال ظاهره العدالة، ولكن الدارقطني^(٣) يطعن فيه كأن يقول: كان مدلساً^(٤) أو يرتكب الذنب الفلاسي

(١) الشرح ٦٧/١٤.

(٢) شعبة بن الحجاج الأزدي بالولاء من أئمة رجال الحديث ٨٢-١٦٠، أنظر أبو نعيم: حلية الاولى ١٤٤-٢٠٩، الخطيب: تاريخ بغداد ٩/٥٥-٢١٦.

(٣) علي بن عمر بن احمد الدارقطني الشافعي (٣٠٦-٣٨٥هـ) من ائمة الحديث وأول من صنف في القراءات، الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٤٠-٣٤. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٣١٠-٣١٢. الذبيبي: معرفة القراء الكبار ١/٢٨١. السمعاني: الانساب ٥/٢٧٣-٢٧٥. مظفر شاكر محمود الحياني: الإمام الدارقطني ص ٣٨-١٣٠.

(٤) التدليس: اسقاط الرواية من اسناد الحديث بحيث يكون السقوط من الاسناد خفياً. التهانوي:

فيكون طعنه فيه مفصلاً في مقابلة تعديل محمل.

أما هنا فالروايات متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً فهؤلاء يقولون: إنّه تلفظ بكلمتي الشهادة عند الموت والآخرون يرون إنه قال عند الموت أنا على دين الأشياخ.

وقال: أما من يقول بإسلامه فيقول إن روايتنا أرجح لأننا نروي حكماً ايجابياً ونشهد على إثبات، وخصوصمنا يشهدون على النفي.

قال: ولا شهادة على النفي، وذلك أن الشهادة في الجانبين معاً، إنما هي على إثبات ولكنه إثبات متضاد^(١).

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية^(٢) حيث يقول: (ويقف في صدرى رسالة النفس الزكية إلى المنصور قوله فيها: (فأنا ابن خير الأخيار وأنا ابن شر الأشرار وأنا ابن سيد أهل الجنة وأنا ابن سيد أهل النار). فإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متهم عليه، وعهده قريب من عهد النبي ﷺ، ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً^(٣).

إن هذين الأمرين جعلا ابن أبي الحديد يتوقف في اصدار حكم في أبي طالب حيث يقول: (فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقف فأنا في أمره من المتوقفين)^(٤).

= كشاف اصطلاحات العلوم . ٤٨١ / ٢

(١) الشرح: ١٤ / ٨٣.

(٢) سنترجمه لاحقاً.

(٣) الشرح: ١٤ / ٨٢.

(٤) الشرح: ١٤ / ٨٢. وقد ردَّ يوسف البحرياني ت ١١٨٦هـ على توقف ابن أبي الحديد هذا في =

والآن لنقف عند الأدلة التي ذكرها ابن أبي الحميد في مسألة إيمان أبي طالب، أو بقائه على دين قومه، تلك الأدلة التي وقف منها ابن أبي الحميد موقفا سلبيا فلم يجد رأيا فيها، فلنقف عندها ولمناقشتها لنرى مدى مطابقتها للواقع، ولنبدأ أولا بأدلة القائلين ببقاءه على دين قومه:

الدليل الأول والثاني: اللذان ينصان على ان النبي عليه السلام، طلب من أبي طالب أن يشهد الشهادتين عند موته، فكان رد أبي طالب: انه على دين عبد المطلب.
والسؤال هنا: ما هو دين عبد المطلب؟ المعروف ان المعتقد الأول لأهل مكة هو دين الحنفية الذي هو بقايا دين ابراهيم الخليل عليه السلام ثم جاء عمرو بن لحي بفكرة الاصنام^(١) والتي وإن انتشرت في مكة إلا أنه بقي اناس لا يقررون بها عرفا بالأحناف^(٢).

اما إذا نظرنا إلى عبد المطلب فنجد أن الأحداث الهامة في مكة قد ارتبطت

= كتاب أسماء (سلاسل الحميد في تقيد ابن أبي الحميد) حيث قال يوسف البحرياني في ترجمته لنفسه في كتابه لؤلؤة البحرين في ذكر مؤلفاته ما نصّه (ومنها كتاب سلاسل الحميد في تقيد ابن أبي الحميد) والرد عليه في شرحه لكتاب نهج البلاغة الذي رام فيه أن يشرحه على رأي المعتزلة واصو لهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتابا مستقلة ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامية وأحوال الخلفاء والصحابة وما يناسب ذلك ويدخل تحته وبينت ما فيه من الخلل والمقاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، خرج منه مجلد ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلد، وعاق الاشتغال بكتاب الحديث عن إقامته، لؤلؤة البحرين ص ٤٤٦ - ٤٤٧، احمد الريبيعي: العذيق النضيد ص ٨٠.

(١) الأزرقي: اخبار مكة ١١٧/١، أبو هلال العسكري: الاوائل ص ٤٨. الشهرستاني: الملل ٣/٢١٧. السيوطي: السبيل الجليلية ص ١٣.

(٢) أنظر الآلوسي: بلوغ الارب ٢/١٩٤، ٦١٩٤-٢٤٦.

بأيامه، كحفر زمم، والذي يلاحظ أنه تم بمحنة أبرهة التي أشار لها القرآن الكريم، حيث كان عبد المطلب الدور الرائد في إفشاها، و موقفه فيها دليل على توحيد وإلا فما معنى قوله لأبرهة: [إن للبيت رباً يحميه] وفيه إشارة لإيمان عميق برب هذا البيت وإنه لمؤمن بعدم قدرة أي كان على هدمه، ولقد كان لكلامه أثر في إدخال الرعب في قلب أبرهة، ومن ثم فشل الحملة، ولو لم يكن عبد المطلب على هذه الدرجة من التوحيد لما أسمته العرب (ابراهيم الثاني) ولما أعظمت موته حتى بقي على رؤوس الرجال أياما.

ويروى أنه كان يؤمن بالمعاد فكان من وصاياه: (انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يتقمم الله منه وتصيبه عقوبة)، فلما هلك أحد الظلمة ولم تكن قد اصابته عقوبة قال: والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءاته. ^(٢)

ومن الأدلة على توحيد عبد المطلب، إشادة الرسول ﷺ به في موقف من اصعب المواقف التي مرت به ﷺ وذلك يوم حنين الذي اعجب المسلمين فيه بكثرةهم ولكنهم ما لبשו أن انهزموا تاركين الرسول ﷺ في عدد قليل من ثبت معه، فنزل ﷺ إلى ساحة المعركة يقاتل ويهاجم ^(٣):

(١) اليعقوبي: التاريخ /٢١٦.

(٢) الشهريستاني: الملل والنحل بهامش الفصل ٣ /٢٢٤-٢٢٥، السيوطي: الدرج المنيف ص ١٤ . مسالك الحنفاص ٣٧.

(٣) الواقدي: المغازي ١ /٢٨٠. ابن حنبل: المسند ٤ /٢٨٩، ٢٠٤. الطبرى: تاريخ ٣ /٧٦. جامع البيان ١٠ /١٠٣. الملطي: التنبيه ص ١٥٢ . ابن حزم: جهرة انساب العرب ص ٢٣٤ . ابن تيمية: منهاج السنة ٤ /١٧٧.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

إنه لأمر يثير الاستغراب في موقف يدعون النبي فيه المشركين لعبادة الله سبحانه وتعالى ونبذ الوثنية إلى أن وصل به الحال إلى استخدام القوة، وفي مثل هذا الموضع الذي يجدر بالنبي عليه السلام فيه أن يذكر أنسا على خط التوحيد، أما إنه يذكر مشركاً ويفتخر به في موضع يقاتل به الشرك والمشركين، إن هذا لشيء عجاب !!.

والظاهر أن النبي عليه السلام إنما يقوله هذا يعيد إلى الذهان ذكرى عبد المطلب وموافقه النبيلة وكأنه يقول لهم: أنا ابن ذلك الإنسان الذي اسميتهموه ابراهيم الثاني؟ الذي أوجد لكم زمزم والذي رد أبرهة عن البيت الحرام؟ فإذا كان عبد المطلب بتلك المكانة التي تعرفونها عنه فأنا ابنه:
(أنا النبي لا كذب).

وينسحب الكلام حول أبي النبي عليه السلام، حيث يرى القائلون ببقاء أبي طالب على دين قومه أن أبي النبي عليه السلام (جمرة من حمرات جهنم) وقد اثبت السيوطي إيمان أبي النبي عليه السلام في أكثر من كتاب من كتبه ومنها: مسالك الحنفأ في والدي المصطفى^(١)، والدرج المنيفة في الآباء الشريفة^(٢)، والمقامة السنديسة في النسبة المصطفوية^(٣)، والتعظيم والمنة في أن أبي رسول الله في الجنة^(٤)، ونشر

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) ص ٢ وما بعدها.

(٣) ص ٢ وما بعدها.

(٤) ص ٢ وما بعدها.

العلمين في إحياء الآبوبين^(١)، والسبل الجلية في الآباء العلية^(٢).

تجدر الاشارة إلى أن قصة فداء عبد الله بذلك الاسلوب الذي أشارت به الكاهنة فأصبح فدائها مائة بعير^(٣)، وهذا ما اثبته الإسلام فيما بعد فيه دلالة على أن مسألة تدخل الكهان والاصنام لا صحة لها، إذ كيف يثبت الإسلام حكمًا أقرته الاصنام والكهان، وهو الذي جاء للقضاء عليها.

إذا ماذا كان يقصد أبو طالب بقوله: (إنى على دين عبد المطلب). فهل يريد التعمية على المشركين الذين يعتقدون ان عبد المطلب على دينهم؟ أم إن أبو طالب إراد تأكيد إيمانه بأنه كإيمان عبد المطلب! كما يقول الشاعر^(٤):

ولا عيب فيهم غير ان سيفهم بمن فلول من قراع الكتائب

الدليل الثالث: الذي يشير لنزول الآية القرآنية

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٥).

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: (ما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه الرسول ﷺ فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة فقال: أي عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) ص ٢ وما بعدها.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة ٤٨/٢. الطبرى: تاريخ ٢٤٤-٢٤٠/٢. السيوطي: الوسائل

٥٦-٥٥ ص.

(٤) للشاعر النابغة الذبياني: ديوانه ص ١٥. ابن خلkan: وفيات ٣/٢٥٧.

(٥) التوبة: ١١٣.

أبو جهل و عبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله عليه السلام يعرضها عليه ويعيدها بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم به: على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال عليه السلام: والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزل قوله تعالى

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ...﴾^(١).

والآن لنطرح الحيثيات الآتية:

أولاً: المعروف ان الرسول عليه السلام وعلى مدى عشر سنوات كان يدعو إلى التوحيد تحت مرأى وحماية أبي طالب، فأين كان عليه السلام عن أبي طالب؟ ولماذا لم يدعه إلى التوحيد إلا في هذه الساعة الأخيرة من حياته؟ حيث لم نقرأ في الروايات أنه دعاه إلا ما كان في يوم الإنذار في بدء الدعوة الإسلامية والذي أيد فيه أبو طالب النبي، ودعاه للقيام بأمره وتعهد بحمايته^(٢).

ثانياً: ان قول النبي عليه السلام: لاستغفرن لك ما لم أنه عنك. فيه دلالة أن فكرة النهي عن الاستغفار للمشركين كانت ماثلة لديه عليه السلام، إذاً كان الأجرد بالنبي عليه السلام أن يطلب أولاً الإذن من الله سبحانه وتعالى على الاستغفار، قبل المبادرة إلى فعل يشك عليه السلام بأن الله لا يرخص به.

ثالثاً: أما الآية أعلاه فهي الآية (١١٤) من سورة التوبه المعروفة ان هذه السورة نزلت في المدينة في السنة التاسعة للهجرة^(٣) أي بعد وفاة أبي طالب

(١) الصحيح ٦/١٣٢-١٣٣ . وانظر مسلم: الصحيح ١/٢١٤ .

(٢) أنظر موقف أبي طالب يوم الإنذار. الشرح: ١٣/١٩٩ ، ١٩٩/٢١١ . اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٣-٢٤ . الطبرى: جامع البيان ١٩/١٢٢ .

(٣) أنظر: الزمخشري: الكشاف ٢/٢٤١ ، القرطبي: الجامع ٨/٦١ .

باشتني عشرة سنة فما هو السر في تأخرها إن كانت نزلت في حق أبي طالب؟!!.

رابعاً: حتى لو قلنا إنها نزلت في أبي طالب بعد كل هذه السنين ولكن ألا تستوقفنا تلك الآيات الكثيرة التي نزلت قبلها، والتي تدعو النبي والمؤمنين لعدم الاستغفار للمشركين، ولا المودة لهم ولا التخاذلهم أولياء^(١)، ألم كان بهذه الآيات دليل للنبي ﷺ أن لا يستغفر لأبي طالب حتى يتضرر كل تلك المدة وهو يستغفر له؟

خامساً: إن هناك مناسبات أخرى لنزول الآية قد تكون أكثر مصداقاً لسبب نزولها ومنها:

قال الإمام علي عليه السلام: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهمَا مشركان فقلت: أتستغفر لأبويك وهمَا مشركان؟ قال: ألم يستغفر إبراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي عليه السلام فنزلت الآية^(٢).

قال ابن عباس: كانوا يستغفرون لأبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا عن الاستغفار للأحياء حتى يموتونا ثم أنزل الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾

(١) كقوله تعالى:

﴿لَا تَحِدُّ فَوْمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾. سورة المجادلة، آية ٢٢، نزلت قبل سورة التوبة بسبعين سور. السيوطي: الاتقان ١/١٧. بالإضافة إلى الآية ٢٨ من سورة آل عمران والآيات ١٣٩، ١٤٤ من سورة النساء وغيرها.

(٢) الترمذى: صحيح ١١/٢٤٩-٢٥٢. الطبرى: جامع البيان ١١/٤٣. دحلان: أنسى المطالب

أي أن استغفاره كان ما دام أبوه حيا^(١).

عن قتادة: (ذكرنا رجالا من أصحاب النبي ﷺ قالوا: يا نبي الله إن من أبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفى بالذمم أفلانستغفر لهم؟ فنزل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾^(٢).

سادسا: إن الاداة (ما) الواردة في الآية تفيد النفي وليس النهي أي إن الآية تفيد نفي استغفار الرسول ﷺ للمشركين، أي ان النبي ﷺ لم يستغفر للمشركين، فإذا كان النبي ﷺ قد استغفر لأبي طالب فهذه الآية تؤكد إن أبو طالب ليس مشركا لأنه لو كان مشركا لما كان النبي ﷺ سيستفرق له.

سابعا: إن من احتج على الاستغفار للمشركين لم يحتاج بفعل النبي ﷺ بل بفعل ابراهيم عليه السلام ولو كانوا يعرفون أن أبو طالب مشرك وأن النبي ﷺ يستغفر له، لكن الاولى أن يحتاجوا بفعل النبي ﷺ لا بفعل ابراهيم عليه السلام^(٣).

ثامناً: ان مصدر الرواية مطعون فيه، فالراوي هو سعيد بن المسيب وهو المعروف ب موقفه السلبي تجاه الإمام علي عليه السلام حيث ذكره ابن أبي الحديد في جملة من اتخذ موقفاً سلبياً من الإمام علي عليه السلام^(٤).

تاسعاً: المعروف ان النبي ﷺ قال لعقيل الذي أسلم قبل فتح مكة: احبك

(١) دحلان: اسنن المطالب ص ١٨ ، ٤٥.

(٢) الطبرى: جامع البيان ١١ / ٣١.

(٣) الطبرى: جامع البيان ١١ / ٣١.

(٤) الشرح: ٤/١٠١-١٠٢. مع ان سعيد بن المسيب موثق عند علماء الجرح والتعديل ، ابن حجر: تقريب التهذيب ٤/٣٠٥-٣٠٦، تهذيب التهذيب ٤/٨٤-٨٥.

حيين: حبا لك وحبا لحب أبي طالب لك)^(١) والمعروف أن الآيات الكثيرة التي نزلت قبل فتح مكة تؤكد على عدم المودة للمشركين.

الدليل الرابع: نزول الآية.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

في أبي طالب^(٣)

أولاً: ان نسبة الهدایة إلى الله سبحانه وتعالى لا تقتصر على هذه الآية وإنما هناك آيات كثيرة تشير إلى ذلك فعلى سبيل المثال قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

وقوله تعالى:

﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾^(٥).

: و

﴿أَتَرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَصْلَى اللَّهُ﴾^(٦).

: و

(١) الشرح: ٧٠ / ١٤، وانظر الحاكم: المستدرك ٣ / ٦٦٧، ابن عبد البر: الاستيعاب ٢ / ٥٠٩. ولكن لماذا يحب أبو طالب عقلاً أكثر من باقي ولده؟ أم أنها وضعت لتؤكد كفر أبي طالب، وأنه يحب عقلاً لأنّه يقى على الكفر مثله!

(٢) سورة القصص ٥٦.

(٣) أنظر تحليل الخنزيري: أبو طالب ص ٣١١، ٣٦١-٣٧٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٢.

(٥) سورة النحل، آية ٣٧.

(٦) سورة النساء، آية ٨٨.

﴿مَنْ يَهِدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلَلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرِشِّدًا﴾^(١).

وغيرها.

غير أن هذه الهدایة والضلال لا تأتي بالقوة ولكن الله سبحانه وتعالى أوضح للإنسان الطريق الصحيح ومنحه الحرية لاختيار ما يشاء:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا﴾^(٢).

إذا ما اختار طريق الهدایة فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يضل، ولكن عده سبحانه وتعالى يأبى ذلك، وإذا ما اختار طريق الضلال فالله قادر على هدایته ولكن تعلى لا يستخدم الجبر في ذلك، أي إن فحوى الآيات أن إيمان الإنسان وضلالة ليس خارجا عن قدرة الله سبحانه وتعالى.

إذن فهناك آيات كثيرة نزلت بهذا المعنى فلا يوجد داع لتخصيص هذه الآية دون غيرها في أبي طالب.

ثانياً: إن قوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣)

هذا الخطاب لا يعني أنه موجه للنبي ﷺ فقط، بل هو موجه لكل من سار في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ثم ان لفظه (إنك) التي تفيد المفرد قد تفيid الجموع، فالقرآن أحياناً يستخدم المفرد ويريد الجمع، وأحياناً يستخدم

(١) سورة الكهف، آية ١٧.

(٢) سورة الإنسان، آية ٣.

(٣) سورة القصص: آية ٥٦.

الجمع ويريد المفرد، وهذا موجود في اللغة العربية.^(١)

ثالثاً: ان روایات نزول هذه الآية في أبي طالب كلها مروية عن اشخاص لم يشهدوا زمان أبي طالب أو معايته حال الوفاة وهم:

رواية مصدرها - أبو هريرة - وهو صحابي من أهل البحرين جاء إلى المدينة وأسلم في السنة السابعة للهجرة في فتح خيبر، أي بعد وفاة أبي طالب بعشر سنين ولم تشر الرواية لمصدر أبي هريرة^(٢).

رواية عن أبي سهل السري بن سهل، عن عبد القدوس، عن أبي صالح، عن ابن عباس، المعروف أن أبا سهل ضعيف الحديث، بل مجهول العين وال الحال.^(٣) أما عبد القدوس بن حبيب الكلاعي من أهل الشام فلم يكن ابن المبارك يفصح بقوله كذاب إلا لعبد القدوس هذا، وقال الفلاس: اجمعوا على ترك حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة^(٤).

(١) وقد ورد هذا الاسلوب كثيراً في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَتَحْمَنُ أَغْيَانُهُ﴾ سورة آل عمران، آية ١٨١، نزلت في حي بن اخطب.

القرطبي: الجامع ٤/٢٩٤. و قوله تعالى:

﴿وَوَيْنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشَهِّدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَكْلُدُ الْخِصَامِ﴾

سورة البقرة، آية ٢٠٤، نزلت في الأحسن بن شريق. الواحدي: أسباب النزول: ص ٣٩.

وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ سورة النور، آية ٣٣. نزلت في غلام حويطب

ابن عبد العزى. الواحدي: أسباب النزول ص ٢١٩.

(٢) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنشور ٥/١٣٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٥٣٥.

(٤) أبو زرعة: الضعفاء ٣/٨١٥. الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٦٤٢. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣/١٥٦.

ومصدر الرواية ابن عباس الذي كان يوم وفاة أبي طالب رضيوا! ^(١) فمن الذي أخبره بالرواية ^(٢)? هل أبوه الذي أكد أن أبا طالب قال كلمة التوحيد في آخر لحظات حياته!!.

رواية عن أبي سهل السري الكذاب المار الذكر، عن عبد القدس الكذاب أيضاً إلى أن تنتهي إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب المعروف ان ابن عمر كان عمره وقتذاك سبع سنوات ^(٣) ولا يتصور أنه حضر وفاة أبي طالب فمن الذي أخبره بذلك؟ ^(٤).

في هذه الروايات برواتها الضعفاء والكذابين يمكن القول أنها وُضِعَت ونسبت إلى الصحابة.

الدليل الخامس: قول الإمام علي عليه السلام للنبي عليه السلام: ان عمك الضال قد قضى! فما الذي تأمرني فيه؟

أولاً: هل هذا الكلام الصادر من الإمام علي عليه السلام بحق أبيه يتناسب مع خلق الإمام الذي هو من خلق رسول الله عليه السلام !!!

ثانياً: إذا كان الإمام علي عليه السلام ناقماً على أبيه، فأين كان عنه؟ فهل سمعنا أو قرأنا أنه عليه السلام ناقش أباه يوماً على الضلال؟ وينسحب الأمر إلى النبي عليه السلام حيث لم نقرأ أنه دعا عمه أبا طالب إلا في اللحظات الأخيرة من حياته وهو أمر غير

(١) الطبرى: المستحب ص ٥٢٤ . ابن حزم: جمهرة ص ١٨ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٣٣ . ابن الاثير: اسد الغابة ٣/١٩٣ .

(٢) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنشور ٥/١٣٣ .

(٣) ابن الاثير: اسد الغابة ٣/٢٢٧-٢٣١ .

(٤) أنظر الرواية لدى السيوطي: الدر المنشور ٥/١٣٣ .

مستبعد، لأن تلقين الميت بالشهادتين من السنة المباركة.

ثالثاً: أليس من اغرب الغرائب أن يموت شيخ البطحاء، وهو الذي كان السند والعمود لدعوة النبي ﷺ لعشر سنوات والنبي محمد ﷺ بعيد عنه، ثم يموت ولا أحد بجواره، لدرجة أن الإمام علي عليه السلام يختار في أمره فيأتي إلى النبي ﷺ يطلب الإذن فيه، فيقول له ﷺ: إذهب فواره، فأين أبناء عبد المطلب العشرة؟ أين بقيةبني هاشم؟ أين زعماء قريش؟ أيموت أبو طالب هكذا وضع وكأنه من عامة الناس؟!

رابعاً: ان سند الرواية مطعون فيه وهو: عن سفيان بن عيينة عن أبي اسحاق، عن ناجية بن كعب، قال: قال علي عليه السلام: ان عمك...

اما سفيان بن عيينة فمع انه يوصف بأنه حافظ فقيه، إمام حجة، وثقة، وقد اجتمعت الأمة على الاحتجاج به، لكنه كان يدلّس عن الثقات، وقد تغير حفظه واختلط في سنة ١٩٧ هـ^(١).

أبو اسحق السبيعي: هو عمرو بن عبد الله الهمداني، يشار إلى أنه كان عابداً ثقة وقد ولد أيام الخليفة عثمان ورأى الإمام علي وأسامة، ولكنه في عهد معاوية كان يتراضي منه ثلاثة دينار في الشهر، وهذا يوجب التوقف في أمره؟ والتساؤل عن سر ذلك؟ ويشار إلى انه اختلط في آخر حياته، واخذ ينسى وتغير حفظه، ويقال أيضاً إنه افسد حديث أهل الكوفة^(٢).

اما ناجية بن كعب، فقد توقف ابن حيان في توثيقه ولم يحدث عنه إلا أبو

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/١٧٠-١٧١. ابن حجر: تقريب التهذيب ١/٣١٢.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٢٧٠. ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/٧٣.

١٢٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
اسحق السالف الذكر^(١).

الدليل السادس: لم ينقل عن أبي طالب أنه صلى:

أولاً: إذا كان أبو طالب لم يعلن إسلامه قوله قولاً، أتجده يعلن صلاته فعلاً، فإن
كان قد تستر على القول فالفعل أولى بالتنسق!

ثانياً: ان الصلاة يومذاك لم تكن واجبة^(٢)، بل نافلة فمن شاء صلى، ومن
شاء ترك لأن المسلمين كانوا تحت انتظار المشركين.

ثالثاً: هل نقل عن جميع من أسلم في مكة انه صلى!

الدليل السابع: عدمأخذ الإمام علي عليه السلام وعمر من تركه أبي طالب^(٣).

أولاً: ما هي هذه التركة التي تركها أبو طالب؟ أو ليس أبو طالب هو
ذاك الفقير الذي ساد مكة وما ساد فقير قبله! أو ليس أبو طالب هو الذي ترك
النبي عليه السلام والعباس يأخذان ولديه علياً وجعفرًا حتى يخففا عنه أثقال المعيشة
لأنه كان فقيراً؟ مع أننا نتحفظ علىأخذ العباس جعفرًا وقد تكون الرواية
وضعت للطعن في تربية الإمام علي عليه السلام في بيت النبي عليه السلام^(٤).

ثانياً: ولنفترض انه كانت لديه تركة، فأي شيء يبقى منها في ذلك الزمن
الصعب؟ فما الذي بقي من اموال خديجة وهي من كبار اغنياء مكة، حتى

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال /٤ ٢٣٩.

(٢) الشرح: ابن زبالة: منتخب ص ٤٨، حيث ذكر ان خديجة توفيت قبل فرض
الصلاة.

(٣) أنظر تحليل الخنزيري: أبو طالب ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) وقد ناقشنا الرواية تفصيلاً في بحثنا الموسوم (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره... الولادة
في الكعبة).

اصبحت في أيام حصار الشعب تجلس على حصیر ولا تجد لها طعاماً، حيث انفقت اموالها في خدمة الدعوة الاسلامية^(١)، فإذا كان هكذا يؤول حال خديجة في ظنك بأبي طالب!!؟

الدليل الثامن: رواية الضحضاح^(٢) في النار.

فحوى هذه الرواية ان العباس بن عبد المطلب سأله النبي ﷺ: ما أغنيت عن عملك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال ﷺ: هو في ضحضاح من النار، ولو لا أنا لكان في الدرك الأسفل، وفي رواية: وجدته في غمرات النار فأخرجه إلى ضحضاح. وفي رواية: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعيه يغلي منه دماغه.

يمكن مناقشة النص أعلاه في الحيثيات الآتية^(٣).

أولاً: المعروف في العقيدة الاسلامية ان من يموت مشركاً فإن له نار جهنم خالداً فيها ابداً، فهو من لا يغفر له يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

ثانياً: ان الشفاعة في العقيدة الاسلامية منحصرة باهل التوحيد فقط، اما من لم يكن بموحد (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)^(٥).

قال ﷺ: قيل لي: سل فإن كلنبي قد سأله، فأخرت مسألتي إلى يوم القيمة،

(١) أنظر الشرهاوي: السيدة خديجة ص ٨١-٨٧.

(٢) الضحضاح: الماء القريب القعر، الرازي: مختار الصحاح ص ٣٧٧.

(٣) أنظر تحليل الخنزيري: أبو طالب ص ٣٧٧-٤٠٣.

(٤) سورة النساء، آية ٤٨.

(٥) سورة: المدثر، آية ٤٨.

فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله ^(١) وقال عليه السلام: شفاعتي لمن شهد لا إله إلا الله مخلصاً وأن محمداً رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه ^(٢).

ثالثاً: أما مسألة التخفيف في العذاب فقد انكره القرآن الكريم في أكثر من آية، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيُمُوتُوا وَلَا يُحَفَّظُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ تَعْزِيزٌ كُلُّ كُفُورٍ﴾ ^(٣).

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُحَفَّظُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ^(٤).

وقال تعالى:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُحَفَّظُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ^(٥).

وقال تعالى:

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ^(٦).

(١) ابن حنبل: المسند /٢ ٤٤٤. المنذري: تهذيب الترغيب والترهيب ٤/٥١٩. وهناك ما يأثمه في مسلم: الصحيح ٣/٧٤. الترمذى: صحيح ٢/٢٩٥.

(٢) ابن حنبل: المسند /٢ ٣٠٧، ٥١٨.

(٣) سورة فاطر، آية ٣٦.

(٤) سورة النحل، آية ٨٥.

(٥) سورة البقرة، آية ١٦٢، سورة آل عمران، آية ٨٨.

(٦) سورة مريم، آية ٨٦-٨٧.

والعهد هنا شهادة لا إله إلا الله والقيام بحقها^(١).

رابعاً: ان الرواية مطعون في سندتها فمن رواتها:

سفيان الثوري الذي وإن كان ثبتا حجة متفقا عليه، وله نقد وذوق ولكن
كان يدلس عن الضعفاء ويكتب عن الكاذبين^(٢).

عبد الملك بن عمير اللخمي: يوصف بأنه من أوعية العلم، تولى قضاء
الكوفة بعد الشعبي ويقول ابن حجر انه فقيه ثقة ولكن تغير حفظه، وربما
دلس ومات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وقال الذهبي ولكن طال
عمره وسأله حفظه وقال ابن أبي حاتم: (ليس بحافظ تغير حفظه). وقال
احمد: ضعيف، يغلط. وقال ابن معين: مخلط، وقال ابن خراش: كان شعبه لا
يرضاه. وذكر الكوسج عن احمد: انه ضعف جدا ولكن العجلي وثقة، وقال
النسائي: لا بأس به، وقال الذهبي: الرجل من نظراء أبي اسحق السباعي
وسعيد المقرئ لما وقعوا في هرم الشيخوخة، نقص حفظهم وساعت اذهانهم
ولم يختلطوا^(٣).

عبد الله بن يوسف التونسي: اختلف علماء الجرح والتعديل فيه، ففي الوقت
الذي قال فيه الذهبي: انه (الثقة شيخ البخاري) فقد ضعفه ابن عدي وأورده
في الضعفاء، وشك يحيى بن بكر في سماعه من الامام مالك، وكان التونسي من

(١) القرطبي: الجامع /١١٥٤. تفسير البيضاوي /٢٤٠. تفسير ابن كثير /٣١٣٨.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل /١٢٢٥، الذهبي: ميزان الاعتدال /٢١٦٩. ابن حجر:
تقريب التهذيب /١٣١.

(٣) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل /٢٣٦٠-٣٦١، الذهبي: ميزان الاعتدال /٢٦٦٠-٦٦١.
ابن حجر: تقريب التهذيب /١٥٢١.

أهل الشام^(١).

الليث بن سعد: كان أحد الأعلام والأئمة الأثبات وحجة بلا نزاع عند الذهبي، ولكن ابن معين أشار إلى أنه كان يتสา هل في الشيوخ والسماع^(٢).

يزيد بن عبد الله الهادي: هو من ثقات التابعين وعلمائهم عند الذهبي، ولكن أبو عبد الله بن الحذاء أورده في باب من ذكر بجرح من رجال الموطأ وكان يروي عن كل أحد^(٣).

عبد العزيز بن محمد بن عبيده الداوري: قال الذهبي: صدوق من علماء أهل المدينة، ولكن غيره أقوى منه. وقال أحمد بن حنبل: إذا حدث من حفظه ليس هو بشيء وإذا حدث من كتابه فنعم، وإذا حدث من حفظه جاء بباطيل، وفي الوقت الذي وثقه ابن المديني فقد قال فيه ابن أبي حاتم: لا يحتاج به، وقال: أبو زرعة: سبئ الحفظ، فيما ارتقى به معن بن عيسى: يصلح الداوري أن يكون أمير المؤمنين^(٤).

اما بالنسبة إلى أدلة القائلين بإسلامه فقد توقفنا عند الأدلة الآتية:

الدليل الثالث: هذا الدليل يأتي في مقابلة الدليل الثامن لدى القائلين ببقاء أبي طالب على دين قومه، ففي كلا الدليلين نجد العباس يسأل النبي ﷺ

(١) ابن عدي: الكامل في الضعفاء /٥ - ٣٤١ - ٣٤٢، الذهبي: ميزان الاعتلال /٢ - ٥٢٨.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتلال /٣ - ٤٢٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتلال /٤ - ٤٣٠.

(٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل /٢ - ٣٩٥ - ٣٩٦، أبو زرعة: الكامل في الضعفاء /٢ - ٤٢٥. الذهبي: ميزان الاعتلال /٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤. ابن حجر: تهذيب التهذيب /٦ - ٣٥٣ - ٣٥٥. تقريب التهذيب /١ - ٥١٢.

عن مصير أبي طالب الذي يختلف عند الطرفين فهو في صحاح من نار عند القائلين ببقاءه على دين قومه، أما عند القائلين بإيمانه فالرسول يرجو له كل الخير، والظاهر أنه وضع في مقابل حديث الصحاح، وإنما فيما معنى سؤال العباس عن أبي طالب فإنه إن صح يورث شكا في إيمان أبي طالب.

الدليل الرابع: قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار) الملاحظ أن المقصود هو من قامت لديه البينة على إيمان أبي طالب ومع ذلك انكره لمارب أخرى لأن يكون البغض للإمام على عليه السلام وإنما فلا يؤخذ هذا النص على ظاهره في حالة صحته.

الدليل الخامس: لم أجده ما يؤيد أن الإمام علي عليه السلام أوصى بالحج عن عبد الله وأبي طالب.

الدليل السادس: قول أبي بكر للرسول صلوات الله عليه وسلم: لأننا كنتم أشد فرحا بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرة عينك.

إذا كان إسلام أبي طالب في بدء الدعوة الإسلامية فلا معنى لفرح الرسول صلوات الله عليه وسلم، أو أبي بكر لأن إسلامه كإسلام أي من المسلمين الأوائل، أما إذا كان إسلامه في لحظات الموت، ولذلك فرح الرسول صلوات الله عليه وسلم به تبعاً لذلك فرح أبو بكر، فإن هذا ما لا يقوله القائلون بإسلام أبي طالب، فكيف يعتبرونه دليلاً على إسلامه، بل إن النص أعلاه يفيد عدم إسلام أبي طالب، أي إن أبو بكر كان يتمنى إسلام أبي طالب ولو أسلم لكان أشد فرحاً به من إسلام أبيه.

الدليل السابع عشر: حينما حضرت أبو طالب الوفاة تكلم بكلام خفي فأناصرت له العباس، وقال للرسول صلوات الله عليه وسلم: يا ابن أخي والله لقد قالها عمك، ولكنه

ضعف أن يبلغك صوته.

إذا صحت هذه الرواية وهذا الموقف من العباس، فلماذا لم يسلم هو، ثم هذا يعني أن أبا طالب أسلم في اللحظات الأخيرة والقائلون بإسلامه يقولون: إنه أسلم منذ يوم الإنذار.

وال الأولى أن يقال في ذلك إن ما قاله أبو طالب في اللحظات الأخيرة لا يعني بدء إسلامه وإنما هو التشهد الذي قوله المحضر ساعة الاحضار كما تؤكد له السنة المشرفة.

الدليل التاسع عشر والثالث والعشرون: أن شعر أبي طالب دليل إيمانه:

إن من يقرأ شعر أبي طالب أو يسمعه يقطع بإيمانه !! إذا يا ترى ما هو موقف مشركي مكة من هذا الشعر، فهل كان أبو طالب قوله بعيداً عن اسماع المشركين؟ نجد أن بعضه قاله بوجه المشركين وبمسمى منهم!

والملاحظ ان فترة المقاطعة قد تكون حدا فاصلاً بين فترتين متميزتين من حياة أبي طالب بعد ظهور الإسلام ألا وهي فترة السر وهي الفترة السابقة للمقاطعة، ولكن حينها ادرك المشركون أن أبا طالب قد آمن بدعوة ابن أخيه لذا اصدروا بحقه أقسى العقوبات ألا وهي المقاطعة، حيث كان أبو طالب هو كبير المقاطعين والمحصورين، فدعابني هاشم لنصرة النبي عليه السلام وتأييده واستنكر موقف القرىشيين هذا شرعاً.

فهل ان شعر أبي طالب جاء بعد المقاطعة؟ خاصة إذا علمنا ان القائلين بإسلامه يقولون بأن أبا طالب كتم إسلامه بغية حماية النبي عليه السلام؟ فكيف يتأتى ذلك مع شعره الصريح بإيمانه !!؟

اما بالنسبة إلى موقف ابن أبي الحميد السلبي وعدم اتخاذه قرارا واضحا معتمدا على دليلين: الأول: تعارض أدلة القائلين ببقاءه على دين قومه مع أدلة القائلين بإسلامه.

والواقع إن عدد الأدلة التي ساقها لبيان بقائه على دين قومه لا تتجاوز التسع أدلة بينما أورد ثلاثة وعشرين دليلا على إيمانه وفي هذا نجد موقفا خفيا لابن أبي الحميد!!؟

الثاني: ما ورد في رسالة محمد ذي النفس الزكية إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ، وقول «ذى النفس الزكية» فيها: (أنا ابن خير الاخيار، وأنا ابن شر الأشرار)، (إإن هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر وهو ابنه وغير متهم عليه) وأضاف: وعهده قريب من عهد النبي ﷺ ولم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلاً.

نظرة في رسالة محمد ذو النفس الزكية:

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من كبار رجالات أهل البيت خلقا وعلما حتى سمي بذى النفس الزكية لزهده ونسكه، وحينما لاحت علامات ضعف وانحلال الدولة الأموية، أخذ رجالات البيت الهاشمي بعقد الاجتماعات ومداولة الرأي، وقد عقد في الأبواء اجتماعا، كان الأول سنة ١٢٦ هـ اما الثاني سنة ١٢٩ هـ لبيعة ذي النفس الزكية، فلم تتم فيما البيعة لأن الدعوة العباسية كانت قد أتت أكلها، وسرعان ما قامت الدولة العباسية، فاختفى محمد ولم يبايع لأبي العباس السفاح ١٣٢-١٣٦، وقد إراد الأخير أن يقدم صورة لخلافة هاشمية، فلم يتعرض لأبناء عمته العلويين، ولكنه

لما جاء أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨)، لم يقنع إلا ببيعة محمد، متخذًا جملة من الاجراءات التي اضطرت محمدًا للخروج في المدينة، وهنا أشارت المصادر إلى أن الخليفة وجدتها فرصة للاعلان عن الرواية العباسية في نظرية الخلافة، فكانت ثلاث رسائل تبودلت بذاتها المنصور، وأجاب محمد عن الأولى ثم اعاد الخليفة الجواب، فيما لم تشر المصادر لرسالة جوابية ثانية من محمد لتكون أربع رسائل وكان من جملة ما ورد في رسالة محمد عبارة (أنا ابن خير الاخيار، وأنا ابن شر الاشرار) ^(١).

هنا لنطرح عدة حيالات حول ذلك:

أولاًً: ان هذه الرسائل ^(٢) إنما كتبت لإثبات من هو الأحق بمنصب الخلافة، إذن يجدر بمحمد أن يبحث عن أدلة تؤيد أحقيته، فهل يعقل أن نجد محمدًا يسجل على نفسه وبقلمه عند خصميه هذا الدليل الذي يعد طعنا فيه وليس له؟ كيف يجوز لعاقل أن يظن صدور مثل هذا القول من محمد وهو في

(١) البلاذري: انساب الاشراف ٢/٧٥-٧٥. مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ص ٣٨٥-٣٨٥. الطبرى: تاريخ ٧/٥١٧-٦٠٩. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٥٧-٣٨٨، ٣٨٩. مؤلف مجهول: العيون والخدائق ص ٢٣٠-٢٥٠. القالى: ذيل الامالي ص ١٢٠. ابن عنبه: عمدة الطالب ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) أنظر هذه الرسائل في البلاذري: انساب الاشراف ٢/٩٥-٩٥. المبرد: الكامل في اللغة والادب ٤/١١٣-١٢٠. الطبرى: تاريخ ٧/٥٦٥-٥٧١. ابن عبد ربہ: العقد الفريد ٥/٧٩-٨٥. الازدي: تاريخ الموصل ١٨٢-١٨٧. مؤلف مجهول: العيون والخدائق ص ٢٤٠-٢٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٢١-٢٢٤. القلقشندى: صبح الاعشى ١/٢٣١-٢٣٥. صفوة: جمهرة رسائل العرب ٣/٨٤-٩٦. وانظر تحليل لهذه الرسائل، فاروق عمر: العباسيون الاوائل ١/١١٨-١٣٤.

وقت ملوء حماساً وافتخاراً؟ وإذا كان محمد ابن شر الأشرار فأي فخر يبقى له؟!!^(١).

ثانياً: لو قبلنا بصححة ذلك جدلاً فهل هناك من يقول إن أبي طالب شر الأشرار؟ فهل هو شر من أبي هب الذي صرخ القرآن به، وأبي جهل فرعون هذه الأمة، والوليد بن المغيرة الذي توعده القرآن بسقر؟!^(٢).

ثالثاً: ولو تزلنا بعد وقلنا بصدور ذلك من ذي النفس الزكية فما هو الدليل على أن قصد محمد بشر الأشرار هو أبو طالب فقد يكون قصده جده لأمه، عبد العزى، فأم محمد هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى، وكان عبد العزى من مشيخة قريش ومسركيمهم^(٣) وقد يقصد جده زمعة بن الأسود^(٤)، أحد المناوئين للنبي ﷺ.

رابعاً: يرى ابن أبي الحميد أنه لا يمكن القول بافتعال ذلك على محمد لأن عهده قريب من عهد النبي ﷺ فلم يطل الزمان حتى يكون الخبر مفتعلة.

ان المتبع لما ورد في شرح ابن أبي الحميد يكاد يقطع بأن ابن أبي الحميد لا يقتنع نفسه بهذا الدليل - حيث أكد في مناسبات عدة على أن مسألة الوضع في الحديث قد بدأت في عهد معاوية، حتى أن الأخير وضع اشخاصاً لهذا

(١) العاملی: شیخ الابطح ص ٨١. الخنیزی: أبو طالب ٢٩٦-٢٩٥.

(٢) العاملی: شیخ الابطح ص ٨١.

(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب ص ١٠٣. العاملی: شیخ الابطح ص ٨٢. الخنیزی: أبو طالب ٢٩٦-٢٩٨.

(٤) من ألد أعداء النبي ﷺ وقتل في معركة بدر. أنظر: الطبری: تاريخ / ٢ ، ٤٣٧ ، ٤٥٨ ، ٣٧٠ .

الغرض^(١)، مع أن الإمام علياً يرى أن الوضع في الحديث قد بدأ في عصر النبي عليه السلام ولذا نجده عليه السلام يتوعّد أولئك ويقول: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار^(٢).

فإذا كان الوضع قد افتعل على النبي عليه السلام في زمانه، فمن باب أولى أن نجده في العصور اللاحقة، ولا داعي للافاضة في هذه المسألة فهي من المسلمات.

خامساً: بدأ المنصور بإرسال رسالة ممزوجة بالترغيب والترهيب إلى محمد، وكأنه إراد استشارته حتى إذا جاءت رسالة محمد الجوابية، نجد الخليفة وكأنه يريد أن يوضح نظرية العباسين في الخلافة، محاولاً ابطال النظرية العلوية، إلا أننا بعد ذلك لا نجد رسالة لمحمد للإجابة على النظرية التي طرحتها الخليفة؟ فهل هذا يعني اقتناع محمد بما جاء به المنصور؟ أو رأى أن الإجابة لا تجدي نفعاً؟ أم أن هناك رسالة ولكن يداً خفية أخفتها؟!.

سادساً: إن مخدداً قد قتل وتشتت أصحابه بين القتل والسجن والتشريد، فلم يكن لدينا مصدر عن هذه الرسائل إلا بلاط الخليفة العلوي!!.

سابعاً: ولنأت الآن إلى مصدر هذه الرسائل ورواتها:

مصدرها لدى البلاذري: هو ابن حرب. وقد أورد الذهبي شخصيتين بهذا الاسم، قال بحق الأول: مجھول، أما الآخر فهو: واه^(٣).

(١) الشرح: ٤/٣٨، ٦٣-٧٣/١١، ٥٠-٣٨.

(٢) الشرح: ١١/٣٨. وآخر حديث النبي الترمذى: صحيح ١٢/١٦٧. ابن ماجه: صحيح ١/١٢-١٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتلال ٤/١٣، ٥١٣.

مصدرها لدى الطبرى:

قال الطبرى: قال عمر بن شبة: حدثني محمد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمد بن بشير وكان بشير يصححها وحدثنها أبو عبد الرحمن من كتاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت ابن أبي حرب يصححها، ويزعم ان رسالة محمد لما وردت على أبي جعفر قال أبو ایوب: دعني أجبه عليها، فقال: أبو جعفر: لا بل أنا أجبيه، إذا تقارعنا على الاحساب فدعوني وإياه.

بدءاً يتضح ان هناك شكوكا في الرسائل ولذا نجد محمد بن بشير يصححها، ولا ندرى ماذا يقصد بالتصحيح؟ ويدرك لفظة (ويزعم) وهي من الفاظ الشك والتمريرض.

اما بالنسبة إلى الرواية، فابن أبي الحرب، لم نجد شخصاً بهذا الاسم، وقد يكون ابن حرب الذي ذكره البلاذري ولاحظنا القول فيه.

الحكم بن صدقة بن نزار: لم أجده في كتب التاريخ أو الجرح والتعديل شخصاً بهذا الاسم حيث اطلعت على كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وميزان الاعتدال للذهبي، وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر وغيرها.

أبو عبد الرحمن: ذكر الذهبي سبعة اشخاص بهذه الكنية وقد طعن فيهم كلهم. (١)

محمد بن بشر: ذكر الذهبي ستة اشخاص بهذه الاسم ولم يسلم أحد من تجريحه. (٢)

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٥٤٦-٥٤٧.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٤٩١-٤٩٢.

محمد بن يحيى: قال فيه محمد ابن أبي حاتم: شيخ، وقال السليماني: حدثه منكر، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربها خالف وقال عمر بن شبه: كان كاتباً وابوه كاتباً وجدها كاتبين، وكان عميه كاتباً بينما عدّه ابن حزم مجهولاً، أما الدارقطني وابن حجر فقا لا فيه ثقة ^(١).

مصدرها لدى ابن عبد ربه في العقد الفريد: قال: حدث عبد العزيز بن عبد الله البصري عن عثمان بن سعيد بن سعد المدنى ^(٢).

بالنسبة إلى عبد العزيز بن عبد الله البصري فقد قال فيه الذهبي (تكلم فيه ابن عدي وقال: هو القرشي البصري، ثم ساق له أحاديث تستنكر، وقال: عامة ما يرويه لا يتبعه عليه الثقات) ^(٣).

في حين عجزت كتب الجرح والتعديل أن تجد لها مكاناً تضع فيه عثمان بن سعيد بن سعد المدنى، حيث لم أجده ذكراً في كتاب الجرح والتعديل لأبي حاتم ولا الكامل في الضعفاء لابن عدي ولا ميزان الاعتدال للذهبى، ولا تقرير التهذيب وتهذيب التهذيب لابن حجر. إذن فهو من مجاهيل الرواية، إن لم يكن مختلفاً.

والآن لنطرح سؤالاً: لماذا قام أبو طالب بن نصرة النبي صلوات الله عليه وسلم؟.

إن أي دارس للدعوة الإسلامية في مكة المكرمة يجد أن أبو طالب كان

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/٤، ١٢٣، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/٤، ٦٢، ابن حجر: تقرير التهذيب ٩/٥١٧-٥١٨، تهذيب التهذيب ٢/٢١٨.

(٢) العقد الفريد ٥/٧٤.

(٣) ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٦/٥١١-٥١٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/٦٣٠.

عماد هذه الدعوة^(١)، الذي ما إن زال حتى بان الضعف فيها، فأعطى الأعداء الفرصة لمحاولة الأجهزة عليها.

فبداءً نجد أبا طالب يحتضن الدعوة منذ يوم الإنذار^(٢)، ونجده يجيب النبي ﷺ قائلاً لأبي هب: (والله لننصره ثم لنعيته). يا ابن أخي إذا أردت أن تدعوا إلى ربك فأعلمها حتى نخرج معك بالسلاح)^(٣).

وهنا أخذ النبي يباشر دعوته بإسناد عمه، الذي بدوره أسنده ولديه عليا وجعفرا ودعاهما لنصرة النبي ﷺ وخصص عليا للمنام في فراش الرسول ﷺ إذا ما أحس بوجود خطر عليه يوماً ما^(٤). ثم أخذ أبو طالب على عاتقه الرد

(١) يقول ابن كثير: (وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاباة والمحاجة والمانعة عن الرسول ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه، وما قال فيه من المادح والثناء، وما أظهره له ولا أصحابه من المودة والمحبة والشفقة في اشعاره التي اسلفناها وما تضمنته من العيب والتنيق من خالقه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التي لا تدانى ولا تسامي، ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها، وهو في ذلك كله يعلم ان رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) صادق بار راشد ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه، وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري ... كان أبو طالب يصد الناس عن أذية الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقاتل ونفس ومال. ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدافعة التي يجب الإيمان بها، والتسليم لها، ولو لا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترجمتنا عليه). البداية والنهاية ٣/١٢٦. أقرأ وتعجب!!؟

(٢) حينما نزل قوله تعالى: [وانذر عشيرتك الأقربين]. سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٣) اليعقوبي: ٢/٢٤

(٤) الشرح: ١٣/١٤، ٢٠٠، ٥٣/٦٤، ٧٥-٧٦. أبو نعيم: دلائل النبوة ١/٢٢٧

بيد من حديد لكل من تسول له نفسه إيذاء النبي ﷺ بالقول أو الفعل كما فعل مع ابن الزبرى^(١)، ومع أبي جهل.^(٢)

ولما لم تجده قريش من وسيلة لإيقاف النبي ﷺ عن مواصلة دعوته لجأت إلى عمه أبي طالب تقدم الاقتراحات لتسوية الخلافات، وما كان من أبي طالب سوى القيام بدور ذكي وكأنه دور الوسيط فيبعث للنبي ﷺ ويعرض عليه اقتراح قومه، وحينما يرفض النبي ﷺ نجد أبا طالب يعلن تجديده لعهده بحماية النبي ﷺ ودعوته وإياده لمواصلة منهجه في الدعوة إلى التوحيد.^(٣)

ولما شعر المشركون بأن أبا طالب وكأنه شريك للنبي ﷺ في دعوته قرروا أن تكون العقوبة شاملة لأبي طالب فكانت مقاطعة قريش لبني هاشم جائعاً عدوا أبي هلب^(٤).

وفي الواقع إن المقاطعة إنما كانت سلاحاً موجهاً ضد أبي طالب لإرغامه على ترك حماية النبي ﷺ، وأما مقاطعة بني هاشم فلعلهم بأنهم تبع لأبي طالب، فإذا ما تم ثني أبي طالب عن عزمه فهنا ينتهي دور بني هاشم بصورة طبيعية مما يسهل عليهم الإجهاز على النبي ﷺ.

ولكننا نجد أبا طالب يهب داعياً بني هاشم لنصرة النبي ﷺ وتأييده ولما

(١) أنظر القرطبي: الجامع ٦/٢٦١.

(٢) الشرح: ١٤/٧٢، وانظر ابن معد: الحجة ص ٢٢٤.

(٣) الشرح: ١٤/٥٣-٥٥، ٧٤. أنظر: الطبرى: تاريخ ٢/٣٢٣-٣٢٧. الحاكم: المستدرك ٣/٦٦٧.

الواحدى: أسباب النزول ص ١٤٩. ٢٤٦-٢٤٧. التويرى: نهاية الارب ١٦/١٩٩-٢٠٢.

(٤) الشرح: ١٤/٥٨-٦١. وانظر اليعقوبى: التاريخ ٢/٢٦-٢٧. الطبرى: تاريخ ٢/٣٣٥.

. ٣٤١-٣٤٣

رأى استجابتهم سره ذلك وأعلن ذلك شرعاً^(١)، ولم يكتف بذلك بل أعلن استنكاره على قريش فعلهم هذا نظماً ونشرها واعتبره مثابة لقريش.^(٢)

وعلى مدى ثلاط سنوات عانى أبو طالب الأمررين من أثر الحصار حتى إذا علم النبي ﷺ بأن صحفة المشركين قد اكلتها الأرضية إلا ما كان من (باسمك اللهم) جاء ﷺ وأخبر عمّه، الذي سرعان ما ذهب إلى أندية قريش مخبراً إياهم بما أخبره به النبي ﷺ وهو على ثقة من كلام النبي ﷺ^(٣). وبذلك أعلن أبو طالب فشل مقاطعتهم وخرج بنو هاشم من الحصار الذي كان تجربة قاسية ومثلاً من أمثلة التضحية والإباء.

وما هي إلا أيام حتى كان أبو طالب يعيش في آخر أيامه، فدعا قريشاً وأوصاهم ومن جملة وصاياه أوصاهم بالنبي ﷺ خيراً^(٤).
إن الملاحظ على ذلك امран:

الأول: إن كان أبو طالب على دين عبد المطلب الذي هو كما يرى البعض دين الوثنية، إذا أليس الأجدر به أن يثار لأبيه صاحب المكانة الكبرى لدى

(١) الشرح: ٦٤-٥٦/١٤. وانظر: الطبرى: تاريخ ٢/٣٢٧-٣٢٨.

(٢) الشرح: ٧٢-٧٣، ٧٩. وانظر: ديوان أبي طالب، ط بحر العلوم ص ١٧.

(٣) اليعقوبي: التاريخ ٢/٢٧. أبو نعيم: دلائل النبوة ص ٢٢٩-٢٢٨. التورى: نهاية الارب ١٦/٥٩. ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٩٧. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٣٧٥. الحلبي: السيرة الخلبية ١/٣٧٣-٣٧٤. دحلان: اسنن المطالب ص ١٥-١٦. الشبلنجي: نور الابصار ص ١٢.

(٤) سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٨. السهيلى: الروض الانف ١/٢٥٩. السيوطي: الخصائص الكبرى ١/٢١٥. الديار بكري: تاريخ الخميس ١/٣٠٠-٣٠١. الحلبي: السيرة الخلبية

١/٣٨٣. دحلان: اسنن المطالب ص ٧-٨، ٦٢-٦٣.

قريش خاصة والعرب عامة؟ كيف يتسع لأبي طالب أن يحمي ابن أخيه حول أمر هو أول المدانين عليه؟ فالنبي عليه السلام كان يسفه أحلام المشركين ويطعن في عقولهم علينا وصراحة ويتوعدهم بالهلاك في الدنيا والجحيم في الآخرة، فهل كان هذا الوعيد الذي يشمل المشركين لا يشمل أبا طالب إن كان مشركاً؟ وهل يشمل عبد المطلب أم لا؟.

المعروف ان العصبية للأباء والأجداد أشد من العصبية للأبناء:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾^(١).

إذا فحرّي بأبي طالب إن كان مشركاً أن يثار لعقيدته وعقيدة أبيه التي سفهها النبي عليه السلام.

الثاني: كان أبو طالب مع بدء الدعوة الإسلامية في قمة مجده فهو شيخ الأبطح، وإليه المرجع في الأحكام ليس لدى قريش فحسب بل عند العرب عامة حيث عدّ من الحكماء وكان قد استنبط بعض الأحكام. وعندما بدأت الدعوة الإسلامية نجد العباس لا يتخذ بشأنها قراراً قائلاً: (ننتظر رأي الشيخ) حيث أن أبو طالب قد حاز مجد أبيه السياسي والاجتماعي.

إذاً أليس الأجرأ بأبي طالب أن يحافظ على هذا المجد ويقف أمام أي محاولة للطعن فيه؟ أم أنه وجد في دعوة النبي عليه السلام مجدًا أعظم من ذلك المجد؟ فيا ترى ما هو المجد الذي جعل أبو طالب يمضي السنتين عشرة الاخر من حياته في صراع مع قريش لفسح المجال للرسول عليه السلام لنشر دعوته!!؟.

بعد هذا التحليل يأتي التساؤل حول السر في توقف ابن أبي الحميد في أمر

إسلام أبي طالب، فمن خلال تحليلات أخرى لابن أبي الحميد يتضح أن مسألة توقفه قد تكون مجرد مسألة توفيقية لا اعتقادية ومن هذه التحليلات:

أولاًً: أشار ابن أبي الحميد أن أحد الطالبين في زمانه ولم يشر إلى اسمه وضع كتاباً حول إسلام أبي طالب، وقدمه إليه، ليكتب عليه بخطه إما شعراً أو نثراً وليشهد بصحة ذلك بوثيقة الأدلة عليه. ومن خلال بحثنا قد تبين لنا أن هذا الطالبي هو - شمس الدين فخار بن معبد الموسوي^(١) أحد شيوخ ابن أبي الحميد وقد وصل كتابه هذا إلينا باسم (الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) وقد اعتمدته ابن أبي الحميد كثيراً في إيراد أدلة القائلين بإسلام أبي طالب إلا أنه لم يشر لذلك.^(٢)

قال ابن أبي الحميد: (فتحرجت أن أحكم بذلك حكمًا قاطعاً لما عندي من التوقف فيه، ولم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب فإني أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظهر المجلد:

لما مثل الدين شخصاً وقاما	ولولا أبو طالب وابنه
وهذا بيشرب جس الحماما	فذاك بمكة أوى وحاما
واودى فكان علي تماما	تكفل عبد مناف بأمر

(١) هو النسبة السيد شمس الدين أبو علي فخار بن معبد بن فخار بن معبد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم المجاوب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. توفي سنة ٦٠٣ هـ. وله مؤلفات عدة أنظر ترجمته: البحرياني: المؤلفة ص ٢٨٠، الخوانصاري: روضات الجنات ٥/٢٣، الأمين: أعيان الشيعة ٤٢-٢٦٣. الأميني: الغدير ٧/٤٠.

(٢) وقد اعتمدته في مواضع أخرى وأشار له مثل ١/١، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ١٤، ٨٣/١٥، ٢٣/١٥.

قضى ما قضاه وابقى شماما والله ذا لالمعالي ختاما جهول لغا أو بصير تعامي من ظن ضوء النهار الظلاما	فقل في ثبیر مضى بعد ما فلله ذا فاتحـا للهدى وما ضر مجـد أبي طالب كما لا يضر إيهـا الصـباح
----------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------

قال ابن أبي الحديد بعد ذلك: (فوفيته حقه من التعظيم والإجلال ولم أجزم بأمر عندي فيه وقفـة)^(١)، ولكن لنتسائل عن قول ابن أبي الحديد أعلاه: وما ضر مجـد أبي طالب فانا لم نقرأ أو نسمع أن أحدا طعن في أبي طالب في شيء غير إسلامـه، اذن فكل من طعن في ذلك عند ابن أبي الحديد هو (جهول لغا أو بصير تعامي) وهذا لا يضر مجـد أبي طالب ولكن ماذا نقول لابن أبي الحديد إذا كان هو في صـف أولئـك أم إن هناك امراً خـفـياً!!! .

ثانياً: في حديثه عن أديان العرب قبل الإسلام قسم ابن أبي الحديد العرب على قسمين، المعطلة: وهم عباد الأصنام والكواكب، وأدخل معهم إليهـود لقوهم بالتجسيـم، والنصارـى لقوهم بالـشـيـثـ. أما القسم الثاني: غير المعطلة: أي المتألهـون وهم اصحاب الورع والتحرـج عن القبـائـح وعـدـ منهم عبد المطلب وولـديـه أبا طـالـب وعبد الله.^(٢) .

ثالثـاً: عـدـ ابن أبي الحديد أبـوـهـ أبوـهـ طـالـبـ من فضـائلـ الإمامـ عليـ عليهـ السلامـ، إذ يقول: (ومـاـ أـقـولـ فيـ رـجـلـ أـبـوـهـ أـبـوـهـ طـالـبـ سـيدـ الـبـطـحـاءـ وـشـيـخـ قـرـيـشـ وـرـئـيـسـ

(١) الشرح: ١٤/٨٣-٨٤.

(٢) الشرح: ١/١٢٠.

مكة) (١).

وقال أيضاً: (إن علياً كان يدعى التقدم على الكل، والشرف على الكل، والنعمة على الكل، بابن عمه عليه السلام: وبنفسه وبأبيه أبي طالب، فإنه من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً). (٢)

والظاهر أن هذا الرأي قد واجه نقداً فعقب ابن أبي الحديد قائلاً: (وليس لقائل ان يقول: كيف يقال هذا في دين تكفل الله تعالى بإظهاره سواء كان أبو طالب موجوداً أو معدوماً! لأننا نقول: فينبغي على هذا أن لا يمدح رسول الله عليه السلام ولا يقال: إنه هدى الناس من الضلالة، وأنقذهم من الجهلة، وأن له الحق على المسلمين، وإنه لو لا عبد الله تعالى على الأرض وألا يمدح أبا بكر، ولا يقال: إن له أثراً في الإسلام وإن عبد الرحمن وسعداً وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين في الذين اتبعوا رسول الله عليه السلام لتابعه لهم، وإن له يداً غير ممحودة في الإنفاق واشتراء المعدن، وإعتاقهم، وإنه لو لاه لاستمرت الردة بعد الوفاة، وظهرت دعوة مسلمة وطليحة، وإنه لو لا عمر لما كانت الفتوح، ولا جهزت الجيوش، ولا قوي أمر الدين بعد ضعفه، ولا انتشرت الدعوة بعد خموها).

وأضاف: (فإن قلتم في كل ذلك: إن هؤلاء يحمدون ويثنى عليهم، لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم ووقفهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة ووسائل تحري الواقع على أيديها فحمدهم والثناء عليهم، والاعتراف لهم إنما هو باعتبار ذلك قيل: لكم في شأن أبي طالب

(١) الشرح: ٢٩/١.

(٢) الشرح: ١٤٢/١.

رابعاً: في شرحه لوصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن بضرورة السير على سنة السلف الصالح، أشار ابن أبي الحديد أن الإمامية وكثيراً من المعتزلة يرون أن أبو طالب من السلف الصالح. (٢)

خامسًا: عد ابن أبي الحديد أبو طالب من أباء الضييم في قوله عند نصرة النبي عليه السلام: (٣)

كذبتم وبيت الله نخلي محمداً
 ولانطاعن دونه ونناضل
 ونذهب عن ابناها والحلائل

وقد قيّض الله تعالى للإمام علي عليه السلام أمّاً تعد من شواخص نساء التاريخ وهي السيدة فاطمة بنت اسد بن هاشم (٤) الزوجة الوحيدة لأبي طالب فأنجبت له أولاده الأربعة عقبلاً وجعفراً وعلياً وام هانئ. وهي أول هاشمية تلد هاشمي، أسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة، وهي أول امرأة بايعت الرسول عليه السلام من النساء.

كان عليه السلام يكرّمها ويُعظّمها ويدعوها (أمي) لأنّها هي التي احتضنته صغيراً منذ كان في السادسة من عمره حيث توفّت أمّه آمنة بنت وهب، فأوصى عبد

(١) الشرح: ١٤٢/١.

(٢) الشرح: ٧١/١٦.

(٣) الشرح: ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) أنظر ترجمتها: ابن سعد: الطبقات ٨/٢٢٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩١. ابن المغازلي: مناقب ص ٦، ٧٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٥٤. ابن الأثير: اسد الغابة ٥/١٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٩-١٠. ابن حجر: الاصابة ٤/٣٨٠.

المطلب برعايته عليه السلام لأبي طالب.

وقد هاجرت فاطمة إلى المدينة، ولما حضرتها الوفاة أوصت إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فقبل وصيتها وصلى عليها، ونزل في لحدها، واضطجع معها فيه، بعد أن ألبسها قميصه، فقال له أصحابه: إنما رأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ما صنعت بها. فقال: إنه لم يكن أحد أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسي من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر.^(١)

تجدر الإشارة إلى أنها من الموحدين قبل الإسلام ولم يؤثر عندها أنها سجدت لصنم.^(٢) حتى تشير الروايات أنها اتخذت من الكعبة مكاناً لولادة ابنها الأصغر عليها^(٣) كما سنرى في الفصل القادم.

يخلص ابن أبي الحميد^(٤) في شأن نسب الإمام للقول: (فآباوه آباء رسول الله وأمهاته أمهات رسول الله وهو منوط بلحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب، وأمهما واحدة فكان منها سيدا الناس هذا الأول وهذا الثاني، وهذا المنذر وهذا الاهادي).^(٥)

(١) الشرح: ١٤-١٣/١. وانظر: الصاحب بن عباد: عنوان المعرف ص ٤٣. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٤-٥. الحاكم: المستدرك ٣/١١٧.

(٢) الشبلنجي: نور الابصار ص ٧٦.

(٣) أنظر تفاصيل ذلك في كتابنا (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوبة لغيره.. الحلقة الأولى.. الولادة في الكعبة، الصفحات جميعها).

(٤) الشرح: ١/٣٠.

(٥) إشارة لقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ سورة الرعد، آية ٧، حيث يشار إلى نزولها في النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه باعتباره

المنذر، والإمام على عليه السلام الاهادي. أنظر الطبرى: جامع البيان ١٣/١٠٨. الحاكم: المستدرك

ومن كان يفتخر به الإمام عليه السلام عمه (حمزة)^(١) الذي أسلم مع بو اكير الدعوة الإسلامية، وكان لنصرته للرسول عليه السلام مداعاة لارتياح أبي طالب الذي مدحه بشعره. وقد تميز حمزة بالشجاعة حتى عُرف بأسد الله وأسد رسول الله، لذلك نجده مع الإمام علي عليه السلام وعيادة بن الحارث أول من يتقدم لحرب المشركين في أول مناجزة عسكرية.

وكان من ثبت يوم أحد حيث استشهد، وترك مقته أثراً سلبياً في نفس النبي عليه السلام^(٢).

وكان الإمام عليه السلام يفتخر به ويقول^(٣):

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

ويرى ابن أبي الحديد^(٤) انه لو كان حمزة حياً لما بايع علياً عليه السلام بل كان يدعو إلى نفسه لأنَّه كان جباراً، قوي النفس، شديد الشكيمة ذاهباً بنفسه، شجاعاً بهمه، وهو العم والأعلى سنًا، وآثاره في الجهاد معروفة.

. ٣٥٩-٣٥٨ / ٣٤٠ . ابن كثير: البداية والنهاية / ٧

(١) انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب / ١-٣٦٩-٣٧٥ . ابن الأثير: اسد الغابة / ٢-٤٦-٥٠ . ابن حجر: الاصادبة / ١-٣٥٣-٣٥٤

(٢) لا زالت سيرة -حمزة بن عبد المطلب- موضع اهمال من قبل الباحثين، حيث انه يمثل انموذجاً للفروسية عند العرب.

(٣) الشرح / ٤-١٢٢ . وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤ . ابن طلحة: مطالب المسؤول ص ٣٠ . الطبرسي: الاحتجاج / ١-١١٢ . المازندراني: مناقب آل أبي طالب / ٢-١٩ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣٠ . الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ١٠٧ .

(٤) الشرح / ١١-١١٥ .

والظاهر ان ابن أبي الحميد أراد أن يعرف وجهة نظر الإمامية في هذه المسألة، فتوجه إلى شيخه النقيب أبو جعفر^(١) الإمامي المذهب. فكان رأي النقيب؛ أن هناك من الأدلة التي ثبت أن حمزة لو كان حياً لتابع علياً ولبياعه، ومن هذه الأدلة:

إن حمزة رحمه الله كان صاحب دين متين، وتصديق خالص للرسول صلوات الله عليه.

إن حمزة لو عاش لرأى من أحوال الإمام علي صلوات الله عليه مع الرسول صلوات الله عليه ما يدفعه لتابعه وبياعته.

أين خلق حمزة السبعي، من خلق الإمام علي صلوات الله عليه المزوج من خلق حمزة السبعي. وخلق على الروحاني، فاتصفت نفس علي بالخلقتين معاً.

أين هيولانية^(٢) نفس الحمزة، وخلوها من العلوم من نفس علي القدسية التي ادركت بالفطرة لا بالقوة التعليمية ما لم تدركه نفوس مدققي الفلاسفة الالهيين! فلو أن حمزة رحمه الله كان قد بقي حياً ورأى من علي ما رأى غيره لكان أتبع من ظله وأطوع له من أبي ذر والمقداد.

أما كون حمزة العم والأعلى سناً، فكذلك كان العباس، وقد بذل خدماته علي، ثم أن الأعماں ما زالت تخدم ابن الاخ، كما فعل أبو طالب وحمزة والعباس في موقفهم من ابن أخيهم الرسول صلوات الله عليه، وكما خدم أولاد علي العباسي ابن أخيهم

(١) لمزيد من التفاصيل عنه أنظر: مصطفى جواد: أبو جعفر النقيب ص ٨ وما بعدها.

(٢) هي القوة في الإنسان وهي في النفس بمنزلة القوة الناظرة في العين. أنظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٨١. بنسي: مذهب الذرة ص ٤٦-٤٧. صليبا: المعجم الفلسفـي ٥٣٦-٥٣٧.

أبا العباس السفاح.^(١)

ويرى ابن أبي الحميد ان لقب «سيد الشهداء» الذي اطلق على حمزة عليهما السلام يقصد منه الشهداء في حياة النبي عليهما السلام ولا يشمل علياً عليهما السلام لأن علياً أفضل من حمزة وسيده، بل هو سيد كل الناس، وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المعتزلة^(٢).

ومن كان يفتخر به الإمام علي عليهما السلام ويعد من فضائله أخوه جعفر بن أبي طالب^(٣) حيث يقول فيه مفتخرأ^(٤):

وجعفر الذي يضحى ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي

الذي أسلم منذ باكير الدعوة الإسلامية، واستجاب لأمر والده في نصرة النبي عليهما السلام مع أخيه علي^(٥)، ثم اختاره الرسول عليهما السلام سفيراً إلى الحبشة حيث

(١) الشرح ١١٥-١١٦.

(٢) الشرح ١٥/١٩٣. وإلى هذا الرأي يذهب أيضاً الحسن البصري. الشرح ٤/٩٦.

(٣) أنظر ترجمته: الطبرى: المنتخب ص ٤٩٤-٤٩٥. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣-١٠. الحاكم: المستدرك ٣/٢٣٥-٢٣٧. ابن الجوزي: صفة الصفوقة ١/٥١١. ابن الأثير: اسد الغابة ١/٢٨٦. ابن حجر: الاصابة ١/٢٣٧-٢٣٨.

(٤) ابن المغازى: مناقب ٤٠٤، الطبرى: الاحتجاج ١/١١٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ١٠٧. ابن طلحة: مطالب السئول ٣٠. الجويني: فرائد الس冨طين ٤٢٧. الميتمى: الصواعق ١٣٠.

(٥) كان للامام أخوة اخرين أكبرهم طالب، الذي لا يعرف عنه شيء سوى انه هلك في الجاهلية، ولعله شخصية اسطورية، مأخوذه من كنية أبي طالب ليس إلا، والثاني عقيل الذي أسلم متأنخراً وكان البعض يروى ان النبي عليهما السلام يحبه حين حب طالب له وحب له. ويعد عقيل من عرف بعلم الانساب عند العرب. وقد أسيء فهم موقفه من الإمام علي ومعاوية -كما سنالاحظ- ويشار إلى أن أولاده صرعوا كلهم مع الحسين عليهما السلام في كربلاء. وكان للإمام أخت تدعى أم هانىء

تزعيم مهاجري الحبشة، فكانت أول هجرة في الإسلام، حيث بقي هناك حتى السنة السابعة للهجرة^(١).

تجدر الاشارة إلى أن اختيار (جعفر) لهذه المهمة من بين سائر المسلمين فيه دلالة على مكانته المتميزة لدى الرسول ﷺ وقدرته على ما أُسنَد إليه من مهام فكان أول سفير في الإسلام^(٢).

وبعد عودته في أيام فتح خيبر سنة ٧٦هـ، قال ﷺ: لا أدرى بأيهما أشد فرحاً بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟^(٣) ثم قال له: أشبهت خلقي وخلقي^(٤).

ثم سير الرسول ﷺ جيشاً لحرب الروم البيزنطيين، رتب له ثلاثة من القادة، اختلف في الأول هل هو جعفر أم زيد بن حارثة، وأضاف لها عبد الله ابن رواحة.^(٥)

أشاد الرسول بشجاعتها، قائلاً: لو أن أبا طالب اولد كل الناس لولدوا شجاعاناً وكان لها ولد يدعى هبيرة كان من المساندين للإمام أيام خلافته. أنظر: الزخيري: ربيع الابرار ١/٨٦٩. ابن حجر: الأصابة ٢/٤٩٤، ٤/٥٠٣.

(١) عن الهجرة إلى الحبشة. انظر: الطبرى: تاريخ ٢/٣٢٨-٣٣٢.

(٢) لا زالت سفارة جعفر إلى الحبشة بحاجة إلى مزيد من الدراسة لإلقاء الضوء على أسباب بقائهم لخمس عشرة سنة وما التأثير التي اسفرت عن بقائهم؟

(٣) ابن الأثير: اسد الغابة ١/٢٨٧. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٢١٨، ٢٢٤. المحيimi: مجمع الزوائد ٩/٢٧١-٢٧٢. ابن عنبة: عمدة الطالب ص ٣٥.

(٤) الشرح ١/٢٩. وانظر اليعقوبي: التاريخ ٢/١٠٦. أبو الفرج: مقاتل ص ١٠. الحكم: المستدرك ٣/٢٣٣.

(٥) عن تفاصيل غزوة مؤته انظر: الشرح ١٥/٦١-٧٣. الواقدي: المغازي ٢/٧٥٥-٧٦٧. ابن هشام: سيرة ابن هشام ٣/٣٧٣-٣٨٩.

وقد استنتاج ابن أبي الحديد من خلال شعر حسان بن ثابت، وكتب بن
مالك أن جعفراً هو الأول^(١)، حيث جاء في قصيدة حسان^(٢):

بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر	فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
جبيعاً واسياf المنية تخطر	وزيد وعبد الله حين تتابعوا

أما قصيدة كعب بن مالك الانصاري^(٣):

سحاً كما وكف الرباب المسيل	نام العيون ودمع عينك يهمل
قتلى بمؤته اسندوا لم ينقلوا	وجداً على النفر الذين تتابعوا
طود يقودهم اهزربر المشبل	ساروا امام المسلمين كأنهم
قادم او لهم ونعم الأول	إذ يهتدون بجعفر ولوائه

تجدر الإشارة أن هناك من الأدلة ما تفيد قيادة جعفر للجيش منها:

إن زيداً مولى فلا يعقل ان النبي عليه السلام يقدم مولى على جعفر الهاشمي، إذ لم
يعهد من النبي فعل كهذا.

إن المكانة التي تميز بها جعفر تجعله هو المقدم من حيث كونه هاشمياً كما
ذكرنا. وأول سفير في الإسلام واتصافه بخلق الرسول عليه السلام، وشجاعته المعروفة.

(١) الشرح ١٥/٦٢-٦٤، ١٠/٢٤٩. وانظر: اليعقوبي: التاريخ ٢/٥٥. الطبرسي: اعلام الورى

. ١٠٢

(٢) الشرح ١٥/٦٣-٦٢. وانظرها في الديوان ٩٩-١٠٠. ابن هشام: سيرة ابن هشام ٤/٣٨٤-

. ٣٨٥

(٣) الشرح ١٥/٦٣-٦٤. وانظرها في الديوان ٢٦٠-٢٦٣. ابن هشام: السيرة ٤/٣٨٥-٣٨٦. أبو

الفرج: مقاتل الطالبين ص ٨-٩.

إن الملاحظ لأحداث معركة مؤتة، لا يجد هناك من صدى إلا لجعفر، فهو الذي قطعت يداه في ساحة المعركة، حيث عوضه الله بجناحين يطير بها في الجنة، لذا عرف بجعفر الطيار^(١). وحينها تستعرض الروايات أحداث المعركة لا تفيض في الحديث إلا عن موقفه.

نجد أن أصداة موقف جعفر ماثلة لدى الرسول ﷺ^(٢) والشعراء، بل كان الأجرد بشعراً الأنصار مدح أصحابهم عبدالله بن رواحة، ولكنهم اشادوا بموقف جعفر.

وإشادة حسان وكعب دليل على تقدمه كما اوضح ابن أبي الحديد.

(١) الشرح ١٨٢/١٥ . وانظر: الطبرى: المتخب ص٤٩٤-٤٩٥ . الشريف الرضي: نهج البلاغة

٣٨٦ . الحاكم: المستدرك ٣/٢٣١-٢٣٢ . محب الدين: ذخائر العقبي ص٢٢٦-٢٢٨ .

(٢) اليعقوبى: التاريخ ٢/٥٥-٥٦ . محب الدين: ذخائر العقبي ص٢٢٦-٢٢٨ . الهيثمى: مجمع الزوائد ٩/٣٢٧-٣٧٣ .

الفصل الثاني

نشأة الإمام علي

عليه السلام

في بيت الرسالة

الفصل الثاني

نشأة الإمام علي عليه السلام في بيت الرسالة

ولد الإمام علي عليه السلام داخل الكعبة المشرفة، وكرم الله وجهه عن الخضوع والسجود للأصنام، فكأنما كان ميلاده إيزاناً بعهد جديد للكعبة والعبادة فيها.^(١) هذه الفضيلة التي انفرد بها الإمام علي عليه السلام، حيث الكعبة^(٢) بيت الله الحرام، أقدس بيت في الوجود، وقد جعله الله سبحانه وتعالى قبلة للموحدين في آخر الزمان رغم وجوده منذ القدم.

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يضع منهاجه في الأرض عن طريق خليفة يتخدذه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

فأوجد سبحانه وتعالى الإنسان الذي أدخله في تجربة طويلة، حيث تكفلت

(١) العقاد: عقيرية الإمام علي ص ٤٣.

(٢) الكعبة لغة: كعبت الشيء أي ربعته، والكببة: البيت المربع، وسمى البيت الحرام بالكببة لتكعييه أي تربعه، والعرب تسمى المكان المرتفع كعبه. ابن منظور: لسان العرب ٢١٣ / ٢.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

السماء برسم المنهج، الدستور، النظام، عن طريق ما عرف بسلسلة الأنبياء،
فكان هناك (١٢٤) ألفنبي، كل أرسل إلى قومه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١).

أما طريقة الحياة فكان على الإنسان أن يدخل في صراع مع الطبيعة، وكان
لذلك الصراع أثره في حصول الإنسان على المعرفة حيث اكتشف الزراعة، ثم
الصناعة، ثم التجارة، ثم العلاقات الدولية. وما كان ذلك ليتم إلا بعد زمن
وصراع طويل مع الطبيعة.

وما إن حل القرن السابع الميلادي، وકأن البشرية قد وصلت إلى درجة
من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الإنسان مع الإنسان أينما كان لذا
وصل الإنسان إلى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الأرض، فالمعروف
أن الأنبياء السابقين كانوا أنبياء قومين ما عدا أولي العزم، وكل أرسل إلى
قومه (أنظر سورة الأعراف ٥٩، ٦٥، ٧٣). والكتب السماوية، كانت متباعدة،
وخاضعة لعنصر الزمن، ومحصصة بقوم دون قوم، فما تلبث أن تننسخ لأنها لم تعد
ملائمة لتطور الإنسان.

فأرادت السماء هنا أن تضع منهاجاً واحداً، حيث لا أنبياء متعددون بعد الآن
ولا كتاباً متعددة، ولا اديان متعددة، فالدين الذي سيسود هو الدين الإسلامي:
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢).

والنبي الوحيد الذي سيكون للبشرية اجمع هو النبي محمد ﷺ:

(١) سورة الاسراء، آية ١٥.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٩.

﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾^(١).

والدستور الذي ينظم حياة البشرية جماء هو القرآن حيث أن أحكامه ستتناسب طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان والكل ستتوجه نحو قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة، التي أصبحت قبلة للموحدين، فهي اليوم القبلة الوحيدة التي تحظى بقبول السماء، قال تعالى:

﴿قَدْ نَرَى تَقْلُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِيلَةً تَرْضَاهَا فَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢).

وقد كانت هذه القبلة موضعًا لولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فكانت هذه الفضيلة مما انفرد به^(٣)، حتى عرف باسم (وليد الكعبة).

وقد تصور ابن أبي الحديد أن روایة ولادته في الكعبة هي روایة امامية والواقع إن مسألة ولادته هي اجماع المسلمين^(٤).

وأقدم من أشار إليها الشاعر -السيد الحميري ت ١٧٣ هـ^(٥)- في قصيدة

(١) سورة الأحزاب، آية ٤٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٤.

(٣) هناك روایات لولادة حکیم بن حزام في الكعبة، لكنها روایات مراسیل. انظر ابن بکار: جمهرة نسب قریش ص ٣٥٣. ابن حیب: المحرر ص ١٧٦. تنظر دراستنا عن ولادة حکیم في كتابنا: فضائل أمیر المؤمنین عليه السلام المنسوبة لغیره ص ٢٤٣ ٢٨٤.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١/١٤. ولمزيد من التفاصيل ينظر تأليفنا: فضائل امیر المؤمنین عليه السلام المنسوبة لغیره، الولادة في الكعبة ص ١٤٩-٢٣٨.

(٥) هو اسماعیل بن محمد بن یزید المعروف بالسید الحميري، كان شاعراً ظريفاً وله دیوان شعر مطبوع. انظر ترجمته. ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٣٢-٣٦. أبو الفرج: الاغانی: ٧/٢٤٨-

له إذ قال^(١):

ولدته في حرم الاله وأمنه
بيضاء طاهرة الثياب كريمة
في ليلة غابت نحوس نجومها
ما لف في خرق القوابل مثله
والبيت حيث فناؤه والمسجد
طابت وطاب ولديها والمولد
وببدا مع القمر المنير الاسعد
الا ابن آمنة النبي محمد

ومن ذكرها المسعودي المعتزلي ت ٣٤٦ هـ^(٢) والصدوق ت ٣٨١ هـ^(٣)،
وقال الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ «تواترت الاخبار أن فاطمة بنت اسد
ولدت امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»^(٤).
وقال الشريف الرضي ت ٤٠٦ هـ: «لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره»^(٥).
واشار لها المقيد ت ٤١٣ هـ^(٦)، والشريف المرتضى ت ٤٣٦ هـ^(٧)، والطوسي
ت ٤٦٠ هـ^(٨)، وابن المغازى ت ٤٨٣ هـ^(٩).....

= ٩٧. الطوسي: الفهرست ص ١٠٨. الكشي: رجال ص ٢٤٢-٢٤٥. الخوانساري: روضات

الجනات ١/١٠٣-١١١.

(١) ديوانه ص ١٥٥.

(٢) مروج الذهب ٢/٣٥٨. وينظر الكتاب المنسوب له: إثبات الوصية ص ٣٣.

(٣) الامالي ص ١١٦. علل الشرائع ١/١٣٥. معاني الاخبار ص ٦٢.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/٥٥٠.

(٥) خصائص الأئمة، ط مجمع البحوث الإسلامية ص ٣٩.

(٦) الإرشاد ص ٧. المقنعة ص ٤٦١. مسار الشيعة ص ٥٩.

(٧) القصيدة المذهبية ص ١١٩.

(٨) الامالي: ط دار الثقافة ص ٧٠٦. مصباح المتهجد ص ٨٠٥.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب ص ٧.

..... والفتال ت ٨٥٠ هـ^(١) والطبرسي ت ٥٤٨ هـ^(٢)، وعماد الدين الطبرسي ت بعد ٥٥٣ هـ^(٣) والمازندراني ت ٥٨٨ هـ^(٤).

ونوّه بها ابن طلحة الشافعی ت ٦٥٢ هـ^(٥)، وسبط ابن الجوزي الشافعی ت ٦٥٤ هـ^(٦)، والكنجي الشافعی ت ٦٥٨ هـ، الذي قال «ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإن جلالاً محله من التعظيم»^(٧).

وقال الحسن بن محمد الهادی إلى الحق أحد أئمة الزیدیة في الیمن^(٨):
 وكان في البيت العتیق مولده وامه إذ دخلت لا تقصده
 وأشار لها الاربلي ت ٦٩٣ هـ^(٩) والعلامة الحلي ت ٧٢٦ هـ^(١٠) والجويیني ت ٧٣٠ هـ^(١١)، وأکدتها الذھبی ت ٧٤٨ هـ في تلخیصه للمستدرک^(١٢)،

(١) روضة الوعاظین ١/٧٦.

(٢) اعلام الوری ص ١٥٣.

(٣) بشارة المصطفی: ص ٨-٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٢/٢٢-٢٣.

(٥) مطالب السئول ص ٢٩.

(٦) تذكرة خواص الأمة ص ١٠.

(٧) كفاية الطالب ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٨) الأئمی: الغدیر ٥/٦٥٣. وعن الحسن بن محمد أنظر: الغدیر ٥/٦٥٣-٦٦٠.

(٩) کشف الغمة ١/٦٠-٦١.

(١٠) کشف الیقین: ص ١٧.

(١١) فرائد السمعطین ١/٤٢٥-٤٢٦.

(١٢) تلخیص المستدرک ٣/٥٥٠.

١٦٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

وأشار لها الشاعر السيد عبد العزيز بن محمد السريحي الأولى^(١) في حدود
٧٥٠ هـ إذ قال^(٢):

من كان في حرم الرحمن مولده وحاطه الله من باس وعدوان

وذكرها أيضاً في شعره أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين من
رجالات القرن الثامن الهجري إذ قال^(٣):

بشرًا سواه ببيت مكة يولد	م هل ترى في العالمين باسرهم
الملائكة المقدس حوله يتبعد	افي ليلة جبريل جاء بها مع
شرفًا به دون البقاء المسجد	فلقدسًا مجددًا كاما علا

وذكرها من المؤخرين ابن عنبه ت ٨٢٨ هـ^(٤)، والديلمي ت ٨٤١ هـ^(٥)،
وابن الصباغ المالكي ت ٨٥٥ هـ^(٦)، والصفوري الشافعي ت ٨٩٤ هـ^(٧)،
والسكتواري ت ١٠٠٧ هـ^(٨)، وعلي القاري الحنفي ت ١٠١٤ هـ^(٩)، والحلبي
الشافعي ت ١٠٤٤ هـ^(١٠)،

(١) نسبة إلى أول جزيرة في البحرين. الحموي: معجم البلدان / ١ / ٢٧٤.

(٢) الأميني: الغدير / ٦ / ٣٤. وعن الشاعر أنظر الغدير / ٦ / ٣٣-٣٤.

(٣) الأميني: الغدير / ٦ / ٥٠٨. وعن الشاعر أنظر: الغدير / ٦ / ٥٠٣-٥٥٦.

(٤) عمدة الطالب ص ٥٨-٥٩.

(٥) إرشاد القلوب / ٢ / ٢١١.

(٦) الفصول المهمة ص ١٣.

(٧) نزهة المجالس / ٢ / ٢٠٤-٢٠٥.

(٨) محاضرة الاوائل ص ١٢٠.

(٩) شرح الشفا / ١ / ١٥١. نقلًا عن الأميني: الغدير ص ٦ / ٣٧.

(١٠) السيرة الحلبية / ١ / ١٥٤، ٣ / ٤٠٥.

والدهلوي الحنفي ت ١١٧٦ هـ^(١)، والشاعر العمري ت ١٢٧٨ هـ

بقوله:

أنت العلي الذي فوق العلي رفعا
بطن مكة عند البيت إذ وضعا

وقال الألوسي ت بعد ١٢٧٠ هـ في شرحه البيت أعلاه: «وفي كون الامير
كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا... وأحرى بإمام الأئمة
أن يكون وضعه في موضع هو قبلة للمؤمنين. سبحان من يضع الاشياء في
مواضعها وهو أحكم الحاكمين»^(٢). ونوه بها الشبلنجي^(٣)، والشنقيطي ت
١٣٦٣ هـ^(٤)، والفيروزآبادي^(٥).

مضت فترة على ولادة أمير المؤمنين عليه السلام لينتقل من بيت الله إلى بيت
رسول الله عليه السلام، إذ من الفضائل التي لم يحظ بها سواه عليه السلام هو شرف تربته في
بيت النبي عليه السلام، منذ كان عمره ست سنوات، حيث تروي الروايات أن قريشاً
أصابتها أزمة اقتصادية فاقتصرت الرسول عليه السلام على عمه العباس التخفيف عن أبي
طالب، فقال أبو طالب إن تركتما لي عقلاً فاعلا ما شئتما، فاختار العباس جعفراً
واختار الرسول عليه السلام علياً^(٦) وقال:

(١) ديوانه ص ٩٧.

(٢) سرح الخريدة الغيبة بشرح القصيدة العينية ص ١٥، ٧٥.

(٣) نور الابصار ص ٣٦.

(٤) كفاية الطالب ص ٣٧.

(٥) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/١٧٦.

(٦) ان عدم ورود (طالب) بن أبي طالب في هذه الحادثة فيها دلالة على أنه لا وجود له، وأن أبي طالب
كنية أو اسمًا لأبي طالب. وقد أشار لذلك الحاكم: المستدرك ٣/١٦.

«قد اخترت من اختاره الله لي»^(١).

فكان عليه السلام يسدي على عليه السلام من الاحسان والشفقة وحسن التربية حتى
بعث عليه السلام (٢)، لذا كان على عليه السلام يقول:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمُنْزَلَةِ
الْخُصِيقَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضْمُنُنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاسِهِ
وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ، وَيُشْمِنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضِغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِي مِنْهُ، وَمَا وَجَدَ لِي
كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ»^(٣).

وكلامه هذا يؤكّد بأنه تربى في بيت النبي عليه السلام وعمره أقل من ست سنوات
على خلاف ما ذهب إليه ابن أبي الحديد.

إن ولادته عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني إنه كاد أن يولد مسلماً
بل ولد مسلماً على التحقيق إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنّه فتح عينه
على الإسلام، ولم يعرف عبادة الأصنام^(٤). حيث يقول عليه السلام:
«إني ولدت على الفطرة»^(٥).

(١) الشرح ١/١٥. وانظر: البلاذري: انساب الاشراف ٢/٩٠. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ١٥ .
الحاكم: المستدرك ٣/٦٦٧. الخوارزمي: المناقب ص ١٧ . مع اننا نتحفظ على هذه الرواية لأنها
وضعت للطعن في تربية الإمام في بيت الرسالة!!؟ وقد ناقشنا ذلك في بحثنا: الإمام علي عليه السلام في
فكر معتزلة البصرة ص ٨٧ .

(٢) الشرح ١/١٥ .

(٣) الشرح ١٣/١٩٧ .

(٤) العقاد: عبقرية الإمام ص ٤٣ .

(٥) الشرح ٤/٥٤ .

هنا نتسائل: إن كل مولود يولد على الفطرة، يقول عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه»^(١).

فماذا يقصد الإمام بذلك؟

هنا ابن أبي الحديد يطرح عدة آراء في تفسير الفطرة:
أولاً: إن الإمام عليه السلام لم يولد في الجاهلية، حيث كانت ولادته قبلبعثة عشر سنوات، وهذه السنوات العشر يعدها ابن أبي الحديد مقدمة للإسلام وارهاصات للنبوة، حيث يقول: «وقد جاء في الاخبار الصحيحة إنه عليه السلام مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء، ولا يخاطبه أحد وكان ذلك ارهاصات لرسالته عليه السلام، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته عليه السلام؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولى لتربيته، مولود في أيام ك أيام النبوة، وليس بمولود في جاهلية مخضة». وهذا هو وجہ المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة، وولادة غيره من الصحابة، حيث أكد ابن أبي الحديد أن هذه السنة لها أثر في حياة النبي عليه السلام وذلك:

ان السنة التي ولد فيها الإمام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول عليه السلام، حيث سمع الهاتف من الاحجار والاشجار، وكشف عن بصره، فشاهد انواراً، واشخاصاً، ولم يخاطب فيها بشيء.

في هذه السنة ابتدأ النبي عليه السلام بالتبليغ، والانقطاع والعزلة في غار حراء، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة، ونزل عليه الوحي.

(١) اخرجه: مسلم: الصحيح /١٦ . ٢٤٠ . البیهقی: سنن /٦ . ٢٠٢ . الترمذی: صحيح /٨ . ١٣٤-١٣١ ، ١٦٨ /٣ . ابن حزم: الفصل /٤ . ٣٠٣-٣٠٤ .

وكان عليه السلام يتيمن بتلك السنة، وبولادة علي عليه السلام فيها، ويسمىها سنة الخير والبركة؛ وقال لاهله ليلة ولادته، وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الإلهية، ولم يكن من قبل شاهد ذلك: «لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة». وقد أكَد ابن أبي الحديد صحة ذلك بقوله: وكان كما قال صلوات الله عليه، فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه، وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت دين الإسلام، ورست دعائمه وتمهدت قواعده^(١).

ثانياً: معنى ولادته على الفطرة أي الفطرة التي لم تتغير، ولم تخل، وذلك ان معنى قوله عليه السلام:

«كل مولود يولد على الفطرة».

إن كل مولود فإن الله تعالى قد هبأ بالعقل الذي خلقه فيه، وبصحة الحواس، والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل، ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه من ذلك، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين، والآلاف لاعتقادهما، وحسن الظن فيهما، يصدّه عما فطر عليه، وامير المؤمنين عليه السلام دون غيره، ولد على الفطرة التي لم تخل، ولم يصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوين، ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة، ولكنه حال عن مقتضاها، وزال عن موجبه^(٢).

ثالثاً: إنه أراد بالفطرة -العصمة- وإنه منذ ولد لم ي الواقع قبيحاً، ولا كان كافراً طرفة عين، ولا مخطئاً ولا غالطاً في شيء يتعلق بالوالدين وقال ابن أبي

(١) الشرح ٤/١١٤-١١٥.

(٢) الشرح ٤/١١٥. وانظر عن أثر الاسرة في تنشئة الابناء: كاظم، التنشئة الاجتماعية ص ١٤٩ -

الحديد «وهذا تفسير الإمامية»^(١). ولكنه لم يعلق عليه لا سلباً ولا ايجاباً.
وما إن بزغ نور الإسلام حتى كان الإمام علي عليه السلام في مقدمة معتنقيه، حيث يقول:
«سبقت إلى الإيمان»^(٢).

ولكن كيف يتفق هذا مع ان هناك من يقول بأسبقية أبي بكر أو زيد!!؟^(٣)
أشار ابن أبي الحديد إن أكثر أهل الحديث يرون أن الإمام علي عليه السلام هو
أول من أسلم، حيث استعرض روايات - ابن عبد البر - الذي أورد إحدى
وعشرين رواية تفيد أسبقية الإمام علي عليه السلام للاسلام، ويقول في نهايتها «إنه
لاشك عندنا أن علياً أولهم إسلاماً»^(٤). لذا يقول ابن أبي الحديد: «ان شيوخنا
المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاماً علي بن أبي طالب عليه
إلا من عساه خالف في ذلك من اوائل البصريين، فاما الذي تقررت المقالة عليه
الآن فهو القول بأنه اسبق الناس إلى الإيمان، لا نكاد نجد اليوم في تصانيفهم
وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك»^(٥).

وأضاف: «إن أمير المؤمنين عليه ما زال يدعى ذلك لنفسه، ويفتخرون به، ويجعلون

(١) الشرح ١١٥/٤-١١٦.

(٢) الشرح ٥٤/٤.

(٣) أنظر الاختلافات: الشرح ١٣/٢١٥ وما بعدها. الملاحظ: العثمانية ص ٣ وما بعدها. الاسكافي: تقض العثمانية ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٤) الشرح ١١٦-١٢٢. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٦٨-١٦٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٩٦-١٠٩٠/٣

(٥) الشرح ١٢٢/٤. وانظر القاضي: المغني ٢٠/٢-١٣٨-١٤١.

في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك. وقد قال غير مرة: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته»^(١). وكان -عليه السلام- يقول^(٢):

سبقتكم إلى الإسلام طرا
غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وخلص لقوله: «والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً، لا يتسع هذا الكتاب لذكرها، فلتطلب من مظانها ومن تأمل كتب السير والتاريخ عرف من ذلك ما قلناه»^(٣).

ثم أشار إلى أن هذا يطابق قوله عليه السلام:

«لقد عبَّدْتُ اللهَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سَنِينَ».

وقوله:

«كنت أسمعُ الصوتَ، وأبصُرُ الضوءَ سَبْعَ سَيِّئَاتٍ».

والرسول عليه السلام حينئذ صامت، ما أذن له في الإنذار والتبلیغ؛ وذلك لأنه إذا كان عمره يوم اظهار الدعوة ثلاثة عشرة سنة، وتسليميه إلى رسول الله عليه السلام من أبيه وعمره ست سنوات، فقد صح انه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم

(١) الشرح ١٢٢/٤ . وانظر: الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٩. ابن قتيبة: المعرف ص ١٦٩ . أبو هلال العسكري: الاولى ص ١٠٧-١١٠ .

(٢) الشرح ١٢٢/٤ . وانظر: ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤ . المازندراني: مناقب ١٩/٢ . الحموي: معجم الادباء ٤٨/١٤ . ابن طلحة: مطالب السؤال ص ٣٠ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨ . الجويني: فرائد الس冇طين ص ٤٢٧ . الهيثمي: الصواعق ص ١٣١ . الحلبي: السيرة الحلية ٢٩٤/١ .

(٣) الشرح ١٢٣/٤ .

سبعين، وابن ست تصح منه العبادة إذا كان ذا تمييز، على أن عبادة مثله هي التعظيم والاجلال، وخشوع القلب، واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وتعالى، وأياته الباهرة، ومثل هذا يوجد عند الصبيان ^(١). وقد لاحظنا من خلال كلام الإمام أن عمره عليه السلام أقل من ست سنوات لما تربى في بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويرى أكثر المعتزلة أن عمر الإمام علي عليه السلام يوم أسلم كان ثلاط عشرة سنة ^(٢)، وقد سبق ذلك ارهاسات، حيث كان يسمع رنة الشيطان ^(٣)، وإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: لو لا أني خاتم الانبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكننبياً، فإناك وصي بي ووارثه بل أنت سيد الأولadies وإمام الأتقياء ^(٤).

ولما كان رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبياً فقد أصبح الإمام علي عليه السلام وزير أو ذلك يوم الإنذار بعد نزول قوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(٥).

فدعى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى هاشم وأبلغهم وطلب منهم مؤازرته، فلم يئازروه، إلا على عليه السلام ^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة ١٥ / ١.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٤ / ١.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠٩ / ١٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢١٠ / ١٣.

(٥) سورة الشعراء ٢١٤.

(٦) الشرح ١٣ / ٢١٠، ٢١٢-٢٤٤، ٢٤٥-٢٤٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٠٣. الطبرى: تاريخ

٣٢٢-٣٢١ / ٢

واستدل ابن أبي الحديد «على أنه وزير رسول الله عليه السلام» من نص الكتاب والسنة، قول الله تعالى:

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي *
وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١).

وقال النبي عليه السلام في الخبر المجمع على روایته بين سائر فرق الإسلام:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

فأشئت له جميع مراتب هارون من موسى، فإذاً هو وزير رسول الله عليه السلام
وشاد أزره، ولو لا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره^(٢).

وأكد الإمام علي عليه السلام على سبقه حتى في الهجرة إذ يقول:

«وبسبقت إلى الإيمان والهجرة»^(٣).

ولكن المعروف أن الإمام لم يكن أول من هاجر بل سبقه الكثيرون لأنه
بات في فراش الرسول عليه السلام كما هو معلوم.

ويفسر ابن أبي الحديد كلام الإمام علي أعلاه بأنه عليه السلام لم يقل سبقة كل
الناس، وإنما سبق المهاجرين، إذ أن سيل الهجرة استمر حتى قبيل فتح مكة في
السنة الثامنة من الهجرة^(٤).

وأضاف: «إن اللام في الهجرة يجوز أن لا تكون لمعهود السابق، بل

(١) سورة طه، الآيات ٣١-٢٩.

(٢) الشرح ٢١١/١٣.

(٣) الشرح ٥٤/٤.

(٤) الشرح ١٢٥/٤.

تكون للجنس، وامير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاجر من مكة مراراً يطوف على أحياء العرب، وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره^(١).

لقد كان الإمام علي عليه السلام ذا صلة وثيقة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث إنها ذوا أصل واحد «فآباءه آباء رسول الله، وأمهاته أمهات رسول الله، وهو منوط لحمه ودمه، لم يفارقه منذ خلق الله آدم، إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وابي طالب، وأمهما واحدة، فكان منها سيدا الناس؛ هذا الأول وهذا التالي، وهذا المنذر وهذا الهدى»^(٢).

وما يؤكد هذه الانطلاقـة المشتركة نحو الهدف الواحد المشود ما رواه الزمخشري - أحد معتزلة البصرة - في حق الإمام علي عليه السلام والزمخشري حسبـها يصفـه ابن أبي الحـديد: «مذهبـه في الاعـزال ونصرـة اصحابـنا مـعلومـ، وكـذلك في انحرافـه عن الشـيعة، وتسـخيـفـه لـمقـالـاتـهمـ - إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«لـما أسرـي بي، أخذـني جـبرـيلـ، فأـقـعـدـني عـلـى درـنـوكـ من درـانـيكـ الجـنةـ، ثمـ نـاوـلـني سـفـرـجـلةـ، فـبـيـنـا أـنـا أـقـلـبـهـا انـفـلـقـتـ، فـخـرـجـتـ مـنـهـا جـارـيةـ لـمـ أـحـسـنـ مـنـهـاـ، فـسـلـمـتـ، فـقـلـتـ: مـنـ أـنـتـ؟ قـالـتـ: أـنـا الرـاضـيـةـ المـرـضـيـةـ، خـلـقـنـي الجـبارـ مـنـ ثـلـاثـةـ اـصـنـافـ؛ أـعـلـاـيـ منـ عـنـبرـ، وـأـوـسـطـيـ منـ كـافـورـ، وـأـسـفـلـيـ منـ مـسـكـ. ثـمـ عـجـنـيـ بـهـاءـ الـحـيـوانـ. وـقـالـ لـيـ: كـوـنـيـ كـذـاـ، فـكـنـتـ. خـلـقـنـيـ لـأـخـيـكـ، وـابـنـ عـمـكـ

(١) الشرح ٤ / ١٢٥-١٢٦.

(٢) الشرح ١ / ٣٠.

علي بن أبي طالب»^(١).

ولذا كان الإمام علي عليه السلام بالنسبة للنبي عليه السلام «شعاع من شمسه، وغصن من غرسه، وقوة من قوى نفسه، ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه واليوم إلى أمسه، فيما هما إلا سابق ولاحق، وقائد وسائل، وساكت وناطق، ومجل ومصل، سيفاً لحمة البارق، وأناراً سدنة الغاسق، صلى الله عليهما ما استخلب خبير وتناول حراء وثير»^(٢).

وكان الإمام يفتخر بهذه العلاقة ويقول^(٤):

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

هذه القرابة القريبة بينهما سببها «كونه في حجره، ثم حامي عنه ونصره عند اظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصحاب»^(٥).

بل وصل الأمر أن شبه ابن أبي الحديد ومعاصريه سياسة النبي عليه السلام والظرف الذي عاشه بسياسة الإمام والظرف الذي عاش فيه، إذ يقول: «وإذا تأملت أحواله في خلافته كلها وجدتها هي مختصرة من أحوال رسول الله عليه السلام في حياته،

(١) الشرح ٩/٢٨٠-٢٨١. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ١/٢٨٦. الخوارزمي: المناقب ص ٢١٠.

الجويني: فرائد السمعطين ١/٤٨.

(٢) جبلان قرب مكة. انظر الحموي: معجم البلدان ٢/٧٢-٧٣، ٤٧-٤٨. ٢٣٤ - ٢٣٣.

(٣) الشرح ١/٣.

(٤) الشرح ٤/١٢٢. وانظر ابن المغازلي: مناقب ص ٤٠٤. ابن طلحة: مطالب المسؤول ص ٣٠.

(٥) الشرح ١٣/١٩٨. ستتناول في حلقة من حلقات تأليفنا (فضائل الإمام علي عليه السلام المنسوقة لغيره)

فضيلة مصاهرة النبي عليه السلام لنرى مدى صحة مصاهرة الآخرين له.

كأنها نسخة مستنسخة منها، في حربه وسلمه، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره، وإذا أردت أن تعلم ذلك علىً واضحًا، فاقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى الذي أشرنا إليه»^(١).

ولما كان الإمام علي عليه السلام-ابن عم الرسول عليه السلام في النسب وأخاه ولحمه ودمه، وفضائله مشتقة من فضائل الرسول عليه السلام، وهو قبس من نوره، وثانية على الحقيقة ولا ثالث لها، لذا نجد سيرته عليه السلام-جارية نفس مجرى سيرة الرسول عليه السلام^(٢).

وحيينا شرح كلام الإمام علي عليه السلام في اقسام أصحابه، قال ابن أبي الحديد: «إن حاله كانت مناسبة لحال النبي عليه السلام، ومن تذكر أحوالها وسيرتها، وما جرى لها إلى أن قبضا، علم تحقيق ذلك»^(٣).

ولذا نجده عليه السلام يقول لأصحابه: «والله ما أسماعكم الرسول شيئاً، إلا وهما أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس، ولا شقت لكم الابصار ولا جعلت لهم الافئدة في ذلك الزمان، إلا وقد اعطيتم مثلها في هذا الزمان، والله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيت به وحرموه، ولقد نزلت بكم البلية جائلاً حطامها...»^(٤).

ولقد علق ابن أبي الحديد على كلام الإمام علي عليه السلام قائلاً: «... المخاطبون وإن كانوا نوعاً واحداً متساوياً، إلا أن المخاطب مختلف الحال، وذلك لأنك

(١) الشرح ٢٢٩/٦.

(٢) الشرح ١٩٠/٦.

(٣) الشرح ١٤٧/١٦.

(٤) الشرح ٣٨٧/٦.

وإن كنت ابن عمه في النسب وأخاه ولحمه ودمه، وفضائلك مشتقة من فضائله، وأنت قبس من نوره، وثانية على الحقيقة، ولا ثالث لكم؛ إلا أنك لم ترزق القبول الذي رزقه، ولا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له، وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك»^(١).

هذه الرؤية في توافق السيرتين أكدتها أيضاً شيخ ابن أبي الحديد وهو أبو جعفر النقيب ثم قال: «أنظر إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، هذا فصيح وهذا فصيح، هذا سخي جواد وهذا سخي جواد، وهذا عالم بالشرع والأمور الإلهية، وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة، وهذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمنع بذاته، وهذا مذيب نفسه في الصلاة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محبب إليه شيء من الأمور العاجلة إلا النساء وهذا مثله. وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في قعدهه، أبوهما أخوان لأب واحد دون غيرهما منبني عبد المطلب، وربى محمد عليهما السلام في حجر والد هذا أبي طالب، فكان جاريا عنده مجرى أحد أولاده. ثم لما شب عليهما السلام، وكبر استخلاصه من أبي طالب وهو غلام، فربى في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان، وتماثلت السجستان، وإذا كان القرین بالقرین، فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل!»^(٢).

وأردف قائلاً: «فواجب أن تكون أخلاق محمد عليهما السلام كأخلاق أبي طالب، وتكون أخلاق علي عليهما السلام كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمد عليهما السلام مربيه، وأن يكون

(١) الشرح ٣٩٠ / ٦

(٢) الشرح ٢٢١ / ١٠

الكل شيء واحدة، وسوساً واحداً، وطينة مشتركة ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لو لا ان الله تعالى اختص محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه برسالته، واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، ومن ان اللطف به اكمل، والنفع بمكانه أتم وأعم، فامتاز رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بذلك عمن سواه، وبقي ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد، وإلى هذا المعنى أشار صلوات الله عليه وآله وسلامه: «اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع»^(١). وقال له أيضاً «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبي بعدي «فأبان نفسه منه بالنبوة، وأثبت له ما عدتها من جميع الفضائل والخصائص مشتركة بينهما»^(٢).

هذه العلاقة الوثيقة بين النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والإمام علي عليه السلام نجدها تمثل أيضاً في الأيام الأخيرة من عمر النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه حيث كان الإمام علي عليه السلام إلى جواره حيث لم يرسله ضمن سرية أسامة بن زيد إلى الشام، ثم هو الذي تولى غسله صلوات الله عليه وآله وسلامه وكفنه ودفنه.

إذ لما مرض صلوات الله عليه وآله وسلامه دعا أسامة بن زيد بن حارثة، وقال له: سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذا الجيش. وكان ضمن الجيش وجوه المهاجرين^(٣) ولكن اختلف في أبي بكر هل موجود ضمنه أولاً؟ فقد أشار

(١) اخرجه: أبو نعيم: حلية الاولى /٦٥-٦٦ . ابن طلحة الشافعي: مطالب المسؤول ص ٣٤ . الكنجي: كفاية الطالب ص ١٣٩ . محب الدين: الرياض النبرة ٢/٢٩٢ .

(٢) الشرح ٢٢٢/١٠ .

(٣) الشرح ١/١٥٩ . وانظر: البخاري: الصحيح ٦/٣٩-٤٠ . الطبرى: تاريخ ٣/١٨٤ .

موسى بن عقبة^(١) والواقدى^(٢) والطبرى^(٣) لعدم وجوده في الجيش بينما ذكره اليعقوبى^(٤) وأبو هلال العسكرى^(٥)، والجوهري^(٦) ضمن الجيش الخارج للشام^(٧)، فيما لم يذكر أى مصدر أن الإمام علي عليه السلام كان ضمن الجيش وهذا فيه دلالة على مدى اختصاصه بالرسول عليه السلام.

وقد أكد هذه الحقيقة الإمام علي عليه السلام بقوله مخاطباً الرسول عليه السلام بعد وفاته «فاضت بين نحري وصدرني نفسك»^(٨).

ولكن روى عن السيدة عائشة أنها قالت: «توفي رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم بين سحري ونحري»^(٩). لذا حاول ابن أبي الحديد التوفيق بين الروايتين بقوله «الله أعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عندي أن يصدق الخبران معاً، بأن يكون رسول الله عليه السلام وقت الوفاة مستنداً إلى علي وعائشة جيئاً، فقد

(١) الشرح ١٨٣/١٧.

(٢) المغازي ١١١٨/٣ - ١١٢٠.

(٣) تاريخ ١٨٤/٣.

(٤)التاريخ ١٠٣/٢.

(٥) الاوائل ص ٣٣٧.

(٦) الشرح ١٥٩/٦، ١٧/٥٢، ١٨٣/٥٢.

(٧) أنظر تفاصيل حملة أسامة وآراء المعتزلة فيها. الشرح ١/١٥٩ - ١٧٥ / ١٧، ٦٢ - ٢٦٣. القاضي:

المعنى ١/٢٠ - ٣٤٣ - ٣٤٩.

(٨) الشرح ١٠/٢٦٥. وانظر ابن سعد: الطبقات ٢/٢٦٢ - ٢٦٣. البيهقي: المحاسن ص ٢٩٨.

الزمخشري: ربيع الابرار ٤/١٩٧.

(٩) الشرح ١٠/٢٦٧. وانظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٤ - ٢٦١ - ٢٦٢. سبط ابن الجوزي:

تذكرة ص ٤٣.

وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته، وهو الذي كان يقلبه بعد موته، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه، فيجوز أن يكون مستنداً إلى زوجه وابن عمّه، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال مختلطين، لا يستتر البعض عن البعض، فإن قلت: فكيف تعمل بآية الحجاب، وما صح من استثار ازواج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الناس بعد نزولها؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على أن العباس كان ملازمًا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام مرضه في بيت عائشة، وهذا لا ينكره أحد، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمًا عَلَيْهِ مَلَازِمَه كان على اللَّهِ مَلَازِمَه ملازمته، وذلك يكون بأحد أمرين: إما بأن نساءه لا يستترن من العباس وعلى لكونها أهل الرجل وجذره منه. أو لعل النساء كن يختمن بأخرتهم، ويخالطن الرجال فلا يرون وجههن، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته، بل كان نساءه كلهن في البيت، وكانت إبنته فاطمة عند رأسه عَلَيْهِ مَلَازِمَه (١).

ان الذي يلاحظ على الروايتين أعلاه:

١. تعدد رواة القائلين بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات بين سحر الإمام وصدره واقتصار القائلين على عائشة عليها وعلى ابن اختها عروة بن الزبير المعروف بعدهائه اللدود للإمام علي عَلَيْهِ مَلَازِمَه.
٢. ان الذي يستقرئ الروايات التي تتحدث عن الأيام الأخيرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشهد الدور الكبير للإمام والزهراء دون سواهما.
٣. إن الملاحظ أن روایة السيدة عائشة لم تأت لتوضح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات

بين سحرها ونحرها، وإنما لتنفي الوصية عن الإمام عليه السلام. وكأنها وضعت لهذا الغرض.

٤. فهل وضع الرواية من قبل عروة بن الزبير باعتباره من ضمن اللجنة التي وضعها معاوية لاختلاق فضائل مقابل فضائل الإمام علي عليه السلام؟!

ومن خلال استعراضه لأحداث وفاة الرسول عليه السلام ومراسيم تجهيزه ودفنه لاحظ ابن أبي الحديد أن الإمام علي عليه السلام كان المتصدي لكل لذلك، إذ يقول: «من تأمل هذه الاخبار، علم أن علياً عليه السلام كان الاصل والجملة والتفصيل في أمر الرسول عليه السلام وجوهاته، ألا ترى أن أوس بن خولي^(١) لا يخاطب أحداً من الجماعة غيره، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والتزول في القبر! ثم أنظر إلى كرم علي عليه السلام وسجاحة اخلاقه وطهارة شيمته، كيف يضن بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس؛ وهو رجل غريب من الأنصار، فعرف له حقه وأطلبه بها طلبه! فكم بين هذه السجية الشريفة، وبين قول من قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل الرسول عليه السلام إلا نساوه، ولو كان في ذلك المقام غيره من أولي الطبع الخشنة وأرباب الفاظطة والغلظة، وقد سأله أوس ذلك لزجر وانته ورجع خائباً»^(٢).

وبعد وفاته عليه السلام كان الإمام علي عليه السلام شديد الورع في ما يرويه عن النبي عليه السلام

(١) هو من شهد سائر مشاهد النبي عليه السلام، وطلب الأنصار من الإمام علي عليه السلام أن يشاركون في دفن النبي عليه السلام فسمح لأحد هم فنزل أوس بن خولي: انظر: ابن الأثير: اسد الغابة ١٤٤-١٤٥ / ١. ابن حجر: الاصابة ١/٨٤.

(٢) الشرح ٤٠-٤١ / ١٣. يقصد بالسائل (لو استقبلت من أمري ما استدبرت...) السيدة عائشة. أما صاحب الطبع الخشن فيقصد الخليفة عمر.

حيث بلغ من تعظيمه له، وإجلاله لقدره واحترام حديثه، ألا يرويه إلا بألفاظه، لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه إلباباً وتعمية، ولو كان مضطراً إلى ذلك ترجحأ للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه^(١).

ولقد أثار ذلك التساؤل لدى ابن أبي الحديد فتوجه نحو شيخه أبي جعفر قائلاً: قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيها من يعظم رسول الله عليه السلام تعظيم هذا الرجل، ولا يدعو كدعائه، فإننا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل، تدل على جلال عظيم، وتبجيل شديد منه لرسول الله عليه السلام.

فأجاب أبو جعفر: إن علياً عليه السلام كان قوي الإيمان برسول الله عليه السلام والتصديق له، ثابت اليقين، قاطعاً بالأمر، متحققاً له، وكان مع ذلك يحب رسول الله عليه السلام لنسبته منه، وتربيته له، واختصاصه به من دون أصحابه، وبعد فشرقه له لأنها نفس واحدة في جسمين: الاب واحد، والدار واحدة؛ والأخلاق متشابهة فإذا عظمّه فقد عظم نفسه وإذا دعا إليه فقد دعا إلى نفسه، ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، لأن جمال ذلك لائق به، وعائد عليه، فكيف لا يعظّمه ويبجله ويجهد في إعلاء كلمته^(٢).

ونتيجة لكل ذلك أصبح الإمام علي عليه السلام وريثاً للرسول عليه السلام في كل شيء، حتى فيها كانت العرب تعتقد من ثارات حيث «إن كل دم أراقه رسول الله عليه السلام بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته عليه السلام عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالب عليه السلام وحده، لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعاً لهم وستتهم

(١) الشرح ٦/١٣٢.

(٢) الشرح ٧/١٧٤-١٧٥.

وعاداتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلي وحده، وهذه عادة العرب إذا قتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته، طالبت به أمثل الناس من أهله ... ومن نظر في أيام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ما ذكرناه^(١).

وما امتاز به الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة، وعدّ من فضائله؛ زواجه من فاطمة بنت النبي محمد عليهما السلام^(٢)، حيث كان عليهما السلام يفتخر بذلك قائلاً: «ومنا خير نساء العالمين»^(٣).

قال ابن أبي الحديد: «يعني فاطمة عليهما السلام، نص رسول الله عليهما السلام على ذلك، لا خلاف فيه. وقد تواتر الخبر عنه عليهما السلام انه قال: فاطمة سيدة نساء العالمين^(٤)، إما بهذا اللفظ بعينه، أو لفظ يؤدي هذا المعنى. روي أنه قال وقد رأها تبكي عند

(١) الشرح / ١٣ - ٣٠٠ .

(٢) روي ان عمر بن الخطاب أو سعد بن أبي وقاص قال: لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة أحب إلى من حمر النعم: زواجه بفاطمة، وسكناه في المسجد، واعطاءه الراية يوم خيبر. الترمذى: الصحيح ١٢١-١٧٢ . الحاكم: المستدرك ١٣٥ / ٣ ، ١١٧ ، ١٢٦ . الخوارزمي: المناقب ص ٢٣٨ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨ . الذهبي: تلخيص المستدرك ١٣٥ / ٣ . ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٣٤١-٣٤٣ . الهيثمي: مجمع الزوائد ٩ / ١٢٠ . الهيثمي: الصواعق ص ١٢٥ .

(٣) الشرح / ١٥ .

(٤) ابن سعد: الطبقات ٢ / ٢٤٨ . النسائي: خصائص ص ١١٤-١٢٠ . البيهقي: المحسن ص ٨٠-٨٢ . الطحاوى: مشكل الاثار ١ / ٥٠ . الحاكم: المستدرك ٣ / ١٧١-١٧٢ ، ١٧٤ . أبو نعيم: حلية الاولىء ٢ / ٤٠ ، ٤٢ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٤ / ١٨٩٣-١٨٩٥ . النووي: تهذيب الاسماء ١ / ١٥٨ ، ٣٤٤ . محب الدين: ذخائر العقى ص ٣٦ ، ٤٩-٥٠ . ابن تيمية: منهاج السنة ٢ / ١٦٩ . المتقي الهندي: كنز العمال ١٣ / ٩٣-٩٥ . الهيثمي: الصواعق ص ١١٨-١٨٩ .

موته: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة^(١). وروي انه قال: سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وأسمية بنت مزاحم، ومریم بنت عمران^(٢)^(٣).

وناقش ابن أبي الحديد أيهما شرف بالآخر الإمام علي أم فاطمة؟ تسأله ابن أبي الحديد أولًا: ما المقصود بالأفضل؟

ان أريد بالأفضل الأجمع للمناقب التي تتفاضل بها الناس، نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك، فعلى أفضل.

وإن أريد بالأفضل: الأرفع منزلة عند الله، فالذى استقر عليه رأى المتأخرین من اصحابنا، أن علياً أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الذكور والإناث، وفاطمة امرأة من المسلمين، وإن كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك انه قد ثبت إنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر، وفاطمة من الخلق، وأحب الخلق إليه سبحانه أعظم ثواباً يوم القيمة على ما فسره المحققون من أهل الكلام.

وإن أريد بالأفضل الأشرف نسباً، ففاطمة أفضل لأن أباها سيد ولد آدم من الأولين والآخرين، فليس في آباء علي عليه السلام مثله ولا مقارنة.

(١) ابن سعد: الطبقات ٢/٢٤٨. النسائي: خصائص ص ١١٨-٢٠. الطحاوي: مشكل الآثار ٤٩/٤٠. أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/٤٠.

(٢) ابن زبالة: منتخب من كتاب ازواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٤٩. الترمذى: الصحيح ١٣/٥٥. الطحاوى: مشكل الآثار ١/٥٠. الحاكم: المستدرک ٣/١٧٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٩٥-١٨٩٦. الحافظ العراقي: طرح التشريب ١/١٤٩-١٥٠.

(٣) الشرح ١٥/١٩٧. وانظر أيضاً الشرح ١/٣٠، ١٠/٢٦٥-٢٦٦.

وان أريد بالأفضل: من كان رسول الله عليه أشدّ عليه حنواً، وأمسّ به رحماً، ففاطمة أفضل، لأنها إبنته، وكان شديد الحب لها، والحنو عليها جداً، وهي أقرب إليه نسبياً من ابن العم، لا شبهة في ذلك. (١)

ثانياً: تسائل ابن أبي الحديد هل على شرف بفاطمة أم فاطمة شرّفت به؟ فأجاب: «إن علياً عليه السلام كانت أسباب شرفه وتميزه على الناس متنوعة، فمنها ما هو متعلق بفاطمة، ومنها ما هو متعلق بأبيها صلوات الله عليه، ومنها ما هو مستقل بنفسه. فأما الذي هو مستقل بنفسه، فنحو شجاعته، وعفته، وحلمه وقناعته، وسجاحة اخلاقه، وسماحة نفسه، وأما الذي هو متعلق برسول الله عليه فنحو علمه، ودينه، وزهده، وعبادته، وسبقه إلى الإسلام، وإخباره بالغيوب. وأما الذي يتعلق بفاطمة فنكاحه لها، حتى صار بينه وبين رسول الله عليه الصهر المضاف إلى النسب والسبب، وحتى ان ذريته منها صارت ذرية لرسول الله عليه، وأجزاء من ذاته؛ وذلك لأن الولد إنما يكون من مني الرجل ودم المرأة، وهم جزءان من ذاتي الاب والام، ثم هكذا أبداً في ولد الولد ومن بعده من البطون دائماً. فهذا هو القول في شرف علي عليه السلام فاما شرفها به، فإنها وإن كانت ابنة سيد العالمين إلا أن كونها زوجة علي أفادها نوعا من شرف آخر زائداً على ذلك الشرف الأول؛ ألا ترى أن أباها لو زوجها أبا هريرة أو أنس بن مالك لم يكن حالها في العظمة والجلالة كحالها الآن، كذلك لو كان بنوها وذريتها من أبي هريرة وأنس بن مالك، لم يكن حالم في أنفسهم كحالهم الآن». (٢).

(١) الشرح ١٦/١٩.

(٢) الشرح ١٦/٢٠-٢١.

لذا لم يتزوج الإمام علي عليه السلام على فاطمة طيلة حياتها الشريفة شأنه شأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بعدم زواجه في حياة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ، إلا أن هناك رواية تفيد أن الإمام علي عليه السلام أراد أن يتزوج على فاطمة حيث خطب جويرية بنت أبي جهل.

ففي استعراض ابن أبي الحديد لما جاء به -أبو جعفر الاسكافي- قال الأخير إن أبو هريرة روى الحديث «الذي معناه أن علياً عليه السلام خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمسخته، فخطب على المنبر، وقال لها الله! لا تجتمع ابنته ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل! إن فاطمة بضعة مني يؤذني ما يؤذيها، فان كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد». أو كلاماً هذا معناه، والحديث مشهور من رواية الكرايسي ^(١).

وأضاف ابن أبي الحديد: «هذا الحديث أيضاً مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن المسور بن مخرمة الزهري، وقد ذكره المرتضى في كتابه المسمى تنزيه الانبياء والائمة، وذكر انه رواية حسين الكرايسي، وأنه مشهور بالانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وعداوتهم والمناصبة لهم فلا تقبل روايته» ^(٢).

ثم قال: «وعندي أن هذا الخبر لو صح لم يكن على أمير المؤمنين فيه غضاضة، ولا قدح، لأن الأمة مجتمعة على أنه لو نكح ابنة أبي جهل، مضافاً إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز، لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع؛

(١) هو أبو علي الحسين بن علي بن يزيد المهلبي الكرايسي، كان من المجرة، وعارض بالحديث والفقه، وله كتاب المدلسين في الحديث، وكتاب الإمامة وفي الأخير غمز على علي عليه السلام. أنظر ابن التديم: الفهرست ص ٢٥٦. الخطيب: تاريخ بغداد ٨/٦٦. ابن حجر: لسان الميزان ٣٠٣/٣٠٥.

(٢) الشرح ٤/٦٤.

(٣) الشرح ٤/٦٤-٦٥.

فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة، لأن هذه القصة، كانت بعد فتح مكة، وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً، ورواة الخبر متواافقون على ذلك، فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحاً فإن رسول الله عليه السلام، لما رأى فاطمة عليها السلام قد غارت وادركتها ما يدرك النساء، عاتب عليها الله عزوجته عتاب الأهل، وكما يستثبت الوالد رأي الولد ويستعطفه إلى رضا أهله وصلاح زوجته، ولعل الواقع كان بعض هذا الكلام فحرف وزيد فيه»^(١).

وأضاف: «لو تأملت أحوال النبي عليه السلام مع زوجاته، وما كان يجري بينه وبينهن من الغضب تارة، والصلح أخرى، والسخط تارة والرضا أخرى، حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة، وإلى الإيلاءمرة، وإلى الهرجمرة والقطيعةمرة، وتذبرت ما ورد في الروايات الصحيحة مما كن يلقينه عليه السلام به، ويسمعنه إياه، لعلمت أن الذي عاب الحسنة والشأنون عليها السلام به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط، ولو لم يكن إلا قصة مارية، وما جرى بين رسول الله عليه السلام، وبين تينك الإمراتين من الأحوال والأقوال، حتى أنزل فيها قرآن يتلى في المحاريب، ويكتب في المصاحف، وقيل لها ما لا يقال للاسكندر ملك الدنيا لو كان حياً، منابذاً لرسول الله عليه السلام»:

﴿وَإِنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(٢).

ثم أردف ذلك بالوعد والتخييف:

(١) الشرح ٤/٦٥-٦٦.

(٢) سورة التحرير، آية ٤.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقْكُنَّ﴾^(١).

الآيات بتمامها. ثم ضرب لها مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما، فلم يغريا عنهما من الله شيئاً وقام الآية معلوم، فهل ما روي في الخبر من تعصب فاطمة عليها السلام على علي عليه السلام وغيرتها من تعريض بنى المغيرة له بنكاح عقيلتهم، إذا قيس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجري لا كنسبة التأفيف إلى حرب البسوس! ولكن صاحب الهوى والعصبية لا علاج له»^(٢).

والآن لنستعرض الروايات التاريخية التي أشارت خطبة الإمام جويرية، وآراء بعض الباحثين فيها، ثم نحاول أن ندلي برأي في ذلك.

أولاً: ابن سعد ت ٢٣٠ هـ: قال في ترجمة جويرية بلا سند (وجويرية هذه هي التي خطبها علي بن أبي طالب، فجاء بنو المغيرة إلى رسول الله عليه السلام يستأمرونه في ذلك، فلم يأذن لهم أن يزوجوه وقال: إنها فاطمة بضعة مني يسwoّني ما ساءها)^(٣).

ثانياً: الزبيدي ت ٢٣٦ هـ: قال بلا سند: «خطب علي بن أبي طالب جويرية بنت أبي جهل فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب (بن أسيد): أنا أريحك منها. فتزوجها»^(٤).

وقال أيضاً: «وكان علي بن أبي طالب قد خطب جويرية بنت أبي جهل قبل

(١) سورة التحريم، آية ٥. راجع التفاصيل عند تفسير الطبراني والزمخشري والقرطبي والسيوطى في تفسير سورة التحريم، آية ٤، ٥.

(٢) الشرح ٦٦/٤.

(٣) الطبقات ٨/٢٦٢.

(٤) نسب قريش ص ١٨٧.

عتاب، وهم بنكاحها، فكره ذلك رسول الله عليه السلام، وقال: إني لأكره أن تجتمع بين بنت ولی الله وبين بنت عدو الله، فتركتها علي وتزوجها عتاب»^(١).

ثالثاً: ابن بكار ت ٢٥٦هـ: أورد رواية مرسلة إلى ابن عباس تحكي محاورة بين ابن عباس وال الخليفة عمر بشأن الإمام. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا ما قد علمت إنه ما غير ولا بدل، ولا سخط رسول الله عليه السلام أيام صحبته له. فقطع علي الكلام فقال: ولا في ابنة أبي جهل لما أراد أن يخطبها على فاطمة! قلت: قال الله تعالى:

﴿وَلَمْ نَحْدُلْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٢).

وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله عليه السلام، ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد على دفعها عن نفسه وربما كان من الفقيه في دين الله، العالم العامل بأمر الله^(٣).

رابعاً: البخاري ت ٢٥٦هـ: عن المسور بن مخرمة قال: إن علياً خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت النبي صلى الله عليه [والله] وسلم، فقالت: يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل. فقام رسول الله عليه السلام. فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الريبع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسwoها. والله لا تجتمع بنت رسول الله عليه السلام وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي

(١) نسب قريش ص ٣١٢.

(٢) سورة طه، آية ١١٥.

(٣) المواقف ص ٦١٩. وردت كذلك في الشرح ١٢ / ٥٠ - ٥١.

الخطبة وزاد محمد بن عمرو بن حملة عن ابن شهاب عن علي عن مسورة سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر صهراً له منبني عبد شمس، فأثنى عليه في مصايرته إياه فأحسن قال: فصدقني ووعدي فوفلي»^(١).

وقال أيضاً عن المسور «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»^(٢).

خامساً: مسلم ت ٢٦٣ هـ: أورد أربع روایات:

عن المسور: «انه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر، وهو يقول: انبني هشام ابن المغيرة إستاذوني أن ينكحوا ابنته علي بن أبي طالب. فلا آذن، ثم لا آذن. ثم لا آذن إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنته، وينكح ابنته، فإنها ابتي بضعة مني يربيني ما رأبها، ويؤذيني ما آذاها»^(٣).

«عن المسور قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إنما فاطمة بضعة مني يؤذني ما آذاها»^(٤).

«عن ابن شهاب: ان علي بن الحسين حدثه انهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية (بعد) مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه لقيه المسور بن خرمة فقال له: هل لك لي من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت له: لا، قال له: هل أنت معطي سيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. وأيم

(١) الصحيح / ٥ - ٩٥ . وأوردها الصبان: اسعاف الراغبين ص ٨٥ - ٨٦.

(٢) الصحيح / ٥ - ١٠٥ . وأوردها المتقي الهندي: كنز العمال ١٣ / ٩٣.

(٣) الصحيح: ٢ / ١٦ . وذكرها: الترمذى: الصحيح / ١٣ - ٢٤٦ - ٧ . النسائي: خصائص ص ١٢٠ .

(٤) الصحيح / ٦ - ٢ .

الله لئن أعطينيه لا يخلص إليه أبداً، حتى تبلغ نفسي أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتمل، فقال: إن فاطمة مني وأنا أخوف أن تفتن في دينها. قال: ثم ذكر صهراً له منبني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاہرته إياه فأحسن قال: حدثني فصدقني، ووعدني فأوفي لي، وإنني لست أحّرم حلالاً، ولا أحّلل حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبداً»^(١).

عن المسور: «إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة، أتت النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحاً ابنة أبي جهل. قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال: أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص ابن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها والله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. فترك علي الخطبة»^(٢).

سادساً: الترمذى ت ٢٧٩ هـ: ذكر روایتين الاولى سبق وأوردتها مسلم، اما الثانية: عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير: «ان علياً ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها. قال أبو عيسى (الترمذى) هذا حديث حسن صحيح هكذا قال ايوب

(١) الصحيح ٤٣/١٦.

(٢) الصحيح ٤/١٦، وذكرها ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٤١٩. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٧ -

٨. المتقي الهندي: كنز العمال ١٣/٩١-٩٢.

عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن المسور ابن مخرمة. ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنهم جميعاً^(١).

سابعاً: الحكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ: ذكر أربع روايات:

عن المسور: «إنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب إبنته. فقال له: قل له فليلقاني في العتمة. قال: فلقيه: فحمد الله المسور وأثنى عليه ثم قال: وأما بعد وأيم الله، ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إلي من نسبكم وسببيكم وصهركم. ولكن رسول الله عليه السلام. قال: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها، ويسطني ما يسطها. وإن الانساب يوم القيمة تنقطع غير نسيبي ونبي وصهري. وعندي ابنتها. ولو زوجتك لقبضها ذلك. فانطلق عاذراً له».^(٢)

عن سعيد بن غفلة: «خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار النبي عليه السلام. فقال: أعن حسبياً تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبياً. ولكن أتامري بها، فقال: لا! فاطمة مضيعة مني، ولا أحب إلا وأنها تحزن أو تجزع، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه».^(٣)

عن أبي حنظلة رجل من أهل مكة: «إن علياً خطب ابنة أبي جهل فقال له أهلها: لا نزوجك على ابنة رسول الله عليه السلام. فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام، فقال: إنما فاطمة مضيعة مني فمن آذها فقد آذاني».^(٤)

الرواية أعلاه التي أشار لها الترمذى.

(١) الصحيح / ١٣ . ٢٤٨-٢٤٧ . وذكرها الحكم: المستدرك / ٣ / ١٧٣ .

(٢) المستدرك / ٣ / ١٧٢ . وذكرها حب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨ .

(٣) المستدرك / ٣ / ١٧٣ .

(٤) المستدرك / ٣ / ١٧٣ .

ثامناً: الشريف المرتضى ت ٤٣٦هـ: طرح رؤية مغايرة لما جاءت به هذه الروايات حيث عدها موضوعة قائلًا: «هذا خبر باطل موضوع غير معروف ولا ثابت عند أهل النقل، وإنما ذكره الكرايسي طاعنا به على أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله، ومعرضاً بذكره لبعض ما يذكره شيعته من الاخبار في اعدائه وهيئات أن يشبه الحق الباطل ولو لم يكن في ضعفه إلا رواية الكرايسي له، واعتقاده عليه وهو من العداوة لأهل البيت عليهما السلام، والمناصبة لهم، والازراء على فضائلهم وما ترهم على ما هو مشهور لكتفي»^(١).

وأضاف: «على أن هذا الخبر قد تضمن ما يشهد ببطلانه، ويقضي على كذبه، من حيث ادعى فيه أن النبي ذم هذا الفعل، وخطب بإنكاره على المنابر. ومعلوم ان أمير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك على ما حكى لما كان فاعلاً لمحظور في الشريعة لأن نكاح الأربع حلال على لسان نبينا محمد عليه السلام، والمباح لا ينكره الرسول عليه السلام، ويصرح بذمه، وبأنه متاذبه؛ وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه من كل منقصة ومذمة، ولو كان عليه السلام نافراً من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطبع التي تنفر من الحسن والقيح، لما جاز أن ينكره بلسانه، ثم ما جاز أن يبالغ في الانكار، ويعلن به على المنابر، وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ أيامه لقلبه كل مبلغ فالذي اختص به عليه السلام من الحلم والكمالم ووصفه الله بأنه من جميل الأخلاق، وكريم الأدب، ينافي ذلك ويحيطه، ويمتنع من إضافته إليه، وتصديقه عليه وأكثر ما يفعله مثله عليه السلام في هذا الأمر، إذا ثقل على قلبه، أن يعاتب عليه السلام سراً، ويتكلّم في العدول عنه خفياً على وجه جميل ويقول لطيف»^(٢).

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

ثم ضرب المرتضى مثلاً بالمؤمن لما زوج إبنته من أبي جعفر محمد بن علي الجواد فأخذها معه إلى المدينة، ثم تزوج عليها فكتبت شاكية لأبيها، فأجابها المؤمن «إنا ما أنكحناه لنحضر عليه ما أباحه الله له». ولذا يرى المرتضى ان «المؤمن أولى بالامتناع من غيره إبنته، وحاله أجمل للمنع من هذا الباب والانكار له»^(١).

وأكد المرتضى أن الطعن في هذا الخبر على النبي عليه السلام هو أعظم من الطعن على الإمام علي عليه السلام لذا وصف واضح هذا الطعن بأنه «لا يبالي أن يشفي غيظه بما لا يرجع على أصوله بالقبح والهدم»^(٢).

ثم قال «على أنه لا خلاف بين أهل النقل أن الله تعالى هو الذي اختار أمير المؤمنين عليهما السلام لنكاح سيدة النساء صلوات الله وسلامه عليها، وأن النبي عليهما السلام ردّ عنها جلة أصحابه وقد خطبواها، وقال عليهما السلام: إني لم ازوج فاطمة علياً عليهم السلام حتى زوجها الله في سمائه، ونحن نعلم أن الله سبحانه لا يختار لها من بين الخلائق من غيرها ويؤذيها، فإن ذلك من أول دليل على كذب الراوي لهذا الخبر»^(٣).

وقدم دليلاً آخر على وضع الخبر «وبعد؛ فان الشيء إنما يحمل على نظائره، ويلحق بأمثاله، وقد علم كل من سمع الاخبار إنه لم يعهد أمير المؤمنين عليهما السلام خلافاً على الرسول، ولا كان قط بحث يكره، على اختلاف الأحوال، وتقلب الاذمان وطول الصحبة، ولا عاتبه عليهما السلام على شيء من افعاله، مع أن أحداً من أصحابه لم يخل من عتاب على هفوة ونكير لأجل زلة فكيف خرق بهذا الفعل

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩٠.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

عادته وفارق سجيته وسته لولا تخرص الأعداء وتعديهم»^(١).

وختم كلامه بآخر دليل «فأين كان أعداؤه عليه السلام ... من هذه الفرصة المنتهزة، وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخرصونه من العيوب والفرق، وكيف تحملوا الكذب، وعدلوا عن الحق، وفي علمنا بأن أحداً من الأعداء متقدماً لم يذكر ذلك، دليل على أنه باطل موضوع»^(٢).

تاسعاً: ابن حزم ت ٤٥٦هـ: قال في اشارته لبني مخزوم «وولد أيضاً أبو جهل الحنفاء، أراد علي أن يتزوجها؛ فكره ذلك رسول الله عليه السلام فتزوجها عتاب بن أبي سيد»^(٣).

والظاهر ان ابن حزم قد وهم لأن ابن سعد ذكر ان الحنفاء وهي بنت ثانية لأبي جهل غير جويرية تزوجها سهيل بن عمرو ثم أسامة بن زيد^(٤).

عاشرأ: ابن حجر ت ٨٥٢هـ: أورد ترجمتين لابنة أبي جهل:

الاولى تحت اسم «جميلة بنت أبي جهل بن هشام ابن المغيرة المخزومية. روت عن النبي عليه السلام، روى عنها زوجها، اخرج حديثها ابن منده من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن عمره عن زوج بنت أبي جهل، واسمها جميلة. قالت: مر بنا النبي عليه السلام فاستسقى فسقيناه. وقال: خير القرون قرني ثم الذين يلومنهم ... وقيل إنها هي التي خطبها علي. والمحفوظ إنها جويرة»^(٥).

(١) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

(٢) تنزيه الانبياء ص ١٩١.

(٣) جهرة انساب العرب ص ١٤٥.

(٤) الطبقات ٨/٢٦٢.

(٥) الاصابة ٤/٢٦٢-٢٦٣.

الثانية: جويرية بنت أبي جهل التي خطبها علي بن أبي طالب فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. فترك علي الخطبة ... وقصتها في الصحيحين من حديث المسور بن خرمة من غير ان تسمى»^(١).

حادي عشر: إن الروايات أعلاه وظفها المستشرق -اميل در منغم - للطعن في شخص الإمام علي عليه السلام إذ يقول: «ولكن محمداً مع امتداده قدم على في الإسلام ارضاء لابنته، كان قليل الالتفات إليه، وكان صهرا النبي الأمويين عثمان الكرييم وابي العاص أكثر مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة إبنته، ومن عد النبي له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي كان يفوض إليه ضرب الرقاب، وكان يتتجنب تسليم قيادة له، وقد إراد علي يوماً ان يتزوج على فاطمة فغضب النبي واحتج على ذلك، جهرا من فوق المنبر، وهذا لأن علياً كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله وبنت أشد اعدائه وما آلم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهريه الآخرين»^(٢).

ثاني عشر: بنت الشاطئ: استفادت من هذه الروايات لتصوغ لنا هذه الحادثة بأسلوب أدبي اضفت عليه شيئاً من خيالها. فقالت: «لكنه (الإمام علي عليه السلام) كاد يأتي - غير متعمد- شيئاً تكرهه فاطمة أشد الكره، وتتألم منه أفدح الألم.. وأي شيء أبغض إلى زوجة كالزهراء من أن يأتيها زوجها وابن عمها بصرة؟ لقد همّ علي بالزواج على فاطمة، وفي حسبانه إنه إنما يجري على مألف

(١) الاصابة / ٤ / ٢٦٥.

(٢) حياة محمد ص . ١٩٩

عادة قومه في الجمع بين زوجتين وأكثر، ويفعل ما أباحه له الإسلام من تعدد الزوجات، دون أن يخطر بياله أن في هذا ما تنكره بنت نبي الإسلام! لكن الأمر جرى على غير ما قدر علي.. فما كاد يهـ بالزواج ... حتى راوه أن يرى أبا الزهراء يقبل على المسجد مغضباً، ويخطب في الناس منكراً على ابن أبي طالب أن يتزوج على فاطمة»^(١).

ثم تسأله: «ولكن كيف والاسلام يبيح تعدد الزوجات، والنبي ﷺ كان يجمع في بيته يومئذ بين زوجات ثلاث أو أربع، فيهن عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب الذي أعز الله به الإسلام؟ كيف يحرم النبي ما احله الله، وينكر على ابن عمّه ما لم ينكره على نفسه؟ ليكن هذا الزواج مؤذياً لفاطمة، افلم تتعرض مثله بتنا أبي بكر وعمر؟ وهل يأبى النبي أن يجوز على إبنته ما يجوز على كل مسلمة ... وهل استثنى الإسلام من تعدد الزوجات بنات نبيه الذي بلغ رسالته؟ ياله من موقف بالغ الدقة والصعوبة والحرج، فالنبي يعلم حق على في الزواج ولو على فاطمة.. ومحمد في أبوته الرحيمة وبشريته السوية، يؤذيه أن تروع أحـبـ بناته بصرة، ويشفق عليها من تجربة قاسية كهذه، يعلم انه لا قبل لها باحتهاها.. ألا ليـتـ علىـاـ قدـ صـبـرـ عـلـىـ وـاحـدـةـ أـسـوـةـ بـابـنـ عـمـهـ حينـ اـكـتـفـيـ بـخـدـيـجـةـ زـوـجـةـ، مدـىـ رـبـعـ قـرـنـ مـنـ الزـمـانـ! اـذـنـ لـأـعـفـيـ الـابـ النـبـيـ مـنـ الـحـرـجـ، وـأـغـنـاهـ مـنـ ذـلـكـ المـوـقـفـ الشـائـكـ الصـعـبـ... وـإـنـيـ لـأـمـثـلـهـ -صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ [وـآلـهـ] وـسـلـمـ- يـرـنوـ إـلـىـ إـبـنـتـهـ الـغـالـيـةـ وـهـيـ تـرـقـبـ الـمـحـنـةـ فـيـ خـوـفـ وـقـهـرـ، فـتـكـادـ لـفـرـطـ أـسـاـهـاـ وـقـلـقـهـاـ، تـذـوـبـ مـنـ ضـعـفـ وـكـمـدـ، وـيـوـدـ بـكـلـ مـاـ اـسـتـطـاعـ انـ يـدـفـعـ عـنـهـاـ مـاـ تـكـرـهـ، وـأـنـ يـحـمـيـهـاـ مـنـ الـخـوـفـ الـذـيـ يـقـرـحـ أـجـفـانـهـاـ وـيـرـوـعـ اـمـنـهـاـ، وـيـؤـرـقـ لـيـلـيـهـاـ، لـكـنـ الـأـمـرـ يـبـدـوـ

معقداً، فما كان لنبي أن يحرم ما أحل الله! وفي ظلمات الحيرة، يلوح شاع من الضوء ينير السبيل: إن عليا ذكر بنت عمرو بن هشام المخزومي فهل يرضى الله ان يجمع بين علي وبين بنت رسول الله، وبنت عدو الله؟ فعمرو هذا هو أبو الحكم بن هشام أبو جهل، الذي لم ينس الرسول والمؤمنين ما اقترف من آثام في اضطهاد الدعوة الإسلامية...»^(١).

ثم أخذت تعدد مواقف أبي جهل من الدعوة الإسلامية، وأردفت قائلة: «أتكون بنت هذا الرجل ضرة لفاطمة بنت النبي؟ يأبى الرسول ذلك ... ويأباه الإسلام! وانطلق -عليه السلام- إلى المسجد مغضباً حتى بلغ المنبر فخطب في صحبه: انبني المغيرة استأذنوني... ثم ذكر -عليه السلام- صهره أبا العاص، وهو منبني عبد شمس، لا منبني عبد المطلب كعلي -فأشنعت عليه في مصاهرته إياه أحسن الثناء ... وقد ورد هذا الحديث في الكتب الستة الأمهات ولكن أحداً من الرواة لم يذكر لنا وقوعه على المسلمين وصاده في المدينة. فهل ترى يعيينا أن نتصور مدينة الرسول، وقد باتت ليلتها ساهرة، تؤمن على قول النبي، وترى فيه مظهراً جميلاً من مظاهر بشريته التي طالما أصر على الاعتراف بها. وآية ناطقة بأبوته الرحيمة التي كانت مضرب الأمثال، ودليلاً جديداً من أدلة حبه لبناته، هذا الحب الذي شاء الله أن يملأ به قلب النبي المختار في بيته وأدت بناتها؟ أو هل يقصر خيالنا عن متابعة علي وهو ينصرف من المسجد إثر سماعه خطبة صهره النبي عليه السلام، ويأخذ طريقه إلى بيته بطيء الخطو، مثقل القلب، يفكر فيها كان؟ أتراه حقاً قد أراد الزواج على فاطمة، من بنت عدو الإسلام؟.. كيف هان عليه جهاده

الطویل الباسل في سبیل الدعوة المحمدیة؟ بل کیف هان علیه أن یروع أمن الحبیبة بنت الحبیب، ویکسر قلبها بزواجه کهذا لا یمکن أن یؤول إلا بالرغبة في متاع حسی مادی، لا یجده لدیها»^(١).

ثم اوضحت بنت الشاطئ ان زواج النبي عليه السلام المتعدد له مبرراته الخاصة، وظروفه وإلا فما باله - عليه السلام - قد اكتفى بخدميحة خمساً وعشرين سنة، فلم يتزوج عليها حتى ماتت وقد بلغ الخمسين. ثم أن الامام كان يشغل الجھاد في سبیل الدين الجدید، اذن «فلتكن بنت أبي جهل من حظ غيره، أما هو، فليس بالذی يحط جھاده الباسل، فيستبدل بالنبي أبا جهل بن هشام صهراً.. وليس هو بالذی یؤذی نبیه وأباء وابن عمه، في أحب بناته إلیه، ولن يكون أبو العاص ابن الربيع قبل إسلامه أبأ منه بنت محمد، ابن عمه عبد الله بن عبد المطلب ولا ارعى في مصاھرته للنبي ذماماً».^(٢)

ثم اختلقت - بنت الشاطئ - اعتذاراً من الإمام علي للزهراء - عليهما السلام - فقالت: «واذ رآها تبكي، همس معتذراً: هبینی اخطأت في حقك يا فاطمة، فمثلک أهل للغفو والمغفرة، ومضت قطعة من الليل قبل أن تحيب: غفر الله لك يا ابن عم»^(٣).

وختمت كلامها بالسؤال: متى هم على بالزواجه على الزهراء؟

قالت: «صمت المؤرخون ورجال الحديث فلم يشيروا إلى موعد الخطبة على ما لذلك من أهمية وخطر، لكننا نطمئن إلى أنها كانت في الفترة الأولى من زواجهما.

(١) بناة النبي ص ١٧٧-١٨١.

(٢) بناة النبي ص ١٨١.

(٣) بناة النبي ص ١٨١.

وهو اطمئنان لا يسنه دليل نقلٍ، وإنما يغرينا به فهمنا لطبيعة الموقف، وتقديرنا انه اقرب احتمالا قبل أن يرزقا الولد، حين كانت فاطمة وعلى في مستهل حياتهما الزوجية، لم تألف بعد شدته وصرامتها، ولم يروض هو نفسه على احتمال ما كانت لا تزال تجد من حزن لفقد امها، وشجو لفارق بيتها الأول! وبهذا الاطمئنان نميل إلى توقيت الحادثة على وجه التقريب بالعام الثاني من الهجرة، قبل ان يأتيهما العام الثالث بأولى التمرات المباركة للزواج.. انقضت السحابة التي ظللت افق الزهراء حيناً لا نحدد مدها، وعاد البيت اصفي جواً مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة؛ فاطمة في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعلى إلى جانبها يبذل لها من الحب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعنها صحتها على أن تألفه بسرعة كما ألغفه كثير من المهاجرين. ويحاول قدر ما أطاق أن يترفق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسر. ثم شاء الله أن يقر عين الزهراء وعيون من يحبونها فوضعت بكرها الحسن بن علي في السنة الثالثة من الهجرة^(١).

ثالث عشر: وردد - توفيق أبو علم - ما جاء عند بنت الشاطئ وأضاف «ليس علي هو الذي يؤذني نبيه وأباء وابن عمه في أحب بناته إليه والتي قال لها عَزَّلَهُ: إن الله غير معدبك ولا أحد من ولدك»^(٢). وهي التي قال فيها أيضاً «إذا كان يوم القيمة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد

(١) بناة النبي ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) أخرجه: الطبراني: المعجم الكبير ١١ / ٢١٠، الهيثمي: الصواعق ص ١٥٨. المتقي المندى: كنز

العمال ٩٦ / ١٣. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٥.

إن الجليل جل جلاله يقول: نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت محمد عليهما السلام تريد أن تمر على الصراط». ^(١)

وعن أبي سعيد الخدري انه عليه السلام مر في السماء السابعة. وقال: فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امراة فرعون ولخدجية بنت خوييلد قصورا من ياقوت، ولفاطمة بنت محمد سبعين قصراً من مرجان أحمر باللؤلؤ أبوابها وأسرّتها من عود واحد ^(٢). ^(٣)

وأضاف: «هذه هي الزهراء التي يحبها الرسول كما رأينا فيها سبق وتكرر انه لم يكن من المعقول ان يجمع بنت رسول الله عليه السلام وبنت عدو الله بيت واحد. وعن يحيى بن سعيد القطان قال: ذاكرت عبد الله بن داود الحرثي قول النبي عليه السلام لا آذن إلا أن يحب علي بن أبي طالب أن يطلق ابتي وينكح ابنته، قال ابن داود: حرم الله على علي ان ينكح على فاطمة طيلة حياتها لقول الله عز وجل:

﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَلْخُدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنْتُمْ هُوَا﴾ ^(٤).

فلما قال النبي عليه السلام: لا آذن لم يكن يحل لعلي أن ينكح على فاطمة إلا أن يأذن رسول الله. قال: وسمعت عمر بن داود يقول: لما قال الرسول: فاطمة بضعة مني يريني ما رابها، ويؤذني ما آذها حرم الله على علي أن ينكح على فاطمة، إذ أنه بنكاحه عليها يؤذى الرسول، والله تعالى يقول:

(١) اخرجه الطبراني: المعجم ١٠٨ / ١. الحاكم: المستدرك ١٦٦ / ٣، ١٧٥ . الهيثمي: الصواعق ص ١٨٨. المتقي الهندي: كنز العمال ٩٣ / ١٣، ٩١. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٢) الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

(٣) أهل البيت: ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) سورة الحشر، آية ٧.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنَا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(١) .^(٢)

رابع عشر: الحسني: إذا رأينا - منغم، وبنت الشاطئ و توفيق أبو علم، وكذلك حاله^(٣) اعتمدوا المنهج الحرفي (النطلي) في التعامل مع الروايات لذا أكدوا صحة الحادثة، فإن هاشم معروف الحسني قد انتهج نهج الشريف المرتضى، وابن أبي الحديد وهو النهج العقلي في التعامل مع النصوص لذلك حكم بعدم صحة الروايات. حيث جاء في معرض مناقشته للحادثة:

«وأما حديث زواجه (علي) من غيرها، فقد جاء في بعض المرويات انه كاد أن يأتي شيئاً تكرهه سيدة النساء، ولا تتمكن من التغاضي عن نتائجه ويشير إليه الرواة، إنه همَّ أن يتزوج من جويرية... وإن أهلها استشاروا النبي ﷺ فأنكر عليهم، ولم يأذن لهم بذلك، وأضاف الرواة لهذه الاسطورة: إن الزهراء ذهبت إلى أبيها باكية تقول له: ان الناس يزعمون بانك لا تغضب لبناتك، وان رسول الله ﷺ قام من ساعته، وأقبل إلى المسجد مغضباً، وصعد المنبر، وقال على ملأ من المهاجرين والأنصار: إلا وإنبني هشام ... إلى غير ذلك مما جاء حول هذه الاسطورة التي تصور النبي وكأنه انسان تستبدل به العاطفة إلى الخروج من المألف ومحاباة إبنته على حساب حكم من احكام الله، وتصور الزهراء، وكأنها أقل حظاً من الدين والصبر من سائر النساء، وإن النبي يتخوف عليها أن تتعذر حدود ما أنزل الله لو تم هذا الأمر.

(١) سورة الأحزاب، آية ٥٣.

(٢) أهل البيت ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) اعلام النساء / ٤ ١١٢.

«إن الذين وضعوا هذه الأسطورة أرادوا أن يسيئوا إلى النبي، لا إلى علي وحده، لأن النبي عليه السلام كما جاء في الرواية، أراد أن يمنع علياً عليه السلام ما أباحه الله لجميع الناس، وما فعله هو وجميع المسلمين أو أكثرهم، ومع ذلك فهل يجوز على النبي أن يقف لهذا الموقف المتصلب، ويحابي إبنته الزهراء في حكم من أحكام الله، ومع العلم أنه كان يقول لفاطمة: «اعملي فلن أغنى عنك من الله شيئاً»^(١).

وقال من جاء يستشفع في امرأة من الأنصار قد سرقت: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^(٢).

«هذا بالإضافة إلى أن قوله المزعوم: أخاف أن تفتني ابتي عن دينها، هذا القول على تقديره، يعني إنها كغيرها من النساء اللواتي يخرجن عن المألوف، ويتجاوزن أحكام الله في مثل هذه الحالات، في حين إنه قال أكثر من مرة: «إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»^(٣)، وبلا شك فإنها لم تبلغ هذه المرتبة إلا لأن جميع اعماها وتصرفاتها وأقوالها في حدود ما أراد الله. وإذا صح كما يزعم الراوي أن تفتني في دينها لأمر قد أباحه الله لعلي وغيره من سائر الناس،

(١) مسلم: الصحيح /٣/ ٨٠. الطبرى: جامع البيان /١١٨-١٢٠. الهيثمى: الصواعق ص ٦-١٥٥.

(٢) البيهقي: المحسن ص ٣٦٨. ابن تيمية: منهاج السنة /٣/ ١٧.

(٣) الطبرانى: المعجم الكبير /١٠٨. الحاكم: المستدرك /٣/ ١٦٧. الهيثمى: مجمع الزوائد /٩/ ٢٠٣. ابن حجر: الاصابة /٤/ ٣٧٨. المتقي الهندى: كنز العمال /١٣/ ٩٦. وقد اعتبر ابن تيمية هذا = الحديث موضوعاً بقوله «ما ورد هذا من النبي عليه السلام ولا يعرف هذا من شيء من كتب الحديث المعروفة ولا الاسناد معروف عن النبي عليه السلام لا صحيح ولا حسن» منهاج السنة /٢/ ١٧٠.

فكيف يربط النبي رضاها برضي الله وغضبها بغضبه. هذا بالإضافة إلى أنها أحد المعينين بأية التطهير بلا شك في ذلك عند أحد من المسلمين، ومع ذلك فكيف تفتن في دينها وقد أذهب الله عنها الرجس وطهرها من الذنوب وجعلها السيدة الأولى لنساء العالمين.

«إن الذين رروا هذه الأسطورة ونسبوا إلى النبي هذا الموقف المتصلب، وتلك المقالة البعيدة عن منطقه قد رروا إلى جانبها أنه إذا كان يوم القيمة يجمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد، ثم ينادي منادي الجليل جل جلاله: نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن فاطمة بنت محمد تريد أن تمرعلى الصراط. وإذا كانت بهذا المستوى فكيف تفتن عن دينها لأمر متاح ومؤلف بين المسلمين، وفي بيته سيد المسلمين أكثر من أربع من النساء.

«على أن المتبع لتاريخ علي عليه السلام في تلك الفترة من تاريخ الإسلام سواء كان منها في حياته مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إلى جانبه يجاهد في سبيل الدعوة، أو بعد زواجه من سيدة النساء، لا يتردد في أن جميع ما روی عنه في محاولة زواجه من ابنة أبي جهل، ومن اختياره لنفسه بعض الجواري في إحدى غزواته الناجحة^(١) كما تحدث بذلك بعض المؤلفات في السيرة من موضوعات....»

«والغريب في المقام إن أكثر المؤرخين يذهبون إلى أن خطبة علي عليه السلام لجويرية ... كانت في السنة الثانية التي تزوج بها من فاطمة الزهراء، وقبل أن يأتياها العام الثالث بأولى الثمرات المباركة لزواجهما... ووجه الغرابة في ذلك إن أبا

(١) عندما ولأه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليمن. أنظر الترمذى: الصحيح /١٢، ١٦٤-١٧٢، ٥-٣. الحاكم:

المستدرك /٣، ١١٩.

جهل وبني المغيرة كانوا في مكة، وأبو جهل كان من اقطاب المشركين، وأللّـ أعداء الإسلام ومن أكثرهم تحريضاً وإساءة إلى النبي ﷺ وأتباعه ... وقد قتل أبو جهل في بدر وظل بنوه على شركهم في مكة إلى السنة الثامنة حيث فتح مكة، فأسلموا، فكيف يجتمع هذا مع قول النبي في مطلع السنة الثالثة للهجرة، وقبل ولادة الحسن: إلا أن بني المغيرة قد استأذنوني أن يزوجوا ابنتهم عليا. وخلص للقول: «ومهما كان الحال فلو افترضنا ان عليا فكر في غير فاطمة من النساء، وان فاطمة لم تكن طيبة النفس بهذا التفكير، فذلك لا يوجب تحريرا، ولا يبيح لأحد أن ينال من قداستها شيئاً»^(١).

خامس عشر: العقاد: قال بصدقها «ولا نعلم نحن من شأن هذه الخطبة غير ما جاء في روایاتها المختلفة. ولكننا نعلم أن هذه الفتاة [جويرية] أسلمت وبأيعت النبي وحفظت عنه، فلعلها قد خيف عليها الفتنة أن تتزوج بغير كفاء من المسلمين، وأهلها هم من هم في المكانة والحسب لا يرضيهم من هو دون علي بن أبي طالب من ذوي قرابتها. أو لعلها غضبة من غضبات علي على أنفقة من أنفات فاطمة، أو لعلها نازعة من نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يأباهما، وإن أباهما العرف في حالة المودة والصفاء»^(٢).

سادس عشر: الشرهاوي: وآخر من علمنا انه كان له رأي في هذه الحادثة زميلنا - حسين الشرهاوي - الذي قال بصدقها:

«والرواية التي أوردناها تحمل ضعفها بين طياتها وهي متناقضة إلى درجة

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر / ٩٢-٩٥.

(٢) فاطمة الزهراء ص ٤٤-٥.

كبيرة لا يمكن قبولها وهي تحمل إساءة إلى رسول الله ﷺ، أولاً قبل الإمام علي وفاطمة الزهراء، ووجه اعتراف رسول الله ﷺ بحبه لابنته فاطمة... ولو افترضنا جدلاً أن علياً قدّم على هذه الخطبة بالفعل، فإنه لم يأت بشيء محرم في الشريعة لأن الإسلام أباح الزواج بأربع، فكيف يقف رسول الله ﷺ على المنبر وأمام كل المسلمين ويحرم شرع الله الذي أتى به من عند ربه، وذلك لمحبته لابنته فاطمة؟! وهو ينادي بالمساواة والعدالة وعدم التفضيل وكون فاطمة كأي امرأة من نساء المسلمين من منطلق المساواة، ثم يصعد على المنبر ويعرض باحدى المسلمات وهي جويرية بنت أبي جهل، ويعيرها بأبي جهل، على الرغم من إسلامها فهل تحاسب بذنب أبيها».

«وقد روي ان عكرمة بن أبي جهل عندما أسلم هاجر إلى المدينة بعد فتح مكة فجعل عكرمة كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار قالوا: هذا ابن أبي جهل وسبوا أبي جهل، فشكراً ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات^(١) فإذا كان هذا حال رسول الله ﷺ في مراعاة مشاعر المسلمين فكيف يصعد على المنبر امام المسلمين ويهمج على هذه المرأة المسلمة وينهي عن شرع الله، وحتى ان كان قد كره هذا الأمر بقلبه لمحبة فاطمة^(٢) كما تذكر الرواية وبلغ به الغيض والغضب! أليس هو الموصوف بكظم الغيظ، وعدم التسرع بالأحكام). وقد وصفه الله بجميل الأخلاق، وكريم الآداب فلماذا لم يعاتب عليها سراً وينهاه. دون أن يجرح مشاعره ومشاعر المسلمين». ^(٢)

(١) أنظر: الزبيري: نسب قريش ص ٣١١. الرمذاني: ربيع الابرار ٢/٨٤١. السيوطي: مسالك الحنفاص ١٥. دحلان: انسى المطالب ص ١٥.

(٢) السيدة خديجة بنت خويلد^{رض} ص ١٣١-١٣٢.

والآن لنأتِ لمناقشة الحادثة في الحيثيات الآتية:

أولاً: من هم بنو المغيرة؟

ثانياً: من هي ابنة أبي جهل؟

ثالثاً: مناقشة تناقضات الروايات؟

رابعاً: موقف النبي عليه السلام؟

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام؟

سادساً: موقف الإمام علي عليه السلام؟

سابعاً: من هو راوي الرواية؟

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين؟

أولاً: من هم بنو المغيرة؟

هو المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. من الأسر التي اتخذت موقعاً سلبياً من الدعوة الإسلامية في مكة أو فيها بعد في المدينة، فقد قتل في بدر منهم أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة، وأبو جهل وأخوه العاصي بن هشام، وأسر عثمان ابن عبد الله بن المغيرة ومعبد بن هشام بن المغيرة، أما في الخندق فقد قتل نوفل ابن عبد الله بن المغيرة. (١)

ومن أشهر رجالاتهم الوليد بن المغيرة وهو أول من خلع حذائه عند الدخول

(١) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤ - ١٤٥.

للكعبة إعظاما لها^(١)، وأول من بدأ بتهديمها لما أرادت قريش إعادة بنائها وكانت تخشى ذلك^(٢)، ولذلك عرف بعظيم قريش، وفيه نزل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيَّتِينَ عَظِيمٍ﴾^(٣).

والوليـد هو الذي اتهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسحر لذا نـزل فيه قوله تعالى

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرِهُقُهُ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرُ يُؤْثِرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقْرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرِي لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٤).

وقد قتل ابنه أبو قيس يوم بدر مع المشركين فيما أسلم ابنه خالد بن الوليـد
قبيل فتح مكة.^(٥)

أما باقي بنو المغيرة فقد دخلوا في الإسلام يوم فتح مكة ومن ضمـنـهم

(١) الأزرقي: أخبار مكة ١٧٤، البيهقي: المحسن والمساوئ ص ١٦٥، السيوطي: الوسائل ص ٣٣-٣٢.

(٢) الطبرـي: تاريخ ٢٨٨/٩.

(٣) سورة الزخرف: ٣١، أنظر: الطبرـي: جامـعـ البـيانـ ٩٥/٢٥، القرطـبيـ: الجـامـعـ ٨٣/١٦، ابنـ كـثـيرـ: تـفسـيرـهـ ٣٩٥/٧.

(٤) سورة المدثر: ١١-٣٠. أنظر: الطبرـيـ: جـامـعـ البـيانـ ٢٩/١٥٢-١٥٣، الواحدـيـ: أسبـابـ النـزـولـ ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٥) ابنـ حـزمـ: جـمـهـرـةـ اـنـسـابـ الـعـربـ ص ١٤٧.

الحارث بن هشام أخو أبي جهل الذي أصبح من الطلقاء ثم من المؤلفة قلوبهم ولذلك أعطاه النبي ﷺ من غنائم هوازن مائة بعير.^(١) ويشار أنه هو الذي أشار على الخليفة عمر بن الخطاب بوضع ديوان العطاء.^(٢)

ويأتي هنا التساؤل: مَنْ مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ؟ هل هو الحارت بن هشام عم جويرية؟ أم خالد بن الوليد؟ أم عكرمة بن أبي جهل؟.

ثانيةً: من هي ابنة أبي جهل؟

إنها جويرية أو جويرة أو جميلة أو الحنفاء هكذا على اختلاف الروايات ابنة أبي جهل عمرو بن هشام المخزومي المعروف قبل الإسلام بأبي الحكم^(٣)، وكان لاتخاذه موقفا سلبيا من النبي ﷺ والدعوة الإسلامية أن لقبه ﷺ بأبي جهل، وذلك لبعده عن استيعاب مفاهيم الإسلام ورفضه اتباعها، فالجاهلية هي حالة نفسية ترفض الارتداد بهدي الله.^(٤)

وأبو جهل هو صاحب فكرة اغتيال النبي ﷺ ليلة الهجرة^(٥) ثم كان (أس) البلاء على قريش يوم بدر حتى أوردها المهالك، فكان أن قتل يوم بدر وقد لاقى

(١) ابن هشام: السيرة ٤/٤١٣، ٤٩٣، الطبرى: تاريخ ٣/٩٠.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٣٦. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ١٧. ذكر اسمه الوليد ابن هشام.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٨/٦٢. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٤٥. ابن حجر: الاصابة ٤/٢٦٢، ٢٦٥.

(٤) عن معنى الجاهلية أنظر بحثنا الموسوم (الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية؟). مجلة ابحاث البصرة، العدد ٣١، ٢٠٠٦، ص ٤٣٥.

(٥) الطبرى: تاريخ ٢/٣٧٠-٢.

خبر مقتله سروراً لدى النبي ﷺ وأصحابه^(١). فيما بقيت أسرته حتى السنة الثامنة من الهجرة، حيث فتح مكة فكان ولده عكرمة بن أبي جهل من الدعاة لقتال المسلمين وعدم السماح لهم بالدخول لمكة، ولما فتحت مكة هرب إلى البحر، فللحقة زوجته بعد أن أخذت له الأمان من النبي ﷺ فعاد وأعلن إسلامه.^(٢)

ومن أسرة أبي جهل إبنته التي اختلف في اسمها أعلاه، وقد كان لها موقف لما دخل المسلمون مكة فلما أذن بلال وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية: (قد لعمري رفع لك ذرك، أما الصلاة فسنصلّي، ووالله ما نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد جاء إلى أبي الذي كان جاء إلى محمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه).^(٣)

إذن كانت من مسلمة الفتح، وبفتح مكة ختمت الهجرة، فلا هجرة بعد الفتح^(٤) هذا يعني إنه لا هجرة بعد ذلك للمدينة إلا لأغراض خاصة، فأين يا ترى كانت خطبة الإمام جويرية هل في مكة أم في المدينة؟ ثم لماذا لم تتحقق الخطبة ألم رفض النبي ﷺ^(٥)؟ أم رفض بنى المغيرة أنفسهم^(٦)؟ أم لتدخل عتاب الذي

(١) الطبرى: تاريخ ٤٥٤/٢.

(٢) الطبرى: تاريخ ٣/٤٤، ٤٨، ٥٧-٦٠، ٦٣. المتخب ص ٥٠١-٢. ابن حجر: الاصابة ٤١٦/٧.

(٣) الأزرقى: اخبار مكة ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٤) حديث للنبي ﷺ اخرجه ابن حنبل: المسند ٣/٤٠١، ٤٠٢، ٢٢، ١٨٧/٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢، الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢، البخاري: الصحيح ٥/٩٥-٩٦.

(٦) الحاكم: المستدرك ٣/١٧٣.

خطبها فنزو جها؟^(١)، ويأتي هنا التساؤل: أين كان عنها عتاب بن أسيد وهو أيضاً من مسلمة الفتح؟ الذي ولدت لعتاب ولده عبد الرحمن بن عتاب الذي كان ضمن أهل الجمل ضد الإمام علي عليه السلام فكان أن قتل في هذه المعركة^(٢). وبعد وفاة عتاب تزوجها أبان بن سعيد بن العاص بن أمية فلم تلد له شيئاً.^(٣)

وتشير الروايات أنها روت عن النبي ﷺ، وروى عنها زوجها: «عن عبد الله بن عميرة عن زوج بنت أبي جهل». فابن عميرة هنا لا يعلم زوج ابنته أبي جهل؟ ومن هي؟ واللاحظ ان كتب الصاحح لم تذكر اسمها.^(٤)

ثالثاً: تناقض صيغ الروايات

تشير بعضها ان بني المغيرة هم الذين استأذنوا النبي ﷺ في تزويج ابنتهم للامام^(٥)، فيما تشير روايات أخرى أن الخبر كان شائعاً، وأن الناس قد تحدثوا به، فلما بلغ ذلك فاطمة ذهبت للنبي ﷺ وأخبرته^(٦) فيما تأتي رواية لدى الحاكم لتشير بأن الامام هو الذي طلب الإذن من النبي ﷺ فرفض^(٧)، وتذهب رواية أخرى لعلم النبي ﷺ بالأمر دون تحديد من الذي أخبره.^(٨) أما السبب

(١) الزبيري: نسب قريش ص ١٨٧.

(٢) الشرح: ١٢٣/١١-٤، الزبيري: نسب قريش ص ١٩٣، ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١١٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢.

(٤) ابن حجر: الاصابة ٤/٢٦٥.

(٥) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢. مسلم: الصحيح ٣/١٦. الترمذى: الصحيح ٣/٢٤٦-٧.

(٦) البخارى: الصحيح ٥/٩٥-٩٦. مسلم: الصحيح ٤/١٦.

(٧) المستدرك: ٣/١٧٣.

(٨) المستدرك: ٣/١٧٣.

في عدم تحقق الخطبة فهذا أيضاً موضع تناقض بين الروايات فأكثر الروايات تعزوه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، فيما تأتي رواية لتشير إلى رفض بنى المغيرة منذ البدء لأن ذلك يؤذى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأيهم^(٢)، ولكن رواية الزبيري تشير إلى تدخل عتاب بن أسيد الذي حسم الموقف بخطبته جويرية^(٣)؟ ولكن أليس خطبة المؤمن على أخيه المؤمن حراماً^(٤)؟!!.

رابعاً: موقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

أشرنا إلى تناقض الروايات في من الذي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخطبة الإمام على عليه السلام جويرية.

بعضها يشير بأن بنى هشام بن المغيرة استأذنوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يعني أنه رفض ذلك، إذن لماذا يصعد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنبر معلنا (ان بنى هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا إذن ثم لا إذن ثم لا إذن لهم)^(٥). فلماذا لا يرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإمام علي عليه السلام ويدعوه لترك الخطبة؟ فما معنى هذا الموقف المتشدد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيال علي عليه السلام وأمام الناس؟ فهل يريد النبي أن يقول ان علياً أتى بأمر خطير؟ أم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يسمع من تسول له نفسه ولو مستقبلاً تزويج علي كما فعل بنو المغيرة؟.

(١) ابن سعد: الطبقات ٨/٢٦٢. الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢. البخاري: الصحيح ٥/٩٥-٩٦.

(٢) الحاكم: المستدرك ٣/١٧٣.

(٣) الزبيري: نسب قريش ص ٣١٢.

(٤) أخرجه الطحاوي: شرح معاني الآثار ٣/٤-٣. ابن حزم: الفصل ٤/١٦.

(٥) مسلم: الصحيح ١٦/٢. الترمذى: ١٣/٢٤٦-٧.

ولكن روایة الحاکم تفید أن الإمام علي عليه السلام هو الذي طلب الموافقة من النبي منذ البدء ولكنها لم يوافق فقال علي عليه السلام: لا آتی شيئاً تكرهه^(١)، إذا ما معنی صعود النبي المنبر واستنکاره، فهل هذا يعني إن علياً عاود الخطبة رغم نهي النبي عليه السلام له!! إن هذا لا يمكن صدوره عن الإمام علي عليه السلام.

فيما تأقی روایة أخرى تشير أن فاطمة هي التي أبلغت النبي عليه السلام: «فلما سمعت فاطمة أتت النبي عليه السلام فقلت: إن قومك يتحدثون إنك لا تغضب لبنيتك»^(٢).

إذن فالقوم يرون أن فعل الإمام علي عليه السلام غير صحيح، ولذلك أشيع بين الناس وأخذوا يتحدثون به، فبلغ مسامع فاطمة لذا أتت النبي عليه السلام لتخبره بمقالة الناس. فلماذا يا ترى هذا التصور لدى الناس؟ والمعروف أن العرب قبل الإسلام وفي ظل عصر الرسول عليه السلام كانوا يتزوجون لأكثر من واحدة، ولا نكاد نقرأ عن موقف متواتر حيال زواج ثانٍ، إذن لماذا يستنکر قوم النبي عليه السلام ذلك إلى درجة أنهم يقولون: إن النبي عليه السلام لا يغضب لبنيته، فمن سبقه وقد غضب لبنيته حتى يؤخذ على النبي عدم غضبه لبنيته.

٣. إن الرسول عليه السلام بموقفه الاستنکاري هذا عرض بعلي عليه السلام، مقارنا إياه بموقف أحد أصحابه من بنى عبد شمس، إذ يقول: (إنك حست أبا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني) وفي روایة أخرى: (حدثني فصدقني، ووعدي

(١) المستدرک: ١٧٣ / ٣.

(٢) البخاري: صحيح ٥ / ٩٥-٩٦. مسلم: الصحيح ١٦ / ٤.

فأوفي لي)^(١). فمن هو أبو العاص هذا؟.

هو أبو العاص بن الريبع من بني عبد شمس وأمه هالة بنت خويلد، أي أخت السيدة خديجة عليها السلام تزوج قبل الإسلام زينب التي يرى البعض أنها من بنات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغم أن الروايات تشير لإسلامها في بدء الدعوة الإسلامية لكنها بقية في مكة ثلاثة عشرة سنة عند زوجها وهو مشرك، فما سر بقاءها: هل يرضاه؟ فهذا لا يجوز شرعاً؟ أم رغم أنها؟ ومع ذلك فلم تشر الروايات لأي موقف سلبي لاحدهما حيال الآخر رغم تناقضهما في العقيدة، أليس هذا يثير الإستغراب؟!! وقد بقية حتى بعد الهجرة وأشتراك زوجها أبو العاص في معركة بدر مشركاً، فكان أن وقع أسيراً بيد المسلمين فأرسلت زينب قلادة كانت أمها قد أهدتها لها ليلة زفافها، فرقَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها وأعادها عليها وأطلق سراح زوجها بعد أن شرط عليه أن يبعث زينب له، ففعل، فهل بذلك ذلك على فقر أبي العاص، ثم أين إسلام زينب وهي تتعاطف مع مشرك ضد أبيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!! واستمر أبو العاص مشركاً، حتى السنة السادسة للهجرة حيث خرج في قافلة فاعترضها المسلمون وأخذوا ما فيها وفرَّ أبو العاص إلى المدينة حيث استجار بزينب فأجارتة وأعاد عليه المسلمين كل ما أخذوه من أموال، فمضى إلى مكة وأعاد الأموال لأصحابها ثم جاء إلى المدينة فأعلن إسلامه، وتشير الروايات إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أعاد إليه زينب بالعقد الأول، فهل هذا جائز في الشريعة الإسلامية؟!! وبقيت معه ستين حيث توفيت في السنة الثامنة من الهجرة، فيما عاش بعدها أبو العاص حتى توفي في عهد الخليفة أبي بكر^(٢).

(١) البخاري: صحيح ٥/٩٦. مسلم: الصحيح ٣/١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨/٣٠-٣٦. الطبرى: المتخب ص ٤٩٩-٥٠١. ابن حزم: جمهرة انساب

إن ملاحظة سيرة أبي العاص ومقارنتها بسيرة الإمام علي عليه السلام لقطع عقلاً بأنه لا يمكن أن تكون هناك أدنى مقارنة عند عامة الناس، فكيف بالنبي عليه السلام ولا داعي لبيان سيرة الإمام علي عليه السلام، فهي معروفة للخاص والعام كمعرفة البلد الحرام، أما أبو العاص فلا وجود له إلا في بطون الكتب، وقلًّ من يعرفه حتى من المختصين وليس ذلك إلا لأنه شخص من عامة الناس.

والملاحظ أن الرواية تشير لقول النبي عليه السلام: حدثني فصدقني، ووعدي فأوفي لي، والسؤال: متى حدثه؟ ومتى صدقه؟ وبعد ثلاث عشرة سنة والرسول في مكة يدعو للإسلام، فلم يؤمن به؟ وبعد تضييقه على زينب التي أسلمت وبقيت عنده؟ وبعد خروجه مع المشركين في بدر ثم وقوعه في الأسر؟ وبعد ست سنين من الهجرة؟ ولما رأى واقع الجزيرة العربية يتوجه لصالح النبي عليه السلام جاء معلنًا إسلامه؟ .

ثم إن القول المنسوب للنبي عليه السلام: (فححدثني فصدقني، ووعدي فأوفي لي). هل هذا الكلام لا نجد له مصداقية لدى الإمام علي عليه السلام؟ !!

ثم لتساءل عن سر بقاء زينب لدى أبي العاص؟ والمعروف أن قريشاً سعت لولدي أبي هب لتطليق بنات النبي عليه السلام وهما من بنى هاشم وأبناء عمته؟ فلماذا لم تسع بالنسبة لأبي العاص؟ وإذا كانت قد سعت ورفض أبو العاص؟ فما هو سبب رفضه؟ هل اعتزاز بمصاهرته النبي عليه السلام؟ إذاً لماذا لم يقبل دعوته؟ أم اعتزاز بابنته؟ فهي قد دخلت الإسلام طاعنة في ما يعتقد من الشرك؟ ثم ما

سر بقاءها: هل برضاه؟ فهذا لا يجوز شرعاً؟ أم رغم أنها؟ فإذا كان كذلك فكيف يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن وعدني فأوفي لي؟ وإن شرط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرسال زينب مقابل إطلاق سراحه دليل على أن بقاءها عنده رغم أنها.

ومع كل ذلك فإن لم يثبت تاريخياً أن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنات سوى السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ.

إن السر في منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زواج علي عليه السلام هو «إن فاطمة بضعة مني، وإنها أكره أن يفتونها»^(١) نعم... إن فاطمة قطعة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلا شك، ولكن ماذا يقصد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفتنة فاطمة؟ هل يقصد إنها تصيب النساء، وإن هذا سيدعوها للإذحراف في التعامل مع زوجها ومع ضرتها؟.

إن مثل هذا التصور ي قوله شخص غير مدرك لحقيقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ التي صرخ القرآن الكريم بظهورها من الرجل، فلا يمكن بحال من الأحوال أن تشعر بأي شيء يحرمه الإسلام، والمعروف أن غيره المرأة محمرة في الإسلام،^(٢) وهذا قطعاً ففاطمة سوف لن يتباها من هذا شيء.

يخلص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقول: (إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابتيه وينكح ابتهem).^(٣)

المعروف أن قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فعله وتقريره سنة واجبة الاتباع، فإذا ما حدث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلق ابنته لأن زوجها أراد الزواج عليها، فهذا يعني أنه

(١) مسلم: الصحيح ٤/١٦، ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٤١٩.

(٢) قال الإمام علي عليه السلام: غير المرأة كفر وغيره الرجل إيمان. الشرح ١٨/٣١٢.

(٣) الترمذى: الصحيح ١٣/٢٤٧.

تشريع ستسير عليه الأمة، فيصبح أحدنا إذا أراد شخص أن يتزوج على إبنته
يطلب منه طلاقها مقتدياً بالنبي عليه السلام.

ثم ما هو علاج الرسول عليه السلام للمسألة؟ انه الطلاق، المعروف أن الطلاق
شرع كعلاج للفساد الأسري، وهو من أبغض الحال عند الله تعالى.

إذا صحّ وطلّقت فاطمة عليها السلام أليس الذي سيواجهه النبي عليه السلام هو مشكلة من
سيتزوجها؟ إذ المعروف أن كثيراً من الصحابة خطبوها فردهم النبي عليه السلام لأنّه
يتتظر أمر النساء، وقد جاء أمر النساء بتزويجها من علي عليه السلام.^(١)

يقول اليعقوبي: «وقدم علي بن أبي طالب عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله عليه السلام
وذلك قبل نكاحه إياها... ثم زوجها رسول الله عليه السلام من علي عليه السلام بعد قدومه
بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها من رسول الله عليه السلام فلما زوجها
علياً قالوا في ذلك، فقال رسول الله عليه السلام: ما أنا زوجته، ولكن الله زوجه^(٢).
فهل شرطت النساء على علي عليه السلام ألا يتزوج على فاطمة عليه السلام؟ وأنى للنبي أن
يطلقها من علي والنساء هي التي زوجته!!

ثم يقول الرسول عليه السلام: (وإِنَّمَا وَالله لا تجتمع بنت رسول الله، وبنت عدو الله
عند رجل واحد أبداً).

هل يعقل ان هذا التصور وهذا الكلام يصدر من أبي هذه الأمة؟ هل يعقل
أن يصدر من رحمة الله:

(١) ابن سعد: الطبقات ٨/١٩.

(٢) التاريخ: ٢/٣٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٧. وانظر الميتمي: الصواعق ص ١٢٢.
المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/١٣، ٢٠٥، ٢٠١، ٩٧/٢٠١. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٦.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)؟

هل يعقل أن يصدر من وصفه القرآن:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

: و

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلًا قُلْبٌ لَّا نَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

: و

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤).

فهل هذه الموصفات القرآنية تطبق على هذا الشخص، وهو يفرق بين ابناء امته !!؟ ويعلن بلسان العصبية بأن إبنته لا تجتمع مع ابنة عدو الله. أليس هذا تشريعا؟! وما هو ذنب جويرية المسلم، إن كان أبوها كافرا؟ أليس في هذا طعن لها وإيذاء!! والله سبحانه نهى عن إيذاء المؤمن.

إن الرسول ﷺ هو الذي جاء عن الله مشرعا لل المسلمين:

﴿فَإِنَّكِ هُوَ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَئْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾^(٥).

وهذه الآية عامة لجميع المسلمين فهي تضم عليها وغيره، فكيف يحررها

(١) سورة الانبياء ، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة التوبية، الآية: ١٢٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣.

الرسول عليه السلام على علي عليه السلام (وإني لست أحرم حلالا ولا أحل حراما).

قال ابن العربي: (وأذية النبي عليه السلام لا تغفر، فإن قيل: فكيف منع النبي عليه السلام ذلك غاية علیاً من النكاح ولا يقضى ذلك عقد النكاح، قلنا قد بيّن النبي عليه السلام ذلك في بيانه، فقال: إنَّه ليس في تحريم ما أحلَ الله إِلا إذا أراد علي بن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنته، فبيّن له أن ذلك ليس بحرام، وبين له أنه لا عليه أن يطلق علي فاطمة، فأمَّا الزواج عليها فإنه يؤذيه، وما آذاه كان حراما من جهة إدانته لا من جهة تحريم النكاح في الأصل... هذا الأمر يختص به النبي عليه السلام وحده، فاذى غيره مأذون فيه مباح لا حرج على أحد أن يفعله).^(١)

والشيء الذي يلفت النظر هو سكوت القرآن الكريم إزاء هذه الحادثة لا تأييداً لموقف النبي عليه السلام ولا نقداً له.

ولكن يا ترى لماذا لم يغضب النبي عليه السلام لرقية أو أم كلثوم على اختلاف الروايات في زواج عثمان عليها، فيروى أن الرسول عليه السلام في ساعة الدفن شرط أن لا يدخل القبر من قارف زوجته تلك الليلة فلم يدخل عثمان القبر^(٢)، ولهذا فصاحب الرواية جعل على لسان النبي عليه السلام أن يحتاج بأبي العاص مع إنه مشرك، ولم يحتاج بعثمان لأن الأخير قد تزوج على رقية أو أم كلثوم.

المتابع لسيرة النبي عليه السلام يجد لديه اهتماماً بفاطمة عليها يفوق بكثير اهتمامه بباقي بناته، فزينب التي تزوجت من أبي العاص، والذي استمر على شركه

(١) صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ١٣ / ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٨/٣٨. الطبرى: المتخب ص ٤٩٨. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٨٤١،

.٤٨٩، ٣٠٤ / ٤. ابن حجر: الأصابة ١٩٥٢

لإحدى وعشرين سنة، قضت معه أكثر من خمس عشرة سنة وحينما هاجرت إلى المدينة بقيت لأربع سنوات حتى أسلم أبو العاص فأعادها النبي عليه السلام إليه. ولم يعرف لماذا لم تتزوج بعد عودتها للمدينة؟!! ويقال إنها ولدت له ولدين (علي) وقد مات صغيراً، وأمامة التي رواها أنها تزوجت من الإمام علي عليه السلام بعد فاطمة بداعي الوصية المزعومة للزهراء وبعد زواجه تزوجت نوفل بن المغيرة ولم تلد لأي منها. (١)

أمّا رقية فقد تزوجت من ابن أبي هب والذى طلقها حال بدء الدعوة الإسلامية فتزوجها عثمان الذى هاجر بها إلى الحبشة ثم عاد ملكة إثر حادثة الغرانيق الموضوعة طعناً في شخص النبي عليه السلام؟!!، وتوفيت في المدينة في السنة الثانية من الهجرة وقد ولدت لعثمان ولداً اسمه عبد الله مات صغيراً حيث نصره الديك. (٢)

أمّا بالنسبة إلى أم كلثوم فقد أشار الرواة لزواجهما من الابن الثاني لأبي هب، الذي اقتفي أثر أخيه فطلقها، ولكنها لم تجد زوجاً فبقيت ثم غابت عن الرواة لخمس عشرة سنة حتى ماتت رقية فظهرت من جديد في الروايات حيث تزوجها الخليفة عثمان ولكنها لم تطل معه حيث توفيت في السنة الثامنة من

(١) ابن سعد: الطبقات ٨/٣٠-٣٦. الطبرى: المنتخب ص ٤٩٤، ٥-٥٩٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/٤ - ١٨٥٣. ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٤٦٧-٨، ابن حجر: الاصابة ٤/٣١٢-٣.

(٢) ابن زبالة: منتخب ص ٤٢-٣. ابن سعد: الطبقات ٨/٣٦-٣٧. الطبرى: المنتخب ص ٥٩٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/٤ - ١٨٣٩. ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٤٥٦-٧. ابن حجر: الاصابة ٤/٣٠-٥.

المجرة دون أن تلد له ولدا^(١)

إن كتب السيرة والحديث لتخلو من الاشارة إلى فضائل بنات رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ ما عدا فاطمة عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ التي أفردت لها كتب الصحاح بابا في ذكر مناقبها^(٢) بالإضافة إلى أنه لم يكن للنبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ نسل من بناته إلّا من فاطمة عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ ولم يبق لبناته الآخر من الذكر إلّا في بطون الكتب، في الوقت الذي أصبحت فيه فاطمة عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ الوعاء الوحيد الذي ينتمي إليه الملايين من ينتسب إلى رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ.

إن دراسة متعمنة لهذه البنات الأربع تؤكد إنّه لا صحة لهنّ إلّا السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ والباقيات تم اختلاقهن لوضع فضيلة للآخرين مقابل فضيلة الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ في مصايرته للنبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ، وهذا ما ستناوله تفصيلاً في مشروعنا «فضائل الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ» تنسب لغيره... الحلقة الثالثة.. صهر النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينَ !!؟

(١) ابن زبالة: منتخب ص ٤٣ . ابن سعد: الطبقات ٨/٨ - ٣٧-٩ . الطبرى: المنتخب ص ٤٩٨ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٩٥٢ - ٣ . ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٥ - ٦١٢-٣ ، ابن حجر: الاصابة ٤/٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٢) أنظر البخارى: الصحيح ٥/٩١-٩٥ . مسلم: الصحيح ١٦/٢-٧ . الترمذى: الصحيح ١٣/٤٧-٤٧ . النسائي: خصائص ١١٦-١٢٢ . الطحاوى: مشكل الآثار ١/١-١٣ . الحاكم: المستدرك ٣/١٦٤-١٧٩ . أبو نعيم: حلية الاولاء ٢/٣٩-٣٩ . سبط ابن الجوزى: تذكرة ٣٠٦-٣٢٢ . الحافظ العراقي: طرح التشريب ١/٤٩١-١٥١ . الميتمى: الصواعق ٩-١٨٨ . المتقي المندى: كنز العمال ١٣/٩١-٧ . الصبان: اسعاف الراغبين ٤٤-٤٧ . الشيلنجي: نور الابصار ٤٤-١٧٣-١٢١، ١٧٠-١٠٤ .

خامساً: موقف فاطمة عليها السلام:

تصور الرواية فاطمة عليها السلام وكأنَّها المرأة الْضَّعِيفَةُ القليلةُ الحنكةُ شأنُها شأنُ سائر النساء، فتنفعل، وتستغل سلطة أبيها لتذهب إليه قائلةً: (إِنَّ قومَكَ يَتَحَدَّثُونَ إِنَّكَ لَا تَغْضِبُ لِبَنَاتِكَ).

إِنَّ المَرْأَةَ الْأَصْيَلَةَ هِيَ الَّتِي تَعْالَجُ مَشَاكِلَهَا مَعَ زَوْجِهَا وَبِدُونِ تَدْخُلِ أَحَدٍ حَتَّى أَهْلِهَا، أَمَّا إِذَا لَجَأَتْ لِتَدْخُلِ الْآخَرِينَ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ اصْسَالِهَا، وَهَذَا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ لَا يَنْطَقُ عَلَى فاطمة عليها السلام الَّتِي ارْتَقَتْ لِتَكُونَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ،^(١) أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْجَنَّةِ^(٢)، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ.^(٣)

إِنَّا لَمْ نَقْرَأْ فِي مَتَوْنِ الْكِتَابِ وَلَمْ نَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى يَغْضِبُ لِغَضَبِ اِمْرَأَةٍ، وَيَرْضِي لِرَضِيَ اِمْرَأَةً سَوْيِ فاطمة عليها السلام.^(٤) فَهَلْ الَّتِي تَتوَصِّلُ إِلَى هَذِهِ الْدَّرَجَاتِ الْعَلِيَّةِ تَقْفَ كَهَذَا مَوْقِفًا؟!

سادساً: موقف الإمام علي عليه السلام.

تتجاهله كافة الروايات ما عدا رواية للحاكم، بنو المغيرة يتتجاهلوه ويذهبون للنبي عليه السلام ليستأذنوه في أن يزوجوا عليا ابنتهما، وفاطمة تتتجاهله وتذهب للنبي عليه السلام شاكية إِيَّاهُ، والنبي عليه السلام بدوره يتتجاهله ويقف مندداً به بدون

(١) مسلم: الصحيح ٦-٧. الحاكم: المستدرك ٣/١٧٠. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٠٩.
الحافظ العراقي: طرح الشريب ١/١٤٩.

(٢) البخاري: الصحيح ٥/١٠٥، ٩١، ١٦٤، ١٦٨. الحاكم: المستدرك ٣/١٦٤، ١٧٠. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٢.

(٣) ابن ماجة: صحيح سنن ١/٢٧١. الحاكم: المستدرك ٣/١٧٠.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/١٠٨. الحاكم: المستدرك ٣/١٦٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/٢٠٣.

ذكر اسمه (إن أراد ابن أبي طالب) وعرضها به بأبي العاص بن الربيع، وكأن عليا عليه السلام شخص عادي لا ثقل له.

وكأن الراوي يريد القول إن الرسول عليه السلام تناهى من هو على عليه السلام؟ وأين تربى؟ ومتى أسلم؟ ومن هو الذي بات في فراش النبي عليه السلام ليلة الهجرة؟ ومن هو صاحب السيف في سائر غزوات الرسول عليه السلام؟ وهو الذي لم يجد لفاطمة ندا سواه؟ والذي جاء التشريف من السماء بتزويجه إليها؟ وهو الذي حفظ نسل الرسول الأكرم عليه السلام، فلا نسل له عليه السلام إلا من الإمام علي عليه السلام و... و....

كل ذلك يريد الراوي أن يسدل الستار عليه، وقد روى ابن أبي الحديد أربعة وعشرين حديثا في أمهات كتب الحديث في فضل الإمام علي عليه السلام^(١).

والآن لنتساءل: أ حقاً كان الإمام علي عليه السلام يرغب بالزواج في حياة السيدة فاطمة عليه السلام؟.

يمكن القول إن أكثر الرجال لديهم الرغبة بأن يتزوجوا ثانيا، ولكن يكون ذلك بداع، وهذا الدافع يكمن في مسائلتين:
ال الأولى: أن لا توفر الزوجة الأولى الاحتياجات الازمة للزوج.

الثانية: أن يجد الزوج امرأة أسمى من زوجته.

فيما ترى هل كانت فاطمة عليه السلام مقصورة أو قاصرة عن تلبية متطلبات زوجها؟
أكان في نفسها بعض الطعن؟ أليست هي من أصرح العرب نسباً؟ ومن أشهر قبائل قريش (بني هاشم)؟ وابنة سيد المخلوقات؟ أليست هي (فاطمة بضعة مني) وبضعة هي القطعة من اللحم، ففاطمة عليه السلام قطعة من رسول الله عليه السلام عند

(١) الشرح: ٩/١٦٦-١٧٤.

عليه السلام روحًا ودمًا وعقلاً، أليست هي سيدة نساء العالمين؟ التي لم تحضر أبداً، فكانت في قمة الطّهارة الروحية والجسدية؟ أليست هي التي ولدت لعلي عليه السلام القمرین، الحسن والحسین (عليهما السلام)، سیدي شباب أهل الجنة؟ أليست هي التي كانت تنهل من علوم أبيها إلى درجة أن أصبح لدیها كتاب كبير سمي بمصحف فاطمة فيه الكثير مما أخذته عن الرسول عليهما السلام من الأحكام الشرعية؟ لذا كانت في مكانة تؤهّلها لتوادي مكانة علي عليهما السلام العلمية. إلى غيرها من الفضائل التي أهّلتها لأن تكون زوجة مثالية لعلي عليهما السلام إداً فلماذا يبحث عن زوجة ثانية؟

ثم من هي هذه التي اختارها؟ فإذا ما قورنت بفاطمة عليها السلام هل هناك وجه مقارنة في النسب والإيمان والعلم؟ إنّها ابنة أبي جهل المعروف بعدائه للرسول عليهما السلام، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الإسلام، وتلك عاشت مشركة حتى بعد الإسلام لإحدى وعشرين سنة، وحينما فتحت مكة وسمعت بلاً يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله) قالت: «قد لعمري رفع لك ذكرك أما الصلاة فسنصلّي، والله ما نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد جاء أبي الذي كان جاء إلى محمد بالنبوة، فردها ولم يرد خلاف قوله»^(١)، أمّا فاطمة عليها السلام فهي التي فتحت عينها على الإسلام، ولم تعرف للشرك معنى بل يقال أن نطفتها من تفاحة من الجنة^(٢).

وتلك من الطلقاء، وفاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وتلك تزوجت عتابا بن أسيد أحد الطلقاء وفاطمة تزوجت من الإمام علي عليه السلام الذي كان من رسول الله عليه السلام بمنزلة هارون من موسى.

(١) الأزرقي: أخبار مكة /١ ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) الحكم: المستدرک ١٦٩/٣. حب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٦. الشبلنجي: نور الابصار ص ٤٤-٤٥.

وتلك ولدت عبد الرحمن بن عتاب الذي قاتل عليا يوم الجمل وقتل، وفاطمة ولدت الحسن والحسين(عليهما السلام) سيدي شباب أهل الجنة وولدي رسول الله عليه السلام، حيث لا يعرف له نسل إلا منها وتلك نهايتها مجهرة، وفاطمة لما توفيت ندبتها الرجال قبل النساء.

سابعاً: مصدر الحادثة: أرجع الرواة مصدر الحادثة لخمسة أشخاص وهم:
المسّور بن مخرمة، عبد الله بن الزبير، ابن عباس، سويد بن غفلة، أبو حنظلة.
أولاً: المسّور بن مخرمة^(١): هو الذي ترجع إليه أكثر الروايات فمن هو؟ إنه المسّور بكسر الميم وسكون السين، بن مخرمة بن نوفل الزهري، وأمه عاتكة بنت عوف أخت الصحابي عبد الرحمن بن عوف.

ولد بمكة بعد الهجرة إلى المدينة بستين وفي عام ٨ هـ فتحت مكة، ودخل أهلها الإسلام، فكان عمره ست سنوات وفي ذي الحجة من هذه السنة (٨٨ هـ) قدم إلى المدينة وهو ابن ست سنوات ولا تعرف أسباب مقدمه ومع من؟ والظاهر انه قدم مع والده الذي أسلم يوم الفتح، فكان من الطلقاء ثم من المؤلفة قلوبهم. ^(٢).

روي المسّور روایتين أيام وجوده في المدينة. الأولى: «مر بي يهودي والنبي عليه السلام يتوضأ وأنا خلفه، فرفع ثوبه فإذا خاتم النبوة في ظهره فقال لي إلينهودي: أرفع رداءه عن ظهره فذهبت افعل فنضح في وجهي كفأً من ماء».

(١) أنظر ترجمته: الطبرى: المتخب ٥٢٢، ٥٥٦-٧. ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٤/١. ابن الأثير: اسد الغابة ٤/٣٦٥-٦. ابن حجر: الاصابة ٣/٤١٩-٤٢٠.

(٢) ابن هشام: السيرة ٤/١٩٣. الطبرى: تاريخ ٣/٩٠. المتخب ص ٥١٦. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٢٩.

الثانية: «أقبلت بحجر أحمله، ثقيل وعلى إزار خفيف فانحل فلم أستطع أن أضع الحجر حتى بلغت به موضعه، فقال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ: إرجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة»^(١).

فالروايات أعلاه تدلان على صغر سنه يوم جاء إلى المدينة!! ثم انه يتصور أن خاتم النبوة هو كالخواتم المعروفة ولأن هذا الخاتم لا يعرفه إلا إليهود لأنَّ لديهم العلم الأول كما يزعمون لذا كان ذلك الشخص الذي أعلمته بالخاتم يهوديا، مع ان إليهود قد أجل لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عن المدينة منذ معركة الخندق سنة ٥ هـ!!؟

وتشير الروايات ملازمته الخليفة عمر بن الخطاب وكان مع حاله عبد الرحمن بن عوف يوم الشورى، فأقام بالمدينة حتى قتل الخليفة عثمان ثم سار إلى مكة حتى وفاة معاوية، فكره بيعة يزيد وأيد عبد الله بن الزبير في مكة، وبقي معه حتى حصار الحسين بن نمير، حيث أصابه حجر من حجارة المجنين فمات على أثره، فصلى عليه ابن الزبير ودفنه وأشار ابن سعد أن عبد الله بن الزبير ادعى الخلافة لنفسه بعد وفاة المسور، إذ كان سابقاً يدّعى أنها شوري بينه وبين المسور ومصعب بن عبد الرحمن.^(٢)

إذا كان المسور بن مخرمة ابن ست سنوات فهل بالامكان أن يعي ما يحدث بتفاصيله؟ ومن الغرابة ان تلك الحادثة التي جعلت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ يغضب ويصعد المنبر ويندد بعلي، وبكل من تسول له نفسه تزويج علي عليه السلام، وجعلت المدينة تعج بأهلها والناس يتهدّثون بل ويتقدّدون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ لأنَّه لم يغضب لبناته!!؟
نعم.. تلك الحادثة لا يرويها إلا طفل في السادسة من عمره وهو قريب

(١) ابن حجر: الاصابة ٤١٩ / ٣

(٢) الطبقات ١٦٠ / ٥

عهد بالإسلام، ولا تعرف أسباب مجئه إلى المدينة في هذه السن؟ وقد أحجم المهاجرون والأنصار عن روايتها، فلا يعرف هل نسوها وتذكرها هذا الطفل الصغير أم أنهم رأوها غير ذات بال!!؟

والملاحظ أن المسئور واجه نقداً من الإمام علي بن الحسين عليهما السلام حيث تشير إحدى الروايات للقاء المسئور بعلي بن الحسين عليهما السلام بعد رجوع الأخير من الشام، فأراد المسئور أن يقدم له المساعدة، التي تمثل بأن يحتفظ بسيف الإمام الحسين عليهما السلام خوفاً من أن يؤخذ منه ولا أدرى من الذي سيأخذنه والإمام عليهما السلام قد عاد من الشام حيث يزيد، فإذا لم يأخذه الأخير فمن يأخذنه! هذا إن قلنا أن الإمام بقي لديه سيف المعروف أنَّ سيف الإمام الحسين عليهما السلام كلها قد أخذت في ساحة المعركة!!؟

ولما لم يجد المسئور تجاوباً من الإمام علي بن الحسين عليهما السلام انطلق فجأة بتلك الرواية، رواية خطبة الإمام جويرية، ولا يعرف ما الرابط بين طلبه السيف وبين إيراده خطبة الإمام جويرية، وأورد قوله «وأنا يومئذ محمل» فهل في هذا إشارة لشك الإمام عليهما السلام في ما يقوله، فأكمل المسئور بقوله إنه يومها قد بلغ الحلم، قال ابن حجر: «وهذا يدل على أنه ولد قبل الهجرة، ولكنهم أطبقوا أنه ولد بعدها». (١) وبلاحظ أيضاً أن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنكر على المسئور لأنَّ النبي عليهما السلام هو الذي جاء بتشريع تعدد الزوجات فقال المسئور حاكياً عن النبي عليهما السلام: «وإني لست أحرم حلالاً ولا أحلل حراماً».

ولكي يدعم موقفه رفض المسئور تزويج إبنته من الحسن بن الحسن

(١) ابن حجر: الأصابة ٤١٩ / ٣

بدعوى: (ما سبب ونسب وصهر أحب إلي من نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فاطمة بَنْتُ مُحَمَّدٍ بضعة مني يغضبني ما يغضبها، وبيسطني ما يبسطها، وإن الأنساب يوم القيمة تقطع إلا نسيبي ونبي وصهري، وعندك إبنته، ولو زوجتك لقبضها ذلك).^(١)

فما الذي يريد الممسور أن يقوله؟!! هل إن ذرية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البنات يكره الزواج عليها؟!!

ثانياً: عبد الله بن الزبير: هو الابن الأكبر للزبير بن العوام وقيل إنه أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، ولد في السنة الأولى للهجرة فعمره يوم فتح مكة ثمان سنوات، ولم تذكر إلا رواية واحدة تنتهي إليه «عن اسماعيل بن عليه عن ايوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير». وقد شك الترمذى في ذلك قائلاً: «هكذا قال ايوب عن ابن أبي مليكة عن ابن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن الممسور» ثم حاول الترمذى التوفيق فقال: «ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنهم جميعاً».^(٢)

إن حادثة خطبة الإمام علي عليه السلام لجويرية لم يروها ابن أبي مليكة إلا عن الممسور بن مخرمة، فإذا صحت روايته هذه عن ابن الزبير فيحتمل أن الأخير أخذها عن الممسور، خاصة وأن الممسور وابن الزبير اتخذوا من مكة مكاناً لرفض بيعة يزيد وأنهما كانا يرشحان نفسيهما للخلافة، حتى قتل الممسور في حصار مكة الأول على يد الحسين بن نمير.

(١) الحاكم: المستدرك / ٣ / ١٧٢. حب الدين: ذخائر العقبى ص ٤٨.

(٢) الترمذى: الصحيح / ١٣ / ٢٤٧-٢٤٨.

ثالثاً: ابن عباس: رواية واحدة أوردها الزبير بن بكار مرسلة عن ابن عباس، ولا تعدو أن تكون ضمن تلك الروايات التي اصبغت طابعاً خاصاً على ابن عباس في مجادلاته ومناظراته مع الخلفيين عمر وعثمان.^(١)

رابعاً: سويد بن غفلة بن عوجة الجعفي: محضر قيل ولد في عام الفيل وأسلم في حياة النبي عليه السلام ولكن لم يدخل المدينة إلا بعد دفن النبي عليه السلام سنة ١١ هـ. وعاش طويلاً حتى مات سنة ٨٠ أو ٨١ أو ٨٢ وله أكثر من مائة وثلاثين سنة.^(٢)

إذا كانت خطبة الإمام علي عليه السلام بجويرية في السنة الثامنة من الهجرة فمن أين علم بذلك سويد وهو لم يدخل المدينة إلا بعد ثلاث سنوات، وإذا كان هناك شخص أخبره، فمن ذلك الشخص؟ على أنها الرواية الوحيدة التي تسند إلى سويد هذا، وقد يكون أخذها من المسور، ولكنه تغافل عن إسنادها إليه، بعد أن بلغ من العمر عتيماً.

خامساً: أبو حنظلة: روى الحاكم رواية واحدة تعود لشخص يدعى أبو حنظلة قال عنه: إنه رجل من أهل مكة ولا يعرف عنه شيئاً سوى هذه الكنية، وقد بخلت كتب الصحابة والتراث، وعجزت أن تجد لها مكاناً تضع فيه ترجمة لأبي حنظلة هذا!!؟

(١) الشرح ٩/٨-٢١. ابن بكار: المواقف ص ٦٠٤-٦١٢.

(٢) أنظر ترجمته: الذهبي: تحرير أسماء الصحابة ١/٢٥٠. ابن حجر: الإصابة ٢/١١٨. تهذيب التهذيب ٤/٢٧٨-٩. وذكر الطبراني له حديثين يتضمنهما أنه لم ير النبي عليه السلام. المعجم الكبير ٧/٩٢-٩٣.

ثامناً: تحليلات بعض الباحثين:

وطبقاً لفهم الخاطئ لشخصيتي الإمام علي وفاطمة عليهما السلام ولعدم تطبيق مبدأ الجرح والتعديل والاعتماد على المنهج الحرفى النصي، لذا بنى البعض آراءهم حول تلك الحادثة فقد قالت بنت الشاطئ: «انقشعـت السحابة التي ظللت أفق الزهراء عليهما السلام حيناً لا نحدد مدها، وعاد البيت أصفى جواً مما كان قبل أن يمتحن بتلك التجربة القاسية، ومضت الحياة تسير بالزوجين الكريمين على ما يرجوان من تعاون ومودة: فاطمة عليهما السلام في الدار تقوم على خدمة زوجها ما وسعها، وتتخلص شيئاً فشيئاً مما كان يعتادها من شجن وانقباض، وعلىه عليهما السلام إلى جانبها يبذل لها من الحدب والرعاية ما يعينها على مشقة العيش الكادح في جو المدينة الذي لم تسعفها صحتها على أن تألفه بسرعة كما ألفه كثير من المهاجرين، ويحاول قدر ما اطاق ان يتافق بها ويروض نفسه على شيء من اللين واليسـر».^(١)

ان هذه الرؤية لشجن الزهراء وانقباضها، وشدة الإمام علي عليهما السلام وضراره هي وليدة تلك الدراسات الاستشرافية^(٢) التي تناولت جانباً من السيرة النبوية، وشوأخص الأمة، معتمدة على ما جاء في بعض الروايات الضعيفة، لتصوير وضع سلبي لبيت الرسالة والاعلام الأمة، فلننظر إلى ما جاء لدى (منغم) أحد المستشرقين: «وكان للنبي إبنة غير متزوجة وكانت في العشرين من عمرها اسمها فاطمة عليهما السلام، وقد توفيت إبنته رقية منذ زمن غير قليل، وكانت رقية متزوجة بعثمان

(١) بنت الشاطئ: بنيات النبي ص ١٨٢.

(٢) أنظر كلمة للعقاد في نقده للدراسات الاستشرافية. فاطمة الزهراء ص ٣٣-٣٧.

وكانت فاطمة عليه السلام نحيفة طويلة القامة مع الشحوب، وكانت فاطمة عابسة ودون رقية جمالاً ودون زينب ذكاء ولم تدر فاطمة عليه السلام حينما أخبرها أبوها من وراء الستار أن علي بن أبي طالب عليهما ذكر اسمها، وكانت من عادة البنت إذا وافقت على الزواج سكتت والا حركت الستر، فلما أخبرت فاطمة عليه السلام بذلك صمت، فكان ذلك عن حياء أو حيرة، ما دامت قد قالت لأبيها ذات يوم إنه زوجها فقيرا، وكانت فاطمة عليه السلام تعد على دمياً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان علي عليه السلام أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه».^(١)

وقال أيضاً: «وكان علي عليه السلام غير بهي الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة انفه وكبر بطنها وصلعه، وذلك كله. إلا أن علي عليه السلام كان شجاعاً، تقىاً، صادقاً، وفياً، مخلصاً، صالحًا، مع توان وتردد... وكان علي عليه السلام ينهمت فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر، فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابسا: كلي وأطعمي الاولاد... وكان علي يحرد بعد كل منافرة، ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يربته على كتفه ويعظه ويوفق بينه وبين فاطمة إلى حين وما حدث أن رأى النبي إبنته في بيته ذات مرة، وهي تبكي من لكم علي عليهما ذكرها».^(٢)

وأضاف: «ولكن محمد عليهما ذكره مع امتداحه قدم علي عليه السلام، إرضاء لابنته كان قليل الالتفات إليها، وكان صهرا النبي الأمويان عثمان الكري姆 وأبي العاص أكثر مداراة للنبي عليهما ذكره من علي عليه السلام، وكان علي يألم من عدم عمل النبي عليهما ذكره على سعادة إبنته ومن عذر النبي عليهما ذكره له غير قوام بجليل الاعمال، فالنبي

(١) حياة محمد ص ١٩٧.

(٢) حياة محمد ص ١٩٩.

كان يفوض إليه ضرب الرقاب، وكان يتجنب تسلیم قيادة له، وقد أراد على عليه السلام يوماً أن يتزوج على فاطمة عليها السلام، فغضب النبي واحتج على ذلك جهراً من فوق المنبر، وهذا لأن علياً كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل، وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله، وبنت أشد أعدائه، وما آلم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهريه الآخرين»^(١).

إن النصوص أعلاه فيها من الجناية والتحامل على صاحب الرسالة وعلى ابن عمه وابنته مما يجعلنا نتوقف عندها قليلاً.

إن وصف السيدة فاطمة عليها السلام بالعبوس جاء من تصور البعض إنه السبب في تأخر زواجهها حتى بلغت العشرين حسب رواية ولادتها قبل البعثة بخمس سنين بينما تقدم زواج أخواتها وهن دون العاشرة،^(٢) والأصح أن ولادتها في السنة الخامسة بعد البعثة، ورغم صغرها فقد تولت مسؤولية الاهتمام بأبيها بعد وفاة أمها خديجة عليها السلام^(٣)، أما بعد الهجرة فقد أصبحت محط أنظار الصحابة، قال ابن سعد: «إن أبا بكر خطب فاطمة من النبي عليه السلام فقال له: يا أبا بكر انتظر بها القضاء. فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر، ثم أن أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي، فخطبها فقال له مثل ما قال لأبي بكر، انتظر بها القضاء»^(٤)، إلى أن جاء الأمر من السماء بتزويجها من علي عليه السلام كما مر.

والآن لنلقى نظرة على ما جاء في حديث النبي عليه السلام بخصوص فاطمة عليها السلام

(١) حياة محمد ص ١٩٩.

(٢) للتفاصيل أنظر الشرهاوي: خديجة بنت خويلد ص ١١٣-١٣٢.

(٣) الشرح: ٢٨٢/٦. أنظر البخاري: الصحيح ٤/١٢٧. المتقي المندى: كنز العمال ٢/٨٩-٩٠.

(٤) الطبقات: ١٩/٨. وانظر المتقي المندى: كنز العمال ١٣/٩٧.

لنرى إلى أي مدى يصدق كلام منغم؟ !!

قال عليه السلام : «فاطمة حوراء أنسية، كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها». (١)

وقال عليه السلام : «إبنتي فاطمة حوراء آدمية». (٢)

وأشارت أم أنس بن مالك : «كانت فاطمة كالقمر ليلة القدر، أو الشمس
كفر غماما- إذا خرج من السحاب - يضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد
الناس برسول الله عليه السلام شبهاً» (٣). ويكفي في الاشارة لجدها لقبها بالزهراء.

أما وصفها بقلة الذكاء مقارنة بزينب فأي وجه للمقارنة بين الاثنين إن
صح وجود زينب بلا طعن في زينب؟ فهل ذكاء الأخيرة يكمن في بقاءها تحت
مشرك يحارب أباها ويقع في الأسر مرتين، بينما فاطمة تسهر على راحة أبيها حتى
سميت بأم أبيها (٤)، ولكن - منغم - لم ينظر لدعوة النبي عليه السلام كدعوة سماوية بل
تصور إنها مجرد مسألة دنيوية لطلب السلطة، لذلك نظر لبقاء زينب عند زوجها
دليل ذكاء، وإنما لم تصدق بدعوة أبيها.

ولننظر ما جاءت به السنة فيما يخص ذكاء فاطمة عليه السلام :

عن السيدة عائشة: ما رأيت أحد أشباه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول
الله في قيامه وعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها

(١) الحاكم: المستدرك ١٦٩ / ٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٥ / ٨٧.

(٢) الهيتمي: الصواعق ص ١٥٨ . الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧٢ . المتقي الهندي: كنز العمال ١٣ / ٩٤.

(٣) الحاكم: المستدرك ١٧٦ / ٣.

(٤) الطبرى: المنتخب ص ٤٩٩ . لما كانت الأم هي الأصل ولو لاها لم يكن الولد، لذا لما كانت ذرية
النبي عليه السلام انحصرت بفاطمة فكانت السبب في ذلك الامتداد للنبي عليه السلام لذلك سميت بأم أبيها.

فقبلها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه^(١).

اما وصف الإمام علي عليه السلام بالدمامة، فليته دلنا على مصدره، وهلا نظر في مصادرنا العربية الإسلامية وهي تصف الإمام بأنه حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، وكأن عنقه ابريق فضة^(٢)، ضحوك السنن^(٣)، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم^(٤).

وكم ناقض - منجم - الحقيقة بوصفه الإمام علي عليه السلام بالتردد والتواني، ويكتفي أن نحيل القارئ إلى ما كتبناه في فصل خصائص الإمام وسجاياه.

أما عن تلك المنافرات بين الإمام علي عليه السلام وفاطمة والتي كان مصدرها تلك الرواية التي تفيد أن علياً أغضب فاطمة ثم خرج إلى المسجد، فجاءه الرسول صلوات الله عليه وسلم ووجده نائماً وقد سقط التراب على جسمه، فقال له اجلس إنما أنت أبو تراب الواقع إن كنية أبي تراب هي من أحب كنـى الإمام علي عليه السلام إليه لأن النبي صلوات الله عليه وسلم كـناه بها حينما أرسـله مع عمـار كـمقدمة لمـعرفة اخـبار العـدو وبـعد ما أـرهـقـهم التـعب نـامـوا فأـدرـكـهم النـبـي فـأخذـ يـمسـحـ التـرابـ عنـ وجـهـ الإـمامـ ويـقـولـ لهـ إنـماـ أـنتـ

(١) الترمذى: الصحيح /١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد /٣-٢٣٠. الحاكم: المستدرك = ١٦٧. ابن عبد البر: الاستيعاب /٤. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٥١-٥٠ = الحافظ العراقي: طرح التشريب /١٥٠. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٧١.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب /٣. محب الدين: الرياض النظرة: ٢٠٥/٢. الصفورى: نزهة المجالس . ٢٤/٢

(٣) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/١. ٣٤٩

(٤) البيهقي: المحسن والمساوئ ص ٤٦-٤٧. أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٨٤

أبوتراب.^(١)

إن من يقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ويستطلع تلك الأحاديث النبوية الصادرة عنَّه:
الصادرة عنَّه:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٢).

ليستبعد هذا التصوير لعاملة الإمام علي عليه السلام للسيدة فاطمة^{عليها السلام}.

قال عليه السلام: لعلي:

«أشبهت حَلْقِي وَحَلْقِي، وأنت من شجرتي التي أنا منها».^(٣)

وقال عليه السلام:

«علي خير أمتى، أعلمهم علمًا وأفضلهم حلمًا».^(٤)

وقال عليه السلام لفاطمة:

«زوجتك أقدم أمتى سلامًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا».^(٥)

(١) ابن هشام: السيرة ٢/٢٣٦. ابن سعد: الطبقات ١٠/٢. البخاري: الصحيح ٥/٨٨-٨٩.

الحاكم: المستدرك ٣/١٥١-٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٨. ابن كثير: البداية والنهاية

٣/٢٤٧. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٣٦. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٣. يوسف محمد عمرو:

أبو تراب ص ١٥-٣١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ١١/١٧١.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/١٩٤. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٠٢. المتقي الهندي: كنز العمال

٦/١٥٣. ٣٩٢. ٣٩٨.

(٥) الإسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٩-٩٠. حب الدين: ذخائر العقبى ص ٨٨. الرياض الناظرة

٢/٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٥. الجوهري: فرائد ١/٩٢. الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١١٤، ١٠١.

المتقي الهندي:

فهل يمكن تصور الإمام علي عليه السلام وهو يلكم فاطمة عليها السلام كما ادعى منغم وهو يسمع قول الرسول عليه السلام لفاطمة:

«إن الله يغضب لغضبك، ويرضي لرضاك».

وقوله عليه السلام:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني».

كما مر.

ولقد ناقض منغم نفسه، فتارة يقول إن النبي عليه السلام يمدح علياً إرضاء لابنته، وتارة يقول إن علياً كان يتالم من النبي لعدم اهتمامه بابنته والأغرب من ذلك إن النبي الذي كان لا ينطق عن الهوى، يمدح علياً إرضاء لابنته وكأن علياً عليه السلام لم يقدم للإسلام شيئاً، ويكتفي هنا أن نذكر قول أحمد بن حنبل حيث يقول (ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل بقدر ما جاء لعلي بن أبي طالب)^(١).

ولعدم الألام بحوادث التاريخ وقعت بنت الشاطئ وتبعها أبو علم في الخطأ حينما أرّخوا وقت هذه الحادثة في السنة الثانية من الهجرة، مع العلم أنه يفترض وقوعها إن صحت في السنة الثامنة بعد فتح مكة المكرمة لأن جويرية أسلمت في فتح مكة السنة الثامنة للهجرة.

وختاماً ما هو تفسير هذه الحادثة؟

هل هي مجرد فكرة طرحتها الإمام علي عليه السلام على النبي عليه السلام ولكن النبي

كره ذلك، لذا عزف عنها الإمام كما صورتها إحدى روايات الحاكم^(١)

بدون ذلك التهويل الذي صورته الروايات الأخرى؟

أم إنها فكرة بني المغيرة، ولا علاقة للإمام بذلك، وقد تكون تلك

الفكرة من باب خلق إشكال بين النبي عليه السلام والإمام علي عليه السلام ولكنها لم

تنجح؟

أم إن الرواية موضوعة لتكون مصداقاً لقوله عليه السلام لفاطمة عليها السلام: فاطمة

بضعة مني من أغضبها فقد أغضبني؟ كما أدل على ذلك ابن تيمية^(٢).

إن معرفة حقيقة النبي عليه السلام بصفته نبياً مرسلاً وإنه ما ينطق عن الهوى إن

هو إلا وحي يوحى، والوحي لا يضاد الوحي.

معرفة طبيعة العلاقة التي تربط النبي عليه السلام بالإمام علي عليه السلام من جهة والإمام

علي بفاطمة عليها السلام من جهة أخرى وهي طبيعة ايجابية.

اقتصر مصدر الرواية على طفل في السادسة من عمره أو شخص لم يدخل

المدينة إلا بعد وفاة النبي عليه السلام أو شخص مجهول.

عدم استغلال خصوم الإمام علي عليه السلام هذه الحادثة للتشنيع به.

كل ذلك دليل على أن الحادثة قد بولغ فيها كثيراً إن لم نقل أنها

موضوعة!!؟

(١) الحاكم: المستدرك ١٧٣ / ٣

(٢) منهاج السنة: ١٧٠ / ٢

أرض^(١) فدك^(٢) أرض لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب فأصبحت خالصة للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه فأعطها لفاطمة عليها السلام وبعد وفاته صلوات الله عليه وآله وسلامه أعادها الخليفة أبو بكر لتكون صدقة لجميع المسلمين مستندا إلى حديث رواه عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه مفاده: إِنَّ معاشر الأنبياء لَا نورث، ما ترکناه صدقة^(٣).

هذه المسألة أولها ابن أبي الحديد أهمية حيث عقد فصولاً ثلاثة لمناقشتها:

الفصل الأول^(٤): مصدر حوادث مسألة فدك، إذ يقول: (فيما ورد من الأخبار والسير المنقوله من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالاتهم، لأننا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري^(٥) في السقيفة

(١) لم يسبه الباحث في مناقشة هذا الموضوع لأنه من الموضوعات المتنوعة مناقشتها مطلقاً في النظام البائد لهذا اقتصرنا على خلاصة رأي ابن أبي الحديد.

(٢) قرية بالحجاز تبعد عن المدينة المنورة يومين، فتحت صلحاً على أن يعطوا نصف ثمارها فأصبحت خالصة للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه. أنظر البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٢-٤٧. الحموي: معجم البلدان ٤٠-٢٣٨.

(٣) أخرجه ابن سعد: الطبقات ٢/٣١٤-٥. البخاري: الصحيح ٥/٩١. البلاذري: فتوح البلدان ٣/٣٠٧. مشكل الآثار ١/٤٧. ابن حزم: الفصل ٤/١٥٥. ابن الطيب: المعتمد في أصول الفقه ٢/٦٤٦.

(٤) الشرح: ١٦/٢١٠-٢٣٧.

(٥) هو الشيخ المتقدم البارع أبو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري من رجالات القرن الرابع الهجري وله مؤلفات تاريخية اعتمدها أبو الفرج وابن أبي الحديد. أنظر: الشرح ٢/٤٤-٥٩. الاغاني: ٥/١٣٥، ٩-١٤١، ٨-١٤١، ١٥٣. وانظر ترجمته: الطوسي: الفهرست ص ٦١. المازندراني: معالم العلماء ص ٢٢. الخوانساري: روضات الجنات ٢/٤٨. الريبيعي: العذيق النضيد ص ٤-١٦٣.

وفدك، وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبي عليه السلام، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث كثير الأدب، ثقة ورع، أثني عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته).

وأضاف: (ونحن لا ننصر مذهبنا بعينه، وإنما نذكر ما قيل، وإذا جرى بحث نظري قلنا ما يقوى في انفسنا عنه).

الفصل الثاني ^(١): ناقش فيه هل إن النبي عليه السلام يورث أم لا؟ موضحا ذلك من خلال ما جاء في كتاب المغني للقاضي حسب الرؤية الاعتزالية، وردَّ الشريف المرتضى في كتابه الشافى في الإمامة حسب الرؤية الإمامية، وقد وقف ابن أبي الحديد ناقداً ومحلاً ومؤيداً لهذا وذلك حسبما يراه أقرب للصحة برأيه.

الفصل الثالث ^(٢): ناقش فيه هل إن فدك نحلة من الرسول عليه السلام لفاطمة عليها السلام أم لا؟ وقد تناول هذا الفصل من خلال طرحه ما جاء لدى القاضي في كتابه المغني ^(٣) وردَّ الشريف المرتضى في كتابه الشافى، ومعلقاً ومناقشاً لهذا أو ذاك وخلص للقول: «فأمّا أنا فالأخبار عندي متعارضة، يدل بعضها على أن دعوى إلارث متأخرة، ويدل بعضها على أنها متقدمة، وأنا في هذا الموضع متوقف». ^(٤)

وأضاف: «وما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النحل ف صحيح، وأما إخفاء القبر، وكتهان الموت، وعدم الصلاة وكل ما ذكره المرتضى فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي، لأن الروايات به أكثر وأصح من

(١) الشرح: ٢٣٧-٢٦٨.

(٢) الشرح: ٢٦٨-٢٨٦.

(٣) المغني: ٣٣٢-٣٣٧ / ٢٠.

(٤) الشرح: ٢٨٦ / ١٦.

غيرها، وكذلك القول في موجتها وغضبها، فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه مختلف فتارة وتارة، وعلى كل حال فمثيل أهل البيت إلى ما فيه نصرة أبيهم وبيتهم».^(١)

وأردف: «لقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحفظ عهده يقتضي أن تعوض إبنته بشيء يرضيها، إن لم يستنزل المسلمين من فدك وتسليم إليها تطبيقاً لقلبها، وقد يسوي ل الإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين، إذا رأى المصلحة فيه، وقد بعد العهد الآن بيننا وبينهم، ولا نعلم حقيقة ما كان وإلى الله ترجع الأمور».^(٢)

كانت فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وحيدة يوم وفاة أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك كان ثقل فراقه عَلَيْهِ السَّلَامُ عظيماً عليها، فكانت تندبه قائلة: «يا أبتاه! جنة الخلد مثواه، يا أبتاه! عند ذي العرش مآواه! يا أبتاه! كان جبريل يغشاه! يا أبتاه لست بعد اليوم أراه!». ويشار إلى أنها «كانت تشوب هذه الندبة بنوع من التظلم والتالم لأمر يغلبها».^(٣)

ويذكر إنها تحاملت نحو القبر الشريف، وألقت بنفسها عليه مغشيا عليها فلما أفاقت أخذت حفنة من تراب القبر، وأدتها من عينيها اللتين قرحاها البكاء وراح تشمها وتقول^(٤):

ماذاعلى من شمَّ تربةَ أَحَدٍ
أَلَا يشَّمَّ مدي الزَّمَانِ غوايا

(١) الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٢) الشرح: ٢٨٦/١٦.

(٣) الشرح: ٤٣/١٣. ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/٢٣٨. الحاكم: المستدرك ٣/٦١، ١٧٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٢٢٧.

(٤) الشبلنجي: نور الأ بصار ص ٤٦. العقاد: فاطمة الزهراء ص ٤٩.

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْأَمَّا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُدْنَ لِيَا

ولم تطل حياتها بعد النبي ﷺ إلا أشهراً حيث توفيت وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكان لوفاتها ومن قبل وفاة النبي ﷺ وقع عظيم في نفس الإمام علي عليه السلام، لذا قال (١) :

أرَى عَلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيرَةً	وصاحبُهَا حَتَّى الْمَبَاتِ عَلِيلٌ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِّنْ خَلِيلِينَ فَرْقَةٌ	وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْفَرَاقِ قَلِيلٌ
وَإِنَّ افْتَقَادِي فَاطِمَّاً بَعْدَ أَحْمِدٍ	دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ

ونختم كلامنا عن فاطمة الزهراء بكلمة للعقاد جديرة بالتأمل، إذ يقول: «إن في كل دين صورة للأئمة الكاملة المقدسة يتחשّع بتقديسها المؤمنون، كأنها هي آية الله من ذكر وأنشى، فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جرم أن تقدس صورة فاطمة البتول. ولقد أخذت الزهراء مكانها الرفيع بين أعلام النساء في التاريخ واقترب اسمها بمئات الشهداء، وظل اسم المتسبّبين إليها يقض مضاجع الحكام،... وكان لا يزيد بل لا يزيد على دولة إسلامية شرف الانتساب إليها، خلال ثلاثة قرون أو تزيد بل كان الانتساب إليها من أقوى الدعائم، ليس لأنّها بنت نبي وزوجة إمام وأم لآلاف الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الضعفاء والمحرومين والمعدّين فحسب، بل لأنّها رافقت دعوة أبيها منذ بدايتها، وتأصلت في نفسها حتى

(١) الشرح: ٢٨٨ / ١٦ . وانظر الميرد: الكامل ٤ / ٣٠ ، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣ / ٢٤١ . الحاكم: المستدرك ٣ / ١٧٩ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣١٩ . ابن كثير: البداية ٨ / ١١ . الشبانجي: نور الإبصار ص ٤٧ .

اصبحت وكأنها جزء من كيانها وطبيعتها تمدها بالثبات على الحق، والدفاع عن المظلومين منها كان الثمن غاليا.. وظلت تكافح وتناضل إلى أن فارقت الدنيا تاركة صورة للألوان الكاملة المقدسة يقدسها مئات الملايين من البشر، وكأنها من أقدس آيات الله التي خلقها فيما خلق من بنى الإنسان
منذ بداية الخليقة وحتى نهايتها».^(١)

الإمامان الحسن والحسين عليهم السلام

ومن فضائل الإمام علي عليه السلام أنه رزق بولدين كان لهما الأثر الأكبر في تاريخ الأمة الإسلامية من زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام وهما الحسن والحسين عليهما السلام اللذين قال فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنها سيدا شباب أهل الجنة.^(٢) لذا كان الإمام علي عليه السلام يفتخر بهما ويقول^(٣):

فَأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسْهَمِي
وَسَبْطًا أَهْمِي وَلَدَائِي مِنْهَا

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهما ولداه ويقول: «لكل بني آنسى عصبة

(١) انظر العقاد: فاطمة الزهراء ص ٦٨. الحسيني: سيرة الأمة ١/١٣٧-١٣٨.

(٢) الشرح: ١/٣٠، ١٤٢/١٥. وانظر ابن ماجة: صحيح سنن ١/٢٦. البيهقي: المحاسن والمساوئ ص ٧٨، ٩٣، ٨٠. ابن عبد ربہ: العقد الفريد ٤/٣١٢. الطبراني: المعجم الكبير ٣/٤١-٣٥. الحاکم: المستدرک ٣/١٨٢. أبو نعیم: حلیة الاولیاء ٤/١٣٩-١٤٠. ابن عبد البر: الاستیعاب ١/٣٩١. النووی: تهذیب الاسماء ١/١٦٣، ١٦٠. ابن الاشیر: اسد الغابة ٢/٩، ١٨. ابن حجر: الاصابة ٢/٣٣٠. ابن حجر: لسان المیزان ٢/٣٤٣. الهیتمی: الصواعق ٢/١٨٩-١٣٥. المتقی المندی: کنز العمال ١٣/٩٣، ٩٧، ٨-١٠٠.

(٣) الشرح: ٤/١٢٢. وانظر الطبرسي: الاحتجاج ١/١١٢. المازندراني ٢/١٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٨. الهیتمی: الصواعق ص ١٣١.

يتيمون إليها، إلا ولد فاطمة فأنا ولهم وأنا عصبتهم»^(١)، وقال أيضاً «إن الله تعالى جعل ذرية كلنبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب»^(٢).

وقد ناقش ابن أبي الحديد مسألة: هل يجوز أن يقال إن الحسن والحسين عليهما السلام هم أبناء رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله؟

قال «نعم، لأنَّ الله تعالى سماهم (أبناءه) في قوله تعالى:

﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٣).

وإنَّما عنى الحسن والحسين عليهما السلام ولو أوصى لولد فلان بهالدخل فيه اولاد البنات وسمى الله تعالى عيسى ذرية إبراهيم في قوله:

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَأْوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ إلى أن قال:

﴿وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(٤).

ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل».

وفسر ابن أبي الحديد قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(٥).

(١) الحكم: المستدرك /٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٤. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣.

(٢) الجوهري: فرائد /١.٣٢٤. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢، ١٥٤. المتقي الهندي: كنز العمال ٢٠١/١٢. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٤) سورة الانعام، الآية: ٨٤، وبهذه الآية احتج يحيى بن معمر على الحجاج في إثبات بنوة الحسن والحسين للنبي عليهما السلام. الحكم: المستدرك /٣. ١٨٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

بأن ذلك يعني به زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول (زيد بن محمد). على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك، ونهى عن سنة الجاهلية وقال: «ان محمدًا عليه السلام ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعزز إلهي بالنبوة، وذلك لا ينفي كونه أباً للأطفال، الذين تطلق عليهم لفظة الرجال كأبراهيم والحسن والحسين^(١)».

وتسائل ابن أبي الحميد: هل أن ابن البنت ابن على الحقيقة أم المجاز؟ فقال: «لذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن أصل الاطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركًا بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما، إلا يكون حقيقة في الآخر، ولذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية، وهي التي كثر استعمالها، وهي في الأكثر مجاز، حتى صارت حقيقة في العرف كالراوية للمزادة، والسماء للمطر، ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازًا قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال، واستعماله كسائر المجازات المستعملة».

«وما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافة باليه عليه السلام انه ما كان يحل له عليه السلام أن ينكح بنات الحسن والحسين عليهم السلام ولا بنات ذريتهما، وإن بعدت وطال الزمان ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبين وغيرهم، وهذا يدل على مزيد من الأقربية وهي كونهم أولاده، لأنه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه ولا أولاد أخته، ولا هناك وجه يقتضي حرمتهم عليه، إلا كونه والدًا لهم وكونهم أولادًا له. فان قلت: قد

قال الشاعر^(١):

بنو هنَّ ابناء الرجال الاباعد
بنو نا بنو ابناينا وبناتنا

وقال حكيم العرب: أكثم بن صيفي^(٢) في البنات يذمهن: إمَّن يلدن
الأعداء ويورثن البداء.

قلت: إنما قال الشاعر ما قاله على المفهوم الأشهر: وليس في قول أكثم ما
يدل على نفي بنوتهم، وإنما ذكر أنهن يلدن الأعداء وقد يكون ولد الرجل لصلبه
عدواً، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَكُمْ﴾^(٣).

ولا ينفي كونه عدواً كونه إبناً^(٤).

ولذلك جعل الإمام علي عليه السلام الولاية في التصرف بأمواله إلى الحسن والحسين عليهما السلام
لشرفهما من الرسول عليهما السلام وقد عذر ابن أبي الحديد ذلك (رمضان وازراء بمن صرف الأمر
عن أهل بيته رسول الله عليهما السلام مع وجود من يصلح للأمر أي كان الألائق بال المسلمين
وال الأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله، قربة إلى رسول الله عليهما السلام وتكريراً لحرمتها وطاعة
له وأنفة لقدرها عليهما السلام أن تكون ورثته سوقاً يليهم الأجانب ومن ليس من شجرته

(١) هذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النجاة: انظر مؤلف مجاهد: أخبار العباس
ص ١٣١. الجاحظ: الحيوان ٢٠٦. البغدادي: خزانة الأدب ١/٢١٣.

(٢) أحد حكماء العرب قبل الإسلام وهو ثنيمي أدرك الإسلام، وحث قومه على الدخول فيه.
الشعالي: التمثيل والمحاورة ص ٣٦. ابن بناته: سرح العيون ص ١٤-١٦. ابن حجر: الاصابة
١-١١٠. الآلوسي: بلوغ الارب ١/٣٠٨، ٣٠٩/٣، ١٧٢-٣.

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٤.

(٤) الشرح: ١١/٢٧-٢٨، وانظر القرطبي: الجامع ٤/١٠٤.

وأصله. ألا ترى أن هيبة الرسالة والتبّوة في صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم في الخلق من بيت النّبوة وليس يوجد مثل هذه الهيئة والجلال في نفوس الناس للنّبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النّسب من صاحب الدّعوة عليه السلام.^(١)

وقد عقد ابن أبي الحديد فصلاً عن الإمام الحسن عليه السلام^(٢) وقال في تحليله لصلاح الحسن عليه السلام مع معاوية بأن السبب يكمن في فقدان الحسن للأنصار، فلا حيلة له ثم قال: «والذي خاضها (الغرمات) مع عدم الأنصار هو الحسين عليه السلام وهذا عظم عند الناس قدره، فقدمه قوم كثير على الحسن عليه السلام».^(٣)

وأكّد ابن أبي الحديد أن مكانتهما عند المعتزلة هي التساوي في الفضيلة، «أمّا الحسن عليه السلام فلو قوفه مع قوله تعالى:
 ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾^(٤).

وأمّا الحسين عليه السلام فلأعزاز الدين».^(٥)

أمّا الحسين عليه السلام فقد اعتبره ابن أبي الحديد من أباء الضييم فقال (سيد أهل الإباء، الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدّنية، أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عرض عليه الأمان واصحابه، فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله فاختار الموت على ذلك).

(١) الشرح: ١٤٩/١٥.

(٢) الشرح: ٥٢-٩/١٦.

(٣) الشرح: ٦٥/١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٥) الشرح: ٦٥/١٦.

حتى كان أبيات أبي تمام ما قيلت إلا في الحسين عليه السلام^(١):

إليه الحفاظ المُرُ والخلق الوعُر	وقد كان فوت الموت سهلاً فرده
هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر	ونفسه تعاف الضيم حتى كأنه
وقال لها: من تحت أخصبك الحشر	فأثبتت في مستنقع الموت رجله
ها الليل إلا وهي من سندس خضر	تردى ثياب الموت حمراً فما أتى

وأشار ابن أبي الحديد لوصف رجل شارك في حرب الحسين عليه السلام مشيرا للجانب البطولي لدى الحسين عليه وأصحابه فقال: «قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحى! اقتلتم ذريه رسول الله عليه السلام! فقال: عضضت بالجندل، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديهما في مقابض سيوفها، كالأسود الضاربة، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقى أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترحب في المال، ولا يحول له حائل بينها، وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأنت على نفوس العسكري بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك».^(٢)

النص أعلاه وإن كان يمثل تبريراً لأولئك الذين قتلوا الحسين عليه لكنه يشير إلى أنهم رفضوا السلام المشوبة بالذلة والاموال، وقبلوا الموت لأنهم رأوا عزهم فيه، وقد انتقد ابن أبي الحديد الجاحظ لتجاهله ما حدث بكرباء قائلاً: «هذا أيضاً تحامل من أبي عثمان (الجاحظ) هلا ذكر قتل الطغوف وهم عشرون سيداً من بيت واحد، قتلوا في ساعة واحدة، وهذا ما لم يقع مثله في الدنيا لا في

(١) الشرح: ٣٤٩/٣، وانظر ديوان أبي تمام ص ٣٢٩.

(٢) الشرح: ٢٦٣/٣.

العرب ولا في العجم، ولما قتل حذيفة بن بدر يوم الهباء^(١) وقتل معه ثلاثة أو أربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الأمثال واستعظموه، فجاء يوم الطف (جري الوادي فطم على القرى)^(٢).

وقد فسر ابن أبي الحديد موقف الجاحظ هذا بقوله: «لقد غلت البصرة وطينتها على إصابة رأيه».^(٤)

أهل البيت

لقد عرفت تلك الأسرة التي تكونت من علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بإسم (أهل البيت) ووصفوا بأنّهم عترة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أي أهله الادين ونسله ولا تشمل رهطه وإن بدوا وعقباب ابن أبي الحديد على قول أبي بكر يوم السقيفة: «نحن عترة رسول الله وببيضته التي فقئت عنه» انه على سبيل المجاز لأنّهم بالنسبة إلى الأنصار عترة له لا في الحقيقة، كما يفارخ العدناني القحطاني بأنه ابن عم الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وهو ليس ابن عمّه حقيقة وإنما مجازا إذا قورن بالقططاني.^(٥)

والعترة التي بينها الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه هي ما أشار إليها في قوله «إني تارك فيكم

(١) الهباء ماء بأعلى أرض نجد كان فيه يوم الهباء بين عبس وذبيان قتل فيه حذيفة بن بدر، أنظر ابن حبيب: المحرر ص ٣٤٩. ابن رشيق: العمدة ٢/٢-٢٠٢. الميداني: مجمع الأمثال ١/٢٥٢، ١١٥-١١٩. التويري: نهاية الارب ١٥٦/٢.

(٢) أي جرى سيل الوادي فدفن القرى والقرى هي مجاري المياه الصغيرة، أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال ١/٣٢٢، الميداني: مجمع الأمثال ١/١٥٩.

(٣) الشرح: ٢٥١/١٥.

(٤) الشرح: ٢٤٧/١٥.

(٥) الشرح: ٣٧٥/٦.

الثقلين كتاب الله وعتقي أهل بيتي، حبلان مددودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتى يردا على الحوض».^(١)

وبين في مقام آخر أهل بيته لما طرح عليهم كساما فنزل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، فقال الرسول ﷺ:^(٣)

«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم».

وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(٤).

وقد نعت الإمام العترة بأنها السبب^(٤)، وأنها رأية الحق^(٥) قال ابن أبي الحديد (إن الإمام يشير هنا إلى نفسه وولديه، والأصل في الحقيقة نفسه^(٦)، حيث وصف نفسه (دليلها مكيث الكلام) أي بطيئة^(٧) أمّا ولداته فهما تابعان له ونسبتها له كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة، وقد أشار

(١) الشرح: ٩/١٣٣، اخرجه الحاكم: المستدرك ٣/١١٨، ١٦٣. النوي: تهذيب الاسماء

= ١/١٥٩، ٣٤٧. الخوارزمي: المناقب ص ٩٣. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٢٢-٣.

= الهيثمي: الصواعق ص ١٤٧، ١٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٣) الشرح: ٦/١٦٩، ٦-٣٧٥. وآخرجه الحاكم: المستدرك ٣/١٤٣، ١١٧، ١٥٨. ابن

تيمية: منهاج السنة ٢/١٢١.

(٤) الشرح: ٩/١٣٣.

(٥) الشرح: ٧/٨٥.

(٦) الشرح: ٦/٣٧٦.

(٧) الشرح: ٧/٨٥.

لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله لهم: وأبوكما خير منكم^(١).

وعدَ الإمام علي عليه السلام أهل البيت «أزمه الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم منزلة القرآن». إن تحت قوله عليه السلام: فأنزلوهم منزلة القرآن، سر عظيم، وذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة في الإجلال والإعظام والإنقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.^(٢)

هذه الرؤية ألا تشعر بعصمة العترة؟ أشار ابن أبي الحديد لرؤيه ابن متويه لعصمة الإمام علي عليه السلام وأنه لم يكن واجب العصمة حيث ان العصمة ليست شرطا في الإمامة، عند المعتزلة، إلا أن «أدلة النصوص قد دلت على عصمتها، والقطع على باطنها ومعينها، وإن هذا امر اختص هو به دون غيره من الصحابة، والفرق ظاهر بين قولنا (زيد معصوم) وبين قولنا: (زيد واجب العصمة)، لأنه إمام ومن شروط الإمام أن يكون معصوما» فالاعتبار الأول مذهب المعتزلة، والثاني مذهب الإمامية.^(٣)

ثم ان آل البيت عليهم السلام هم (ابواب الحكم) وهي الشرعيات والفتاوي وهم ضياء الأمور، أي العقليات والعقائد، وهذا المقام العظيم لا يستطيع أن يجسر أحد من المخلوقين على ادعائه إلا الإمام علي عليه السلام فلو ادعاه غيره لكذب وكذبه الناس.^(٤)

وقد قال عليه السلام:

(١) الشرح: ٦/٣٧٦، وانظر ابن عبدربه: العقد الفريد ٤/٣١٢. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١١٦.

(٢) الشرح: ٦/٣٧٣، ٣٧٦.

(٣) الشرح: ٦/٣٧٦-٧.

(٤) الشرح: ٧/٢٨٩.

(نحن مختلف الملائكة)^(١).

ولذا دعا الإمام علي الناس إلى «ورودهم ورود الهمم العطاش»، أي الحرص على أخذ العلم والدين منهم^(٢)، ووصف أمرهم بأنه «صعب مستعصب لا يحتمله إلا عبد امتحن قلبه للإيمان». «والمعنى أنهم صبروا على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة لأنه تحققك الشيء إنما يكون باختياره ... ويجوز أن يكون المعنى: ضرب الله على قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى ... ويجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى من قوله لهم: امتحن الذهب، إذا أذابه فخلص إبريزه من خبيثه ونفاه»^(٣).

وفي شرحه لقوله عليه السلام: (لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً)، قال: «لا شبهة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه، ولا ريب أن محمداً عليه وأهله الأدرين منبني هاشم،-لاسيما علياً عليه السلام- أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها، وهي الدعاء إلى الإسلام، والهدایة إليه، فمحمد عليه السلام وإن كان هدى الخلق بالدعوة التي قام بها بلسانه ويده، ونصرة الله تعالى له بملائكته وتأييده، وهو السيد المتبع والمصطفى المنتجب، الواجب الطاعة إلا أن علياً عليه السلام من الهدایة أيضاً وإن كان ثانياً لأول ومصلياً على أثر سابق ما لا يجحد ولو لم يكن إلا جهاده بالسيف أولاً وثانياً، وما كان بين الجهادين من نشر العلوم، وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له

(١) الشرح: ٢١٨/٧.

(٢) الشرح: ٣٧٧، ٣٧٣/٦.

(٣) الشرح: ١٠١/١٣، ١٠٥.

فاهمة، ولا متصورة، لكتفى في وجوب حقه، وسبوغ نعمته عليه السلام، فإن قيل: ... فأى نعمه له عليهم؟ قيل: نعمتان: الأولى منها، الجهاد عنهم وهم قaudون، فإن من أنصف علم أنه لو لا سيف على عليه السلام لاصطلم المشركون... وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخبير وحنين، وإن الشرك فيها فغر فاه، ولو لا أن سدّه بسيفه لالتهم المسلمين كافة، والثانية: علومه التي لو لاها لحكم بغير الصواب في كثير من الأحكام وقد اعترف عمر له بذلك، والخبر مشهور، لو لا على عليه السلام هلك عمر»^(١).

وأضاف: «ويتمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر، وذلك لأن العرب تفضل القبيلة التي منها الرئيس الأعظم، علىسائر القبائل، وتفضل الأدنى منه نسباً، فالأدنى على سائر آحاد تلك القبيلة، فإن بنى دارم يفتخرن بحاجب وإخوته، وبزرارة ابيهم على سائر بنى تميم...^(٢) فكذلك لما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رئيس الكل والنعم على الكل جاز لواحد من بنى هاشم ولا سيما مثل على عليه السلام أن يقول هذه الكلمات»^(٣).

ومن مميزات أهل البيت عليه السلام إن الصلة وصدقه التطوع والزكاة الواجبة محرومة عليهم وهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأما غيرهم فتحرم عليهم الزكاة الواجبة ولا تحرم صدقه التطوع ولا الصلة. وتسائل

(١) الشرح: ١-١٤٠ / ١.

(٢) عرف هذا البيت بالوفاء وبأنهم حضان الملوك حيث تربى مالك بن المنذر بن ماء السماء لديهم. أنظر المبرد: الكامل ١ / ١٧٠. أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال ١ / ٢٦١. القلقشندي: صبح

الاعشى ١ / ٣٧٩. الآلوسي: بلوغ الارب ١ / ٣١١.

(٣) الشرح: ١-١٤١ / ١.

ابن أبي الحديد: كيف يقال ان الصلة محمرة عليهم، وقد أخذ الحسن والحسين عليهما السلام الصلات من معاوية؟ فأجاب: «كلا! لم يقبلًا صلته ومعاذ الله أن يقبلاه! وإنما قبلًا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقهما من بيت المال، فإن سهم ذوي القربي منصوص عليه في الكتاب العزيز ولهم غير سهم ذوي القربي سهم آخر للإسلام من الغنائم»^(١).

ولما أشار عليه السلام إلى اختصاص آل البيت بخاصية بعد الموت بقوله (أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين ﷺ: إنه يموت من مات منا وليس بمت، ويبلى من بلي منا وليس ببالي). حمل ابن أبي الحديد هذا الكلام على وجهين. «الأول: أن يكون النبي ﷺ وعلي عليه السلام ومن يتلوهما من أطايق العترة أحياء بأبدانهم التي كانت في الدنيا بأعيانها، قد رفعهم الله تعالى إلى ملوكوت سماواته، وعلى هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان في الأرض، وقد روي في الخبر النبوي ﷺ: مثل ذلك، وهو قوله «إن الأرض لم تسلط على وإنها لا تأكل لي لحها، ولا تشرب لي دما»^(٢). نعم، يبقى الإشكال في قوله: (ويبلي من بلي منا وليس ببالي)، فإنه إن صح هذا التفسير في الكلام الأول وهو قوله: (يموت من مات منا وليس بمت). فليس يصح في القضية الثانية وهي حديث البلاء، لأنها تقتضي أن الأبدان تبلى وذاك الإنسان لم يبل، فأحوج هذا الإشكال إلى تقدير فاعل مذوف، فيكون تقدير الكلام: يموت من مات حال موته وليس بمت فيها بعد ذلك من الأحوال والأوقات، ويبلى كفن من بلي منا وليس هو ببالي، فحذف المضاف كقوله:

(١) الشرح: ٢٤٩ / ١١. يقصد الخامس.

(٢) روى ما يشابهه ابن ماجه: صحيح ١ / ١٧٩، ٢٧٣. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ١ / ٢٧٨.

﴿وَإِلَى مَدْيَن﴾^(١).

أي وإلى أهل مدین، ولما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال، كما عبروا عن المطر السماء وعن الخارج المخصوص بالغائط، وعن الخمر بالكأس، ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى:

﴿حَتَّىٰ تَوَارِثُ بِالْجِبَابِ﴾^(٢).

: و

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾^(٣).

وقول حاتم: إذا حشر جت.^(٤)

الثاني: إن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحي الفعال أجزاءً أصلية في هذه البنية المشاهدة وهي أقل ما يمكن أن تتألف منه البنية التي معها يصح كون الحي حيًّا، وجعلوا الخطاب متوجهاً نحوها، والتکلیف وارداً عليها، وما عداها من الأجزاء فهي فاصلة ليست داخلة في حقيقة الإنسان وإذا صر ذلك جاز أن يتزعزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء فيرفعها

(١) سورة الاعراف، الآية: ٨٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الواقعة، الآية: ٨٣.

(٤) قال حاتم:

إذا حشر جت يوماً وضاق بها الصدر
أماويٌ ما يعني الشراء عن الفتى

ديوانه ص ٥٠.

إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الأولى، كما قاله من ذهب إلى قيامه الأنفس والأبدان معا، فتنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية ويكون هذا مخصوصا بهذه الشجرة المباركة دون غيرها؛ ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وُرْزَقُونَ﴾ (١).

«وعلى الوجه الأول لو أن محتفرا احتفرا أجدادهم لوجد الأبدان فيها، وإن لم يعلم أن أصول تلك البني قد انتزعت منها ونقلت إلى الرفيق الاعلى، وهذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف، لأن الجسد يبلى في القبر إلاّ قدر ما انتزع منه ونقل إلى محل القدس، وكذلك أيضاً يصدق على الجسد انه ميت، وإن كان أصل بنيته لم يمت، وقد ورد في الخبر الصحيح (إن ارواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش) (٢) فإذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء وساداتهم؟» (٣).

(١) سورة آل عمران ١٤٥.

(٢) أخرجه مالك: الموطأ /١. ٣٢٨. ابن حنبل: المسند /٦. ٣٨٦..

(٣) لشرح: ٦/٣٧٧-٣٧٩.

الفصل الثالث

خـصـائـصـ
الإـمـامـ عـلـيـ عليه السلام
الخـلـقـيـةـ
وـسـجـاـيـاهـ
النـفـسـيـةـ

الفصل الثالث

خصائص الإمام علي الخلقيّة وسجاياه النفسيّة

إن الخصائص الخلقيّة، والسجايا النفسيّة التي امتاز بها الإمام علي عليه السلام على سائر الأمة جعلته أفضل شخصية بعد الرسول عليهما السلام، فإن فضائله عليه السلام بلغت من العظم، والجلال، والانتشار مبلغًا يسمح^(١) معه التعرض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، فصارت كما قال أبو العيناء^(٢) لعبيد الله بن يحيى بن

(١) يروى عن الإمام أحمد بن حنبل انه قال «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليهما السلام». الحاكم: المستدرك ٣/١١٦. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٨.
ووضع النسائي أحد أصحاب السنن والصحاح الستة كتاباً في فضائل الإمام أسماء «خصائص أمير المؤمنين». والكتاب مطبوع. وأفرد ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة وافية للإمام عليه السلام. هذه الترجمة نشرها محمد باقر المحمودي في كتاب مستقل. وخرج الفيروز آبادي فضائل الإمام من كتب الصحاح الستة، ونشرها في كتاب أسماء «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» في ثلاثة أجزاء.

(٢) سمج: قبح. الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٢.

(٣) محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء، أديب مشهور بالكتابة والترسل، توفي سنة ٢٨٣. أنظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٣/١٧٩-١٧٠. الشاشتي: الديارات ص ٥٢-٦٠. الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/١٣. ابن حجر: لسان الميزان ٥/٣٤٤-٣٤٦.

خاقان^(١): «رأيتني فيها أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر؛ فأيقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصراً عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الاخبار عنك إلى علم الناس بك»^(٢).

هذه المناقب التي بلغ من الشهرة والتفرد بها فرضت على اعدائه الاعتراف بها فأقرّوا له بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله^(٣)، رغم أن الأميين اجتهدوا في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوه مادحيه بالحبس والقتل، ومنعوا من رواية الأحاديث المتضمنة لفضائله عليه السلام، حتى وصل الأمر بمنعهم التسمية باسمه -عليه السلام-، ولكن كل ذلك لم يزده إلا رفعة وسمواً، «وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفة، وكلما كتم تضوئ نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن

(١) هو وزير المتوكل والمعتمد (٢٠٩-٢٦٣ هـ): الطبرى التاريخ ٩/٢١٤، ٢٠٠، ٢٠٥، ١٨٥، ١٧١-١٧١، ٢٢٢-٧، ٢٢٨، ٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٥٨، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٤٧٤، ٥٠٧، ٥١٧.

. ابن عبد ربہ: العقد الفريد ٤/٨١٦، ٤٠٦/٥، ١٢٢، الشابستي: الديارات ص ٥٣٢.

الذهبي: دول الإسلام ١/١١٦.

(٢) الشرح ١/١٦. وانظر الزخشري: ربيع الابرار ٤/١٥٧.

(٣) أنظر وصف ضرار للإمام علي إلى معاوية وبكاء الأخير. الشرح ١٨/٢٢٤. أنظر الشريف

الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٠-٤٨١. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٧-٨.

البلوي: الفباء ١/٢٢٢-٣. الزمخشري: ربيع الابرار ١/٩٧، ٨٣٥-٦. ابن الجوزي: صفة الصفوة

١/٦-٣١٥. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١١٨-٩. حب الدين: الرياض ٢/٢٨١-٢.

ابن الصياغ: الفصول المهمة ص ١١١.

حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة»^(١).

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية، والفضائل النفسانية- ابن جلالها وطلاع ثناياها^(٢)- فكان -عليه السلام- من لطافة الأخلاق، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة^(٣).

ففي-الشجاعة- فإنه أنسى فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، حيث لما سئل خلف الأحمر^(٤): أيهما أشجع عنبرة وبسطام أم علي بن أبي طالب؟ فقال: إنما يذكر عنبرة وبسطام مع البشر والناس، لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة، فقيل له: فعل كل حال؛ قال: والله لو صاح في وجههما ملأتا قبل أن يحمل عليهما.^(٥)

تجدر الإشارة إلى أن بسطاماً وعنبرة هما من مشاهير فرسان العرب قبل

(١) الشرح ١٦/١ . وقد اعتبر المفید ذلك من باب المعجزات الخارقة للعادة. الإرشاد ص ١٦.

(٢) مأخوذ من بيت شعر قاله -سحيم بن وثيل الرياحي - وهو:

أنا ابن جلا وطلاء الثنايا
متى أضع العمامة تعرِفوني

وابن جلا: جلا أي النهار. والمقصود: الأمر الواضح، وطلاء الثنايا: كناية عن السمو إلى معالي الأمور. والثنايا جمع ثنائية وهي الطريق في الجبل. أنظر: الميداني: مجمع الأمثال ١/٣١ . ابن منظور: لسان العرب ١٨/٦٥ . الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٤/٣١٣ .

(٣) الشرح ١١/٢٤٨ .

(٤) أبو محزب بن حيان المعروف بالأحمر. ت نحو ١٨٠هـ. راوية وأديب وشاعر بصري ولد ديوان ومقدمة في النحو وهو معلم الأصمعي. أنظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٦٧٣-٤ . ابن النديم: الفهرست ص ٧٤ . الحموي: معجم الادباء ١١/٦٦-٧٢ . السيوطي: بغية الوعاة ص ٢٤٢ .

(٥) الشرح ١٦/١٤٦ .

الإسلام وبعده، فالاول هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب قبل الإسلام، وبه يضرب المثل في الفداء فيقال: «اغل فداء من بسطام بن قيس»^(١)، وكان قد ادرك الإسلام إلا أنه لم يعتقه، وتوفي في حدود السنة العاشرة للهجرة.^(٢)

أما عنبرة بن سحيم الكلبي فهو من فرسان العرب المسلمين في الاندلس، تولى الاندلس لل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وكان من الغرابة الشجعان والفاتحين توفي سنة ١٠٧ هـ اثر جرح أصابه في حروبه في الاندلس.^(٣)

وقد يتصور البعض أن كلام خلف الأحمر فيه غلو، ولكننا لو تأملنا مقاماته في الحروب التي أصبحت مضرب الأمثال، حيث كان الشجاع الذي ما فرقط، ولا ارتاع من كتيبة^(٤)، بل كان يقول بأنه «أنس بالموت كأنس الطفل بشדי أمّه»^(٥). والمعروف عنه عليه السلام إنه ما بارز أحداً إلا قتلها، ولا ضرب ضربة فاحتاجت الأولى إلى ثانية بل «كانت ضرباته وترأ»^(٦).

(١) انظر الميداني ٦٦ / ٢.

(٢) ابن حبيب: المحرر ص ٢٥٠. المبرد: الكامل في اللغة والادب ١٠٩ / ١. ابن الاثير: الكامل في التاريخ ١ / ٢٢٤. مهدي عرببي الدخيلي: بسطام بن قيس ذي الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة.

(٣) الحميدي: جذوة المقتبس ١ / ٣١٨، ٢ / ٥٠٧، ٢ / ٥٠٧. ابن عذاري: البيان المغرب ٢ / ٢٧.

(٤) الشرح ١ / ٢٠.

(٥) الشرح ١ / ٢١٣، ٢١٥. وانظر الشريفي الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨.

(٦) الشرح ١ / ٥٠. قال ابن فارس في المجمل: كانت ضربات علي عليه السلام في الحرب ابكاراً، ان اعتلى قد، وان اعترض قط. المجمل ١ / ١٣٣.

ويشار إلى أن الإمام علي عليه السلام دعا معاوية في صفين للبراز بدلاً من إرساله لأصحابه الذين جدهم الإمام في ساحة المعركة، وكان قصده -عليه السلام- أن يستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، وحينما استشار معاوية وزيره عمر بن العاص لعله يجد عنده حيلة للتخلص من هذه المأزق لكن عمر بن العاص قال له: لقد أنت أصفك. فأدرك معاوية نوايا عمرو بن العاص فقال له: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، كيف تأمرني بمحاربة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق! ^(١) أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! ^(٢).

وقد كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، يشار إلى أن عبد الله بن الزبير مازح معاوية قائلاً له: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتتك بك لفعلت، فقال معاوية: لقد شجعت بعذنا يا أبو بكر! واستغرب ابن الزبير من عدم إقرار معاوية بشجاعته وقدم الدليل على ذلك وهو: وما الذي تنكره من شجاعتي، وقد وقفت في الصف إزاء علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقال معاوية: لا جرم! إنه قتلك وأباك بيسري يديه، وبقيت اليمني فارغة يطلب من يقتله بها. ^(٣)

وكان ذوي قتلاه يفتخرن بقتله إياهم، ويعتبرون ذلك شرفاً لهم، حيث قالت أخت عمرو بن عبد ود الذي قتله الإمام علي عليه السلام يوم الخندق ^(٤):

(١) اطرق: الرجل يرخي عينيه ينظر إلى الأرض لا يتكلم. الرازي: مختار الصحاح ص ٣٩١.

(٢) الشرح / ١، ٢١٧ / ٥، وانظر المنقري: صفين ص ٢٥٧. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٨٠.

(٣) الشرح / ١، ٢١.

(٤) بيضة البلد هو الشيء المفرد الذي لا نظير له، والمقصود هنا الإمام، وقد ورد البيت في بعض المصادر:

لَكَنْ قاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ
وَكَانَ يُدْعى قَدِيمًا بِيَضْنَةَ الْبَلْدِ

لو كان قاتل عمرو غير قاتلِه
بكنته أبداً ما دمته في الأبد
لكنَّ قاتلَهَ مَنْ لا نَظِيرَ لَهُ
وكان يُدعى أبوه بيضةَ الْبَلَدِ

وقد وظف الإمام علي شجاعته في الجهاد في سبيل الله، حتى أصبح معروفاً لدى اعدائه وأوليائه أنه سيد المجاهدين^(١)، وكانت علائم شجاعته الواضحة في مبيته في فراش الرسول عليهما السلام ليلة الهجرة في الوقت الذي أجمعت فيه قريش على ضرب الرسول عليهما السلام ضربة واحدة من قبلأربعين شخصاً يتمون لأربعين قبيلة، فلم يعَايِلْهُ بذلك، ولم يكتف بهذا الدور بل قام بإرجاع كل الودائع والأمانات التي كانت عند الرسول عليهما السلام لأهلها ثم هاجر علناً^(٢).

وإلى ذلك أشار - أبو جعفر الاسكافي - أحد معتزلة بغداد بأنه لما علم الرسول عليهما السلام بخطة قريش بقتله «دعا أوثق الناس عنده، وأمثالهم في نفسه، وأبذلهم في ذات الله لم هجته، وأسرعهم إجابة إلى طاعته، فقال له: إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة، فامض إلى فراشي، ونَمْ في مضجعي، والتلف في بردي الحضرمي ليروا أني لم أخرج، وإنني خارج إن شاء الله، فمنعه أولاً من التحرز واعمال الحيلة، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من انواع المكاييد والجهات التي يحاط بها الناس لنفسهم، وألْجأه أن يعرض نفسه لظبات السيف الشحيدة من أيدي أرباب الحقن والغية، فأجاب إلى ذلك ساماً

=أنظر: الحكم: المستدرك ٦/٣ . المفيد: الإرشاد ص ٤٣ . ابن منظور: لسان العرب ٨/٣٩٥ .

(١) الشرح ١/٢٤ .

(٢) عن موضوع مبيت الإمام علي عليه السلام في فراش الرسول عليهما السلام ليلة الهجرة، راجع أيّاً من كتب السيرة النبوية والتاريخ العام.

مطیعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً بها بمهجته، يتظاهر القتل، ولا نعلم فوت بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب؛ «والجحود بالنفس أقصى غاية الجود»؛ ولو لا أن رسول الله عليه السلام علم أنه أهل لذلك، لما أهله، ولو كان عنده نقص في صبره، أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك، لكن من اختاره عليه السلام منقوصاً في رأيه، مضرأً في اختياره، ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام، وكلهم مجتمعون على أن الرسول عليه السلام عمل الصواب وأحسن الاختيار^(١).

كانت معركة بدر الكبرى (٢٦هـ) هي من أعظم غزوات الرسول عليه السلام وأشدتها نكایة بالمركيين، وقد قتل منهم سبعون رجلاً، قتل الإمام علي عليه السلام نصفهم بينما قتل المسلمون والملائكة النصف الآخر^(٢). قال ابن أبي الحديد يمدح الإمام علي عليه السلام في موقفه يوم بدر^(٣):

رمي الله منه يوم بدر خصومه	بني فخذل في آل بدر مبادر
وقد جاشت الأرض العريضة بالقنا	فلم يُلْفَ إلَّا ضامر فوق ضامر
فلو نَتَجَحْتُ أُمُّ السَّمَاءِ صواعقاً	ما شَجَّ منها سارحَ رأس حاسِرٍ

(١) الشرح ١٣/٢٥٩. وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٢٢. وقد حاول البعض التنقض من فضيلة الميت هذه، وتصدى للرد عليهم الاسكافي في كتابه أعلاه. انظر: الشرح ١٣/٢٥٨-٢٦٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٢١-٣٢٦. الماجحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ١٥٣-١٥٥. العثمانية ص ٤٤.

(٢) الشرح ١٠، ٢٤/١٠، ١٨١-١٨٢. وانظر الواقدي: المغازى ١/١٤٧-١٥٢. البلاذري: انساب الاشراف ١/٢٩٦-٣٠٤.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد العلويات السبع ص ٣٢-٣٣.

البغاث فصرى شلوه في الاظافر من الخوف وخدأ نحوه في الحناجر فما يتغى إلا مقر المحناجر ولكنَّه من بعض تلك الزماجر وسيض أتى من ذي الفقار بفاقر أنامله تهمي بأوطف هامير	فكانَ وكانوا كالقطامي ناهضُ سرى نحوهُم رسلاً فسارتْ قلوبُهُم كأن ضبات المشرفة من كري فلا تحسبَنَ الرَّعدَ رجسَ غامِهِ ولا تحسبَنَ البرقَ ناراً فإنهُ ولا تحسبَنَ المُزنَ تهمي فإنَّها
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

أما موقفه عليه السلام يوم الخندق فقد أجاد في وصفه ابن أبي الحديد إذ قال: «فاما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنَّها أجمل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل: أيهما أعظم منزلة عند الله عليه السلام أم أبي بكر؟ فقال يا ابن أخي، والله لمبارزة علي عمرا يوم الخندق تعدل اعمال المهاجرين والانصار وطاعتهم كلها وتربي عليها فضلا عن أبي بكر وحده»^(١).

رؤيه أبو الهذيل أعلاه سبق وأن أشار إليها الصحابي حذيفة بن اليمان حينما قال: «والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد في كفة ميزان منذ بعث الله تعالى محمدا إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من اعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلهم». فاعتبر أحد السامعين هذا الكلام اسراfa فأجابه حذيفة: «يا لکع، وكيف لا يحمل، وأین كان المسلمين يوم الخندق، وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه، فملکهم الھلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا فبرز إليه عليه السلام فقتله والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك

اليوم أعظم أجرًا من أعمال أمة محمد عليه السلام إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة»^(١).

وقد علق -أبو الحير مصدق بن خير النحوي^(٢) شيخ ابن أبي الحميد على قول عمرو بن عبد ود للإمام علي عليه السلام «لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أحب أن أقتلك» فقال أبو الحير: «والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه بيدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله، فاستحياناً يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والرقاء، وإنه لكاذب فيهما»^(٣).

ويخلص ابن أبي الحميد للقول في أن قتل الإمام في معارك الإسلام الأولى لا معنى للاطناب فيها لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر^(٤).

تجدر الاشارة إلى أن خصوم الإمام عليه السلام قللوا من شأن عمرو بن عبد ود العامري وأنكروا ما يقال من شجاعته، وقد رد عليهم الاسكافي في كتابه نقض العثمانية بالأدلة التي تؤكد فروسيّة عمرو بن عبد ود قبل الإسلام وبعده^(٥).

(١) الشرح ٦٠-٦١ . وانظر المفيد: الإرشاد ص ٤١ . الطبرسي: اعلام الورى ص ١٩٣-٤ . وانظر المعنى نفسه على لسان الرسول ﷺ . الحاكم: المستدرك ٣ / ٣٤ .

(٢) الاديب البارع ولد في قرية دوران إحدى قرى الصلح من سواد شرقى واسط سنة ٥٣٥هـ . وتوفي في بغداد سنة ٦٠٥ . وانظر ترجمته: الحموي: معجم الادباء ١٤٧-١٩١ / ١٤٨ : ابن الاثير: الكامل ١٢ / ٢٨٢ . القنطي: انباء الرواية ٣ / ٢٧٤-٥ . أبي شامة: ذيل الروضتين ص ٦٦ . ابن الساعي: الجامع ٩ / ٢٧٣-٤ . المنذري: التكملة ٣ / ٢٣٩-٢٤٠ . السيوطي: بغية الوعاة ص ٣٩١ .

(٣) الشرح ٦١ / ١٩ .

(٤) الشرح ١ / ٢٤ .

(٥) الشرح ١٣ / ٢٨٧-٢٩٢ . انظر الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٤-١٦ . العثمانية ص ٥٩ . الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٥-٩ .

وقد ثمنَ ابن أبي الحديد موقف الإمام يوم الخندق قائلاً^(١):

يا هازم الاحزاب لا يثنى عن خوض الحمام مدجج ومدرع

إن جهاد الإمام هذا اعتبره ابن أبي الحديد من نعم الإمام على الصحابة « وإن من أنصف علم أنه لو لا سيف على الله لا صطلهم المشركون، من أشار إليه وغيره من المسلمين (كذا)، وقد علمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخبير وحنين، وان الشرك، فيها فغرفاه، ولو لا سده بسيفه لاتهم المسلمين كافة»^(٢)، ولذا يقول ابن أبي الحديد في شعره^(٣):

كضرطةٍ عنِّيْ او قلامةٍ حافِرِيْ
ألا إِنَّا إِلَّا إِسْلَامٌ لَوْلَا حَسَامُهُ

ويقول أيضاً^(٤):

من غَرِبَ مُحَدِّمَكَ الْمُهَنَّدِ أَقْتُلُ بَعْدَ التَّأْوِيدِ وَاسْتِقَامَ الْأَمْيَلُ أَطْرَافَهَا وَنَقِيَصَةً لَا تُكَمِّلُ يَوْمَ النِّزَالِ يَقُلُّ قَوْلَكَ جَحْفُلُ لَكَنَّهُ بِالرَّاغْبِيَّةِ مَحْمَلُ بَرْحُ مَحَاجِرُهُ وَضَرْبُ أَهْذَلُ ثَبَتٌ يَحَالِفُهُ صَقِيلٌ مَصَقُلُ	يَا قَاتِلَ الْأَبْطَالِ مَجْدُكَ لِلْعَدَا بِذُبَابٍ سِيفِكَ قَرَّ قَارُعَ طَوِيدَه لَوْلَاكَ أَصْبَحَ ثَلَمَةً لَا تُتَقَّنِي كَمْ جَحْفَلٌ لِلْجَزَءِ مِنْ أَجْزَائِهِ أَثْوَابُهُ الزَّرْدُ الْمَضَاعِفُ نَسْجُهُ يُحِيِّي الْمَنِيَّةَ مِنْهُ طَعْنُ انجُلِ مَهْنَهْتُ سَوْرَاتُهُ بِقَلْبٍ قَلِبٍ
--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٤٣.

(٢) الشرح ١٤١/١.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٣٢.

(٤) (٣) القصائد السبع ص ٥٥ - ٥٦.

وكان عليه يفتخر بشجاعته، ويوظف اسمه الأول - حيدرة - لإرهاب الخصم، وهو الاسم الذي أسمته به أمّه أولاً، والمعروف أنّ حيدرة - من أسماء الأسد، وفيه إشارة إلى الشجاعة^(١)، وقد أصبح هذا الإسم فيما بعد إسماً على مسمى، فكان - عليه - لما بُرِزَ يوم خير ارتخاز قائلًا^(٢):

أنا الذي أسمتني أمّي حيدرة

وكان عليه تكتنفه الملائكة^(٣) في حملاته الجهادية فكان عليه يبعثه، وجريل عن يمينه، وميكائيل عن شماليه، ولذلك شهد جبريل للإمام يوم أحد حينما نادى^(٤):

ولا فتى إلا على لا سيف إلا ذو الفقار

والظاهر أن هناك شكوكاً أثيرت حول ذلك حيث يقول ابن أبي الحديد: «وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحق^(٥)، ورأيت بعضها حالياً منه، وسألت

(١) الشرح ١/١٢، ١٩/١٢٧. وانظر محب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٠٥. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ١/٣.

(٢) الشرح ١/١٢. وانظر: مسلم الصحيح ١٢/١٨٥. أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ١٤. الحكم المستدرك ٣/٤١، ٤١/١١٦. المفيد: الإرشاد ص ٥٠. الطوسي: الامالي ط النجف ١/٣. ابن المغازلي: مناقب ص ١٧٨، ١٨٢. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣-٤، ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢.

(٣) انظر تحليل ابن أبي الحديد لنزول الملائكة. الشرح ١/١٥٧-١٦٤. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠١. محب الدين: الرياض ٢/٢٥١. الجوهري: فائد ١/٢٢٢.

(٤) الشرح ٧/٢١٩.

(٥) لم أجده في القطعة التي حققها سهيل زكار. وقد ورد في سيرة ابن هشام ٣/١٠٠. وانظر المفيد: الإرشاد ص ٣٥. ابن المغازلي: مناقب ص ٩-١٩٧. الخوارزمي: المناقب ص ٦، ١٠٣. سبط ابن

شيخي عبد الوهاب بن سكينة^(١) رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بال الصحاح لم تشمل عليه؟ قال: أو كلما كان صحيحاً تشمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعو الصحاح من الاخبار الصحيحة!^(٢).

ولم يقتصر جهاده -عليه السلام- على عهد الرسول عليه السلام، فإذا كان عليه السلام قاتل على التنزيل، فعلـي -عليه السلام- قاتل على التأويل^(٣)، لذلك كان عليه السلام أول من سن قتال

= الجوزي. تذكره ص ٢٦. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٧٧-٢٧٧.٨١. محب الدين: الرياض الناظرة ٢٥١/٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/١٣. الجوهري: فرائد ١/٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٧.

(١) أبو احمد عبد الوهاب بن أبي مضر علي البغدادي الصوفي المعروف بابن سكينة وهي جدته أم أبيه، ولد في ٥١٩ هـ ودرس علوم عصره، ورافق السمعاني صاحب الأنساب، وحدث في مكة والمدينة وبغداد والشام ومصر. وتوفي في بغداد في ٦٠٧ هـ. أنظر ابن الاثير: الكامل ١٢/٢٩٥. المنذري: التكميلة ٣/٣٢٤-٦. الذهبي: معرفة القراء ٢/٤٦٤-٦. الصفدي: الوافي ١/١٦٧-٨. ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٦١. الجزري: غاية النهاية ١/٤٨٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/٢٠١. الحنبلي: شذرات الذهب ٥/٢٥-٢٦.

(٢) الشرح ١٤/٥١. يشار إلى أن الإمام البخاري ومسلمًا وضعا شروطًا لتخريج الأحاديث الصحيحة ولكنها لم يخرجها كل الأحاديث حسب هذه الشروط، فاستدرك الحاكم النيسابوري ذلك في كتاب اسمه المستدرك على الصحيحين حيث خرج الأحاديث الصحيحة وفق شروط الشيوخين ولم يخرجها.

(٣) روى عنه عليه السلام إنه قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما». قال أبو بكر: أنا هو. قال: لا. قال عمر: أنا هو. قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني علياً. فأتيته بشئناه، فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله عليه السلام. الشرح ٣/٧-٢٠. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٨. الملاطي: التنبيه ص ٢٥. الحاكم: المستدرك ٣/١٣٢. الطوسي: الامالي ١/٢٦٠. محب الدين: الرياض ٢/٢٥٢. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٠٥، ٣٦١. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢١١.

أهل القبلة، وكان المسلمون قبله يتحاشون ذلك حتى قال الإمام الشافعي: ما عرفنا قتال أهل البغي إلّا من علي.^(١)

إن هذه الشجاعة جعلت من الإمام يأنف أن يموت حتف نفسه، بل القتل عنده أهون من الموت حتف نفسه، وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لطبيعة البشر، ولذا نجده عليه السلام يحرض أصحابه ليجعل من طبائعهم موافقة لطبعه، وإقدامهم على الحرب بإقدامه، وهو بهذا يفعل كما يفعل الأمراء في حث جندهم، فهو هنا كما قال المتبنّي ^(٢):

يُكَلِّفُ سيفُ الدُّولَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ
وَقَدْعَجَزَتْ عَنْهُ الْجَيْوُشُ الْخَضَارِمُ
وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الْضَرَاغِمُ
وَيَطْلُبُ عَنْدَ النَّاسِ مَا عَنَّدَ نَفْسِهِ

ويفسر ابن أبي الحديد ^(٣) سبب ذلك: «ليست النفوس كلها من جوهر واحد، ولا الطابع والأمزجة كلها من نوع واحد، وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده، في الأوقات المطاولة، والدهور المتباudeة؛ وما اتصل بنا من بعد الطوفان؛ فإنَّ التواريخ من قبل الطوفان -مجهولة عندنا -، إنَّ أحداً إن أعطي من الشجاعة والإقدام ما اعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها؛ من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم؛ والمعلوم من

(١) راجع الفصل الرابع. وانظر الشرح ٩/٣٣١. وينسب القاضي هذا القول للإمام أبي حنيفة: شرح الأصول الخمسة ص ١٤١.

(٢) الشرح ٧/٣٠١. وانظر ديوان المتبنّي ص ٢٨٩.

(٣) الشرح ٧/٣٠١.

حاله انه كان يؤثر الحرب على السلم^(١)، والموت على الحياة، والموت الذي كان يطلبه ويؤثره، إنما هو القتل بالسيف، لا الموت على الفراش كما قال الشاعر^(٢):

لَوْمَ يَمْتُ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَا
لَمَاتَ - إِذْ لَمْ يَمْتُ - مِنْ شَدَّةِ الْحَزَنِ

وقال آخر^(٣):

يَسْتَعْذِبُونَ مِنْ يَا هُمْ كَائِنُهُمْ لَا يَأْسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

بل كان عليه السلام يرى أن ألف ضربة بالسيف أهون عليه من ميتة على الفراش في غير طاعة الله. وهنا يأتي التساؤل: هل الألف ضربة بالسيف أهون أمًا على المقتول من موتة واحدة على الفراش بالحقيقة، أم هذا قول الله عليه السلام على سبيل المبالغة والتجوز، ترغيباً لأصحابه في الجهاد؟

يقول ابن أبي الحديد في جواب التساؤل: «الحالف بخلاف على أحد أمرين: أحدهما أن يخلف على ظنه واعتقاده؛ نحو أن يخلف أن زيداً في الدار، أو أني اعتقد كون زيد في الدار، أي أنا حالف ومقسم على أني أظن أن زيداً في الدار، أو أني اعتقد كون زيد في الدار. والثاني: أن يخلف، لا على ظنه بل يخلف على نفس الأمر في الخارج. فإن حملنا قسم أمير المؤمنين عليه السلام على المحمول الأول فقد اندفع السؤال؛ لأن الله عليه السلام قد كان يعتقد ذلك؛ فخالف فإنه يعتقد وإنه يظن ذلك؛ وهذا لا كلام فيه. وإن حملناه على الثاني فالأمر في الحقيقة مختلف، لأن المقتول بسيف

(١) ان ملاحظة مواقف الإمام علي عليه السلام في معركة الخندق والحمل وصفين والنهر وان، تعطينا انطباعاً

على أنه -عليه السلام- كان يؤثر السلم على الحرب على النقيض مما أشار له ابن أبي الحديد.

(٢) لم اهتد إلى قائله.

(٣) لم اهتد إلى قائله.

صارم معجل للزهق لا يجد من الألم وقت الضربة ما يجده الميت دون التزع من المد والكف. نعم قد يجد المقتول قبل الضربة ألم التوقع لها، وليس كلامنا في ذلك، بل في ألم الضربة نفسها، وألف سيف صارم مثل سيف واحد، إذا فرضنا سرعة الزهق. وأما في غير هذه الصورة نحو أن يكون السيف كاًلاً، وتتكرر الضربات به، والحياة باقية بعد؛ وقايستاه بينه وبين ميت يوم حتف أنفه موتاً سريعاً، أما بوقوف القوة الغازية كما يموت الشیوخ؛ أو بإسهال ذريع تسقط معه القوة، ويبيّن العقل والذهن إلى وقت الموت، فإن الموت ها هنا أهون وأقل مما، فالواجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام إما على التحرير؛ فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء في المبالغات المجازية.

وإما أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك، وهو صادق فيما أقسم؛ لأنَّه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مرکوز في طبعه من محنة القتال، وكراهية الموت على الفراش»^(١).

ولكن إذا كان الإمام طاماً في الشهادة فهلا خرج إلى معاوية وحده من غير جيش؟

إن ذلك في رؤية المعتزلة غير جائز، لأن إلقاء النفس إلى التهلكة، وللشهادة شروط متى فقدت فلا يجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى.^(٢)

كان للإمام عليه السلام جملة من الآداب التي يستخدمها في حروبها منها:
أولاً: الدعوة للسلم: كانت الدعوة إلى السلام هو ديدن الإمام عليه السلام سواء

(١) الشرح ٧/٣٠٣-٣٠٠. وانظر النص في هجج البلاغة ص ١٨٠.

(٢) الشرح ١٤٧/١٦.

مع المشركين أو مع الخارجين على خلافته، فكان يحث المقابل على ترك الحرب كما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري يوم الخندق^(١)، ومع أصحاب الجمل وصفين والنهر وان أيام خلافته.^(٢)

ثانياً: كراهية الغدر: ومن آدابه العسكرية -عليه السلام- أنه كان يكره الغدر في حربه، وكان -عليه السلام- يقول: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولو لا كراهية الغدر لكونت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، وكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة. والله ما استغفل بالمكيدة، ولا استغمز بالشديدة»^(٣).

فليستأذنَهُ مالِكُ الاشتَرُ في معركة صفين أن يبيت^(٤) معاوية، قال عليه السلام إنَّ رسولَ اللهَ عليه السلام نهى أن يبيت المشركون. وفي الواقع إن هذا الخلق قد توارثه بنوه من بعده^(٥)، إذ كانوا أصحاب دين، وليسوا من الدنيا بسييل، وإنما يطلبونها ليقيموا عمود الدين بالإمرة فيها، فلم يستقر لهم، والدنيا إلى أهلها أميل^(٦).

ثالثاً: لا يدعو إلى المبارزة: كان عليه السلام لا يدعو للمبارزة، ولكنه يستجيب إذا

(١) انظر: الواقدي: المغازي ٢/٤٧١. ابن هشام: السيرة ٣/٢٢٥. الطبرى: تاريخ ٢/٥٧٤.

(٢) انظر الفصل الرابع.

(٣) الشرح ١٠/٢١١.

(٤) بيت العدو: اوقع به ليلاً، وبيت امرأً: دبره ليلاً. انظر ابن فارس: المجمل ص ١٤٠. الرازى: مختار الصحاح ص ٧٠.

(٥) انظر موافق -ابراهيم بن عبد الله بن الحسن مع المنصور. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٢٢١ - ٢٢٣.

(٦) الشرح ٢/٣١٣-٣١٤.

دعي إليها، والسبب «لأن الداعي إليها باع، والباغي مصروع»^(١). فقد ذكر عليه السلام الحكمة والعلة، ومن خلال استقصاء السيرة الشريفة له عليه السلام لم نجده يوماً يدعى إلى مبارزة وإنما كان يدعى لها، ففي معركة بدر الكبرى دعا بنو ربيعة بن عبد شمس بنو هاشم للبراز، فخرج على عليه السلام وقتل الوليد بن عتبة^(٢)، واشترك مع حمزة في قتل عتبة بن ربيعة^(٣)، أما في معركة أحد، فقد دعا طلحة بن أبي طلحة للبراز، فخرج له الإمام وقتلته^(٤)، وكذلك يوم الخندق، دعا عمر بن عبد ود العامري للبراز فخرج له الإمام عليه السلام وقتلته^(٥)، وفي يوم خير^(٦) دعا مرحبا اليهودي للبراز فخرج إليه فقتله.^(٧)

رابعاً: التأكيد على الروح القتالية، حيث يقول لولده الإمام الحسن عليه السلام: «يا

(١) الشرح ١٩/٦٠. وانظر نهج البلاغة ص ٥٠٩.

(٢) حاول البعض التقليل من شأن الوليد بن عتبة وشجاعته، وتصدى لتفنيد ذلك. الاسكافي المعترض: أنظر الشرح ١٣/٢٩٢. الجاحظ: العثمانية ص ٥٩. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٩.

(٣) الشرح ١٤/١٣٠-١. وانظر الواقدي: المغازى ١/٦٩. ابن هشام: السيرة ٢/٢٧٧. الطبرى: تاريخ ٤٤٥/٢.

(٤) الشرح ١٤/٢٣٥-٦. وانظر: الواقدي: المغازى ١/٦-٢٢٥. ابن هشام: السيرة ٣/١٢٧، ١٥١.

(٥) الشرح ١٩/٦٠-٦٤. الواقدي: المغازى ٢/٤٧٠-١، ابن هشام: السيرة ٣/٢٤٥-٥. ابن حبيب: المحرر ص ١٧٥.

(٦) أنظر الواقدي: المغازى ٢/٦٥٥. الطبرى: تاريخ ٩/١٢. وقد نسب ابن اسحق مقتل مرحبا لمحمد بن مسلمة الانصاري، أنظر ابن هشام: السيرة ٣/٣٣٣-٤. الطبرى تاريخ ٣/١٠-١١. الحاكم: المستدرك ٣/٣٩٤.

(٧) الشرح ١٩/٦٠. وللتفصيل عن مواقف الإمام في حروب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنظر: المفيد: الإرشاد ص ٢٨-٦٤.

بني إذا بارزت أحداً فحدث نفسك بقتله» والإمام عليه السلام هنا يشير إلى جانب الروح المعنوية، فإن المقاتل إذا برع لخصمه وهو يتصور أنه سيغلب عليه فإنه سيزداد حماسة، أما إذا تصور، بأن العدو سيقتله، فإن قواه ستنهار، وما يليث أن ينهرم أو يقتل. ولذلك كان عليه السلام يقول: «ما لقيت أحداً إلا وأعاني على قتله»^(١). وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى أن الخصم يخشى الإمام ويخافه، لذلك يزداد ضعفاً مما يمكن الإمام من قتله.

خامساً: عدم الاهتمام بالجانب المادي (الغنية): كان همُ الإمام عليه السلام هو التخلص من العدو دون الاهتمام بما يخلفه من غنائم، ففي معرض إشارته - لمبارزة سعد بن أبي وقاص لأبي سعد بن أبي طلحة، وقتلها إياه، ثم تأسفه على عدم قدرته على سلبه، حيث نهض سبيع بن عبد عوف، ونفر معه، فحالوا دون سعد، ودون سلبه، وكان سلبه أجود سلب رجل من المشركين على حد تعبير سعد بن أبي وقاص^(٢) علق ابن أبي الحديد قائلاً: «شنان بين علي وسعد! هذا يجاحش على السلب ويتأسف على فواته، وذاك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها ومبارزه، فيعرض عن سلبه وهو أنفس سلب! فيقول: كرهت أن أبز السبي ثيابه^(٣)، فكان حبيباً عناه بقوله^(٤): إنَّ الأسودَ ذا سُوَدَ الْغَابِ هِمْتَهَا يوم الْكَرْبَلَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) الشرح ١٩/٢٢٦. وانظر: نهج البلاغة ص ٥٣١.

(٢) الشرح ١٤/٢٣٧. وانظر: الواقدي: المغازى ١/٢٢٧.

(٣) الشرح ١٤/٢٣٧-٨. وانظر الحاكم: المستدرك ٣/٣٥. المفید: الإرشاد ص ٤١. البيهقي: السنن ٨/١٨.

(٤) الشرح ١٤/٢٣٨. وانظر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ص ١٧.

وبالإضافة لهذه الروح القتالية لدى الإمام عليه السلام نجده يتميز بقوّة جسدية يضرب بها المثل، حيث يقول ابن قتيبة^(١): «ما صارع أحداً قط إلّا صرّعه»، وكان - عليه السلام - قد قلع باب خير الذي اجتمع عليه عدد من الناس ليقلبوه فلم يستطعوا^(٢). وقد أشار لذلك ابن أبي الحديد في شعره^(٣):

يَا قَالِعَ الْبَابِ الَّذِي عَنْ هَزَّهَا
عَجَزَتْ أَكْفُ أَرْبِيعَوْنَ وَأَرْبَعُ

وبعد فتح مكة المشرفة صعد أعلى الكعبة حيث أكبر الأصنام - هبل - فاقتله وألقاه إلى الأرض^(٤). وفي أيام خلافته اقتلع الصخرة العظيمة بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، وقد انبط الماء من تحتها.^(٥)

(١) المعارف ص ٢١٠.

(٢) قال اليعقوبي: «واقلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربع اذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون». تاريخ اليعقوبي ٤٧/٢. وانظر ابن هشام: السيرة ٣/٣٣٥. المفيد: الإرشاد ص ١٢٤، ٥٠. الخوارزمي: المناقب ١٠٦. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٨١. الشهري: الملل ١/٢٠٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ٢٧. محب الدين: الرياض النّظرة ٢/٢٤٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٧. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٥٠.

(٣) ابن أبي الحديد: القصائد السبع العلويات ص ٤٣.

(٤) انظر: ابن أخي تبوك: مناقب علي بن أبي طالب ص ٤٢٩. الحاكم: المستدرك ٦/٣. الخوارزمي: المناقب ص ٧١. ابن طلحة: مطالب السؤال ص ٣٤. سبط ابن الجوزي: تذكرة ٤، ٢٧. محب الدين: الرياض النّظرة ٢/٢٦٥-٦. ابن تيمية: منهاج السنة ٣/٧. الجويني: فرائد السقطين ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) الشرح ١/٢١، ٣/٢٠٤. وانظر المنقري: صفين ص ١٤٤-٥. المفيد: الإرشاد ص ١٢٤-١٢٥. المرتضى: القصيدة المذهبة للسيد الحميري ص ١١١-٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٦. الاربلي: كشف الغمة ١/٢٨٢-٣.

ولذا فقد هدد النبي ﷺ بنـي ولـيـعـة^(١) قائـلاً: «لتـنهـيـنـ ياـ بـنـيـ وـلـيـعـةـ، أوـ لـأـبـعـثـ عـلـيـكـمـ رـجـلـاـ عـدـيـلـ نـفـسـيـ، يـقـتـلـ مـقـاتـلـكـمـ، وـيـسـبـيـ ذـرـارـيـكـ»^(٢).

ونتيجة لذلك كانت الشعوب تتيمن بالامام خيراً (وتصور ملوك الفرنج والروم صورته في بيعها، وبيوت عبادتها، حاملاً سيفه، مشمراً لحربه، وتصور ملوك الترك والديلم صورته على اسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه^(٣)، وسيف أبيه ركن الدولة^(٤) صورته، وكان على سيف الـبـ ارسـلـانـ^(٥) وابنه ملكشاه^(٦) صورته، كـأـنـهـ يـتـفـاقـلـونـ بـهـ النـصـرـ وـالـظـفـرـ»^(٧).

(١) بطن من بطون كندة، وهي من القبائل القحطانية. الجوهرى: الصلاح / ٣ / ١٣٠٤ . ابن منظور: لسان العرب / ١٠ / ٢٩٣ . الفيروزآبادى: القاموس المحيط / ٣ / ٩٧ . كحالـةـ: معجم قبائل العرب / ٣ / ١٢٥٣ .

(٢) الشرح / ١ / ٢٩٤ . وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) هو فنا خسرو بن الحسن بن بوـيهـ الـدـيلـيمـيـ المـكـنـىـ أـبـوـ شـعـاجـ، أحـدـ الـأـمـرـاءـ الـبـويـهـيـينـ عـرـفـ بـالـأـدـبـ وـصـنـفـتـ لـهـ بـعـضـ الـكـتـبـ فـيـ الـلـغـةـ وـالـأـدـبـ وـالـتـارـيـخـ. تـوـفـيـ بـيـغـدـادـ سـنـةـ ٣٧٢ـهـ. أنـظـرـ: الشـاعـلـيـ: يتـيمـةـ الـدـهـرـ / ٢ـهـ . ابنـالـاثـيرـ: الـكـاملـ / ٨ـهـ - ٦٦٩ـهـ (مـتـفـرـقـةـ) / ٩ـهـ . ابنـالـطـقـطـقـىـ: الفـخـرـىـ صـ ٤٠ـ . الـيـافـعـىـ: مـرـأـةـ الـجـنـانـ / ٢ـهـ - ٣٩٩ـ - ٣٩٨ـ . ابنـكـثـيرـ: الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ / ١١ـهـ - ٢٩٩ـ . ٣٠ـ السـيـوطـيـ: الـوـسـائـلـ صـ ٧٨ـ .

(٤) والـدـ عـضـدـ الدـوـلـةـ وـلـدـ فـيـ ٢٨٤ـهـ وـتـوـفـيـ ٣٦٦ـهـ، حـكـمـ الدـوـلـةـ الـبـويـهـيـةـ (٤٤ـ) سـنـةـ . أنـظـرـ ابنـالـاثـيرـ: الـكـاملـ / ٨ـهـ / ٣٦٠ـ - ٦٦٩ـ (مـتـفـرـقـةـ) . ابنـكـثـيرـ: الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ / ١١ـهـ . ٢٨٨ـ / ١١ـ .

(٥) السلطـانـ السـلـاجـوـقـيـ ابنـ جـفـرـيـ بـكـ، تـولـىـ السـلـطـةـ بـعـدـ عـمـهـ، طـغـرـلـبـكـ، وـكـانـتـ لـهـ مـعـارـكـ مـعـ الـبـيزـنـطـيـنـ اـهـمـهـاـ مـارـكـرـتـ . قـتـلـ سـنـةـ ٤٦٥ـهـ . أنـظـرـ ابنـكـثـيرـ: الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ / ١٢ـهـ - ١٠٦ـ . ١٠٧ـ . عبدـالـقـادـرـ اـحمدـ الـيـوسـفـ: الـإـمـراـطـوريـةـ الـبـيزـنـطـيـةـ صـ ١٤١ـ - ٣ـ .

(٦) جـلالـ الدـيـنـ وـالـدـوـلـةـ أـبـوـ الفـتـحـ ابنـ السـلـطـانـ الـبـ اـرـسـلـانـ، اـمـتدـتـ مـلـكـتـهـ مـنـ اـقـصـىـ بـلـادـ التـرـكـ إـلـىـ الـيـمـنـ، تـوـفـيـ سـنـةـ ٤٨٥ـهـ . الـيـافـعـىـ: مـرـأـةـ الـجـنـانـ / ٣ـهـ / ١٣٩ـ . ابنـكـثـيرـ: الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ / ١٢ـهـ - ١٤٢ـ - ١٤٣ـ .

(٧) الشرح / ١ / ٢٨ـ - ٢٩ـ .

وأضاف ابن أبي الحديد قائلاً: «ما أقول في رجل أحب كل واحد أن يتذكر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة^(١) التي أحسن ما قيل في حدها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك، فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتاباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه، وقصروه عليه^(٢)، وسموه سيد الفتيان، وغضدو مذهبهم إليه باليت المشهور المروي، انه سمع من السماء يوم أحد^(٣):»

لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار

وأخيراً أصبح الإمام علي عليه السلام حسبياً يرى ابن أبي الحديد موضعًا لنسبة كثير من الواقع والمشاهد الحربية، فكان ما يدعى له العامة من الشجاعة، وقتل الابطال حتى يقال أنه حمل على سبعين ألفاً فهزمهم^(٤)، وقتل الجن في البئر^(٥)، وقتل الطوق الحديدي في عنق خالد بن الوليد^(٦).

(١) أسسه الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٨ هـ، وهدفه اعداد الفتية للصيد والرياضة وال الحرب، وقد عمه الناصر على سائر الاقاليم. انظر: الدسوقي: الفتوة عند العرب ص ٢٤.

(٢) انظر هذا السندي في: الدسوقي: الفتوة عند العرب ٢٤٠-٢٤٣.

(٣) الشرح ١/٢٩. وانظر مصادره في ما مضى من هذا الفصل.

(٤) ربما يقصد حملات الإمام علي عليه السلام في صفين.

(٥) ان قتال الإمام علي عليه السلام للجن ليس من أقاويل العامة: انظر المفيد: الإرشاد ١٢٦-١٢٧. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٨٠-١٨١. وينسب للإمام شعر في هذا الباب. انظر ديوان الإمام علي ص ١٤.

(٦) الشرح ١١/٤٩، ٤٩/١٨، ١٠٦/١٨. وعن قتل الإمام الطوق بعنق خالد أنظر الطوسي: الرسائل العشر ص ٣١٩. الرواندي: الخرائج والخرائح ٩١٥/٢. المجلسي: بحار الانوار ١٧/٢٥٦. . ٢٩/١٧٢

ويخلص ابن أبي الحميد للقول: «وجملة الأمر إن كل شجاع في الدنيا إليه يتنهى، وبإسمه ينادي في مشارق الأرض ومغاربها»^(١).

إن من مميزات البطل الشجاع الصفح والحلم فكان عليه أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء، وقد ظهر صحة ذلك في معاركه، وبعد معركة الجمل ظفر بمروان بن الحكم^(٢)، وكان من أكثر الناس عداوة له، وأشدهم بغضاًً فصفح عنه. وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد اتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب، وكان الإمام عليه يقول: ما زال الزبير رجلاً من أهل البيت حتى شبَّ عبد الله^(٣). فظفر به يوم الجمل وأخذه أسيراً، وصفح عنه قائلاً «إذهب فلا أرِينك» لم يزده على ذلك. وظفر الإمام علي عليه السلام بسعيد بن العاص بعد معركة الجمل في مكة^(٤)، وكان له عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً^(٥).

وتجلَّى حلمه -عليه السلام- في موقفه من أم المؤمنين عائشة، حيث أكرمها وبعثها إلى المدينة بصحبة عشرين امرأة من بنى عبد القيس عمَّهن بالعمائم وقلدهن

(١) الشرح ١/٢١. ومع كل هذه الأدلة على شجاعة الإمام نجد البعض قد حاول التمويه على ذلك واعتبار ذلك تهوراً وليس شجاعة. وللتفاصيل أنظر الشرح ٣/٢٨٤-٦. الباحث: العثمانية ص ٤٧. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٢) ان الدراسة المتمعة لأحداث الفتنة تشير إلى أن مروان هو المسؤول عن النهاية الأليمة للخليفة عثمان بن عفان عليهما السلام. الشرح ٢/١٤٢-١٥٦. وانظر الطبرى: التاريخ ٤/٣٣٩-٣٩٦.

(٣) عقد ابن أبي الحميد فصلاً عن سيرة عبد الله بن الزبير. الشرح ٢٠/١٠٢-١٤٩.

(٤) لم يعرف عن الإمام أنه ذهب إلى مكة بعد توليه الخلافة حتى استشهاده -عليه السلام-.

(٥) الشرح ١/٢٢-٢٣.

السيوف^(١)، فلما وصلت المدينة ألقى النساء العائم وقلن لها: إننا نحن نسوة^(٢).

وظهر حلمه وصفحه تجاه من حاربه من أهل البصرة، إذ شتموه ولعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: «ألا يتبع مولٍ، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسراً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن» ولم يأخذ أثقالهم ولا سبي ذرائهم، ولا غنم شيئاً من أموالهم ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو، وتقبل سنة الرسول عليه السلام يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تنس^(٣).

وبقيل معركة صفين سيطر معاوية على شريعة الفرات فاغتنمتها فرصة للقضاء على الإمام علي عليه السلام وجنده بالعطش، ولما سأله الماء قال: لا والله ولا قطرة حتى تموت ضميئاً، فأدرك أنه لا مناص من استخدام القوة، لذا حمل على عسكر معاوية وأزاحه عن الفرات، وأصبح الماء بأكمله لدى أصحاب الإمام علي عليه السلام، هنا قال أصحابه له: إمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلوهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة بك إلى الحرب. فقال عليه السلام: لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حد السيوف ما يعني عن ذلك، «فهذه إن نسبتها إلى الحلم

(١) هل يا ترى اكتفى الإمام بهذا العدد من النساء، لكي يسرن مع أم المؤمنين عبر الصحراء من البصرة إلى المدينة؟ وما الضير من ارسال الإمام للرجال بصحبة النساء؟ وهو الاولى؟ ثم كيف لم يكتشف وضع النساء طوال الطريق، واحوال النساء معروفة؟

(٢) الشرح ١/٨٣.

(٣) الشرح ١/٢٣-٢٤، ٢٥٠. وانظر تفاصيل أكثر في الفصل الرابع.

والصفح فنائك بها جمالاً وحسناً، وإن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها
أن تصدر عن مثله (١).

لقد كانت الدعاية المضللة التي يبئها معاوية وأتباعه في أهل الشام، لتشويه
سمعة الإمام علي عليه السلام بمكان، وإلا فهذا الموقف منه كفيل بأن يفتح بصائر أهل
الشام عن حقيقة الإمام وبطلان دعاوى معاوية.

وكان عليه السلام الغاية في الصبر، فالذي يقرأ أحواله عليه السلام عند وفاة الرسول عليه السلام
والسيدة فاطمة عليها السلام وما جرى من أحداث إلى أيام خلافته عليه السلام ثم ما مني به من
خروج بعض الصحابة عليه، وتخاذل أصحابه، حتى عاد البطل الضرغام يقف
حائراً أمام أعدائه الذين أخذوا يغرون على المدن كغارات الشعالب (٢).

وبعد وفاة النبي عليه السلام وقف على قبره فقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن
الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك جليل، وانه قبلك وبعدك لجليل (٣).

ويؤثر عنه قوله بعد وفاة النبي - عليه السلام - والسيدة فاطمة عليها السلام (٤) :

ذكرت أبا أروى فبت كأنني	برد الهموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقه	وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطما بعد أح مد	دليل على أن لا يدوم خليل

(١) الشرح /١ ، ٢٤-٢٣ /٢ ، ٣١٣ /٢ . وانظر تفاصيل أكثر في الفصل الرابع.

(٢) أنظر لمزيد من التفاصيل الفصل الرابع.

(٣) الشرح /١٩ ، ١٩٥ /١٩ . أنظر الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٢٧ . محمودي: نهج السعادة . ٨-٣٧ /١

(٤) الشرح /١٠ ، ٢٨٨ /٢٠ . وانظر البرد: الكامل /٤ ، ٣٠ . الحاكم: المستدرك /٣ ، ١٧٩ .

وروي أنه عليه مرّ على قبر السيدة فاطمة عليها السلام فقال^(١):

قبر الحبيب فلم ير جوابي أمللت بعدي خلة الأحباب وأنا رهين جنادل وثراب وحجبت عن أهلي وعن أترابي مني ومنكم خلة الأحباب	مالي مررت على القبور مسلماً يا قبر مالك لا تحيط منادي قال الحبيب وكيف لي بجوابكم أكل التراب حاسني فنسيتم فعليكم مني السلام تقطعت
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

أما في-التواضع- فكان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكة وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بالحق، هذه الصفات كانت ماثلة لديه قبل توليه الخلافة وبعدها «لم تغيره الإمارة، ولا أحالت خلقه الرياسة، وكيف تحيل الرياسة خلقه وما زال رئيساً! وكيف تغير الإمارة سجيته وما برح أميراً! لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة! بل هو كما قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «إن علياً عليه السلام لم تزنه الخلافة ولكنه زانها» هذا يعني إن غيره قد ازدان بالخلافة وأكملت نقصه، أما الإمام علي عليه السلام فلم يكن فيه نقص يحتاج الخلافة لإتمامه، بل كانت الخلافة ذاتها فيها نقص فتم نقصها بولايته إليها^(٢).

كان عليه عليه كثيراً ما يتحدث عن نعم الله تعالى عليه، انطلاقاً من قوله تعالى

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ﴾^(٣).

(١) الشبلنجي: نور الإبصار ص ٤٧.

(٢) الشرح ١/٥١-٥٢.

(٣) سورة الصبحى، الآية: ١١.

فنبه البعض عن قصد أو غير قصد للتية والزهو^(١) والفاخر. حيث لما قيل لعمر بن الخطاب: ولّ علياً عليه السلام أمر الجيش وال الحرب، قال: هو أتى من ذلك. وكان زيد بن ثابت يقول: ما رأينا أزهى من علي وأسامة بن زيد^(٢).

قال ابن أبي الحديد: «إن من قيل في وصفه ما قيل، لو رقي إلى السماء وعرج في الهواء، وفاخر على الملائكة والأنبياء، تعظماً وتتجاهلاً لم يكن ملوماً؛ بل كان بذلك جديراً، فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظيم والتكبر في شيء من أقواله ولا من أفعاله، وكان ألطاف البشر خلقاً، وأكرمهم طبعاً، وأشدتهم تواضعاً، وأكثرهم احتمالاً، وأحسنهم بشرأً، وأطلقهم وجهاً، حتى نسبه من نسبة إلى الدعاية والمزاح، وما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة»^(٣).

ولقد أوضح ابن أبي الحديد^(٤) الدافع الذي يدفع الإمام لذكر نعم الله عليه وهو «إنما كان يذكر أحياناً ما يذكره من هذا النوع، نفثة مصدورة، وشكوى مكروب، وتنفس مهموم، ولا يقصد به إذا ذكره إلا شكر النعمة، وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة، فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف والمحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره، والنهي عن المنكر، الذي هو تقديم غيره عليه

(١) التية والزهو هو التكبر: الرازي: مختار الصحاح ص ٢٧٧، ٢٧٧.

(٢) الظاهر إن نسبة التية إلى أسامة جاءت من تعينه من قبل الرسول عليه السلام أميراً على الجيش الإسلامي الخارج لمحاربة الروم. وفيه عدد من كبار الصحابة. الشرح ١٧ / ١٨٢ وما بعده. أنظر الواقدي: المغازى ٣ / ١١١٨. ابن هشام: السيرة ٤ / ٢٩١-٢٩٩. اليعقوبي ٢ / ١٠٣. الطبرى: التاريخ

٣ / ١٨٤. القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠ / ١ / ٣٤٣-٩.

(٤) الشرح ٩ / ١٧٤-١٧٥.

(٥) الشرح ٩ / ١٧٥.

في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله:

﴿أَفَمَنْ يَهِدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَبَّعَ أَمْ لَا يَهِدِي إِلَّا أَنْ يُهَدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١).

إن النص أعلاه يشير إلى مسألة تقديم المفضول على الأفضل، واللاحظ أن الإمام عليه السلام يعتبر ذلك من باب المنكر لذا ينهى عنه، ويدرك الإمام فضائله التي هي «اعتقاد الحق والصواب» بكونه الأفضل، مستشهاداً بالنص القرآني الذي يؤكّد على تقديم الأفضل. إذن إذا كان تقديم المفضول على الأفضل برؤية الإمام التي أدلى بها ابن أبي الحديد شيئاً منكراً لذلك كان الإمام عليه السلام ينهى عنه، فإذاً ما معنى اعتقاد ابن أبي الحديد بجواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل؟ آخذين بنظر الاعتبار رؤية ابن أبي الحديد، ومن سبقه من معتزلة بغداد بأن مصدرهم الأول هو الإمام عليه السلام^(٢).

وكان عليه السلام معروفاً في السخاء والجود، فنراه سخياً في أشد الحالات صعوبة، حيث نجده صائماً، يؤثر بزاده ويقى طاويًا، حتى نزل به قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٣).

ونزل فيه أيضاً:

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) أنظر رؤية المعتزلة في التفضيل في المدخل وفي الفصل الرابع.

(٣) سورة الإنسان، الآيات: ٩-١٠. أنظر القاضي: المغني ٢٠/٢-٦٢. الطوسي: التبيان ١٠/٢١١.

الزمخشري: الكشاف ٤/٧٠. القرطبي: الجامع ١٩/١٢٨-١٣٣. ابن كثير: البداية والنهاية

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً﴾^(١).

حيث روى المفسرون أن الإمام علي عليه السلام كان يملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وآخر نهاراً، وبالثالث سراً، وبالرابع علانية^(٢).

وكان عليه السلام يسقي بيده نخل قوم من إلينجود، حتى مجلت^(٣) يداه، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً. ولقد قال فيه الشعبي: كان علي عليه السلام أنسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود: ما قال لسائل: لا قط^(٤).

وقال معاوية وهو عدوه ومحضه الذي يجتهد في وصميه وعييه - لمхран بن أبي محفن الضبي^(٥)، قال الأخير: جئتك من عند أبخال الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف تقول أبخال الناس، لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفدت تبره قبل تبنته^(٦). وكان سلام الله عليه - سيد الزهاد وبدل الابدال^(٧) - فإليه في هذا الباب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) أنظر الوحداني: أسباب النزول ص ٥٨. الطوسي: التبيان / ٢ ٣٥٧. الثعالبي: الجواهر الحسان / ١ ٢٢٣. الزمخشري: الكشاف / ١ ٣١٩. القرطبي: الجامع / ٣ ٣٤٧. وانظر عند غير المفسرين: الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣١٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣-١٤. ابن تيمية: منهاج السنة / ٤ ٦٢. الجوهري: فرائد / ١ ٣٥٦. القسطلاني: إرشاد الساري / ٣ ٢٦.

(٣) المجل: أن يكون بين الجلد واللحم ماء، أو هي قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من اثر العمل. ابن فارس: المجمل / ٣ ٨٢٣. الفيروزآبادي: القاموس / ٤ ٤٩.

(٤) الشرح / ١ ٢٢-٢١.

(٥) لم أجده له ترجمة.

(٦) الشرح / ١ ٢٢. وانظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٨٦.

(٧) الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم فإذا مات أحدهم استبدل الله بأخر. الرازمي: مختار الصحاح ص ٤٤.

تشد الرحال، وعنه تنفس الاحلاس^(١). فهو الذي ما شبع من طعام قط، وكان عليه السلام أخشن الناس ملبيساً وأمأكلاً، دخل عليه أحد أصحابه يوم عيد فقدم إليه جراباً^(٢) محتوماً فيه خبز شعير يابس مرضوض، فأكل عليه السلام منه، فقال له: يا أمير المؤمنين، فلماذا تختمه فقال: خفت هذين الولدين أن يلتاه^(٣) بسمن أو زيت. وكان ثوبه عليه السلام مرقوعاً تارة بجلد وأخرى بليف، ونعلاه من ليف، ويلبس الكرباس^(٤) الغليظ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه شفره، ولم يخذه، فكان لا يزال متتساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له. وكان يأتدم إذا ائتم بخلٌ أو ملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فيقليل من ألبان الإبل. وكان عليه السلام لا يأكل من اللحم إلا قليلاً، حيث يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوان. ومع ذلك كان أشد الناس قوة، وأعظمهم يداً، لا ينقض الجوع قوته ولا يخون إلاقلال منته. وهو الذي طلق الدنيا، وكانت الأموال تحبى إليه من جميع بلاد الإسلام ما عدا الشام، فكان يفرقها^(٥) ويقول:

(١) حلس البيت: كسه بيسط تحته حر الشياب. ابن فارس: المجمل ١/٢٤٨. الرازي: مختار الصحاح

. ١٤٩.

(٢) هو المزود أو الوعاء. الفيروزآبادي: القاموس ١/٤٥.

(٣) اللت هو الدق والشد والفت والسحق، واللات سمي بالذي كان يلت عنده السويف بالسمن.

الفيروزآبادي: القاموس ١/١٥٦.

(٤) ثوب من القطن الأبيض، والبائع له يدعى الكرايسبي، وهو لفظ معرب. ابن منظور: لسان

العرب ٨/٧٨-٩.

(٥) الشرح ١/٢٦.

هذا جنائِي و خيارُه فيه إِذ كُلُّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

ولما سئل عليه السلام: لم ترّق قميصك؟ قال: ليخشى القلب، ويهدى بي المؤمنون^(١).

وكان عليه السلام بعد أن يوزع الأموال يصلّي في بيت المال، ويقول: يا صفراء يا بيضاء غري غيري، وهو الذي لم يخلف ميراثاً^(٢)، وكانت الدنيا بيده ما عدا الشام^(٣).

وفي شرحه لقوله عليه السلام: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم. قال ابن أبي الحديد: لعمري لقد صدق -ومازال صادقاً -حيث ان من تأمل سيرته في حالي خلوه من العمل وولايته الخلافة عرف صحة هذا القول^(٤).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول في أمر الأموال: إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصانعون بالاموال ويصرفونها في صالح ملوكهم، وملاذ أنفسهم، وانه عليه السلام لم يكن من أهل الدنيا وإنما كان رجلاً

(١) الشرح ٩/٢٣٥-٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٤٨٦. وانظر البلاذري: انساب الاشراف

٢/١٢٩. الزمخشري: ربيع الابرار ٤/١٢٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٣١٨.

(٢) قال الحسن بن علي بعد استشهاد الإمام عليه السلام: «لقد قبض في هذه الليلة رجل ما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يتبع بها خادماً لأهله». أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٢-٣٣.

(٣) الشرح ١/٢٢.

(٤) الشرح ١٩/٦٧. انظر نهج البلاغة ص ٥١٠.

متأها صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً^(١).

ويروى أنه عليه السلام علم بأن قاضيه شريح بن الحارث^(٢) - اشتري داراً بثمانين ديناراً، فنظر إليه - عليه نظر مغضب وقال: «يا شريح، أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاصاً، ويسلمك إلى قبرك خالصاً». فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة. أمّا إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت، لكتبت إليك كتاباً على هذه النسخة...»^(٣).

وبعد أن أورد ابن أبي الحديد نص الصيغة التي كتبها الإمام إلى شريح علق قائلاً: «وموضع الاستحسان من هذا الفصل - وإن كان كله حسناً - أمران: أحدهما: إنه عليه نظر مغضب، إنكاراً لابتياعه داراً بثمانين ديناراً. وهذا يدل على زهد شديد في الدنيا عند الإمام عليه وسلم واستكثار للقليل منها، ونسبة هذا المشتري للاسراف، وخوف من أن يكون ابتعاها بمال حرام.

الثاني: إنه أملأ عليه كتاباً زهدياً وعظياً، مماثلاً لكتب الشروط التي تكتب في ابتعاع الأموال^(٤).

(١) الشرح ٢٠٢/٢.

(٢) هو شريح بن الحارث بن قيس الكندي، تولى قضاء الكوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي عليه السلام ومعاوية، توفي سنة ٧٨ هـ. أنظر أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٣٢-١٤١. ابن حجر: الاصابة ١٤٦/٢.

(٣) الشرح ١٤/٢٧. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٩-١٥٠.

(٤) الشرح ١٤/٣٠-٣١.

إن زهداً كهذا أثار إعجاب ابن أبي الحديد «فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ... وخرج أزهد الناس في الدنيا، وأغفهم، مع أن قريشاً ذوو حرص ومحبة للدنيا...»^(١).

ولكن إذا كان الإمام عليه السلام على هذه الدرجة من الزهد، فما معنى قوله:

«وانظرنا الغير انتظار المجدب المطر».

أليس هذا الكلام يدل على ترقبه الفرصة لتولي الخلافة وهذا لا يطابق كلامه في طلاقه للدنيا.

والواقع انه عليه السلام طلق الدنيا أن لا يقبل منها حظاً دنيوياً، وهذا لا يعني أن لا ينهى عن المنكر وإقامة الدين، ولا سيل لذلك إلا بتولي الخلافة^(٢).

وقد عابت العثمانية^(٣) على الإمام عليه السلام بأنه خلف عقاراً كثيراً، أي نخلاً بينما مات أبو بكر ولم يخلف ديناراً ولا درهماً.

هذه الرؤية فندتها ابن أبي الحديد بقوله: «قد علم كل أحد أن علياً عليه السلام استخرج عيوناً بكدّ يده بالمدينة، وينبع^(٤).....

(١) الشرح ١٤٦/١٦.

(٢) الشرح ٩/١٥٢-١٥٣. أنظر نهج البلاغة ص ٢١٢.

(٣) هم المناصرون لقضية الخليفة عثمان بن عفان والمؤيدون لمعاوية. وقد وضع الجاحظ رسالة باسم العثمانية فصل فيها آراء العثمانية. وقد رد عليه الاسكافي في كتاب أسماء نقض العثمانية. والكتابان مطبوعان. أنظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٢-٣. وانظر: بلقاسم الغالي: الجانب الاعتزالي عند الجاحظ ص ٣٢٨-٣٣١.

(٤) تقع بين مكة والمدينة ذات نخل وزروع وعيون وماء عذبة غزيرة. أنظر عرام بن الأصبع السلمي: أسماء جبال مكة وتهامة، منشور ضمن نوادر المخطوطات ٢/٣٩٧-٨. الحموي:=

..... وسوعية^(١)، وأحيا بها مواتاً^(٢) كثيراً، ثم أخرجها من ملكه، وتصدق بها على المسلمين، ولم يمت وشيء منها في ملكه، ألا ترى إلى ما تضمنته كتب السير والأخبار من منازعة زيد بن علي^(٣) وعبد الله بن الحسن^(٤) في صدقات علي عليه السلام^(٥)، ولم يورث علي - عليه السلام - بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلّا عبيده وإماءه وسبعيناً درهماً من عطائه^(٦)، تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثانية وعشرون ديناً على حسب المائة أربعة دنانير، وهكذا كانت المعاملة بالدرارهم إذ ذاك، وإنما لم يترك أبو بكر قليلاً ولا كثيراً لأنّه ما عاش،

= معجم البلدان / ٤٤٩ - ٤٥٠ .

(١) موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب عليه السلام زمن ياقوت الحموي. أنظر الحموي: معجم البلدان / ٣ / ٢٨٦.

(٢) الأرض الموات: هي الأرض المتروكة التي يحتاج زرعها إلى استصلاح. مالك بن أنس: الموطأ ٢٥٥ / ٢-٨. البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٥٣ . الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ٢٨٧-٨. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣ .

(٣) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قتل في الكوفة سنة ١٢١ هـ على يد والي الكوفة يوسف بن عمرو أيام هشام بن عبد الملك ويعرف بزيد الشهيد، وتنسب إليه الفرقة الزيدية أنظر: اليعقوبي: تاريخ / ٢ / ٧٣-٧٥ . أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ٨٦-١٠٢ .

(٤) عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالمحض لأنّه أول من ولد من الحسن والحسين وعرف بالفضل والحسن والمنطق، مات في حبس الهاشمية حيث حبسه المنصور بسبب تغيب ولده محمد ذي النفس الزكية. الطبرى ٥٣٩-٥٥١ / ٧ . أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ١٢٢-١٢٥ .

(٥) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ٩٠ .

(٦) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص ٣٣ .

ولو عاش لترك. إلا ترى أن عمرًا أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم^(١)، ودفعها إليها! وذلك لأن هؤلاء طالت أعمارهم، فمنهم من درت عليه اخلاف التجارة ومنهم من كان يستعمر الأرض ويزرعها^(٢)، ومنهم من استفضل من رزقه من الفيء^(٣).

مضافاً لذلك أن الإمام علياً -عليه السلام- فضلهم لأنَّه كان يَعْمَلُ بِيَدِهِ، ويحرث الأرض ويُسقي الماء، فيغرس النخل، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة، ومع ذلك فإنه لم يستبق لا لنفسه ولا لأولاده قليلاً ولا كثيراً، وإنما جعلها صدقة^(٤).

والمعروف ان الرسول ﷺ قد توفي وله ضياعاً كثيرة في خيبر وفدى وبني النضير، وكان له ﷺ وادي نخلة وغيره بالطائف، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر (٥)، فإذا كان على معاياً في تركه ضياع فكذلك صدقه الرسول ﷺ،

(١) أنظر: ابن عبد البر: الإستيعاب ٤/١٩٥٥ . ابن الأثير: اسد الغابة ٥/٦١٥ . ابن حجر: الاصابة ٤/٤٩٢ . إن مسألة وجود بنت للإمام علي عليه السلام باسم أم كلثوم لم يثبت تاريخيا، وإنما هي كنية لابنته الوحيدة من السيدة فاطمة وهي زينب الكبرى عليها السلام.

(٢) وكان للزبير خطط بالاسكندرية والكوفة والبصرة وغلاط بالمدينة. ابن سعد: الطبقات ١١٠. وانظر نجمان ياسين: تطور الوضع الاقتصادي ص ٢٥٢-٢٥٨.

. ١٤٦ / ١٥) الشرح (٣)

(٤) الشرح / ١٥ / ١٤٧ .

(٥) لما توفي النبي ﷺ كانت تركته (١) سبعة حوائط لمخزيق اليهودي أوصى بها للنبي قبل استشهاده في أحد (٢) ما وله الأنصار للنبي من أراضيهما التي لا يبلغها الماء (٣) أرض بنى النضير التي افاء الله بها على النبي ﷺ (٤) ثلاثة حصون في خيبر (٥) فدك (٦) ثلث وادي القرى (٧) سوق بالمدينة يسمى سوق مهزور. ولمزيد من التفاصيل أنظر: مرتضى العسكري: معالم المدرستين

وهذا كفر وإلحاد؛ ثم إذا كان الرسول عليه السلام ترك تلك الضياع صدقة، فذلك لم يرده إلا شخص واحد من المسلمين، أما ترك الإمام علي عليه السلام ضياعه صدقه فقد رواه جميع المسلمين بالمدينة. فالتهمة في هذا الباب أبعد على حد تعبير ابن أبي الحديد^(٦).

وفيما يخص سجاحة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلقة المحسيا والتبسـ - فهو المضروب به المثل. قال صعصعة بن صوحان واصفًا الإمام:

«كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه». وقال معاوية لقيس بن سعد^(٧): «رحم الله أبا حسن، فلقد كان هشاً بشَاً ذا فكاهة فعلم قيس مراد معاوية فقال: نعم، كان رسول الله عليه السلام يمزح ويبيسم إلى أصحابه: وأراك تسر حسوًّا في ارتقاء^(٨)، وتعيه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلقة، أهيب من ذي لبدين قد مسه الطوى؛ تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام.^(٩)

هذا الخلق بقي متوارثًا في محبي الإمام وأوليائه، في الوقت الذي بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، حتى أن له أدنى معرفة بأخلاق

. ١٤٧ / الشرح (٦)

(٧) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي من أصحاب الرسول عليه السلام والإمام علي عليه السلام وأحد دهاء العرب. ابن عبد البر: الإستيعاب ٣/١٢٨٩-١٢٩٣. ابن حجر: الاصابة ٣/٢٤٩.

(٨) مثل يضرب لم يقو شئًا ويريد غيره. أنظر الميداني: مجمع الأمثال ١/٨٩. ابن منظور: لسان العرب ٣/٤٦، مادة (رغاء). النويري: نهاية الارب ٣/٦٠.

. ٢٥ / الشرح (٩)

الناس يعرف ذلك^(١).

وعَدَ ابن أبي الحميد موافقة الإمام عليه السلام على مشاركة -أوس بن خولي- وهو من الأنصار في تجهيز الرسول عليه السلام ودفنه دليلاً على كرم الإمام عليه السلام، وسجاحة أخلاقه، وطهارة شيمته، حيث لم يضن بهذا المقام الشريف عن أوس بن خولي الانصاري! فكم بين هذه السجية الشريفة وبين قول القائل: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل الرسول عليه السلام إلا نساقه، ولو كان في ذلك المقام غير الإمام من ذوي الطباع الخشنة وأرباب الفظاظة والغلظة، ولو سأل أوس عن ذلك - لزجر وانهار ورجوع خائباً^(٢).

إن - الدعاية - من مميزات كثير من الحكماء والعلماء، وهي دعاية مقتضدة لا مسرفة لأن الإسراف يخرج صاحبه إلى الخلاعة^(٣)، ولكن هذه الفضيلة التي امتاز بها الإمام علي عليه السلام اعتبرت من قبل البعض منقصة، حيث جعلها عمر بن الخطاب السبب الذي يمنعه من أن يعهد بالخلافة للإمام قائلاً له: الله أنت، لو لا دعاية فيك^(٤).

وقد وظف - عمرو بن العاص - رؤية عمر بن الخطاب هذه في صراعه مع الإمام علي عليه السلام حيث قال لأهل الشام: إن الإمام عليه ذو دعاية شديدة يعافس

(١) الشرح ٢٦/١.

(٢) الشرح ٤٠/١٣-٤١. يقصد بالقائل لو استقبلت من أمري ... السيدة عائشة، أما صاحب الطباع الخشنـة فيقصد الخليفة عمر بن الخطاب.

(٣) الشرح ١٩/١٦. وقد كتب روكس العزيزي مقالاً رائعاً أوضح فيه ان الدعاية من الصفات الطيبة المطلوبة في رجال المجتمع. انظر الإمام علي اسد الإسلام وقديسه ص ١٧٨-١٨٢.

(٤) الشرح ٢٥/٦، ١٨٦، ٣٢٦.

ويهارس النساء، مما دعا الإمام علي عليه السلام للرد عليه قائلاً: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن في دعابه، وأنني امرؤ تلعابه أعاذه وأمارس! لقد قال باطلأً ونطق آثماً^(١).

لقد أوضح ابن أبي الحميد السبب الذي دفع عمر بن الخطاب لاعتبار دعابة الإمام منقصة قائلاً: «وأعلم أن الرجل ذاخلق المخصوص، لا يرى الفضيلة إلا في ذلك الخلق، ألا ترى أن الرجل يدخل فيعتقد أن الفضيلة في الإمساك والبخيل يعيي أهل السماح والجود، وينسبهم إلى التبذير، وإضاعة الحزم، وكذلك الرجل الجoward يعيي البخلاء وينسبهم إلى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال، والجبان يعتقد أن الفضيلة في الجن، ويعيي الشجاعة، ويعتقد كونها خرقاً وتغريراً بالنفس: كما قال المتibi^(٢):

يرى الجناء أن الجن حزم

والشجاع يعيي الجنان، وينسبه إلى الضعف ويعتقد أن الجن ذل ومهانة! وهكذا القول في جميع الأخلاق والسماجيات المقسمة بين نوع الإنسان»^(٣).

وأضاف قائلاً «ولما كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة، وأن خلافه نقص، ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشرة، وسماحة الخلق، لكن يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص، حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل على الله وخلق على

(١) الشرح ١/٢٥، ٦/٢٨٠. وانظر: الشريف الرضي: بحث البلاغة ص ١١٥. ابن الأثير: النهاية ١٩٤/١.

(٢) ديوان المتibi ص ٣٢٤. وعجزه: وتلك خديعة الطبع اللئيم.

(٣) الشرح ٦/٣٢٧.

حاصل له، لقال في علي عليه السلام: لو لا شراسة فيه، فهو غير ملوم عندي فيها قاله، ولا منسوب إلى أنه أراد الغض من علي، والقدح فيه، ولكن أخبر عن خلقه، ظاناً إن الخلافة لا تصلح إلا لشديد الشكيمة، العظيم الوعورة، ولقتضي ما كان يظنّه من هذا المعنى تم خلافة أبي بكر بمشاركته إياها في جميع تدابيره وسياسته وسائل احواله^(١) لرفق وسهولة كانت في أخلاق أبي بكر، وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده، كان يشير على رسول الله عليه السلام في مقامات كثيرة، وخطوب متعددة، بقتل قوم كان يرى قتلهم، وكان النبي عليه السلام يرى استباقائهم واستصلاحهم، فلم يقبل عليه مشورته على هذا الخلق^(٢).

كان الخليفة عمر صعباً، عظيم الهيئة، شديد السياسة، لا يميل إلى أحد ولا يراقب شريفاً أو مشروفاً، ولذا فأكابر الصحابة كانوا يتفادون لقاءه^(٣). وكان في أخلاقه وألفاظه خشونة ظاهرة، يحسبه السامع لها أنه إراد بها ما لم يكن قد إراد، ويفهم من تحكى له أنه قصد به ظاهراً ما لم يقصده كالكلمة التي قالها في مرض الرسول عليه السلام^(٤)، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن أن يقول معموراً أو

(١) ان استقراء الروايات التاريخية توضح ان عمر بن الخطاب كان بمثابة الوزير لأبي بكر، ومن بين ذلك طلب الخليفة من أسامة بن زيد امير الجيش الخارج لحرب الروم البيزنطيين بان يسمح الى عمر بن الخطاب بالبقاء مع الخليفة. أنظر الشرح ١٧-١٧٥.

(٢) الشرح ٦/٣٢٧-٣٢٨.

(٣) الشرح ١/١٧٣-١٨٣.

(٤) البخاري: الصحيح ١/٦٥-٦٦.

مغلوباً بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك^(١).

وفي تعقيبه على وصف عمر لبيعة أبي بكر بأنها فلتة وقى الله شرها^(٢)، قال ابن أبي الحميد: «إعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا إنه كان يتعاطى أن يتلطف، وأن يخرج الأفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغزيرة الغليظة، إلى أمثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوءاً، ولا يريد بها ذماً، ولا تخطئة، كما قدمنا من قبل في اللفظة التي قالها في مرض الرسول صلوات الله عليه وآله وسالم وكاللحوظات التي قالها عام الحديبية^(٣) وغير

(١) الشرح ١/١٨٣. كم ينافق ابن أبي الحميد نفسه فهو في تحليله لموقف عمر من وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسالم ينفي أن عمراً تصور أن النبي صلوات الله عليه وآله وسالم لم يمت كما كان يدعي، وإنما كان لديه مقاصد من إعلانه هذا.
راجع التفاصيل في الفصل الرابع.

(٢) الشرح ٢/٢٦-٢٧، ١٣/٢٢٤. الاسكافي: نقض العثمانية ص ٢٨٦. القاضي عبد الجبار:
المغني ١/٢٠. وقد نسب الجوهرى هذا القول للخليفة أبي بكر نفسه. الشرح ٦/٤٧.

(٣) قال ابن هشام: «فلمَا التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثبت عمر بن الخطاب فأتى أبو بكر قال: يا أبا بكر، أليس رسول الله؟ قال: بل، قال: أولئك المسلمين؟ قال: بل، قال: أوليسوا بالشركين؟ قال: بل. قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه، فإنيأشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأناأشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم فقال: يا رسول الله ألسنت برسول الله؟ قال: بل. قال: أوليسوا بالشركين؟ قال: بل. قال: فعلام نعطي الدينية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتقد من الذي صنعت يومئذ! خفافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيراً». السيرة النبوية ٣/٣١٧. وانظر: صحيح مسلم ١٢/١٤١. الملاطي: التنبيه ص ٨. ابن الجوزي: مناقب عمر بن الخطاب ص ٤٤-٤٥.

ذلك، والله تعالى لا يجازي المكلف إلا بما نواه، ولقد كانت نيته من أظهر النيات، وأخلصها الله سبحانه ولل المسلمين، ومن أنصف علم أن هذا الكلام حق»^(١).

لما وقع بعض المشركين أسرى يوم بدر، وأشارت الروايات أن الرسول عليه السلام استشار المسلمين في أمرهم، فكان رأي أبي بكر الفداء، فيما أشار عمر بن الخطاب بالقتل^(٢)، قال ابن أبي الحديد: فكان الصواب مع عمر ونزل القرآن بموافقته^(٣).

أما في الحديبية فقد أشار عمر بالحرب وكراه الصلح، فنزل القرآن بضد ذلك^(٤)، إذ ليس كل وقت يصلح لتجريد السيف، والسياسة لا تجري على

(١) الشرح ٢/٢٧. ولكن الله سبحانه وتعالى يقول:
﴿مَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهُوا﴾.

ونلاحظ من عمر كثرة المعارضة للنبي عليه السلام، فلِمَ هذا الشك في ما يأتي به النبي عليه السلام!!؟

(٢) الشرح ١٤/١٧٣-١٧٥. وانظر الواقدي: المغازي ١٠٧/١. الحاكم: المستدرك ٣/٢٤.
الطوسي: الامالي ط النجف ١/٢٧٣-٢٧٤.

(٣) يقصد قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّىٰ يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ﴾ سورة الأنفال، الآيات: ٦٨-٦٧.

وانظر الطبرى: جامع البيان ١٠/٤٣-٤٤. الزمخشري: الكشاف ٢/٢٣٦. ابن حزم: الفصل
١٢/٤.

(٤) يقصد قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحًا مُبِينًا﴾ سورة الفتح، آية: ١.

أنظر مسلم: الصحيح ١٢/١٤٣. الطبرى: جامع البيان ٢٦/٧٠.

منهج واحد ولا تلزم نظاماً واحداً^(١).

وعلق ابن أبي الحديد على موقف عمر يوم الحديبية بأنه صحيح ولكنه غير مستهجن ولا مستقبح، لأنه سأله من باب الاسترشاد، والتماس الطمأنينة كما يفعل الصحابة مع الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، حيث لما عزم الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه يوم الخندق على مصالحة اليهود ببعض ثمن المدينة، قال له سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ الانصاريان: أهذا من الله أمرأي رايته من نفسك؟ قال صلوات الله عليه وآله وسلامه: بل من نفسي قالا: لا والله لا نعطيهم منها تمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا^(٢).

وفي يوم بدر قال الأنصار للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه: وقد نزل نزلاً لم يستصلحوه: أنزلت هذا المنزل من رأي رأيت أم بوجي أو حبي إليك؟ قال: بل من رأي رايته، فقالوا انه ليس لنا بمنزل، ارحل عنه فانزل بموضع كذا^(٣).

ثم اوضح ابن أبي الحديد ان مراد أبي بكر رضي الله عنه في قوله لعمر رضي الله عنه «إلزم غرزه، فهو الله إلهه إنما هو تأكيد وتشييد على عقيدته التي في قلبه، ولا يدل ذلك على الشك، فقد قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا﴾^(٤).

فما من أحد يستغني عن زيادة اليقين والطمأنينة، وقد ظهر من عمر بن الخطاب أحوال أقل من ذلك تسرع فيها: كقوله للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه في أبي سفيان

(١) الشرح ٦/٣٢٨. إن ما يذكره ابن أبي الحديد من موافقة القرآن لعمر هي من الموضوعات في فضائل عمر التي لم تلق قبولاً لدى عدد من المفسرين.

(٢) الشرح ١٠/١٨٠. ابن هشام: السيرة ٣/٢٣٤.

(٣) الشرح ١٠/١٨١. أنظر الواقدي: المغازى ١/٥٣. ابن هشام: السيرة ٢/٢٧٢.

(٤) سورة الاسراء ، آية: ٧٤.

«دعني أضرب عنق أبي سفيان»^(١)، قوله: «دعني أضرب عنق عبد الله بن أبي»^(٢)، قوله: (دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة)^(٣)، وقد نهى النبي عليه السلام وجدب ثوبه لما قام على جنازة ابن سلول يصلي قائلاً له: كيف تستغفر لرأس المنافقين^(٤). وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وإنما كان عمر مطبوعاً على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها^(٥):

وبعد أن أوضح ابن أبي الحديد سجية الخليفة عمر علق قائلاً: «وأعلم أنا لا نريد بهذا القول ذمَّه وكيف نذمه، وهو أولى الناس بالمدح ليمن نقبيته وبركة خلافته، وكثرة الفتوح في أيامه، وانتظام أمور الإسلام على يده! ولكننا أردنا أن نشرح حال العنف والرفق، وحال سعة الخلق وضيقه، وحال البشاشة والعبوس، وحال الطلاقة والوعورة، فنذكر كل واحد منهم ذكراً كلياً، لا شخص به إنساناً بعينه. فأما عمر فإنه وإن كان وعراً شديداً خشنًا، فقد رزق من التوفيق، والعناية الإلهية ونجح المساعي، وطاعة الرعية ونفوذ الحكم، وقوة الدين، وحسن النية وهمة الرأي، ما يربى محاسنه ومحامده على ما في ذلك من

(١) حينما خرج أبو سفيان قبيل فتح مكة. ابن هشام: السيرة ٤/٤٥. الطبرى: تاريخ ٣/٥٣.

(٢) في غزوة بنى المصطلق. ابن هشام: السيرة ٣/٣٠٣.

(٣) قبيل فتح مكة: ابن هشام ٤/٤١. البخاري: الصحيح ٦/١٢٩-٣١. الحاكم: المستدرك ٣/٣٤١. المفید: الإرشاد ص ٢٥.

(٤) ابن هشام: السيرة ٤/١٩٦-١٩٧.

(٥) الشرح ١٠/١٨١.

نقص، وليس الكامل المطلق، إلا الله تعالى وحده»^(١).

ولذلك يخلص ابن أبي الحميد في تحليله لقوله عمر في الإمام علي عليه السلام للقول «وجملة الأمر أنه لم يقصد عيب على عليه السلام ولا كان عنده معيناً، ولا منقوصاً، إلا ترى أنه قال في آخر الخبر: «إن احraham إن ولها أن يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك». ثم أكد ذلك بأن قال: «إن ولهم ليحملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم». فلو كان أطلق تلك اللفظة، وعنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله»^(٢).

إن ملاحظة أحوال الإمام عليه السلام تنفي اتهام عمرو بن العاص إيه بالدعاية سواء في عصر الرسول صلوات الله عليه وسلم أو عصور الخلفاء من بعده، حيث لا نجد حدثياً يمكن أن يتعلق به الخصوم في دعابته ومزاوجه «فكيف يظن بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل، ولا ندد به صديق ولا عدو، وإنما إراد سهولة خلقه لا غير، وظن أن ذلك مما يفضي به إلى ضعف أن ولـيـ أمر الأمة، لاعتقاده أن قوام هذا الأمر إنـما هو بالوعورة، بناء على ما قد ألفـته نفسه، وطبعـت عليه سجـيـته ... ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول وعرف أن عمر بن العاص أخذ كلمة عمر، إذ لم يقصد بها العيب فجعلـها عـيـباً، وزادـ عليها أنه كثـير اللـعبـ، يعافـ النساءـ، ويـهـارـ سـهـنـ، وأنـهـ صـاحـبـ هـزـلـ»^(٣).

ثم أقسم ابن أبي الحميد: ولـعـمـرـ اللهـ! لـقـدـ كـانـ عـلـيـ أـبـعـدـ النـاسـ مـنـ ذـلـكـ،

(١) الشرح ٦/٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الشرح ١/١٨٦، ٦/٣٢٨.

(٣) الشرح ٦/٣٢٨-٣٢٩.

وأي وقت يتسع له حتى يكون على هذه الموصفات؟ حيث إن أزمانه كلها في العبادة والصلوة والذكر والفتاوی والعلم، واختلاف الناس إليه في الأحكام وتفسير القرآن، أما نهاره فكان كله أو معظممه مشغولاً بالصوم، وليله كله أو معظممه بالصلوة، في أيام السلم، أما في أيام الحرب فالسيف الشهير، والسنان الطرير وركوب الخيل، وقيادة الجيش، ومبشرة الحرب. ولقد صدق -عليه السلام- في قوله: «إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت»^(١).

ثم أوضح ابن أبي الحديد سبب التهمة بأن الرجل الشريف النبيل الذي لم يتمكن أعداؤه أن يجدوا له عيباً عليه يأخذون بالاحتياط في تحصيل عيب وإن كان ضعيفاً ليجعلوه عذراً لأنفسهم في ذمه، ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته، والانحراف عنه كما كان يفعل المشركون والمنافقون مع الرسول عليه السلام، فيبرأ الله من العيوب التي برأ الله منها، وغير منكر أن يعيّب عليه عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه، بما إذا تأمله المتأمل، علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به، قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه، لأنهم لو وجدوا عيباً غير ذلك لذكروه، ولو بالغ أمير المؤمنين عليه ويدل جهده في أن يشنى أعدائه وشانئيه عليه من حيث لا يعلمون، لم يستطع أن يجد إلى ذلك طريقاً ألطى من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها، وهداهم إلى منهاجها، فظنوا أنهم يغضون منه، وإنما أعلوا شأنه، أو يضعون من قدره، وإنما رفعوا منزلته ومكانه^(٢).

أما في - العبادة - فكان عليه أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً حيث تعلم الناس منه صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وبلغ من حافظته على

(١) الشرح ٣٢٩/٦

(٢) الشرح ٣٣٠-٣٢٩/٦

الأوراد أن بسط له نطعاً في صفين ليلة المحرر وأخذ يصلي، والسهام تقع بين يديه وتمر على جانبيه فلا يرتاع منها، ولا يقوم حتى يفرغ من ورده، ولكرثة سجوده أصبحت جبهته كثافة البعير «إذا تأملت دعواته ومناجاته^(١)»، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبة، والخشوع لعزته، والاستذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت. وقد قيل لعلي بن الحسين^(٢) عليهما السلام وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: «عبادي من عبادة جدي كعبادة جدي من عبادة رسول الله عليه عليه السلام^(٣)».

والشيء الذي يثير التعجب في مزايا الإمام علي عليه السلام هو - الجمع بين الأضداد - فكان ذلك من عجائبها التي انفرد بها وامن المشاركة فيها، وأصبح من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة، حيث جمع بين الأضداد، وألف بين الأشتات،

(١) راجع أدعية الإمام في نهج البلاغة ص ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٦، ٩٧، ١٠٤ وغيرها.

(٢) علي بن الحسين عليهما السلام غني عن التعريف - من إنجازاته أنه أشار على الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان بضرب عملة عربية إسلامية ثم شرح له كيفية ذلك، وينسب هذا الفعل خطأ إلى الإمام محمد الباقر عليهما السلام. أنظر البيهقي: المحاسن والمساوئ ص ٤٦٧ - ٧ ابن كثير: البداية والنهاية ٩ - ١٠٤. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ١ / ٦٢ - ٦٤. وانظر تحليلاً تفصيلياً في رسالتنا للماجستير: المقريزى ص ١٣٩ - ١٤٨. وماكتبه في الحلقة الثانية من فضائل الإمام علي عليهما السلام لغيره (ضرب النقود الإسلامية). وعرف عليهما السلام بمناجاته حيث وصلت إلينا الصحيفة المعروفة باسمه والمشتملة على أدعيته ومناجاته. أنظر الشرح ٦ / ١٧٨ - ١٨٧. امالي الطوسي ط النجف ١ / ١٤ - ١٨. الصحيفة السجادية ص ٦ وما بعدها. وعن الصحيفة السجادية أنظر دراسة تحليلية: علي حسين محفوظ: الصحيفة السجادية ص ٢ وما بعدها.

(٣) الشرح ١ / ٢٧.

وهذا ما كان يثير عجب الشريف الرضي فيتحدث به إلى معاصريه فيثير إعجابهم، وهي موضع العبرة وال فكرة فيها^(١)، ومن هذه الصفات المضادة: أولاً: يقول الشريف الرضي^(٢): «إن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر؛ إذا تأمله المتأنل، وفكـر فيه المـفـكـر، وخلـع من قـلـبـه أنه كـلامـ مـثـلـهـ، من عـظـمـ قـدـرـهـ وـنـفـذـ أـمـرـهـ وأـحـاطـ بـالـرـقـابـ مـلـكـهـ، لمـ يـعـتـرـضـهـ الشـكـ فيـ أـنـهـ كـلامـ مـنـ لـاـ حـظـ لـهـ فيـ غـيـرـ الزـهـادـةـ، وـلـاـ شـغـلـ لـهـ بـغـيـرـ الـعـبـادـةـ، قدـ قـبـعـ فيـ كـسـرـ بـيـتـ، أـوـ اـنـقـطـعـ إـلـىـ سـفـحـ جـبـلـ، لـاـ يـسـمـعـ إـلـاـ حـسـهـ، وـلـاـ يـرـىـ إـلـاـ نـفـسـهـ، وـلـاـ يـكـادـ يـوـقـنـ بـأـنـهـ كـلامـ مـنـ يـنـغـمـسـ فـيـ الـحـرـبـ، مـصـلـتـاـ سـيـفـهـ، فـيـقـطـ الرـقـابـ، وـيـجـدـلـ الـإـبـطـالـ، وـيـعـودـ بـهـ يـنـظـفـ دـمـاـ، وـيـقـطـرـ مـهـجاـ، وـهـوـ مـعـ تـلـكـ الـحـالـ زـاهـدـ الـزـهـادـ وـبـدـلـ الـأـبـدـالـ».

إن الذي أشار له الشريف الرضي أمر صحيح لأن الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية، وفتاك وتمرد وجبرية، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذها، والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد، وتذكيرهم الموت، أن يكونوا ذوي رقة ولين، وضعف قلب، وخور طبع، فهاتان حالتان متضادتان، وقد اجتمعتا له عليهما^(٣).

يقول ابن أبي الحديد^(٤): «إني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطبع الأسود والنمور وأمثالها من السباع

(١) الشرح ٤٩/١. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٣٦.

(٢) الشرح ٤٩/١. نهج البلاغة ص ٣٥-٣٦.

(٣) الشرح ١/٥٠.

(٤) الشرح ١١/١٥٣.

الضاربة، ثم ينطوي في ذلك الموقف بعينه، إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطبع الرهبان لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحماً، ولم يريقوا دماً! فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، وعتبة بن الحارث اليربوعي^(١)، وعامر بن الطفيلي العامري^(٢)، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني^(٣)،

(١) عتبة بن الحارث بن شهاب التميمي، فارس تميم قبل الإسلام، وكان يلقب «سم الفرسان» و«صياد الفوارس»، ويضرب به المثل في الفروسيّة. الشرح الشرح /٣ ٢٧٩. أنظر أبو هلال: جمهرة الأمثال: ١١١. ابن حزم: جمهرة النسب ٢٢٤. المصفي: رغبة الأمل /٢ ١٥٦-١٥٥.

(٢) عامر بن الطفيلي بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة، ولد في حدود ٧٠ ق.ه وهو فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وسادتهم قبل الإسلام. وفدى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يسلم إلا بشرط رفضها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، توفي سنة ١١هـ. أنظر الجاحظ: البيان والتبيين /١ ٥٤. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١١٨. ابن حبيب: المحرر ص ١١٨، ١٣٥، ٣٠٣، ٤٧٢، ٤٧٣. ابن حجر: الأصابة /٢ ٢٥١. البغدادي: خزانة الأدب /١ ٤٧٣، ٣٣٨، ٤٧٣. المصفي: رغبة الأمل /٢ ١٧٦، ١٦٥/٨، ٢٤٣. الألوسي: بلوغ الارب /٢ ١٢٩، ١٢٨. وعامر هو القائل:

إني وإن كنت ابن سيد عامرٍ
وفارسها المنذوب في كلٌ موكبٍ

أبى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأَمْ وَلَا إِبْ
فَمَا سُوَّدْتَنِي عَامِرٌ عَنْ قِرَابَةِ

ديوان عامر بن الطفيلي ص ١٣. السيوطي: شرح شواهد المغني: ٢/٩٥٣-٤.

(٣) فيلسوف يوناني من أثينا (٤٦٩-٣٩٩ ق.م.) لم يترك أثراً مكتوباً، ولكن قام تلاميذه بتسجيل آراؤه، وكان ينزل إلى العامة ويتحدث عن الفضيلة والعدل والتقوى، فاتهم بإفساد عقول الشباب فحكم عليه بالإعدام. الشهيرستاني: الملل والنحل /٣ ١٨٥-١٩٠. القفطي: تاريخ الحكمة ١٩٧-٢٠٧. الموسوعة الميسرة /١ ٩٨٥-٩٨٦.

ويوحنا المعمدان الاسرائيلي^(١)، والمسيح^(٢) ابن مريم الإلهي».

ولقد اوضح ابن أبي الحديد^(٣) ذلك في شعره إذ يقول:

بالخوف للبُهِمِ الْكَمَاهِ يُقْنَعُ فكأنهَا بَيْنَ الاضالِعِ أَضْلَعُ وادِ يَفِيْضُ وَلَا قَلِيبٌ يُتَرَعُ وَمَفْرَقُ الأَحْزَابِ حِيثُ تَجْمَعُ حَتَّى تَكَادُ هَا الْقُلُوبُ تَصَدَّعُ شَرَبَ الدَّمَاءَ بَغْلَةً لَا تَنْقُعُ يَعْلُوْهُ مِنْ نَقْعِ الْمَلَاحِمِ بِرْقُعُ أَوْدِي بِهِ كَسْرِي وَفَوْزُ تُبَعُ	الضَّارِبُ الْهَامُ الْمَقْنَعُ فِي الْوَغْيِ وَالسَّمْهِرِيَّةُ تَسْقِيمُ وَتَنْحَنِي وَالْمَرْءُ الْحَوْضُ الْمَدْعُودُ حِيثُ لَا وَمَبْدُدُ الْأَبْطَالُ حِيثُ تَأْلِبُوا وَالْحَبْرُ يَصْدُحُ بِالْمَوَاعِظِ خَاشِعاً حَتَّى إِذَا اسْتَعَرَ الْوَغْيُ مَتَلْضِيًّا مَتَجْلِبًا ثُوْبًا مِنَ الدَّمِ قَانِيًّا رُهْدُ الْمَسِيحِ وَفَتَكُهُ الدَّهْرِ الَّذِي
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

ثانياً: إن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعة، وطبعاً حوشية، وغرائز وحشية، أما أهل الزهادة فيغلب عليهم أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق، وعبوس في الوجه، ونفار من الناس

(١) هو النبي يحيى عليه السلام - الذي بشر بالسيد المسيح - عليه السلام - لذا أصبحت له مكانة لدى المسيحيين، وكان متقدشاً في البرية يأكل الحراد، وأنكر زواج هيروس بأخت امرأته (هرودياد) فنقمت عليه وحرضته على قتلها، فأعدم. انظر الانجيل: متى ص ١٢-٢٥، ١٣-٢٦. مرقس ص ٦١-٦٢، ٧١-٧٢. لوقا ٩٧-١٥، ١٠٨، ١١٤، ١١٠-١٠٩، ١٥١-١٠٥. يوحنا ١٥٤. محمد

شقيق غربال: الموسوعة الميسرة ٢/١٩٨٩.

(٢) المسيح: مأخوذ من المصح وهو إمارار اليد على الشيء السائل أو الملاطخ لإذهابه. والمسيح هو المبارك. الفيروزى آبادى: القاموس ١/٢٤٩.

(٣) القصائد السبع العلويات: ص ٤٢.

واستيحاش، لأن هدفهم رفض الدنيا والتذكير بالأخرة^(١).

ولكن الإمام علي عليه السلام الذي كان أشجع الناس وأعظمهم إرادة للدم، وهو أيضاً أزهد الناس، وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأ أيام الله ومثلاته، ثم هو من أشد الناس في العبادة اجتهاداً، وآداباً في المعاملة لنفسه، مع كل ذاك فهو ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشرأً، وأوافاهم هشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش، أو خلق نافر، أو تحفهم مباعد، أو غلظة، وفطاظة تنفر معها نفس، أو يتکدر معها قلب، حتى عيب بالدعابة، بعد أن لم يجدوا فيه مغزاً ولا مطعناً، واعتمدوا في التتفير عنه عليها^(٢).

وتلك شكاوة ظاهر عنك عاروها^(٣)

ثالثاً: إن المعروف على من يكون من أهل بيت السيادة والرياسة أن يكون ذا كبر وتيه وتعظم وتغطرس، خاصة إذا أضيف إلى شرفه من جهة النسب شرف من جهات أخرى.

هذا الحال لا نجده عند أمير المؤمنين عليه السلام فمع أنه في مصاص الشرف ومعدنه، لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسبياً بعد ابن عمه صلوات الله عليهما، مضافاً إلى الشرف الذي حصل عليه من جهات متعددة، فكان من أشد الناس تواضعاً لصغير أو كبير وألينهم عريكة وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بالحق، وحاله هذا واحداً سواء قبل توليه الخلافة أو بعدها

(١) الشرح ١/٥٠.

(٢) الشرح ١/٥١.

(٣) هو عجز بيت لأبي ذؤيب المذلي، وصدره: وعيّرها الواشون أي أحبهما

ديوان المذلين ١/٢١. ابن منظور: لسان العرب ١٩/١٧١.

وذلك لأنَّه لم يُزل أميرًا فلم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو الذي زانها^(١). وكانت في نقص فأتمت نقصها بتوليه إياها.^(٢)

رابعاً: ان الصفة التي تغلب على ذوي الشجاعة، وقتل الانفس، وإرادة الدماء، أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو، لأن أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، والقوة العصبية عندهم شديدة، وهذا لا يتفق مع ما يتميز به امير المؤمنين -عليه السلام-، فمع شجاعته نجده في الحلم والصفح بمكان، ونجد لديه القدرة على مغالبة هوى النفس، كما لوحظ تماماً في أيام خلافه الذي أحسن مهيار الديلمي وصف حاله فيها^(٣):^(٤)

عليهم وسبق السيف العَذْلُ للصِّرِّ حَمَالٌ هُمْ عَلَى الْعَلَلِ وَأَكَلَ الْحَدِيدُ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّ شَائِرَةً الْغَيْظِ لَمْ يَشْفِي الْغَلْلُ	حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحْيَ بَغِيَّهُمْ عَادُوا بِعَفْوٍ مَاجِدُ مَعْوِدٍ فَنَجَّيَتِ الْبُقِيَا عَلَيْهِمْ مِنْ نَجَّا أَطَّلَتْ بَهِمْ أَرْحَامُهُمْ فَلَمْ يُطِعِ
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

خامساً: قد لا تتفق الشجاعة مع الجود، حيث كان الزبير شجاعاً، ولكنه عرف بالشح، حتى عَدَ ذلك عمر بن الخطاب من الصفات التي لا تؤهله

(١) قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل؛ ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم، تذكروا يوماً عند أحمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا فأكثروا، فرفع رأسه إليهم، قال: قد أكثرتم! إن علياً لم تزنه الخلافة! ولكنه زانها». الشرح ٥٢ / ١.

(٢) الشرح / ٥١ - ٥٢.

.٥٢ / ١ (الشرح ٣)

(٤) من قصيدة في (١١١) بيتاً، يذكر فيها مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وهذه الآيات موجودة في الديوان المطہی ع ما عادا المست الآخرة ، أنظر دیوان مصطفیٰ / ٣٠٩-١١٦.

للخلافة قائلاً^(١): لو وليتها لظلت تلطم الناس في البطحاء على الصاع^(٢) والمد^(٣). ولما أراد الإمام علي عليه السلام أن يحجز على أموال عبد الله بن جعفر لتبذيره إياها، شارك الزبير في أمواله وتجاراته، فقال الإمام علي عليه السلام أما إنه قد لاذ بماله، ولم يحجز عليه. كذلك كان طلحة بن عبيد الله شجاعاً، ولكنه شحيحاً أمسك عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لا يأتي عليه الحصر^(٤). وكان عبد الله ابن الزبير شجاعاً، لكنه كان أبخلاً الناس^(٥)، كذلك عبد الملك بن مروان الذي ضرب به المثل في الشح، وسمي -رشح الحجر- بخله.^(٦)

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في الشجاعة بحال معروفة في الشجاعة والبسخاء وهذه من أعاجيبه عليه السلام.^(٧)

(١) الشرح / ١٨٥.

(٢) الصاع: أربعة امداد عند أهل المدينة، وثمانية عند أهل الكوفة. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.

(٣) المد: مكيال وهو رطل وثلث في الحجاز، ورطلان عند أهل العراق. الرازى: مختار الصحاح ص ٦١٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١١.

(٤) ابن سعد: الطبقات / ٣ ٢٢٢-٢.

(٥) الشرح / ٢ ١٠٣. أنظر ابن عبد البر: الاستيعاب / ٣ ٩٠٦.

(٦) أنظر الزمخشري: ربيع البار ٢ / ٣٦٥.

(٧) الشرح / ١ ٥٢-٥٣.

الفصل الرابع

الإمام علي

عليه السلام

ونظام الحكم

الفصل الرابع

الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام قبل الخلافة

ضمَّت بعض خطب الإمام علي عليه السلام، ورسائله، وقصار كلماته الشريفة، إشارات إلى الإمامة^(١)، فوظفها ابن أبي الحديد لكي يقدم رؤية الإمام علي عليه السلام من خلالها للإمامية، وقد تباهت طريقة ابن أبي الحديد في شرحه لتلك الإشارات، فتارة يأخذ كلام الإمام علي عليه السلام على ظاهره، وتارة يستخدم التأويل^(٢)، ويصرف كلامه عليه عن ظاهره إلى معنى آخر ليلاًئم وجهة نظر المعتزلة.

(١) الإمامة لغة مأخوذه من أم القوم: تقدمهم. والإمام كل من اتّم به قوم سواء كانوا على الصراط المستقيم أم ضالين. قال تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ﴾ سورة الإسراء: ٧١.

وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، فالقرآن إمام المسلمين، والرسول عليه السلام إمام الأئمة، وال الخليفة إمام الرعية، ابن منظور: لسان العرب ٤/٢٨٩-٢٩٠.

(٢) التأويل: صرف الكلمة عن معناها الظاهري إلى معنى مجازي، الجرجاني: التعريفات، ص ٢٨٠.

فبدءً يقرر ابن أبي الحديد أن الإمامة من أصول الدين (العقائد)^(١)، ثم هي واجبة انطلاقاً من قوله عليه السلام للخوارج لما قالوا: «لا حكم إلا لله»، فاجأب عليهما: «كلمة حق يراد بها باطل: نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة [إلا لله]. وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعف من القوي، حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر»^(٢).

إن القول بوجوب الإمامة أمرٌ أجمع عليه المعتزلة ما عدا أبي بكر الأصم الذي يرى «أنها غير واجبة: إذا تناصفت الأمة، ولم تتطال». وهذا الرأي عده متأخرٍ واعتزله قوله قولاً بالوجوب، وذلك لأنه في العادة لا تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم^(٣).

وقد وظّف ابن أبي الحديد كلام الإمام علي عليه السلام لتقدير صحة رؤية المعتزلة «والظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه طابق ما يقوله أصحابنا، ألا تراه كيف علل قوله: - لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعف من القوي! - وهذه كلها من صالح الدنيا»^(٤).

(١) الشرح ٣٦٧ / ١٨.

(٢) الشرح ٢ / ٣٠٧. ليس في النص تلویح بوجوب الإمامة لأن كلامه في الإمارة الدينية سواء كان

الناس أهل دين أم لا!! التستري: بحق الصباغة ٤١٠ / ١٠.

(٣) الشرح ٣٠٨ / ٢.

(٤) الشرح ٢ / ٣٠٨. أنظر رد حبيب الله الخوئي الهاشمي: منهاج البراعة ٤ / ١٨٠ - ١٨٥.

وتجدر الاشارة إلى أن الإمام علياً عليه السلام - كان يرى أن الامارة مسألة ضرورية لأي مجتمع، وذلك لأن فيها:

يعمل المؤمن فيصلي ويصوم ويتصدق، وإن كان الأمير فاجراً في نفسه.

يستمتع الكافر بمدته، كما قال تعالى:

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(١).

يبلغ الله فيها الأجل، لأن إمارة الفاجر كإمارة المؤمن، في أن المدة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل المؤقت للإنسان.

يجمع في إمارة الفاجر الفيء، ويقاتل العدو، وتأمين السبل، ويؤخذ للضعيف من القوي، يقول الرسول ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٢).

ويخلص ابن أبي الحميد للقول: «اتفقت المعتزلة على أن أمراء بنى أمية كانوا فجراً عدا عثمان وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد، وكان الفيء يجمع بهم، والبلاد تفتح في أيامهم، والشغور الإسلامية محصنة محظوظة والسبل آمنة، والضعيف منصور على القوي الظالم، وما ضر فجورهم شيئاً في هذه الأمور»^(٣).

فإذا كانت الإمامة واجبة، فهل ان وجوبها يتبع أن يكون الإمام بالاختيار، أم بالنص؟

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٣٠.

(٢) أخرجه: ابن حنبل: المسند ٣٠٩ / ٢. البخاري: الصحيح ٤ / ١٦٦.

(٣) الشرح ٣٠٩ / ٢.

استنتاج ابن أبي الحميد من خلال كلام الإمام علي عليه السلام أن الإمامة بالاختيار^(١) وليس بالنص، وهذا ما يذهب إليه المعتزلة، وقد وظف ابن أبي الحميد نصين من كلام الإمام لإثبات ذلك:

الأول: قوله عليه السلام:

«ولعمري لئن كانت الإمامة لا تتعقد حتى تحضرها عامة الناس، ما إلى ذلك سبيل؛ ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار»^(٢).

إذن فهنا الإمام يرى أن الإمامة لا يشترط في صحة انعقادها حضور كل الناس، لأن ذلك يعني عدم انعقاد إمامية مطلقاً لعدم اجتماع الناس وإنما ينعقد بعقد العلماء وأهل الحل والعقد الحاضرين، وإذا عقدت فلا يجوز الرجوع عنها إلا لسبب يقتضي ذلك، أما الغائب فهو ملزم بعقد الحاضرين ولا يجوز له الاحتجاج، وعلى هذا جرت بيعة أبي بكر وعمر وعثمان، «وهذا الكلام تصريح بصحة مذهب أصحابنا في أن الاختيار طريق إلى الإمامة، وبطل لما تقوله الإمامية من دعوى النص..».

الثاني: جاء في كتابه عليه السلام إلى معاوية «انه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم بطعن أو بدعة ردده إلى ما خرج عنه،

(١) أنظر رد الصاحب بن عباد: نصرة مذاهب الزيدية ص ١٨٥-١٨٧.

(٢) الشرح ٣٢٨/٩

فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»^(١).

عد ابن أبي الحميد هذا النص صريحاً في أن الاختيار طريق إلى الإمامة كما يذكره المعتزلة، لأن الإمام علي عليه السلام احتج على معاوية بيعة أهل الحل والعقد له، ولم يراع اجتماع المسلمين، كما تمت بيعة أبي بكر فانه ما روعي فيه إجماع المسلمين، لأن سعد بن عبادة وأهل بيته لم يبايعوا، والإمام علي عليه السلام وبنو هاشم ومن انضوى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر، ولكن لم يتوقفوا في تصحیح بيعة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعة من لم يبايع «وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقاً إلى الإمامة، وأنه لا يقدح في إمامته عليه السلام، امتناع معاوية من البيعة وأهل الشام»^(٢).

ورداً ابن أبي الحميد على حمل الإمامية كلام الإمام معاوية-أعلاه- على التقية لأن الإمام علي عليه السلام برأي الإمامية لم يمكنه التصریح بالنص عليه لأن ذلك يؤدي للطعن في من تقدمه، ثم يؤدي لفساد وخروج من بايعه عليه، قال ابن أبي الحميد: «هذا القول من الإمامية دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها، ويصار إليها ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقية»^(٣).

ويرى المعتزلة أنه لما كان الإمام علي عليه السلام قد حصل على الإمامة بالاختيار، لذا فقد وجبت طاعته فلا يعذر أحد من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته، وهذا مصدق قوله عليه السلام «عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته»^(٤).

(١) الشرح ١٤/٣٥. وانظر رد التستري: بهج الصبغة ٩/٣٩٦.

(٢) الشرح ١٤/٣٦.

(٣) الشرح ١٤/٣٦-٣٧.

(٤) الشرح ١٨/٣٧٣. وانظر رؤية الإمامية عند التستري: بهج الصبغة ٣/٥٦٩-٥٧٢.

ويجدر بنا أن نوضح هنا كيف تم اختيار أبي بكر للخلافة طبقاً لمبدأ الاختيار الذي يراه المعتزلة.

بعد وفاة الرسول عليه السلام أنكر عمر بن الخطاب وفاته قائلاً: «ما مات رسول الله عليه السلام، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله، وليرجع، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم من أرجف بموته، لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بسيفي». فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله عليه السلام، وقال: بأبي وأمي: طبت حياً وميتاً، والله لا يذيقك الله الموتىن أبداً، ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: إنه لم يمت، ويحلف، فقال له: أهيا الحالف، على رسلك: ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن الله قد مات. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١).

وقال:

﴿إِنَّمَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٢).

قال عمر فوالله ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، وعلمت أن رسول الله صل الله عليه قد مات»^(٣).

و قبل أن يطرح ابن أبي الحديد رؤيته لهذا الموقف من عمر بن الخطاب،

(١) سورة الزمر، الآية: (٣٠).

(٢) سورة آل عمران ، الآية: (١٤٤).

(٣) الشرح ١/١٧٨، ٩/١٢، ٤٠/١. والنظر: ابن هشام: السيرة ٤/٥٣٦. ابن

سعد: الطبقات ٢/٢٦٦، ٩-٢٦٦. العقوبي: تاريخ ٢/١٠٤. ابن الجوزي: مناقب عمر ص ٤٩-٥٠.

طرح لنا رؤيتين:

الرؤية الأولى: رؤية اعتزالية قال بها القاضي عبد الجبار المعتزلي أحد كبار رجال الاعتزال، حيث يرى القاضي أن عمرًا لم يمنع من جواز موت الرسول عليه السلام، وإنما تأول قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١).

ولذلك فقد استغرب عمر كيف يموت الرسول عليه السلام ولم يظهر على الدين كله، فهنا قال له أبو بكر إذا ظهر دينه فقد ظهر هو، وسيظهر دينه بعد وفاته (٢).

الرؤية الثانية: رؤية إمامية قال بها الشريف المرتضى (٣) الذي تساءل عن إنكار عمر ملوت الرسول عليه السلام هل إنكاره كلياً أو في ذلك الوقت فقط؟ ثم كيف دخلت هذه الشبهة على عمر دون المسلمين؟ وكيف لم يوقن بوفاته عليه السلام لما رأى ما على المسلمين من اعتقاد موته؟ ثم كان يجب عليه أن يقول للMuslimين في مرض الرسول عليه السلام: ما هذا الجزء والهلع، وقد آمنكم الله من موته؟ إلى غيرها من التساؤلات؟ (٤).

(١) سورة التوبه، الآية: (٣٣).

(٢) الشرح /١٢٠٤١ /١٩٥٦ . وانظر القاضي: المغني /٢٠٢ /١٠٩.

(٣) هو من كبار علماء الإمامية في القرن الخامس الهجري، ومن له باع كبير في الأدب والكلام، ومن أشهر مؤلفاته: الأمالى، الشافي في الإمامة، أنظر: الشعابى: تتمة اليتيمة ص ٦٩-٧٢ . الجشمى: الطبقتان ص ٣٨٣ . ابن الجوزى: المتظم /٨ /١٢٠-١٢٦ . اليافعى: مرآة الجنان /٣ /٥٥-٧ .

السيوطى: بغية الوعاة ص ٦-٣٣٥ . محى الدين: ادب المرتضى ص ٣ وما بعدها.

(٤) الشرح /٢٤١ /١٢٢ ، ٤١ /١٩٧ .

وقدّم ابن أبي الحديد إجابتين: الأولى: تتصف بالرد على ما جاء لدى الشريف المرتضى من شبّهات يرى ابن أبي الحديد أنه يمكن تبريرها، مع أنه لا يرى وقوعها. الثانية: تحليله ل موقف عمر حسبما يراه.

الإجابة الأولى: إن عمر أنكر أن يموت الرسول عليه السلام إلى يوم القيمة، واعتقد فيه كما يعتقد كثير من الناس في الخضر عليه السلام فلما حاجه أبو بكر بقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

وبقوله:

﴿أَفَإِنْ مَاتَ أُوْ قُتِلَ﴾.

رجع عن ذلك الاعتقاد، فعمر ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على البارئ تعالى أي الاستحالة الذاتية. بل اعتقد استمرار حياته إلى يوم القيمة، مع كون الموت جائزًا في العقل، وهذا لا تناقض فيه، فإبليس يبقى حيًّا إلى يوم القيمة مع كون موته جائزًا في العقل. ولكن عمر وقف مع شبّهة أخرى، اقتضت عنده أن موته عليه السلام يتأخر، وإن لم يكن إلى يوم القيمة، حيث تأول قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

فجعل الضمير عائداً على الرسول عليه السلام وليس على الدين، ولما كان الرسول عليه السلام لم يظهر بعد على الأديان، لذا فإن حياته تستمر إلى أن يظهر عليها، فحاجَّه أبو بكر مبيناً أن المقصود هو ظهور الدين وليس الرسول عليه السلام (١).

اما مسألة ورود الشبهة على عمر دون سائر الخلق، فهكذا تكون الشبهة

والاعتقادات تسبق إلى ذهن واحد دون غيره، وإلا فكيف دخلت الشبهة على مانعي الزكاة، أو أصحاب الجمل وصفين والنهر وان وغيرهم^(١).

أما بالنسبة إلى عدم إيمان عمر بموته حينما رأى من كآبة الناس وحزنهم فلأن الناس يبنون على ظاهر الأمور، أما هو فقد نظر في أمر باطن دقيق، فاعتقد أن الرسول عليه السلام لم يمت، وإنما ألقى شبهته على غيره كما ألقى شبهة عيسى على غيره فصليب، ورفع عيسى إلى السماء^(٢).

في حين رد على عدم قول عمر للناس في حال مرض الرسول عليه السلام والناس يبكون ويحزعون، أن لا تخذعوا فإن الرسول عليه السلام لم يمت الآن!!

يرى ابن أبي الحديد أن الشبهة لا يجب أن تخطر بالبال في كل الأوقات، فلعله كان وقتها غافلاً مشغول الذهن بغيرها^(٣).

أما الإجابة الثانية: وهي تحليل ابن أبي الحديد ل موقف عمر ونقله بالنص: «إن عمر كان أجل قدرًا من أن يعتقد ما ظهر منه في هذه الواقعة؛ ولكن لما علم أن رسول الله عليه السلام قد مات، خاف من وقوع فتنة في الإمامة، وتغلب أقوام عليها، أما من الأنصار أو غيرهم وخاف أيضًا من حدوث ردة، ورجوع عن الإسلام، فإنه كان ضعيفاً لم يتمكن، وخاف من تراطٍ تشنّ، ودماء تراق، فإن أكثر العرب كان موتوراً في حياة رسول الله عليه السلام لقتل من قتل أصحابه منهم، وفي مثل ذلك الحال تتهرز الفرصة، وتهتب الغرة، فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهره ما أظهره من كون رسول الله عليه السلام لم يمت، وأوقع تلك الشبهة

(١) الشرح ١٩٩/١٢.

(٢) الشرح ٢٠٠/١٢.

(٣) الشرح ٢٠١/١٢.

في قلوبهم، فكسر بها شره كثير منهم، وظنواها حقاً، فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه، تخيلاً منهم أن رسول الله ﷺ ما مات؛ وإنما غاب كما غاب موسى عن قومه، وليعودن فليقطعن أيدي قوم أرجفوا بموته»^(١).

وأضاف ابن أبي الحميد: «ومثل هذا الكلام يقع في الوهم فيصدق عن كثير من العزم، ألا ترى أن الملك إذا مات في مدينة وقع فيها أكثر الأمر نهب وفساد وتخريق، وكل من في نفسه حقد على آخر بلغ منه غرضه، أما بقتل أو جرح أو نهب مال، إلى أن تتمهد قاعدة الملك الذي يلي بعده، فإذا كان في المدينة وزير حازم الرأي، كتم موت الملك، وسجن قوماً من أرجف نداءً بموته، وأقام فيهم السياسة، وأشاع أن الملك حي، وأن أوامره وكتبه نافذة، ولا يزال يلزم ذلك الناس إلى أن يمهد قاعدة الملك للوالي بعده وكذلك عمر أظهر ما أظهر حراسة للدين والدولة، إلى أن جاء أبو بكر - وكان غائباً بالسنح، وهو متزل بعيد عن المدينة - فلما اجتمع بأبي بكر قوى به جأسه، واشتد به أزره، وعظم طاعة الناس له وميلهم إليه، فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التي كان أدعاها، لأنه قد آمن بحضور أبي بكر من خطب يحدث، أو فساد يتجدد، وكان أبو بكر محبياً إلى الناس، لا سيما المهاجرين»^(٢).

وأردف قائلاً: «ويجوز عند الشيعة وعند أصحابنا أيضاً أن يقول الإنسان كلاماً ظاهراً الكذب على جهة المعارض، فلا وصمة على عمر إذا كان حلف أن رسول الله ﷺ لم يمت، ولا وصمة عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة

(١) الشرح ٤٢ / ٤٣.

(٢) الشرح ٤٣ / ٢.

ما تلا: كأني لم أسمعها، أو قد تيقنت الآن وفاته صلى الله عليه، لأنه أراد بهذا القول تشيد القول الأول، وكان هو الصواب، وكان من سيئ الرأي وقيحه أن يقول: إنما قلته تسكيناً لكم، ولم أقله عن اعتقاد، فالذى بدأ به حسن وصواب، والذى ختم به أحسن وأصوب»^(١).

بعد طرحنا لهذه الرؤى حول موقف عمر نتساءل حول الأدلة التي استند إليها أولئك في رواهم سيما إذا علمنا أن مصادرنا التاريخية تخلو من ذلك، ولذا فإن أصحاب الرؤى اكتفوا بطرح رواهم دون الإشارة لمصدرها؟. فما الذي جعل القاضي عبد الجبار يفسر موقف عمر استناداً إلى قوله تعالى: ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)) ثم أوجد محاورة بين أبي بكر وعمر لم تشر لها المصادر مطلقاً؟

أما ابن أبي الحميد فهو مع عدم اعتقاده بما اوردته القاضي، فإنه اندفع لرد تساؤلات الشريف المرتضى، وخلق المواقف التي يعلن بنفسه عن عدم وجودها، ولكنه لم يستبعد ان توجد في فكر عمر.

ثم تأتي إجابته الثانية عن موقف عمر التي توضح كونه كان محتاطاً على الإسلام وينتسب أن يستغل اعداؤه الفرصة، لذلك أعلن ما أعلنه لإلقاء الشبهة في نفوس من في قلبه مرض حتى جاء أبو بكر فعند ذلك علم عمر أن الخطر بعد لا يؤثر. إذن أين كان علي بن أبي طالب الذي هو بنظر المعزلة أفضل شخص بعد رسول الله عليه السلام؟ ما موقفه من مقوله عمر؟ وما موقف باقي الصحابة؟ أترأه كانوا مقتنين بعدم وفاة الرسول عليه السلام. حتى جاء أبو بكر؟ وهل كان تفسير أبي بكر لموقف

عمر يتطابق مع تفسير القاضي أم مع تفسير ابن أبي الحديد؟ وما الذي جعل الخليفة أبا بكر يتغيب تلك الساعة الخرجية والرسول عليه السلام ينazu سكرات الموت؟

وبحسب ما فسره ابن أبي الحديد، فإن حدس عمر قد وقع، حيث اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار سعد بن عبادة، وهنا أسرع اثنان من الأنصار وهما «عويم بن ساعدة»^(١) و «معن بن عدي»^(٢)، فأخبرا عمراً الذي أخبر بدوره أبا بكر فسارة نحو السقيفة. ويفسر ابن أبي الحديد موقف الانصاريان لأنهما «ذوي حب لأبي بكر في حياة الرسول عليه السلام»، واتفق مع ذلك بغض وشحنه؛ كانت بينهما وبين سعد بن عبادة»^(٣).

وبعد مداولات بين كبار الأنصار من جهة وبين أبا بكر وعمر وابي عبيدة ابن الجراح من جهة أخرى، وإثر ضعف موقف الأنصار اقترح الحباب بن المنذر^(٤): «منا أمير ومنكم أمير، إنا والله ما ننفس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكننا نخاف أن يليه بعدهم من قتلنا أبناءهم وأباءهم وإخوانهم»^(٥).

(١) أنظر ترجمته: الحكم: المستدرك /٣/ ٧٣٢. ابن عبد البر: الاستيعاب /٣/ ١٢٤٨. ابن حجر: الأصابة /٣/ ٤٤٥.

(٢) أنظر ترجمته: الحكم: المستدرك /٣/ ٢٥٤. ابن عبد البر: الاستيعاب /٤/ ١٤٤١-٢. ابن حجر: الأصابة /٣/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٣) الشرح /٦/ ١٩. وأشار ابن أبي الحديد ان هذا السبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، إلا أن ابن أبي الحديد لم يذكر السبب. الشرح /٦/ ١٩.

(٤) أحد كبار الأنصار. أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب /١/ ٣١٦. ابن حجر: الأصابة /١/ ١٤٩-١٨٣. العبادي: ذو الرأي الحباب بن المنذر الخزرجي ص ٣٠٢-٣.

(٥) الشرح /٢/ ٥٣. وقد علق شيخ ابن أبي الحديد وهو أبو جعفر النقيب على كلام الحباب قائلاً: لقد صدقت فراسة الحباب، فإن الذي خافه وقع يوم الحرة، واحد من الانصار ثأر المشركين =

وبعد مداولات في الرأي تمت البيعة لأبي بكر باقتراح من عمر وضعف جانب الأنصار^(١)، واختلف في أول من بايع من الأنصار هل هو بشير بن سعد الخزرجي^(٢) أم أسيد بن حضير الأوسي^(٣)? وسبب الاختلاف لأن الفريقين تدافعوا بذلك تفاديًّاً لسعد بن عبادة، وكراهيَة كلِّ حي أن يكون نقض أمر سعد جاء من جهة صاحبه، فالخزرج أهله وقرباته لا يقرُون أنَّ بشير بن سعد هو أول من بايع أبي بكر، وأبطل أمر سعد، ويحيلون ذلك على أسيد بن حضير لأنَّه من الأوس خصوم الخزرج. أما الأوس فتکرَه نسبه ذلك إليها حتى لا ترمى بالحسد للخزرج، لأنَّ سعد بن عبادة خزرجي فيحيلون انتقاض أمره على قبيلته -الخزرج- ويدعون إنَّ أول من بايع لأبي بكر هو بشير بن سعد، والذي ثبت عند ابن أبي الحديد أنَّ أول من بايع لأبي بكر عمر، ثمَّ بشير بن سعد، ثمَّ أسيد بن حضير، ثمَّ أبو عبيدة ثمَّ سالم^(٤) مولى أبي حذيفة^(٥). إلَّا أنَّ ابن أبي الحديد لم يشر إلى دليله الذي استند إليه.

= يوم بدر، الشرح ٥٣/٢. أما يوم الحرة، فبعد استشهاد الإمام الحسين عليهما السلام في كربلاء، انتفض أهل المدينة المنورة، فأرسل يزيد بن معاوية إليهم مسلم المري فأوقع بهم. أنظر اليعقوبي: تاريخ الموقعيات ص ٤٨٢-٤٩٥ / ٢٣٦-٢٣٧. الطبرى: تاريخ ٥٧٧-٦٠٢ / ٢٣٦-٢٣٧. الطبرى: تاريخ ٢١٨/٣-٢٢٣ .

(١) أنظر تفاصيل أحداث السقيفية: الشرح ٢١/٢، ٦٠-٢١، ٥٢-٥. الزبير بن بكار: الموقفيات ص

٥٧٧-٥٧٨ . اليعقوبي: التاريخ ١١٢/٢ . الطبرى: تاريخ ١١٦-٦٠٢ .

(٢) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/١٧٢-٣ . ابن حجر: الأصابة ١/١٥٨ .

(٣) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٩٢-٤ . ابن حجر: الأصابة ١/٤٩ .

(٤) هو الذي قال في حقه عمر لما طعن «لو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته، فإنْ قيل لي، قلت: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لاستخلفته، فإنْ قيل لي،

قلت: سمعت رسول الله يقول: إنَّ سالم شديد الحب لله تعالى». أنظر الطبرى: تاريخ ٤/٢٢٧ .

(٥) الشرح ٦/١٨ . وانظر: الزبير بن بكار: الموقفيات ص ٥٧٨ .

وتجدر الاشارة إلى أن حجة الأنصار أعلاه قد فنّدتها الإمام علي عليه السلام حيث سأله ما قال الأنصار؟ قالوا: قال: منا أمير ومنكم أمير؟ فقال عليه السلام فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله عليه السلام وصيّبأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم^(١).

إن ملاحظة موقف الأنصار في السقيفة وما بعدها من مناداتهم: «لا نبايع إلا علىّ»^(٢) تعطي انطباعاً إلى أن تأخير بيعة الإمام لأبي بكر لها علاقة بموقف الأنصار.

هذا الموقف الذي استغل للتشنيع بهم من قبل متأخري الإسلام من قريش، مما ولّد رد فعل لدى بعض من كبار الصحابة كالأمام علي عليه السلام، وخالد بن سعيد ابن العاص، ضد كل من اتخذ موقفاً سلبياً من الأنصار^(٣).

وقد بايع الأنصار بعد ذلك كلهم ما خلا سعد بن عبادة، الذي رفض بيعة أبي بكر ثم عمر، وترك المدينة إلى الشام، ومات هناك مقتولاً، وقد ألقىت تبعه قتلة على الجن، ولكن ابن أبي الحديد يستهزئ بفكرة قتل الجن لسعد قائلاً: «لا أعتقد أن الجن قتلت سعداً، ولا أن هذا شعر الجن»^(٤)، ولا ارتاب أن البشر قتلواه، وأن

(١) الشرح ٦/٣. أنظر النص في نهج البلاغة ص ٩٧-٩٨.

(٢) الطبرى: تاريخ ٣/٢٠٢، ابن الأثير: الكامل ٢/٣٢٥.

(٣) الشرح ٦/٤-٤٥. وانظر: الزبير بن بكار: الموقفيات ص ٥٧٧-٦٠٢. اليعقوبى: تاريخ ٢/١١٧-١١٨.

(٤) حيث قيل انه سمع هاتف يقول بعد قتل سعد بن عبادة:

نحن قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة

من فلم خط فؤاده ورمي ناه بسهميه

هذا الشعر شعر البشر. ولكن لم يثبت عندي أن أبا بكر أمر خالدًا، ولا أستبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضي بذلك أبا بكر - وحاشاه - فيكون الإثم على خالد، وأبو بكر بريء من إثمه، وما ذلك من أفعال خالد بعيد»^(١).

أما بالنسبة إلى الإمام علي عليه السلام، فقد اتخذ أولاً موقفاً سلبياً من بيعة أبي بكر، وأبدى احتجاجه في أكثر من مورد «وقد روى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وإنه قال وهو يشير إلى القبر: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني^(٢). وإنه قال: واجعفراه ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!^(٣).

وقد أشارت بعض المصادر لموقف الصحابة السليبي من الإمام وفاطمة - عليها السلام -، وقد وقف ابن أبي الحديد موقفاً وسطاً بين قبول البعض ورفض البعض الآخر حيث قال: «فاما امتناع على السلام من البيعة حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه، فقد ذكره المحدثون ورواه أهل السير، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث، ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو مالا يحصى كثرة^(٤)، فاما الامور الشنية

٢٢٣/١٧. الشرح. وانظر: ابن قتيبة: المعارف ٢٥٩. الحاكم. المستدرك ٣/٢٨٣.

(١) الشرح ٢٢٣/١٧-٤. ولكن قتل سعد بن عبادة كان أيام الخليفة عمر بن الخطاب. أنظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/٢٦٠.

(٢) مأخوذه من نص قرآني جاء على لسان هارون لموسى عليه السلام، سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) الشرح ١١/١١.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسية ص ١٠-١٢. اليعقوبي: التاريخ ٢/١١٥-١١٦. الطبرى: التاريخ ٣/٢٠٢-٢٠٨-٢٠٣.

المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلى أن ماتت، وأن عمرًا أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت يا أبناه يا رسول الله، وألقت جينيًّا ميتاً وجعل في عنق عليٍّ -عليه السلام- حبل يقاد به وهو يقتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتندى بالوبل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما ييكيان، وأن عليًّا لما أحضر سأله البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخاه رسوله فقالوا: أما عبد الله فنعم، وأما أخوه رسول الله فلا، وأنه طعن فيهم في أوجههم بالتفاق، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها وبأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله عليه السلام ليلاً العقبة. فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشععة بنقله» (١).

تجدر الاشارة إلى أن مصدر هذه الأمور هو كتاب سليم بن قيس الهملاي وهو من أجلاء أصحاب الإمام علي عليهما السلام وقد وضع كتاباً يتحدث فيه عن احداث الصدر الأول، وفي أثناء إماراة الحجاج توفي سليم مختفياً لدى أبان بن أبي عياش^(٢)، لذا سلم للأخير هذا الكتاب. وقد أكدت المصادر المتقدمة على وجود هذا الكتاب ومن بينها الفهرست لابن النديم، ولكن الملاحظ أن النسخة الأصلية لهذا الكتاب فقدت أو أنها حرفت وزيد عليها، وهي النسخة المتداولة في المكتبات الآن، وقد أخضع المحققون هذا الكتاب للدراسة قدماً وحديثاً

(١) الشرح ٢/٥٩-٦٠، ٢٠-٣٤. وانظر كتاب سليم ص ١١٠-١١٦، ١٧٩، ٣٣٠-٣٣٥.

القاضي عبد الجبار: المغني ٢٩ / ٢ / ٢٠

(٢) انظر ترجمته: الطوسي؛ الرجال ص ٨٣، ١٠٦، ١٥٢.

وخر جوا بنتائج متباعدة^(١)، وكانت رؤية ابن أبي الحديد له تمثل بـ: «فاما رواية سليم بن قيس الهمالي، فليست بشيء، وسليم معروف المذهب، ويكتفي في رد روایته کتابه المعروف بینهم المسما کتاب سليم، علی أني قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم غير مسمى، وأنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف بسلام بن قيس الهمالي، وان الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لا أصل له، وإن كان بعضهم يذكره في إسم الرجال»^(٢).

على أنها لا نؤيد ابن أبي الحديد في إنكاره هذا، فالمصادر المتقدمة أكدت وجوده، والمحققون أثبتو صحة كتابه، ولكن الإشكال في صحة نسبة النسخة الموجودة الآن إليه.

إن الطريقة التي تمت بها بيعة أبي بكر وصفت من قبل عمر بأنها «فلترة وقى الله شرها»^(٣)، والفلترة هي الأمر يقع بغتة بلا سابق رؤية أو مشاورة^(٤)، وأكد ابن أبي الحديد أن عمرًا لم يقصد الطعن في بيعة أبي بكر كما فهم البعض، وإنما هذه اللفظة مناسبة لأسلوب عمر حيث كان مجبولاً على ذلك، مع أنه كان يحاول

(١) أنظر: البرقي: الرجال ص ٤-٩، الكشي: الرجال ص ٩٦-٧، ابن النديم: الفهرست
 ص ٣٠٧-٨، النجاشي: الرجال ص ٦، الطوسي: الرجال ص ٦٨، ٦٣، ٧٤، ١٢٤.
 وأيضاً له الفهرست ص ١٠٧. المازندراني: معالم العلماء ص ٥٨. ابن داود: الرجال ص ١٧٨.
 الخلي: الرجال ص ٨٢-٨٣.. الخوانساري: روضات الجنات ٤/٦٥-٦٣. أبو القاسم الخوئي:
 معجم رجال الحديث ٢١٨/٢٢٩.

. ٢١٦-٢١٧ / ١٢) الشرح (٢)

(٣) الشرح / ٢٢٣. أنظر: البلاذري: انساب الاشراف / ١٥. اليعقوبي: تاريخ / ١٤٦. الطبرى: تاريخ / ٣٠٥.

(٤) الجوهرى: الصاحب ١ / ٢٦٠

أن يتلطف في الفاظه، ولكن طبعه يغلب عليه، ثم أكد أن عمراً إراد من اللفظة معناها في اللغة حيث أن الفلتة الأمر الذي يعمل فجأة من غير تردد ولا تدبر، وهكذا كانت بيعة أبي بكر، لأنها لم تكن عن شورى بين المسلمين وإنما وقعت بغتة لم تمحض فيها الآراء، ولم يتناظر فيها الرجال^(١).

أما مسألة-النص - فقد انكر ابن أبي الحديد وجود -نص- سواء كان على أبي بكر أو الإمام علي عليه السلام - حيث يقول: «إن الخبر المروي في أبي بكر في صحيح البخاري ومسلم^(٢) غير صحيح، وهو ما روی عن قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة في مرضه: أدع لي أباك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل، أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبو بكر»^(٣).

إن بيعة أبي بكر عند المعتزلة بيعة صحيحة شرعية بالاختيار، وليس بالنص وهذا الاختيار قد ثبت سواء بالاجماع أو بغير الإجماع لأنه طريق إلى الإمامة^(٤).

أما النص على الإمام علي عليه السلام فقد انكره ابن أبي الحديد مراراً موظفاً كلام الإمام عليه السلام للاستدلال على عدم صحته، ومن هذه النصوص:

أولاً: في شرحه لكتابه في آل محمد عليهما السلام: «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». قال ابن أبي الحديد إن الولاية هي الإمارة، وإذا كانت الإمامية يحملونها على نص النبي عليه السلام على علي وأولاده، فإن المعتزلة

(١) الشرح ٢/٣٧-٢٦. وانظر: القاضي: المغني ٢٠/١ . ٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري ٥/٥ ح ٢١٤٥ . ٥٣٤٢ . صحيح مسلم ٥/١٠ ح ١١ .

(٣) الشرح ٦/١٣ . وانظر الصاحب بن عباد: نصرة المذاهب الزيدية ص ٥٩-٦١ . الحاكم: المستدرك

. ١٥٩/٣ . ابن حزم: الفصل ٤/٤ ، ١٧٨، ١٠٨ . المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/١٥٩ .

(٤) الشرح ١/٧ .

يرون أن لآل الرسول ﷺ خصائص حق ولادة الرسول ﷺ على الخلق^(١). وهذا التفسير من ابن أبي الحديد غامض، فولادة الرسول على الخلق معروفة، وإذا كانت ولاتهم هي ذات خصائص حق ولادة الرسول، فإن ولاتهم كولادة الرسول على الخلق.

ثانياً: من خلال تأمل ابن أبي الحديد في كتب الأخبار وجد «أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع به لا تختلجه الشكوك، ولا تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإمامية، فإنهم يقولون: إن الرسول ﷺ نص على أمير المؤمنين عليه السلام نصاً صريحاً جلياً ليس بنص يوم الغدير^(٢)، ولا خبر المنزلة^(٣)، ولا ما شابها من الأخبار الواردة من طرق العامة وغيرها، بل نص عليه بالخلافة، وبإمرة المؤمنين وأمر المسلمين أن يسلموه عليه بذلك، فسلموه عليه بها، وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفة عليهم من بعده، وأمرهم بالسمع والطاعة له»^(٤). لكن ابن أبي الحديد يرى أن المنصف إذا ما لاحظ أحوال الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ يقطع بعدم وجود النص «ولكن قد سبق إلى التفوس والعقول أنه قد كان هناك تعریض وتلویح، وكناية وقول غير صريح، وحكم غير مبتوت، ولعله ﷺ كان يصدّه عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصلحة يراعيها، أو

(١) الشرح ١٤٠-١٣٩/١.

(٢) هو يوم ١٨ من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة، حيث قال الرسول ﷺ للMuslimين: من كنت مولاه فهذا على مولاه، انظر مصادره في المدخل ص ٦٢.

(٣) في العام التاسع للهجرة خرج الرسول ﷺ إلى تبوك وترك علياً عليه السلام والياً على المدينة بعد أن قال له: [أنت مني بمنزلة هارون من موسى]. انظر مصادره المدخل ص ٦٣.

(٤) الشرح ٥٩/٢.

وقف مع اذن الله تعالى في ذلك»^(١).

إن ابن أبي الحميد يؤكّد على أنّ للنبي عليه السلام توجّه نحو الإمام علي عليه السلام ولكن تصده المصلحة، فهل المصلحة فيما يراه النبي؟ أم فيما يراه الصحابة؟ وما هذه المصلحة التي تتنافى مع ما يراه النبي عليه السلام؟؟؟

ثالثاً: من خلال احتجاج الإمام علي عليه السلام على أبي بكر استدل ابن أبي الحميد أنه لا وجود للنص، لأنّه لو كان هناك نص صريح لاحتّج به وإنما كان احتجاج بعضهم على الآخر بالسوابق والفضائل والقرابة ولو كان هناك نص على أبي بكر لاحتّج به على الأنصار ولا حتّج به الإمام علي عليه السلام على أبي بكر سبباً وأن الإمام علي قد «كاشفهم، وهتك النقانع بينه وبينهم، ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه وظلمه، وتمتنع من طاعتهم، وأسمعهم من الكلام أشدّه وأغلظه، فلو كان هناك نص لذكره.. وهذا هو نص مذهب المعتزلة»^(٢).

ولكن ما الداعي للاحتجاج بالنص والأمر قد احكم وانتهى دون الرجوع للإمام أصلاً، ثم أنه بالتأكيد كان أصحاب السقيفة قد أعدوا الجواب للرد على مسألة النص !!

رابعاً: وفي تحليله لدخول الإمام علي عليه السلام في الشورى يرى ابن أبي الحميد أن في هذا دليل على عدم وجود النص، إذ كيف يدخل الشورى إن كان منصوصاً عليه! لأن الشورى مبنية على الاختيار وعدم النص! أليس في هذا إيهاماً ظاهراً لأكثر المسلمين خاصة ضعفائهم ومن لا نظر له؟ فكيف يجوز له إضلال المكلفين، ويقع

(١) الشرح ٥٩/٢

(٢) الشرح ١٢/٦ - ١٣

في أنفسهم عدم النص؟ وأضاف ابن أبي الحديد مؤكداً عدم وجود النص بأنه كان على الإمام أن يكنى كنایة لطيفة فيقول لهم «قد كان من رسول الله عليه السلام بالأمس في حقي ما تعلمون!» وتسائل قائلاً: (أترأهـم كانوا في جواب هذه الكلمة يقتلونه! ما أظـنـهم يجتمعون على ذلك، ولا بدـلـو عـرـضـ بشـيءـ منـ ذـلـكـ كانـ منـ كـلامـ يـدورـ بينـهـمـ فيـ المعـنىـ نحوـ أـنـ يـقـولـواـ أـنـ ذـلـكـ النـصـ رـجـعـ عـنـ الرـسـوـلـ عليهـ السـلـامـ، أوـ يـقـولـواـ: رـأـيـ المـسـلـمـوـنـ تـرـكـهـ لـلـمـصـلـحـةـ، أوـ يـجـريـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ جـدـالـ وـنـزـاعـ، وـلـمـ يـكـنـ هـنـاكـ خـلـيـفـةـ يـخـافـ جـانـبـهـ، وـإـنـاـ كـانـ مـجـلسـ مـنـاظـرـةـ وـبـحـثـ، وـلـمـ يـسـتـقـرـ الـأـمـرـ لـأـحـدـ»^(١).

إن الإمام يرى بأن الإمامة حقه ولذا فمن حقه استخدام أي أسلوب ليصل إلى حقه وما دام هناك فرصة عن طريق الشورى فلم لا يستغلها.

خامساً: وفي معرض كلامه في تحليله لمحاججته يوم الشورى يقول إنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة، وأسهل طريقاً، وأيسر لما يريد تناولاً^(٢) لأن يذكرهم بأن العهد لم يطل، وأن الرسول عليه السلام أمرهم بطاعته، وأنه استخلفه عليهم، وأن يذكرهم بأنه لم يقع من الرسول عليه السلام ما نسخ النص عليه، ولا رفعه، إذن فما الموجب الذي يدفعهم لتركه، والعدول عنه، وإذا كان السبب في عدم إشارته بهذه هو خوف القتل كما يرى البعض، إذاً لماذا لم يخف وهو يمتنع من مبايعتهم ويستصرخ بالهمزة وجعفر والأنصار، ويجمع الجموع في داره والبيعة قد عقدت ملـنـ عـقـدـتـ لـهـ»^(٣).

إنه إذا كان عليه منصوصاً عليه، وإن هذا النص خولف طلباً للرئاسة

(١) الشرح ١٢/٢٧٢-٢٧٣.

(٢) اجاب الصاحب بن عباد على هذا التساؤل، نصرة مذاهب الزيدية ص ٥١-٥٨.

(٣) الشرح ١١/١١٢-١١١.

الدنيوية، فإن حال المخالفين لا تعدو أحد أمرین: إما الكفر أو الفسوق، ولكن قرائن الأحوال وإمارتها لا تدل على ذلك، وإنما تشهد بخلافه^(١).

لقد أصبح الشیخان ذوي مكانة مقدسة عند بعض المسلمين إلى درجة أن أصبحت سنتهم توضع مع كتاب الله وسنة النبي. إن طرح الإمام علي عليه السلام مسألة النص يوم الشورى أمر غير وارد، إذ كيف يريد القول إنه مقدم على الشیخین والآلاف من أهل العراق ومصر والشام وغيرها إنما دخلت الإسلام في عهد الشیخین. إن ذلك سيكون فرصة لأعداء الإمام عليه السلام للطعن فيه وتشويه سمعته، فأي احتجاج بالنص وعبد الرحمن بن عوف يطالب الإمام بالسیر على سيرة الشیخین مثلما يطالبه بالسیر على كتاب الله وسنة نبيه لذا رأى الإمام عليه السلام أنه لافائدة من الاحتجاج بالنص، مع أنها لانجزم بعدم احتجاج الإمام عليه السلام بالنص.

السادس: والظاهر أن هناك من احتج بأن النبي عليه السلام قد نص على الإمام علي عليه السلام في قوله لعائشة لما سأله: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: خاصف النعل فنظرت السيدة عائشة ولم تر إلا علياً عليه السلام، فقالت: يا رسول الله! ما أرى إلا علياً! فقال هو ذاك^(٢).

نفى ابن أبي الحديد أن يكون في هذا النص دلالة على النص لأنه عليه السلام لم يقل: قد استخلفته وإنما قال: لو استخلفت، وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف، ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه، لو كان النبي عليه السلام مأموماً بأن ينص على إمام بعينه من بعده وأن يكون من مصلحتهم اختيار من شاعوا

(١) الشرح ١١٢/٦.

(٢) الشرح ٦/٢١٨. وانظر: الحاکم: المستدرک ٣/١٣٢. القاضی: المغني ٢٠/٢/٦٢.

إذا تركهم وآرائهم ولم يعين أحداً^(١).

ولكن هل كان استخلاف النبي يومذاك عن أمر من الله أم من نفسه؟ فإذا كان من الله فالله محيط بمستقبل الأمور!! وإذا كان من النبي عليه السلام فالنبي لا ينطق عن الهوى ثم أنه لم يعرف عن الإمام أنه غير وبدل حتى يتغير رأي النبي فيه.

السابع: وعند شرحه لكتاب الإمام علي عليه السلام معاوية «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبي بكر وعمر وعثمان...». استدل على كون الاختيار هو طريق الإمامة، وانتقد الإمامية في حملهم هذا الكتاب على التقىة مراعاة لأصحابه عليهما السلام الذي يرون صحة إمامية المتقدمين، وقال: «هذا القول من الإمامية دعوى لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها، ويصار إليها، ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقىة»^(٢).

إن الإمام هنا يلزم معاوية بما ألزم به نفسه، فمعاوية وأصحابه يرون صحة بيعة أبي بكر وعمر وعثمان استناداً لبيعة أهل الحل والعقد، إذاً فيبيعة الإمام صحيبة أيضاً لأنها تمت على أيدي أهل الحل والعقد ولا يعني هذا أن الإمام ينفي النص عليه.

الثامن: وبعد مقتل الخليفة عثمان طالبه كبار الصحابة بالبيعة فقال لهم: «دعوني والتمسوا غيري». هنا أخذ المعتزلة كلام الإمام علي عليه السلام على ظاهره، فالإمام علي عليه السلام وإن كان أولى الناس بالإمامية وأحقهم بمنزلتها فإن كلامه

(١) الشرح ٦/٢١٨-٢١٩.

(٢) الشرح ١٤/٣٥-٣٧.

هذا فيه دلالة على أنه غير منصوص عليه^(١). وانتقد ابن أبي الحديد الإمامية لصرفهم الكلام عن ظاهره قائلاً: «إن ما ذكروه ليس بعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك، فاما إذا لم يدل عليه دليلاً، فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره، ونحن نتمسك بالظاهر إلا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره ولو جاز ان تصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدق ويصدق عنها، لم يبق وثوق بكلام الله عز وجل وبكلام رسوله عليه السلام»^(٢).

التاسع: عند شرحه لكتابه لكتابه عليه السلام: «حتى إذ قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكروا على الولائج، ووصلوا غير الرحيم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه»^(٣).

أوضح أن المعتزلة يحملون كلامه - عليه السلام - على أنه قصد أعداءه الذين حاربوه في صفين، فهم الذي نقلوا البناء، وهجروا السبب، ووصلوا غير الرحيم، واتكروا على الولائج، وغالتهم السبل، ورجعوا على الأعقاب، كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وحبيب بن مسلمة، وبسر بن أرطاة، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذي الكلاع، وشرحبيل بن السبط، وابي الاعور السلمي وغيرهم، إذ أن هؤلاء

(١) الشرح ٧/٣٤-٣٣. أنظر رأي الإمامية عند التستري: بہج الصباغة ٩/٥٦٣-٥٧٢.

(٢) الشرح ٧/٣٤-٣٥.

(٣) الشرح ٩/١٣٢.

الفصل الرابع: الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم ٣٣١
نقلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية^(١).

إن لفظ كلام الإمام علي عليه السلام أعلاه يشير إلى خلاف تأويل ابن أبي الحديد، فهو عليه السلام يشير إلى أن الرجوع على الأعقاب لما قبض الرسول عليه السلام وما ذكره ابن أبي الحديد أعلاه وقع بعد أكثر من عشرين سنة، فكيف ذهب إلى هذا التفسير؟

وأشار ابن أبي الحديد إلى أنه ربما رجع هؤلاء على الأعقاب بعد وفاة الرسول عليه السلام، وأضمرموا في أنفسهم مشaque الإمام علي عليه السلام وأذاه، حيث كان هناك من يؤذيه ويتعرض إليه أيام أبي بكر وعمر وعثمان، وقد يقصد عليه السلام برجوعهم ارتدادهم عن الإسلام بالكلية، فإن كثيراً من المعتزلة يطعنون في إيمان بعض مما ذكر سابقاً، ويدعونهم من المنافقين، وكان سيف الرسول عليه السلام يقمعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق، أما بعده فأظهرروا نفاقهم خاصة مع الإمام علي عليه السلام الذي ورد في حقه «ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببعض علي بن أبي طالب»^(٢). وأكد ابن أبي الحديد أن هذا الخبر محقق ووارد في كتب الصحاح^(٣).

ولقد تعرض ابن أبي الحديد للنقد في تأويله هذا «يمنعك من هذا التأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رص أساسه، فجعلوه في غير موضعه» وذلك لأن «إذا ظرف، والعامل فيها قوله «رجع قوم على الأعقاب» وقد عطف عليه قوله

(١) الشرح ٩/١٣٤. أنظر رؤية الإمامية عند التستري: بهج الصباغة ٣/٥٣٩ وما بعدها.

(٢) الترمذى: صحيح ١٢/١٦٨. الحاكم: المستدرك ٣/١٣٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٠.

ابن طلحة: مطالب السئول ص ٤٨. الهيثمي: مجمع الروايد ٩/١٣٢. السيوطي: تاريخ الخلفاء

ص ١٧٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٠، ١٧٢.

(٣) الشرح ٩/١٣٤-١٣٥.

«ونقلوا البناء»؛ فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعاً في الطرف المذكور وهو وقت قبض الرسول عليه السلام، وجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقل أحد وقت قبض الرسول عليه السلام إلـى الـبناء إلى معاوـية عن أمـير المؤمنـين عليه السلام، وإنـما نـقل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العـطف حقـه إثـبات مذهب الإمامـية صـريحاً^(١).

فكان جواب ابن أبي الحـديد: إذا كان الرجـوع على الأـعقاب واقـعاً وقت قـبض النـبـي عليه السلام فقد قـمنـا بما يـحبـ من وجود عـاملـ في الـظرـفـ، حيث لا يـحبـ أن يكون نـقلـ الـبـناـءـ إلىـ غيرـ مـوضـعـهـ وـاقـعاـًـ فيـ تـلـكـ الـحـالـ أـيـضاـًـ، بلـ يـحـوزـ أنـ يـكـونـ وـاقـعاـًـ فيـ زـمـانـ آـخـرـ، إـمـاـ بـأـنـ تـكـونـ الـوـاـوـ لـلـاستـئـافـ لـلـعـطـفـ، أوـ أنـ تـكـونـ لـلـعـطـفـ فيـ مـطـلـقـ الـحـدـثـ، لـاـ فيـ وـقـعـ الـحـدـثـ فيـ عـيـنـ ذـلـكـ الزـمـانـ المـخـصـوصـ، كـقولـهـ تعالى^(٢):

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيْكَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ يُضَيِّقُوكُمَا فَوَجَدَاهُمْ فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾^(٣).

الواضح من تخليلات ابن أبي الحديد أعلى إثباتها للمرأوغة ليس إلا، ولا أرى بأنه مقتنع بما يقول.

عاشرأً: في أثناء دراسته على يد شيخه الإمامي -أبي جعفر النقيب- سأله ابن أبي الحديد شيخه قائلاً: «إن نفسي لا تساحني أن أنساب إلى الصحابة عصيـان رسول الله عليه السلام ودفع النـصـ». وهو هنا يؤكـدـ الرـؤـيةـ الـاعـتزـاليةـ.

(١) الشرح ٩/١٣٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٣) الشرح ٩/١٣٥-١٣٦.

فكان جواب النقيب: «أنا فلا تسأليني أيضاً نفسياً أن أنسب الرسول عليه السلام إلى إهمال أمر الإمامة، وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين، وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث». ثم أوضح أن الدعوة التي جاء بها النبي عليه السلام كانت سبباً في سفك دماء البعض على يد الإمام علي عليه السلام إذن فعل النبي عليه السلام ضرورة حقن دمه وأهل بيته، وهذا يدعوه لتأمين مستقبلهم وذلك بالنص على الإمام علي عليه السلام^(١).

وقال له مرة أخرى: «إنه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه انتم صريحاً فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها، فلها تأويلاً معلومة» فأجاب النقيب: «لو فتحنا باب التأويلاً، لجاز أن يتناول قولنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله. دعني من التأويلاً الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مراده، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها»^(٢).

حقاً ما جاء لدى الشريف النقيب أبي جعفر الذي ادرك أن ما يأتي به ابن أبي الحميد هو من تعسفات المتكلمين.

إن ابن أبي الحميد مع إنكاره للنص لكنه يلمح إلى أمور أخرى كان النبي عليه السلام يراها في علي عليه السلام «رسول الله عليه السلام أخبره أن الإمامة حقه، وأنه أولى بها من الناس

(١) الشرح ٩/٢٤٨-٢٥٠. وانظر أيضاً ٢/٥٣. وانظر مناقشة ابن أبي الحميد للنقيب حول موقف الصحابة من النص. الشرح ١٢/٨٢-٩٠.

(٢) الشرح ١٠/٢٢٧.

أجمعين»^(١). ولذلك كان الإمام علي عليه السلام يقول في آل البيت «ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» فالولاية هي الإمارة، ولكنها ليست إشارة للنص كما تقول الإمامية، بل تعني أن لهم خصائص حق ولاية الرسول عليهما السلام على الخلق اما الوصية «فلا ريب عندنا أن علياً عليه السلام كان وصي رسول الله عليه السلام»، وإن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعني بالوصية النص والخلافة، ولكن أموراً أخرى لعلها-إذا لمحت-أشرف وأجل»^(٢).

ولذا دعي الإمام بعد وفاة الرسول عليهما السلام بانه وصي رسول الله، لوصايتها إليه بما أراد «وأصحابنا لا ينكرون ذلك، ولكن يقولون: إنها لم تكن وصية بالخلافة، بل بكثير من المتجددات بعده، أفضى بها إليه»^(٣).

ولقد أورد ابن أبي الحديد الكثير من الشعر الذي قيل في صدر الإسلام، وفيه إشارة إلى أن الإمام علي عليه السلام وصي الرسول عليهما السلام^(٤): فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث^(٥):

وَصَّيِّ الْبَنِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
فَمَنْ ذَا يَدْانِيهِ وَمَنْ ذَا يَقَارِبُهِ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَعْلَى^(٦):

عَلَيْهِ وَصَّيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى أَخَا الدَّيْنِ وَالتَّقِيِّ

(١) الشرح ٢٩٦/٢.

(٢) الشرح ١٣٩/١ - ١٤٠.

(٣) الشرح ١٣/١.

(٤) الشرح ١٤٣/١ - ١٤٧.

(٥) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٢١. ابن حجر: الأصابة ٢/٣٢٠.

(٦) لم اهتد إلى ترجمته.

وقال أبو الهيثم بن التيهان أحد أصحاب بدر:

إن الوصي إمامنا وولينا

وقال رجل من الأزد في معركة الجمل (١):

آخاه يوم النجوة النبوي

هذا على وهو الوصي

وقال سعيد بن قيس الهمданى (٢):

فأدعها تكفيكها همدانها

قل للوصي اقبلت قحطانها

وقال زياد بن لبيد الانصاري (٣):

وإنما الأنصار جدد لا لعب

نبالي في الوصي من غضب

وقال حجر بن عدي الكندي (٤):

ثم ارتضاه بعده وصيًّا

فيه فقد كان له ولية

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

الأعادى وسارت الأضعان

يا وصي قد أجلت الحرب

(١) يقصد بالنجوة ما روى من أن النبي عليه السلام دعا الإمام علي عليه السلام وانتقام، وأطال نجواه يوم الطائف،

فتكلم بعض الناس، فقال عليه السلام: ما انتجهه ولكن الله انتقام. الترمذى: صحيح ١٧٣ / ١٢ . ابن

تيمية: منهاج السنة ٣ / ١٣ . ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٣٥٧ .

(٢) من الدهاء والأجواد، ومن خواص الإمام علي عليه السلام. الطبرى: تاريخ ٥ / ٥٤ . الهمدانى: الكليل

. ٤٦ - ٥٠ .

(٣) أنظر ترجمته: الحاكم: المستدرك ٣ / ٦٨١ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٢ / ٥٣٣ - ٤ . ابن حجر:

الاصابة ١ / ٥٥٨ - ٥٥٩ .

(٤) أحد أبرز الصحابة الذي قتل بأمر معاوية بتهمة الخروج عليه وكان قتيلاً من ضمن المأخذ الكبرى

على معاوية. ابن عبد البر: الاستيعاب ١ / ٣٢٩ . ابن حجر: الاصابة ٢ / ٣١٤ .

قال الأشعث بن قيس (١):

رسُولُ الْوَصِيِّ وَصَيْرُ النَّبِيِّ

وقال الإمام علي عليه السلام يوم صفين (٢):

يَا عَجِباً لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكِرًا

مَا كَانَ يُرْضِي احْمَدًا لَوْ أَخْبَرَا

وقال جرير بن عبد الله البجلي (٤):

وَصَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ

وقال النعمان بن عجلان الأنصاري (٦):

كَيْفَ التَّفْرُقُ وَالْوَصِيُّ إِمَامُنَا

لَهُ السُّبُقُ وَالْفَضْلُ فِي الْمُؤْمِنِينَ

كَذِبًا عَلَى اللَّهِ يُشَيِّبُ الشَّعْرَا

أَنْ يُقْرِنُوا وَصَيْرَهُ وَالْأَبْتَرَا

وَفَارِسُهُ الْحَامِي بِهِ يُضَرِّبُ الْمَثَلُ

لَا كَيْفَ إِلَّا حِيرَةً وَتَحَادِلًا

(١) أمير كنده أسلم في عهد النبي ﷺ ثم امتنع عن تأدية الزكاة في عهد الخليفة أبي بكر، فعفى عنه الخليفة بعد أن طلب الأمان وزوجه أخته أم فروة. انظر الشرح ١/٢٩١-٢٩٧. الطبرى

. ٣٣٥-٣٣٩ / ٣

(٢) الشرح ١/١٤٧. المنقري: صفين ص ٢٣.

(٣) الشرح ١/١٤٨. المنقري: صفين ص ٤٣.

(٤) انظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٢٣٦-٢٤٠. ابن حجر: الاصابة ١/٢٣٢.

(٥) الشرح ١/١٤٩. المنقري: صفين ص ٤٨-٤٩.

(٦) أحد الأنصار وشاعرهم، شهد صفين مع الإمام وتولى البحرين، الشرح ١٦/١٤٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٥٠-١٥١. ابن حجر: الاصابة ٣/٥٦٢.

(٧) الشرح ١/١٤٩. المنقري: صفين ص ٣٦٥.

الفصل الرابع: الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم ٣٣٧

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسمي ^(١) في معاوية ^(٢):

يَرُدُّكُ عن ضلالٍ وارتياضاً

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ^(٣): ^(٤)

فِيْكُمْ وصيُّ رَسُولِ اللهِ وَقَائِدُكُمْ وصَهْرُهُ وَكَتَابُ اللهِ قَدْ نَشَرَا

وقال عبد الله بن العباس ^(٥):

وَصَيْ رَسُولِ اللهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَفَارِسُهُ إِنْ قِيلَ هُلْ مِنْ مُنَازِلِهِ

وبعد إيراده لهذه الأبيات قال ابن أبي الحميد: «ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو محنف لوط بن يحيى ^(٦) في كتاب وقعة الجمل. وأبو محنف من المحدثين، ومن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس من الشيعة ولا معدود من رجالها» ^(٧).

ثم عزز ابن أبي الحميد رؤيته في الوصية بما أورده نصر بن مزاحم المنقري

(١) لم اهتد إلى ترجمته.

(٢) الشرح / ١٤٩ . المنقري: صفين ص ٣٨٢

(٣) أحد أبطال وشعراء الجاهلية والإسلام، أسلم في فتح مكة، ومات في خلافة عمر. ابن عبد البر: الاستيعاب / ٤ . ١٤٤٥

(٤) الشرح / ١٤٩ - ١٥٠ . المنقري: صفين ص ٣٨٥

(٥) الشرح / ١٥٠ . المنقري: صفين ص ٤١٦ - ٧

(٦) أحد رواة الأخبار في القرن الثاني للهجرة، ت ١٥٧ هـ، ومن مدرسة العراق التاريخية، لمزيد من التفاصيل عنه أنظر: كفاية طارش العلي: أبو محنف ودوره في التدوين التاريخي. رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ١٩٩٧

(٧) الشرح / ١٤٧

في كتاب وقعة صفين الذي قال فيه بأنه من رجال الحديث^(١). وابن أبي الحديد باستخدامه مصطلح-المحدثين- ورجال الحديث إنما يعني المؤرخين.

وخلص ابن أبي الحديد للقول: «والاشعار التي تتضمن هذه اللفظة [الوصي] كثيرة جداً، ولكننا ذكرنا منها هنا بعض ما قيل في هذين الحريين [الجمل وصفين]، فأما ما عداهما، فإنه يحيل عن الحصر، ويعظم عن الإحصاء والعد، ولو لا خوف الملالة والإضيغار لذكرنا من ذلك ما يملاً أوراقاً كثيرة»^(٢).

واستمراراً لرؤيه النبي عليه السلام، يرى المعتزلة أن الإمام -عليه السلام- يرى نفسه احق بالأمر، ليس على أساس النص، وإنما على أساس الأفضلية والقرابة والسابقة والجهاد وغيرها من الفضائل^(٣)، ففي قوله عليه السلام «واعجبنا أن تكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة». يشير الإمام عليه السلام هنا إلى قول عمر لأبي بكر في السقيفة: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، فامدد أنت يدك، فهنا يرى الإمام علي عليه السلام إذا احتاج عمر على استحقاق أبي بكر الخلافة بالصحابة، فهلا سلم عمر ذلك إلى من شارك أبي بكر في ذلك وزاد عليه بالقرابة^(٤).

ولكن الإمام علي عليه السلام يقول: «إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم». لقد واجه ابن أبي الحديد إشكالاً في شرحه لهذا النص، فالمعروف أنه شرح نهج البلاغة

(١) الشرح ١/١٤٧.

(٢) الشرح ١/١٥٠.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٤.

(٤) الشرح ١٨/٤١٦.

طبقاً لقواعد المعتزلة، وهذا النص يفيد ما تذهب إليه الإمامية، لذا قال: «هذا الموضع مشكل، ولي فيه نظر: وإن صح أن علياً عليه السلام قاله قلت كما قال، لأنه ثبت عندي أن النبي عليه السلام قال: «إنه مع الحق، وإن الحق يدور معه حيثما دار»، ويمكن أن يتأنى ويطبق على مذهب المعتزلة فيحمل على أن المراد به كمال الإمامة كما حمل قوله عليه السلام: «لا صلاة لجار المسجد إلّا في المسجد»^(١) على نفي الكمال لا على نفي الصحة»^(٢).

كان الإمام علي عليه السلام يرى أن الإمامة لا يتولاها الفاسق، ولا بد للإمام من صفات مخصوصة، منها «إنه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإماماً المسلمين البخل، فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيظلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائز^(٣) للدول فيتらず قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة»^(٤).

فلما كان عليه السلام أول السابقين، وجب أن يكون أقرب المقربين، حيث يقول تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥)

ولما كان أقرب المقربين، وجب أن تتتفق عنه الموانع الستة أعلاه التي جعلها سبباً في عدم استحقاق صاحبها الإمامية، وهي البخل، والجهل، والجفاء -أي

(١) أخرجه: الباقلانى: التمهيد ١ / ٣٧٠.

(٢) الشرح ٩ / ٨٤، ٨٧، ٨٨.

(٣) هو الظالم والجائر في تقسيم الأموال فيخصص قوماً دون قوم، الشرح ٨ / ٢٦٦.

(٤) الشرح ٨ / ٢٦٥، ٢٦٤.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

الغلظة - والعصبية، تقديم قوم على آخرين، والارشاد في الحكم، وتعطيل السنة، فإذا ما انتفت هذه الموانع عنده عليه السلام توجب أن يكون هو الإمام، لأن شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق فإذا كانت موانعها عنه متنافية، ولم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع المowanع، وجب أن يكون هو الإمام، لأنه لا يجوز خلو العصر من إمام سواء كانت هذه المسألة عقلية أو سمعية^(١).

ويضع الإمام علي عليه السلام شرطين آخرين لمن يتولى الإمامة إذ يقول: «إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه». والفرق بين الأقوى والأعلم، إن الأقوى هو الأحسن سياسة، أما الأعلم فهو الأكثر علمًا واجراءً للتدبیر بمقتضى العلم، وبينهما فرق واضح، فقد يكون سائساً حاذقاً، ولا يكون عالماً بالفقه، وقد يكون سائساً فقيهاً، ولا يجري التدبیر على مقتضى علمه وفقهه^(٢).

ولذا كان الإمام عليه السلام يرى أن العدول بالإمامنة عنه إلى غيره اخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق، لذلك شبه ذلك بادلاء الإنسان بهاته إلى الحاكم، فإنه اخراج للهال إلى غير وجهه^(٣).

وطبقاً لهذه الرؤية فسر ابن أبي الحديد كلام الإمام الجاري في هذا المعنى، ففي شرحه للخطبة الشقشقية^(٤) قال: «إنه لما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأفضل

(١) الشرح /٨ . ٢٦٥ . يقول الصاحب بن عباد:

تجمّع في ما تفرّق في الورى
من الخير فاحصسوه فإنّي أعدُّ

ديوان الصاحب ص ٣٤.

(٢) الشرح /٩ . ٣٢٩-٣٢٨.

(٣) الشرح /١ . ١٦٣-١٦٢.

(٤) إحدى خطب الإمام علي عليه السلام التي أوضح فيها رؤيته إلى نظام الحكم بعد الرسول عليه السلام وقد =

والأحق، وعدل عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، ساغ إطلاق هذه الالفاظ، وإن كان من وسم بالخلافة قبله عدلاً تقىً، وكانت بيته بيعة صحيحة»^(١).

وفي احتجاجه عليه عليه السلام على أهل الشورى: «إنما أطلب حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه» قال ابن أبي الحميد إن المعتزلة تحمل هذا الكلام على ادعائه عليه السلام الأمر بالفضلية والأحقية وهو الحق والصواب، لأن حمله على الاستحقاق بالنص يعني تكفير أو تفسيق وجوه المهاجرين والأنصار، وانتقد الإمامية والزيدية لأخذهم هذه الالفاظ على ظاهرها «ولعمري إن هذه الالفاظ موهمة مغلبة على الظن ما يقوله القوم؛ ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن؛ ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المشابهات الموهمة مالا يجوز على البارئ، فإنه لا نعمل بها، ولا نعول على ظواهرها، لأننا لما تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وإن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب»^(٢).

وكذلك حمل المعتزلة كلام الإمام علي عليه السلام «اللهم إني أستعديك على قريش

=أثيرت الشكوك حولها، ولكن ابن أبي الحميد أكد صحة وجودها وصدورها عن الإمام عليه السلام في مصادر غير الشريف الرضي. الشرح ١/١٥١-٢٠٦. وانظر: سبط ابن الجوزي الذي قال عنها: «ذكر بعضها صاحب النهج، وأخل بالبعض، وقد أتيت بها مستوفاة، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفسي الانباري بإسناده عن ابن عباس...». ثم ذكر نص الخطبة. تذكرة ص ١٢٤-٥.

الشهرستاني: ما هو نهج البلاغة ص ٢٣-٤٠.

(١) الشرح ١/١٥٧.

(٢) الشرح ٩/٣٠٧، ٣٠٥.

ومن اعانهم، فانهم قد قطعوا رحمي؛ واكتفوا إلائي، واجمعوا على منازعتي حقاً
كنت اولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه،
فاصبر مغموماً، أو مت متأسفاً». هذا الكلام حمله المعتزلة على تأله وظلمه
منهم إذ تركوا الأولى والفضل^(١).

ولكننا لاحظنا أن ابن أبي الحديد^(٢) في اياضاته للدفاع الذي دفع الإمام
لذكر نعم الله عليه إنما هو «من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو
تقديم غيره عليه في الفضل، فقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله:
 ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣).

إذن هنا ابن أبي الحديد يؤكّد على أن الله سبحانه وتعالى نهى عن تقديم
المفضول على الأفضل، فكيف يعتقد ابن أبي الحديد بجواز ذلك؟

الملحوظ ان ابن أبي الحديد ادرك قوة النصوص التي توضح احتجاجات
الإمام عليه السلام في تأكيد حقه لذا أضطر إلى استخدام التأويل واجراها مجرى الآيات
المتشابهة هروباً من الحقيقة التي أشار إليها وهي أن الاخذ بظاهر هذه النصوص
يعني تكفير أو تفسيق الصحابة.

إذا كان الإمام علي عليه السلام هو من أراده الرسول عليه السلام لتولي قيادة الأمة من بعده،
ليس بطريق النص وإنما بالفضولية، إذن لماذا اختار المسلمين أبا بكر للخلافة؟

(١) الشرح ١١١-١٠٩/١١.

(٢) الشرح ٩/٧٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.

وما هو موقف الإمام من هذا الاختيار حسب الرؤية الإعتزالية؟.

لدى المعتزلة قاعدة تقول بجواز إماماة المفضول مع وجود الأفضل^(١)،

فإماماة أبي بكر وعمر وعثمان صحيحة مع وجود الأفضل وهو الإمام علي عليه السلام

ولكن ابن أبي الحميد لم يستقر على رأي واحد حول مصدر هذه القاعدة وإنما

يشير إلى تعدد مصادر هذه القاعدة:

المصدر الأول: الله سبحانه وتعالى إذ يقول: «واقتضت حكمته أن قدم

المفضول على الأفضل لصلاحة اقتضاها التكليف»^(٢).

المصدر الثاني: الله والرسول عليه السلام: «وانه لو لا ما يعلمه الله ورسوله من أن

الاصلح للمكلفين تقديم المفضول عليه»^(٣).

المصدر الثالث: الصحابة: «فاصحابنا رحهم الله لما أحسنوا الظن بالصحابة -

وحملوا ما وقع منهم على وجه الصواب، وإنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام،

وخفقوا فتنة لا تقتصر على ذهاب الخلافة فقط، بل وتفضي إلى ذهاب النبوة والملة،

فعدلوا عن الأفضل الأشرف الحق، إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له»^(٤).

إن الصحابة هنا أما أن يكونوا عدلوا عن الأفضل لعنة ومانع في الأفضل،

أو لا مانع، فإن كان لا مانع كان ذلك عقداً للمفضول بالهوى، فيكون باطلأً

وإن كان مانع فكان على الإمام علي عليه السلام أن يعذرهم في العدول عنه، ويعلم أن

(١) أنظر رؤية الصاحب بن عباد لعدم صحة ذلك، الصاحب بن عباد: نصرة مذاهب الزيدية،

ص ٩٨-٩٩.

(٢) الشرح ١/٣. وقد لاحظنا أنه استشهد بالأية القرآنية التي تنهى عن ذلك.

(٣) الشرح ٢/٢٩٦.

(٤) الشرح ١١١، ١٥٧/١١١.

العقد لغيره كان مصلحة للاسلام، فكيف حسن منه أن يشكونهم بعد ذلك ويتوحد عليهم! وايضاً فما معنى قوله «فطفت ارتأى بين أن اصول بيد جذاء»، فإن ترك الأولى لا يصلح عليه بالحرب^(١).

اوضح ابن أبي الحميد الرؤية الاعتزالية حول هذه التساؤلات في أنه يجوز أن الإمام علي عليه السلام لم يغلب على ظنه ما غالب على ظنون الصحابة من الشعب وثورات الفتنة، حيث أن الظنون تختلف باختلاف الإمارات، فنجد إنساناً يغلب على ظنه أمر، أما غيره فيغلب على ظنه خلافه، وتفسير المعتزلة لقوله عليه السلام «ارتأى بين أن اصول» يجوز أنه أراد بها صيال الجدال والمناظرة وليس الحرب، فلو كان جادلهم فربما خصمواه بأن يقولوا له: قد غالب على ظنوننا أن الفساد يعظم ويتفاقم إن وليت الأمر، ولا يجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك، لذا قال عليه السلام: طفت ارتأى بين أن اذكر لهم فضائلهم عليهم، وأجاجهم بها، فيجيئوني بهذا الجواب، الذي تصبح به حجتي جذاء مقطوعة، ولا قدرة لي على تشيهدها ونصرتها، وبين أن اصبر على ما آلت إليه الأمر^(٢).

إذا كان عليه السلام لم يغلب على ظنه وجود العلة والمانع، وكان قد استраб الصحابة وشكاهم لعدوهم عن الأفضل الذي لا علة فيه عنده، اذن فقد ظلم الصحابة، ونسبهم إلى غصب حقه، فما الفرق بين ذلك وبين أن يستظلمونهم لمخالفتهم النص؟ وكيف هرب المعتزلة من نسبة عليه السلام لهم إلى الظلم لدفع النص، ووقعوا في نسبته إلى الظلم لخلاف الأولى من غير علة في الأولى، ومعلوم أن مخالفته الأولى من غير

(١) الشرح ١٥٨/١

(٢) الشرح ١٥٨/١ . وانظر المهاشمي: منهاج البراعة ٢/٤٦٠ - ٤٢٠

علة فيه كتارك النص لأن العقد في كلا الموضعين يكون فاسداً^(١).

أوضح ابن أبي الحميد رؤية المعتزلة بان هناك فرقاً ظاهراً بين الامرين، لأن الإمام عليه السلام لو نسبهم إلى مخالفته النص، لوجب وجود النص، ولو كان موجوداً لكانوا كفاراً أو فساقاً لمخالفته، وأما إذا نسبهم لترك الأولى من غير علة في الأولى، فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعي -عليه السلام-، وأحد الامرين لازم، وهو إما أن يكون ظنهم صحيحاً أو غير صحيح، فإن كان صحيحاً فالمسألة لا كلام فيها، وإن لم يكن صحيحاً كانوا المجتهد إذا ظن واطخاً فإنه معذور، ومخالفة النص أمر خارج عن هذا الباب لأن مخالفه غير معذور بحال^(٢).

وأشار ابن أبي الحميد أن الإمام علي عليه السلام -كان أولاً يظن أن العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة، وأنه لم يقصد به إلا صرف الأمر عنه، أو الاستئثار عليه فظاهر منه ما ظهر من الامتناع والقعود في بيته، إلى أن صحّ عنده وثبت في نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه، وأنهم لم يميلوا إلى هوى، ولا أرادوا الدنيا، وإنما فعلوا الأصلح في ظنونهم^(٣).

الملاحظ على ابن أبي الحميد أنه يضع آراء لتفسير الأحداث ثم يجعل من هذه الآراء وكأنها مواقف الإمام والصحابة، وهذا أمر جداً خطير والظاهر أن الذي يدفعه لذلك قوة النصوص التي تؤكد صحة النص على الإمام علي عليه السلام، وهذا يعني تفسيق الصحابة لذلك يعمل بكل جهده لتاويل هذه النصوص حسب رؤيته الاعتزالية، والاغرب ما ينسبه للإمام بأنه عليه السلام ادرك فيما بعد صحة

(١) الشرح ١/١٥٨-١٥٩.

(٢) الشرح ١/١٥٩.

(٣) الشرح ١١/١١٢.

ما فعله الصحابة ولكن لا ندرى على أي نص اعتمد ابن أبي الحديد في رأيه
هذا؟!!.

المصدر الرابع: الإمام علي عليه السلام أن الإمام علياً - عليه السلام - ادرك المصلحة لذا ترك
حقه لغيره^(١).

ولكن ما هي هذه المصلحة؟ ومن الذي اوعز للإمام بذلك؟ هنا يقدم لنا
ابن أبي الحديد أربع حثيات:

الاولى: إن الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ الْإِمَامَ بِذَلِكَ، ففِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَنَظَرَتِ فِي أَمْرِي،
فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتِ بِيَعْتِي، وَإِذَا مَيَاثِقَ فِي عَنْقِي لَغَيْرِي»^(٢).

هذه الخطبة اوضح فيها الإمام علي عليه السلام - حالة بعد وفاة النبي عليه السلام وأنه كان
معهوداً إليه إلا ينماز في الأمر، ولا يشير فتنـة، بل يطلبـه بالرفـق، فإن حصل له
وإلا أمسـك، «هـكـذا كان يـقولـهـ وـقولـهـ الحـقـ، وـتأـوـيلـ هـذـهـ الـكلـمـاتـ: فـنـظـرـتـ
في أـمـرـيـ فـإـذـاـ طـاعـتـيـ لـرـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ أـيـ وـجـوبـ طـاعـتـيـ، فـحـذـفـ المـضـافـ، وـاقـامـ
المـضـافـ إـلـيـهـ مـقـامـهـ، قـدـ سـبـقـتـ بـيـعـتـيـ لـلـقـومـ، أـيـ وـجـوبـ طـاعـةـ رـسـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ
عـلـيـ، وـجـوبـ اـمـتـشـالـيـ اـمـرـهـ سـابـقـ عـلـيـ بـيـعـتـيـ لـلـقـومـ، فـلـاـ سـبـيلـ لـيـ إـلـىـ الـامـتـنـاعـ منـ
الـبـيـعـةـ لـأـنـهـ عـلـيـهـ أـخـذـ عـلـيـ المـيـاثـقـ بـتـرـكـ الشـقـاقـ وـالـمـنـازـعـةـ فـلـمـ يـحـلـ لـيـ، أـنـ أـتـعـدـ
أـمـرـهـ، أـوـ أـخـالـفـ نـهـيـهـ»^(٣).

وأضاف ابن أبي الحديد أن رسول الله عليه السلام أخبر الإمام علي عليه السلام بأن الإمامة حقه

(١) الشرح ١ / ١٤٠ . وانظر المحافظ: استحقاق الإمامة ص ١٨٢-٣.

(٢) الشرح ٢ / ٢٨٤ . وانظر نص كلام الإمام علي عليه السلام البهقي: المحسن ص ٥١.

(٣) الشرح ٢ / ٢٩٥-٢٩٦ .

وأنه أولى بها من كل الناس، واعلمه أن في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلى المكلفين، وأنه يجب أن يمسك عن طلبها، ويغضي عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل ما أمره به رسول الله عليه السلام، ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والاحق^(١).

إن ابن أبي الحديد يقرر هنا أن النبي عليه السلام يرى بأن الإمامة حق للإمام علي عليه السلام، وما يراه النبي عليه السلام هو بالتأكيد من عند الله، ولكن ذلك يتعارض مع مصلحة الدين. أليس هذا تناقضًا؟! إذ كيف يفرض الله ورسوله أمراً يتنافى مع مصلحة الدين؟!!

الثانية: إن الإمام علي عليه السلام ترك حقه لما لاحظ من حسد العرب له وكراهيتهم إيه^(٢). وانحرافهم عنه، وميلهم عليه، ولا حظ ثورات الاحقا د التي كانت في أنفسهم، واحتدام نيران قلوبهم، وتذكروا تراته التي وترهم بها، ثم اوضح ابن أبي الحديد الاسباب التي دفعت العرب للعدول عن الإمام علي عليه السلام وهي: صغر سنّه، واستهجان البعض تقديم الشباب على الكهول والشيوخ.

يرى البعض كراهية الجمع بين النبوة والخلافة في بيت واحد، فيجحفون على الناس.

استصعب قوم شكيته، وخوفهم شدته، وعلمهم بأنه -عليه السلام- لا يحابي ولا يداعي ولا يرافق ولا يجامل في الدين، وأن الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه، ويعمل بموجب استصلاحه.

(١) الشرح ٢٩٦/٢

(٢) الشرح ١٤٠/١

حسد البعض إِيَّاه مِنْذ عَهْد الرَّسُول ﷺ لشدة اختصاصه بالرسول ﷺ، وتعظيم الرسول إِيَّاه وَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ الْفَضَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى رَفْعَةِ شَانِهِ، وَعَلَوْ مَكَانِهِ، وَمَا اخْتَصَ بِهِ مِنْ مَصَاحِرَتِهِ وَأَخْوَتِهِ، وَغَيْرُهَا مِنْ أَحْوَالِهِ مَعَهُ ﷺ.

تنكّر البعض له ناسين له العجب والتهام، حيث اتهماه باحتقاره البعض، واستصغاره الناس، «وَإِنْ كَانُوا عَنْدَنَا كَاذِبِينَ، وَلَكِنَّهُ قَوْلٌ قَلِيلٌ، وَأَمْرٌ ذَكْرٌ، وَحَالٌ نَسْبَتُ إِلَيْهِ، وَأَعْنَاهُمْ عَلَيْهَا مَا كَانَ يَصْدِرُ مِنْهُ مِنْ أَقْوَالٍ تَوْهِمُ مِثْلَ هَذَا، نَحْوُ قَوْلِهِ «إِنَّا صَنَاعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَاعُ لَنَا»^(١).

ولذا فإن الإمام علي عليه السلام صَحَّ عنده أن الأمر لم يكن ليستقيم له يوماً واحداً، ولا يتنظم ولا يستمر، وأنه لو ولِي الأمر لفتقَت العرب عليه فتقاً يكون فيه استئصال شأفة الإسلام، وهدم اركانه، فأذعن بالبيعة، وجنجح إلى الطاعة وأمسك عن طلب الخلافة، وإن كان على مضض. وهذه الرؤية هي رؤية متأخرى معتزلة بغداد^(٢).

وأكَدَ ابن أبي الحديد أن حال الإمام علي عليه السلام أَشَهَرُ منْ أَنْ يَحْتَاجَ لِلَّايِضَاحِ حيث لوحظ انتقاض العرب عليه لما بُويع للخلافة بعد خمس وعشرين سنة من وفاة الرسول ﷺ، وفي أقل من هذه المدة تنسى الأحقاد، وتموت الترات، وتبرد الاكباد الحامية، وتسلو القلوب الواجدة، ويمضي جيل من الناس، ويأتي جيل جديد، ولا يبقى من ارباب تلك الشحناء والبغضاء إِلَّا القليل، ومع كل ذلك فإن حاله مع قريش كانت كأنها حاله بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ظهر ما

(١) الشرح ١١٢/١١٣.

(٢) الشرح ١١٣/١١٤.

في النفوس، وهاج ما في القلوب، حتى أن الابناء والاحفاد الذين لم يشهدوا وقائمه عليه وفتكاته في أسلافهم وأبائهم، فعلوا به ما لو كان الآباء موجودين لقصروا عن فعلهم، إذن يا ترى كيف يكون حاله لو تولى الخلافة بعد وفاة الرسول عليه السلام مباشرة، إذن كانت تدرس أعلام الملة، وتنعفي رسوم الشريعة، وتعود الجاهلية الجهلاء، ويفسد ما أصلحه الرسول عليه السلام، فكان من عناية الله بهذا الدين أن ألم الصحاة ما فعلوه^(١).

ولكن ابن أبي الحديد ناقض رأيه هذا في ردّه على قول معاوية للإمام علي عليه السلام: «لو وليتها حيئذ [بعد وفاة الرسول - عليه السلام] - لفسد الأمر، واضطرب الإسلام».

قال ابن أبي الحديد: «العله لو ولتها حيئذ استقام الأمر وصلاح الإسلام وتعهد، فإنه ما وقع الاضطراب عند ولاته بعد عثمان إلا لأن أمره قد هان عندهم بتأخره عن الخلافة وتقدم غيره عليه، فصغر شأنه في النفوس، وقرر من تقدمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كل الصلاحية، والناس على ما يحصل في نفوسهم، ولو كان ولتها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام الرسول عليه السلام وبتلك المنزلة الرفيعة، والاختصاص الذي كان له، لكن الأمر غير الذيرأيناه عند ولاته بعد عثمان»^(٢).

الثالثة: إن المصلحة في ترك نزاع القائمين بالأمر حيث لما وقعت بيعة أبي بكر لاحظ الإمام علي عليه السلام أن الأصلح للإسلام ترك النزاع لأنه يخاف منه

(١) الشرح ١١/١١٤.

(٢) الشرح ١٧/٢٥٢، ٢٥٦.

حدوث فتنـة تـحل معـاقد المـلة، وـتزعـز اـركـانـها، فـحضر الإـمام وـبـاع طـوعـاً^(١).

وكـذـلـكـ في قـوـلـهـ لـأـهـلـ الشـورـىـ: «لـقـدـ عـلـمـتـ أـنـيـ أـحـقـ بـهـاـ منـ غـيرـيـ وـوـالـلـهـ لـأـسـلـمـنـ ماـ سـلـمـتـ اـمـرـ اـمـلـمـينـ، وـلـمـ يـكـنـ فـيـهـ جـوـرـ إـلـاـ عـلـىـ خـاصـةـ التـهـاسـاـ لـأـجـرـ ذـلـكـ وـفـضـلـهـ، وـزـهـداـ فـيـهـ تـنـافـسـتـمـوـهـ مـنـ زـخـرـفـةـ وـزـبـرـجـةـ».

يـفـسـرـ ابنـ أـبـيـ الحـدـيدـ هـذـاـ الـكـلـامـ، بـأـنـ الإـمـامـ عـلـيـاـ^(٢)ـ يـرـىـ بـأـنـ الصـاحـابـ يـعـلـمـونـ بـأـنـهـ أـحـقـ بـالـخـلـافـةـ، وـمـعـ ذـلـكـ فـهـوـ يـقـسـمـ بـأـنـهـ سـيـسـالـمـ وـيـتـرـكـ الـخـالـفـةـ إـذـاـ كـانـ فـيـ تـسـلـيمـهـ وـنـزـولـهـ عـنـ حـقـهـ سـلـامـةـ اـمـرـ اـمـلـمـينـ، وـلـمـ يـكـنـ الـجـوـرـ وـالـحـيـفـ إـلـاـ عـلـيـهـ، وـهـذـاـ الـكـلـامـ طـبـقـهـ الإـمـامـ عـلـيـاـ^(٢)ـ لـأـنـهـ إـذـاـ عـلـمـ أـوـ غـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ أـنـهـ إـنـ نـازـعـ وـحـارـبـ دـخـلـ عـلـىـ إـلـسـلـامـ وـهـنـ وـثـلـمـ، لـمـ يـخـتـرـ لـهـ الـمـنـازـعـةـ، حـتـىـ وـإـنـ كـانـ حـقـهـ، وـإـذـاـ مـاـ عـلـمـ أـوـ غـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ بـالـإـمـساـكـ عـنـ طـلـبـ حـقـهـ إـنـمـاـ يـدـخـلـ الـثـلـمـ وـالـوـهـنـ عـلـيـهـ خـاصـةـ، وـيـسـلـمـ إـلـسـلـامـ مـنـ الـفـتـنـةـ، وـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـغـضـيـ وـيـصـبـرـ عـلـىـ مـاـ أـتـوـ إـلـيـهـ مـنـ أـخـذـ حـقـهـ^(٢)ـ، وـكـفـ يـدـهـ، حـرـاسـةـ لـإـلـسـلـامـ مـنـ الـفـتـنـةـ^(٢)ـ.

إـذـاـ كـانـ هـذـاـ هـوـ التـفـسـيرـ لـمـوقـفـ الـإـمـامـ فـلـمـاـذـاـ لـمـ يـسـلـمـ الـأـمـرـ لـأـصـحـابـ الـجـمـلـ أـوـ مـعـاوـيـةـ، وـيـغـضـ عـلـىـ اـغـتصـابـ حـقـهـ حـفـظـاـ لـإـلـسـلـامـ مـنـ الـفـتـنـةـ؟

إـنـ الـجـوـرـ الدـاخـلـ عـلـيـهـ هـنـاـ مـنـ اـصـحـابـ الـجـمـلـ وـمـعـاوـيـةـ لـمـ يـكـنـ مـقـتـصـرـاـ عـلـيـهـ، بلـ كـانـ يـعـمـ الـمـسـلـمـينـ جـمـيعـاـ، لـأـنـهـ لـمـ يـكـونـواـعـنـدـهـ مـنـ يـصـلـحـ لـرـياـسـةـ الـأـمـةـ، وـتـحـمـلـ اـعـبـاءـ الـخـلـافـةـ، فـلـمـ يـكـنـ الشـرـطـ الـذـيـ اـشـرـطـهـ مـتـحـقـقاـ وـهـوـ قـوـلـهـ: «لـمـ يـكـنـ فـيـهـ جـوـرـ إـلـاـ عـلـيـّـ خـاصـةـ» وـهـذـاـ الـكـلـامـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـهـ^(٢)ـ لـمـ يـكـنـ يـذـهـبـ إـلـىـ أـنـ خـلـافـةـ

(١) الشرح ٢٥٥ / ١٠ . وانظر الصاحب بن عباد، نصرة مذاهب الزيدية ص ٥٣.

(٢) الشرح ٦ / ١٨ ، ١٦٧ - ١٦٦ .

عثمان كانت تتضمن جوراً على المسلمين والاسلام، وإنما عليه فقط، وأنها وقعت على جهة مخالفة الاولى، لا على جهة الفساد الكلي والبطidan الأصلي^(١).

ويخلص للقول إن ما جرى من عبد الرحمن وغيره يوم الشورى وإن كان لم يقع على وجه الأفضل، فإنه معفو عنه مغفور لفاعله، لأنه لو كان فسقاً غير مغفور، لم يقل الإمام عليه السلام: عفا الله عن سلف^(٢).

الرابعة: إن السبب الذي دفع الإمام لترك الأمر هو عدم وجود من ينصره حيث يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر»، وأشار ابن أبي الحديد أن الإمام عليه السلام هنا يشير إلى أن الذي دفعه للقيام بالأمر بعد عثمان هو وجود الناصر^(٣).

إذن لما اقتضت المصلحة تقديم المفضول على الأفضل، فما هو موقف المعزلة من بيعة المفضول؟

صحيح أن الإمام علي عليه السلام هو الأفضل، ولكن العدول عنه إلى من لا يساويه في فضل، ولا يوازيه في جهاد وعلم، ولا يماثله في سؤدد وشرف، فإن بيعة المفضول أيضاً صحيحة، ويضرب ابن أبي الحديد مثلاً إنه قد يوجد في بلد ما فقيهان أحدهما أعلم من الآخر، فيجعل السلطان الأقل علمًا قاضياً، مما يؤدي بالآخر إلى التوجّد والتّألم والشكوى، ولكن ذلك لا يكون طعناً في القاضي الأقل، ولا تفسيقاً له، ولا حكمنا فيه بأنه غير صالح^(٤).

(١) الشرح ٦/١٦٧.

(٢) الشرح ١٠/٦٣.

(٣) الشرح ١/٢٠٣. وانظر: الصاحب بن عباد: نصرة مذاهب الزيدية ص ٥٣-٥٤.

(٤) الشرح ١/١٥٧. قارن رؤية الأمامية. الهاشمي: منهاج البراعة ٤/٤٤٥-١٥١.

إن هذا المثال الذي ضربه ابن أبي الحديد لا يماثل موضوع الإمامة، فالإمامية وهي رئاسة دينية ودنوية لشئ مناحي الحياة تختلف عن القضاء الذي لا تتعدى مهمته الفصل بين الخصوم، وإن تعدد فإلى الإشراف على بعض المسائل المالية.

ومع أن الإمام علي عليه السلام - برأي المعتزلة. يرى أن الأحق بالإمام هو الأقوى والاعلم فهذا لا ينافي صحة إمامية المفضول لأنه لم يقل إن إماما غير القوى فاسدة، ولكنه يرى أن القوى أحق، والمعتزلة تعترف بأنه لم يتحقق من تقدمه مع قوله بصحة امامية المتقدمين، لأنه لا منافاة بين كونه أحق وبين صحة إمامية غيره^(١).

ولكن بيعة المفضول يحكم بصحتها بلحاظ موقف الإمام علي عليه السلام في حالة عدم تنازعه، أمّا لو نازع الإمام لحكم بتفسيق هذا المنازع.

يقول أبو القاسم البلاخي الكعبي، أحد كبار معتزلة بغداد «لو نازع عقيب وفاة رسول الله عليه السلام، وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالقه وتقديم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين اظهر نفسه. ولكنه مالك الأمر وصاحب الخلافة إذا طلبها، وجب علينا القول بتفسيق من ينazuعه فيها، وإذا امسك عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكم رسول الله عليه السلام لأنه قد ثبت عنه في الاخبار الصحيحة إنه قال: «علي مع الحق، والحق مع علي يدور حيثما دار» وقال غير مرة «حربك حربي وسلمك سلمي»^(٢).

(١) الشرح ٨٢٣/٩

(٢) الشرح ٢٩٦-٢٩٧/٢

إن المعتزلة تحمل كلام الإمام علي عليه السلام - على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عما سلف من سلف حيث صاحبهم بالمعروف دهرا، فإذا ما يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه فتركه رفعاً لنفسه عن المنازلة أو لصلاحه رآها، وعلى كلا التقديرين رأى المعتزلة أن يطبقوا بين آخر اقواله وافعاله وأوتها، فإذا ما بعد تأويل ما يتناول من كلامه، فهو ليس بأبعد من تأويل المعتزلة للآيات المشابهات حيث لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة^(١)، لذا وجب على المعتزلة بعد مبايعته لأبي بكر ورضاه به أن يرضاوا ويطيعوا لأنهم الإمام القدوة وأفضل من تركه الرسول عليه السلام^(٢)، حيث إن الإمام علياً عند المعتزلة بمنزلة الرسول عليه السلام في تصويب قوله، والاحتجاج بفعله عليه السلام ووجوب طاعته، وإذا ما صح عن الإمام علي عليه السلام براءته من شخص ما، فإن المعتزلة تبرئ من هذا الشخص كائناً من كان بعد التأكيد من صحة براءة الإمام منه، لأنهم أكثر من الكذب عليه، وولدت العصبية أحاديث لا أصل لها، ولذلك فان براءة الإمام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية من الأمور المعلومة لدى المعتزلة والمتواترة، ولذا فالمعتزلة لا تتولاهم، ولكن حاشا للإمام عليه السلام أن يكون ذكر من سلف من المهاجرين إلا بالجميل والذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين، وإخلاصه في طاعة رب العالمين «ومن أحب تبع ما روى عنه مما يوهם في الظاهر خلاف ذلك، فليراجع هذا الكتاب، أعني شرح نهج البلاغة، فإنما لم نترك موضعًا يوهם

(١) الشرح ١٣٦/٩.

(٢) الشرح ٢٥٥/١٠.

خلاف مذهبنا إلّا وأوْضَحَنَاهُ، وفِسْرَنَاهُ عَلَى وَجْهِ يُوَافِقُ الْحَقَّ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ»^(١).

ويرى المعتزلة أيضاً ان الإمام علي عليه السلام أفضل الخلق في الآخرة، وأعلاهم منزلة في الجنة، وافضلهم في الدنيا، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو ابغضه، فإنه عدو لله سبحانه وحالد في النار مع الكفار والمنافقين، إلّا أن يكون من ثبت توبته ومات على توليه وحبه، أما بالنسبة إلى الأفضل من المهاجرين والأنصار الذي تولوا الخلافة قبله، فلو أنه عليه السلام أنكر خلافتهم وغضب عليهم، وسخط فعلهم، أو شهر السيف، أو دعا إلى نفسه حكم المعتزلة بهلاكهم، كما لو غضب عليهم الرّسول عليه السلام، ودليل المعتزلة على ذلك قوله: «حربك حربٍ وسلمك سلمي». قوله عليه السلام: «اللّهم ولي من وليه وعاد من عاده»، قوله: «لا يحبك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»^(٢). ولكن المعتزلة لما رأته عليه السلام رضي بإماماته من كان قبله، وباعهم، وصلّى خلفهم، وانكحهم وأكل من فئاتهم، فلم يكن لهم أن يتعدوا فعله، أو يتتجاوزوا ما علم عنه، ولذا لما برع من معاوية ولعنه، برع المعتزلة منه ولعنه ولما حكم عليه السلام أهل الشام ومن فيهم من بقایا الصحابة كعمرو ابن العاص وابنه عبد الله وغيرهما حكم المعتزلة بضلالهم: «والحاصل إنّا لم نجعل بينه وبين النبي عليه السلام

(١) الشرح ٢٥ / ٢٠.

(٢) أخرجه: مسلم: الصحيح ٦٤ / ٢. الترمذى: صحيح ١٦٨ / ١٢، ١٧٧. ابن ماجه: صحيح ٢٥ / ١. الحاكم: المستدرك ١٤٥ / ٣. ابن حزم: الفصل ٣ / ٣٠٠، ٤ / ٢٢٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣ / ١١٠٠. البلوي: ألفباء ١ / ٢٢٣. ابن الجوزي: صفة الصفو ١ / ٣١٢. ابن تيمية: منهاج السنة ٣ / ١٣. ابن كثير: البداية ٧ / ٣٥٥. ابن حجر: الاصابة ٢ / ٩٥. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠.

إلاً رتبة النبوة، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندها أنه طعن فيهم وعاملناهم بها عاملهم عليهما السلام به»^(١).

ولذا فإن طاعة الإمام علي عليه السلام واجبة عند المعتزلة سواء بالاختيار أم بالنص كما عند الإمامية «وعلى التحقيق فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى، لأن من جهل إماماً على عليه السلام، وانكر صحتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلد في النار، لا ينفعه صوم ولا صلاة، لأن المعرفة بذلك من الأصول الكلية التي هي اركان الدين، ولكن لا نسمى منكر إمامته كافراً - بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك»^(٢).

وقد خصَّ معتزلة بغداد الإمام علياً - عليه السلام - من بين سائر الأمة بالصلاوة عليه شأنه في ذلك شان النبي عليهما السلام، فهم يكرهون إذا ذكروه - عليه السلام - ان يقولوا: صلوا الله عليه، ولا يكرهوا ان يقولوا: صلوات الله عليه. فجعلوا اللفظة الأولى مختصة بالرسول عليهما السلام، والثانية مشتركة بينه وبين الرسول عليهما السلام، ولم يطلقوا لفظ الصلاة إلا على الرسول عليهما السلام وعلى الإمام علي عليه السلام^(٣).

وتذهب المعتزلة إلى عدم عصمة الإمام علي عليه السلام، حيث يجد ابن أبي الحديد في نوح البلاغة نصاً يستدل به على ذلك، إذ يقول عليه السلام: «ألا لا يرعين مدع على نفسه، شغل من الجنة والنار أمامه، ساع مجتهد ينجو، وطالب يرجو، ومقصر في النار؛ ثلاثة وإثنان: ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده - لاسادس»^(٤).

(١) الشرح ٢٢٢-٢٢١/٢٠.

(٢) الشرح ٣٧٣/١٨.

(٣) الشرح ١٤٥/٦.

(٤) الشرح ٢٧٥/١.

وأشار ابن أبي الحديد أن تقدير هذا الكلام «المكلفون على اقسام خمسة: ساعٍ مجتهد، وطالب راج، ومقصر هالك. ثم قال ثلاثة، أي فهو لاء ثلاثة اقسام، وهذا ينظر إلى قوله سبحانه: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله»^(١). ثم ذكر القسمين: الرابع والخامس فقال: «ما ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده؛ يريد عصمة هذين النوعين من القبيح، ثم قال: «لا سادس». أي لم يبق في المكلفين قسم سادس، وهذا يقتضي أن العصمة ليست إلّا للأنبياء والملائكة ولو كان الإمام يجب أن يكون معصوماً لكان قسماً سادساً، فإذا ذُكر قد شهد هذا الكلام بصحة ما تقوله المعتزلة في نفي اشتراط العصمة في الإمامة، اللهم إلّا أن يجعل الإمام المعصوم داخلاً في القسم الأول، وهو الساعي المجتهد، وفيه بعد وضعف»^(٢).

وفي شرحه لقوله عليه السلام «فأني لست في نفسي ب فوق إن أخطأ» قال: «هذا اعتراف منه عليه السلام بعدم العصمة فأما أن يكون كلامه على ظاهره أو على سبيل المضم ل نفسه كقوله عليه السلام: ولا أنا إلّا أن يتداركني برحمته»^(٣)^(٤).

ولكن-ابن متويه- أحد معتزلة البصرة. ومن القائلين بالتفضيل يرى أن الإمام علي عليه السلام معصوم، وإن لم يكن واجب العصمة، كذلك يرى أن العصمة

(١) سورة فاطر (٣٢).

(٢) الشرح ٢٧٧/١.

(٣) أخرجه: مسلم: الصحيح ١٥٩/١٧. ابن ماجة: صحيح ٤٠٩/٢. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١١٧. ابن حزم: الفصل ٣/٢١٣.

(٤) الشرح ١٠٢/١١، ١٠٧-١٠٨.

ليست شرطاً في الإمامة، ولكن أدلة النصوص دلت على عصمة الإمام علي عليه السلام، والقطع على باطنه ومغيبه، وإن ذلك أمر اختص به دون الصحابة، ويرى ابن أبي الحديد أن هناك فرقاً بين قولنا «زيد معصوم» وقولنا «زيد واجب العصمة» لأنَّه إمام ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً، فالاعتبار الأول هو ما يذهب إليه المعتزلة، والثاني ما تذهب إليه الإمامية^(١).

إذن حسب الرؤية الاعتزالية فالإمام علي عليه السلام إذا امسك عن طلب الخلافة- فمن يتولاها يحكم المعتزلة بصحة خلافته-؟!! مع ان ابن أبي الحديد يرى أن الإمام امسك عن الخلافة لأن الظرف لم يخدمه من حيث الأنصار.

اما إذا طلب الخلافة ونمازعه منازع، فهنا يحكم المعتزلة بتفسيق الخارج عليه، طبقاً لذلك لنرى رؤية الاعتزال لاحادث خلافة الإمام علي عليه السلام.

(١) الشرح ٦/٣٧٦-٣٧٧.

المبحث الثاني

خلافة الإمام علي عليه السلام

اثر مقتل الخليفة عثمان اجتمع بعض المهاجرين والانصار في المسجد النبوي وتداولوا الرأي فيما يلي الأمر، فاتجهت الانظار صوب الإمام علي عليه السلام فاقبلوا إلى بيته، ودعوه لبيعة وبعد مداولات معهم قرر الإمام علي عليه السلام أن تكون البيعة في المسجد، فتمت البيعة في ظرف من أحلك الظروف التي مرت بالدولة الاسلامية حيث اختلف الناس في هذه البيعة، فالذى عليه أكثر الناس، وجمهور أرباب السير أن طلحة والزبير بايعا الإمام طائعين غير مكرهين^(١).

أما المناصرون لآل الزبير كعبد الله بن مصعب، والزبير بن بكار، ومن وافق قولهم من بنى تم بن مرة الذين لهم رغبة في طلحة فشاروا إلى أن طلحة والزبير بايعا مكرهين^(٢). في الوقت الذي نجد أبا مخنف يؤكّد اجماع المهاجرين والانصار بعد اجتماعهم في مسجد الرّسول عليه السلام ما عدا بضعة اشخاص

(١) الشرح ٤/٧.

(٢) الشرح ٤/٧.

اعتزلوا^(١) وهم عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، واسامة بن زيد، وأن الإمام لم يكرههم على البيعة، ويرى المعتزلة أن هؤلاء لم يتخلفو عن البيعة، وإنما تخلفو عن الاشتراك بحرب الجمل^(٢).

إنَّ اضطراب الأوضاع، ومقتل الخليفة عثمان، ثم قبول الإمام علي عليه السلام بالخلافة كان موضع طعن للبعض في قبول الإمام للخلافة لأنَّه بمقتضى رأيه، كان على الإمام علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة أن يغلق بابه، ويمنع الناس من الدخول عليه، وعند ذلك ستضطرُّب العرب ثم تعود إليه، فهو عليه حسب رأيه - قد تعين للأمر بحكم الوضع الحاضر آنذاك ولكن الإمام علي عليه السلام فتح بيته، وبسط يده، لذلك انقضى عليه^(٣).

هذا الرأي يرى المعتزلة خلافه، فالإمام علي عليه السلام كان يرى أن القيام بالأمر واجب عليه يومذاك لعدم من يصلح في ظنه للخلافة، وكيف يغلق بابه، وهناك من يدّعى أن عثمان عهد إليه بالخلافة كبعد الله بن الزبير وكان مروان يطمع بها بشبهة أنه ابن عم الخليفة المقتول، ومعاوية لأنَّه من بني أمية وابن عم الخليفة المتقول، وأمير الشام لعشرين سنة سابقة، وكيف يسوغ للإمام علي عليه السلام أن يمتنع عن الخلافة إذا طلبه المسلمون، ويعلم أنه لو امتنع فإنها ستتصير إلى من لا يصلح لها، ولذلك فهو عليه امتناع أولاًً امتناع من يريد أن يعلم ما في

(١) أنظر تفسير الحاكم في سبب عدم اشتراك هؤلاء بمعركة الجمل، المستدرك ١٢٤-١٢٧ / ٣.

وانظر القاضي: المغني ٢٠ / ٦٦-٦٨.

(٢) الشرح ٤ / ١٩، ١٠-٨ / ١٤٧.

(٣) الشرح ١٠ / ٢٥٦.

قلوهم ولما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه^(١)، إذ يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظه ظالم، ولا سغب مظلوم لالقيت جبلها على غاربها، ولسيقت آخرها بكاس أنها»^(٢).

عد الإمام علي عليه السلام وصوله للخلافة عودة للحق إلى نصابه إذ يقول: «الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله» وقد اضطر المعتزلة لتأويل النص، بأن الإمام علي عليه السلام كان الأولى والأحق بالأمر ليس بالنص وإنما بالفضلية - كما لاحظنا - وجائز من كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه ان يقول: «قد رجع الأمر إلى أهله»^(٣).

وبعد بيعته اتخذ جملة اجراءات:

الاجراء الأول: توزيع الاموال بالتساوي بين جميع المسلمين:

ألقى الإمام بعد بيعته مباشرة خطبة جاء فيها: «الا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهر وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة؛ فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، واصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا! الا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من اصحاب رسول الله عليه السلام يرى ان الفضل له على

(١) الشرح ١٠/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الشرح ١/٢٠٢-٢٠٣.

(٣) الشرح ١/١٤٠.

من سواه لصحبته، فان الفضل النير غداً عند الله، وثوابه واجره على الله، وأيّها رجل استجابة للله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، قد استوجب حقوق الإسلام وحدوده؛ فانت عباد الله، والمآل مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً احسن الجزاء، وافضل الشواب، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا، فإن عندنا مالاً نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا اعجمي، كان من أهل العطاء، أو لم يكن إلا حضر، إذا كان مسلماً حراً»^(١).

كان توزيع الاموال بالتساوي مدعوة لتذمر بعض كبار الصحابة وغيرهم^(٢) لذا لم يستلموا العطاء، لأن الإمام خالف طريقة الخليفة عمر القائمة على التفضيل في العطاء حسب القرابة والسابقة والغناء وال الحاجة في الإسلام. لذا قالوا للإمام علي عليه السلام: «إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسرافنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيالنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وخذناه قسراً قهراً من لا يرى الإسلام إلا كرها»^(٣).

أوضح الإمام في اجابته ان التساوي في العطاء أمر حكم به الرسول عليه السلام، ونطق به القرآن، واما مسألة ما افاء به الله «باسيافنا ورماحنا» فأكده الإمام علي عليه السلام أنه سبق إلى الإسلام قوم نصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم الرسول عليه السلام.

(١) الشرح ٧/٣٧. وانظرها في المحمودي: نهج السعادة ١/٨٠-٩.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني ٢٠/٢/٦٨.

(٣) الشرح ٧/٤١.

لأن الله سبحانه ونور الساق والمجاهد يوم القيمة^(١).

تجدر الاشارة أن سياسة التساوي في العطاء كانت من جملة سياسة الخليفة أبي بكر، والتي سار بها محتذياً سياسة الرسول عليهما السلام، ولم تكن تقابل بالتزمر، إذن لماذا قوبلت سياسة الإمام علي عليهما السلام بالتزمر؟

في الواقع إن الخليفة أبو بكر قسم محتذياً بالرسول عليهما السلام فلما تولى عمر الخلافة، وفضل قوماً على آخرين ألغوا ذلك، ونسوا القسمة الأولى، وقد طالت خلافة عمر عشر سنوات، فاعتادت القلوب على الأموال وكثرة العطاء، ولم يكن يخطر بالبال تغير الحال، فلما تولى عثمان الخلافة لاشتبه عشرة سنة اجرى الأمر على ما كان عليه عمر، فازداد وثوق الناس بذلك، ومن الف شيئاً شق عليه فراقه، فلما جاء الإمام وارجع الأمر إلى ما كان أيام الرسول عليهما السلام: وابي بكر، وقد نسي ذلك وتخلله اشتتان وعشرون سنة، شق ذلك عليهم، وأنكروه وأكteroه^(٢).

الاجراء الثاني: إعادة القطائع إلى بيت المال:

اتخذ الإمام موقفاً متشددأً ازاء القطائع التي اقطعـت لافراد الاسرة الأموية، وكان رأيه ان تعاد ملكيتها لبيـت المال إذ يقول: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء؛ لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق». وقد كان الخليفة عثمان اقطع بعضـاً من افراد الاسرة الأموية واصحـابه قطـائع من ارض الخراج، فإذا كان الخليفة عمر قد اقطع لارباب الغناء في الحرب والجهاد، ثمنـاً لما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه، فـان عثمان اقطع صلة لرحمـه عن غير غـناء في الجهـاد، لـذا أمر

(١) الشرح ٤٢-٤١.

(٢) الشرح ٤٢-٤٣.

الإمام باعادة كل ذلك لبيت المال^(١).

الاجراء الثالث: عزل الولاية:

صور الإمام ان الدين كان عند الولاية في عهد عثمان اسيراً، لأنهم لم يقضوا بالحق، وإنما بالهوى لطلب الدنيا، لذا اتخذ قرار عزلهم بأجمعهم^(٢).

هذه الاجراءات زادت من حدة موقف الاسرة الاموية من الإمام علي عليه السلام وقد استغل عمرو بن العاص ذلك، فابرق إلى معاوية برسالة يحذره من نوايا الإمام علي عليه السلام، وانشد الوليد بن عقبة بن أبي معيط شرعاً عده الخليفة العباسي المنصور السبب في التفريق بينبني عبد مناف، حيث ندد بسياسة الإمام علي عليه السلام^(٣).

والملاحظ ان الوضع الذي آل إليه المسلمين إلى درجة مقتل الخليفة دعا الإمام لاحداث تغيير جذري في السياسة العامة للدولة، من مسألة توزيع الاموال، والقطاعين، والولاية، ما دامت هذه المسائل من الامور التي اجحت الوضع.

إن هذه السياسة دفعت الناقمين عليها للخروج على الإمام علي عليه السلام مستغلين قميص عثمان ورقة سياسية للوصول إلى غاياتهم، لذا وجهت للامام تهمة مقتل الخليفة، أو التواطؤ مع قتلته، وكان ذلك هو المبرر لمعارك الجمل وصفين وبباقي احداث خلافة الإمام علي عليه السلام.

(١) الشرح ١/٢٦٩. وانظر قول الإمام: محمودي: نهج السعادة ١/١٨٧-١٨٦.

(٢) الشرح ٦/١٧. وانظر الطبرى: تاريخ ٤/٤٤٢.

(٣) الشرح ١/٢٧. وانظر المسعودي: مروج الذهب ٢/٣٥٦. أبو الفرج: الأغاني ٥/١٣٤، ١٦٣.

فيا ترى ما هو موقف الإمام علي عليه السلام-من مقتل الخليفة عثمان حسب الرؤية الاعتزالية؟

من خلال بضعة نصوص وردت في كلام الإمام علي عليه السلام استتتج ابن أبي الحديد براءة الإمام مما نسب إليه، فالإمام علي عليه السلام كان يرى أن عثمان ضعف عن تدبير أمر الخلافة، وأن أهله غلبوا عليه، واستبدوا بالأمر دونه، واستعجزه المسلمين، واستسقتو رأيه، لذا صار حكمه حكم الإمام إذا عمي، أو اسره العدو فإنه ينخلع من الإمامة^(١).

واضطر ابن أبي الحديد لتأويل كلام الإمام عليه السلام في عثمان: «لو امرت به، لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني؛ وأنا جامع لكم أمره، استأثر فاساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله حكم واقع في المستأثر والجائز».

هنا لم يحمل ابن أبي الحديد الكلام على ظاهره لسببين: الأول: ثبوت عصمة دم عثمان. الثاني: ثبت في السير والأخبار أنه كان عليه السلام ينهى الناس عن قتله.

إذن يجب أن يحمل لفظ (النهي) على المنع، كما يقال: الامير ينهى عن نهب اموال الرعية، أي يمنع، فحينئذ يستقيم الكلام، لأنه عليه السلام ما أمر بقتله ولا منع عن قتله لأنه كان ينهى باللسان وليس باليد، ولكن النهي عن المنكر واجب، فهلا منع من قتله باليد؟

ترى المعتزلة «أن المنع باليد يجب إذا كان حسناً، وإنما يكون الإنكار حسناً

إذا لم يغلب على ظن الناهي عن المنكر أن نهيه لا يؤثر، فإن غالب على ظنه أن نهيه لا يؤثر قبح انكار المنكر، لأنه إن كان الغرض تعريف فاعل القبيح قبيح ما أقدم عليه، فذلك حاصل من دون الانكار؛ وإن كان الغرض ألا يقع المنكر، فذلك غير حاصل؛ لأنه قد غالب على ظنه أن نهيه وإنكاره لا يؤثر، لذلك لا يحسن من الإنسان الانكار على أصحاب المآصر ما هم عليه من أخذ المكوس، لما غالب على الظن أن الإنكار لا يؤثر، وهذا يتضمن أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد غالب على ظنه أن انكاره لا يؤثر فلذلك لم ينكر»^(١).

وأشكّل على ابن أبي الحديـد تأويـل كلام ورد في كتاب الإمام علي عليه السلام لأهل مصر لما ولـى عليهم مالـكاً الاشتـر إذ وصفـهم بأـئـمـمـ (غضـبـوا اللهـ حينـ عـصـيـ فيـ اـرـضـهـ، وـذـهـبـ بـحـقـهـ)ـ.

قال ابن أبي الحديـد: «هـذا الفـصل يـشـكـل عـلـي تـأـوـيلـهـ، لأنـ أـهـلـ مـصـرـ هـمـ الـذـينـ قـتـلـواـ عـثـمـانـ، وـإـذـ شـهـدـ اـمـيرـ الـمؤـمـنـينـ عليهـ اـنـهـ غـضـبـواـ اللهـ حينـ عـصـيـ فيـ اـرـضـهـ، فـهـذـهـ شـهـادـةـ قـاطـعـةـ عـلـيـ عـثـمـانـ بـالـعـصـيـانـ، وـاتـيـانـ الـمـنـكـرـ، وـيمـكـنـ انـ يـقـالـ وـانـ كـانـ مـتـعـسـفـاًـ: انـ اللهـ تـعـالـىـ عـصـيـ فيـ الـارـضـ لـاـ مـنـ عـثـمـانـ، بلـ مـنـ وـلـاتـهـ وـامـرـائـهـ وـاهـلـهـ، وـذـهـبـ بـيـنـهـ بـحـقـ اللهـ وـضـرـبـ الـجـوـرـ سـرـادـقـهـ بـوـلـايـهـ، وـامـرـهـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـفـاجـرـ وـالـمـقـيمـ وـالـظـاعـنـ، فـشـاعـ الـمـنـكـرـ، وـفـقـدـ الـمـعـرـوفـ)ـ^(٢)ـ.

ولـكـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ غـضـبـواـ اللهـ قدـ آـلـ اـمـرـهـ أـنـهـ قـطـعواـ المسـافـةـ منـ مـصـرـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـقـتـلـواـ الـخـلـيـفـةـ: فـلـاـ تـعـدـواـ حـالـتـهـ اـمـرـيـنـ:

(١) الشرح ٢/١٢٦-١٢٩ . وانظر نص كلام الإمام: محمودي: نهج السعادة ١/٢١٩ .

(٢) الشرح ١٦/١٥٦-١٥٧ .

أن يكونوا أطاعوا الله فيكون عثمان عاصياً، أو يكونوا اسخطوا الله بقتل عثمان، فعثمان على حق وهم فساق، فكيف يبجلهم الإمام ويختابهم خطاب الصالحين؟ هنا يرى ابن أبي الحديد أن أهل مصر لما غضبوا الله وجاءوا إلى المدينة، وأنكروا على عثمان تأميره الامراء الفساق وحصروه في داره طلباً ان يدفع لهم مروان على ما كتبه في امرهم، فلما حصر الخليفة طمع فيه مبغضوه واعداؤه من أهل المدينة، وصار معظم الناس إلَّا عليه، فهنا أصبح عدد المصريين قليلاً بالنسبة إلى ما اجتمع في المدينة من الناس الذين يطالبون الخليفة بعزل نفسه، وتسليم مروان، وعزل الولاة، ولم يكونوا يطلبون الخليفة نفسه، ولكن البعض تسُرُّوا داره فرماهم عبيد الخليفة، وجرحوا بعضهم، فدعاهم الحال للنزول والاحاطة بال الخليفة، فتسreu إلَيْه احدهم فقتل الخليفة، وتمكن عبيد عثمان من قتل القاتل، فلا يلزم من فسق ذلك القاتل، لأن يفسق الباقيون، لأنهم ما انكروا الا المنكر، واما القتل فلم يقع منهم، فجاز للامام ان يقول غضبوا الله، وان يثني ويمدحهم^(١).

وكذلك اضطر ابن أبي الحديد لتأويل كلام الإمام الذي يرويه قيس بن أبي حازم إذ يقول: سمعت عليه عليه السلام يقول: «يا ابناء المهاجرين؛ إنفروا إلى أئمة الكفر، وبقية الاحزاب، وأولياء الشيطان، إنفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبة، وبراً النسمة، إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيمة لا ينقص من اوزارهم شيئاً».

أولاً: طعن ابن أبي الحديد في الرواية وهو قيس بن أبي حازم لأنه قال في حَقِّ الإمام علي عليه السلام «فابغضته، فدخل بغضه في قلبي». والمعترضة ترى بأن من

يغض الإمام علي عليه السلام لا تقبل روايته^(١).

ثانياً: يرى أن الاشهر في الرواية صدر الحديث، وأما عجزه فليس بمشهور.

ثالثاً: إذا صحت الرواية يحملها المعتزلة على أن الإمام يقصد معاوية وسمى ناصريه مقاتلين على دمه، لأنهم يحامون عن دمه، ومن حامى عن دم انسان فقد قاتل عليه^(٢).

لقد استغل الساخطون سياسة الإمام علي عليه السلام -دم الخليفة- وسيلة لتحقيق غاياتهم، فاتهموا الإمام علي عليه السلام بقتله، أو التواطؤ مع قتله، وقد استغرب الإمام علي عليه السلام من اتهامه بذلك من قبل الأمويين قائلاً: «أو لم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي! أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي! ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني».

قال ابن أبي الحديد في شرحه أن الإمام يرى أن معرفة حاله ومنزلته تفرض على بني أمية عدم اتهامه بدم الخليفة، فمنزلته -الله- التي لا يوجد أعلى منها، كالذي نطق به القرآن من طهارته، وطهارة ابنته وزوجته، في قوله تعالى:
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾.
 وقول النبي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وهذا يقتضي عصمته عن الدم الحرام؛ كما ان هارون معصوم عن مثل ذلك، ثم أن ترداد اقوال وافعال الرسول عليه السلام في حقه تضطر الحاضرين لها والمشاهدين إياها إلى أن مثل الإمام لا

(١) أشار الشريف الرضي لانحراف قيس بن أبي حازم عن الإمام علي عليه السلام. المجازات النبوية ص ٤٨-٩.

(٢) الشرح ١٩٤/٢.

يجوز أن يسعى في إراقة دم مسلم، لم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه^(١).
رؤيه الإمام هذه أكد ابن أبي الحديد صحتها وذلك أن من يظهر ناموس الدين، ويواظب على العبادات، ويتصف بالورع والتقوى، يتقرر في نفوس الناس استشعاره الدين واعتقاده إيمانه، مما يدفع الناس لئلا تقرفه بالعيوب الفاحشة، واستبعاد من يطعن فيه، فكيف ساغ لاعداء الإمام علي عليه السلام مع علمهم بمنزلته العالية في الدين، التي لم يصل إليها أحد من المسلمين، اطلاق السبب لهم فيه، ونسبته لقتل الخليفة، أو الملاة عليه، لاسيما وقد ثبت لديهم انه كان من المدافعين عنه قولهً وفعلاً، وينخلص المعذلة إلى براءة الإمام من دم الخليفة^(٢).

يرى البعض أن من بين الاسباب التي دفعت مناوئي الإمام لاتهامه بدم الخليفة هو بقائه في المدينة في الوقت الذي حاصر فيه الخليفة، فيرى هؤلاء انه كان على الإمام مغادرة المدينة فلا يكون عذرًا للطاعنين فيه.

في الواقع ان الإمام علي عليه السلام لم يكن يخطر له ان يتهم بدم الخليفة مع براءته منه، وكان عليه السلام يرى ان مقامه بالمدينة في مصلحة الخليفة، حيث حضر مراراً وأبعد المحاصرين عنه، وأرسل ولديه وابن أخيه عبد الله بن جعفر يحملان له الماء، ولو لا حضور الإمام علي عليه السلام في المدينة لما تأخر مقتل الخليفة، وكان لمقام الإمام دور في تراخي الناس عنه^(٣)، وينخلص المعذلة إلى الحكم ببراءة الإمام من دم الخليفة، وقد صرخ الإمام بذلك مراراً ومنها قوله: «والله ما قتلت عثمان».

(١) الشرح ٦/١٦٩-١٧٠.

(٢) الشرح ٦/١٧١-١٧٠.

(٣) الشرح ١٠/٢٥٦.

ولا مالأت على قتله»^(١).

اما رؤية المعتزلة ل موقفه عليه السلام من قتلة الخليفة، فيشار إلى أنه عليه السلام لما بُويع بالخلافة قيل له: لو عاقبت قوماً من اجلب على عثمان فقال عليه السلام: «يا اخوتاه! إنني لست اجهل ما تعلمون؛ ولكن كيف لي بقوة و القوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم! وهاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبادانكم، والتفت إليهم اعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا؛ وهل ترون موضعًا لقدرة على شيء تريدونه، إن هذا الأمر أمر جاهليّة؛ وإن هؤلاء القوم ماده، ان الناس من هذا الأمر إذا حرك على امور: فرقه ترى ما ترون، وفرقه ترى ما لا ترون، وفرقه لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعاً وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم به امري، ولا تفعلوا فعلة تضيّع قوة، وتسقط منه، وتورث وهنَا وذلة».

من خلال هذا النص استنتج ابن أبي الحديد ان الإمام علي عليه السلام كان يرى عقاب الذين حصروا الخليفة، والاقتصاص من قتله، إن كان بقي من باشر قتله، ولكنه عليه السلام اعتذر بعدم التمكن وذلك لوجود عالم كثير جاء من الامصار مضافاً لأهل المدينة، والبادية، فأصبح الأمر أمر جاهليّة كما وصفه، ولو حرك ساكناً لاختطف الناس، فمنهم من يرى فعل الإمام عليه السلام هو الصواب، ومنهم من يراه خطأ، ومنهم من يقف لا مصوباً ولا مخطئاً، لذا فالإمام عليه السلام يخشى من تجدد فتنه كالاولى أو أعظم، فكان علي عليه السلام يرى أن الاصوب بالتدبر، والذي يوجبه الشرع والعقل هو الامساك إلى حين سكون الفتنة،

وتفرق تلك الشعوب، وكان عليه يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره، وأن يحضر بنو الخليفة المقتول عنده يطالبون بدم أبيهم، ويعينون المتهمين، فبعض للقتل واخر للحصار وثالث للتسرور، وحينها يتمكن الإمام عليه من العمل بحكم الكتاب، ولكن الأمر لم يقع هكذا، إذ امتنع معاوية وأهل الشام، وجلأ ورثة عثمان إليه، وفارقوا الإمام متهمين إياه، ولم يطلبوا القصاص بصورة شرعية، وإنما طلبوه مغالية، وجعلها معاوية عصبية الجاهلية، وسبق معاوية خروج أصحاب الجمل عليه، فكان ذلك مما منع الإمام عليه عن التصدي للقصاص، وقد قال عليه معاوية «فأما طلبك قتلة عثمان، فادخل في الطاعة، وحاكم القوم إلى أحملك وإيّاهم على كتاب الله وسنة رسوله». وهذا هو ما يراه المعتزلة «لأنه يجب دخول الناس في طاعة الإمام عليه، ثم تقع المحاكمة إليه، فإن حكم بالحق استديمت امامته، وإن حكم بالجور انقض امره وتعيين خلuge»^(١).

ولكن يجدر التساؤل إذا كان القصاص من قتلة الخليفة موقوفاً على ما ذكره عليه أمّا كان يجب عليه من باب النهي عن المنكر الذي هو واجب على العامة فكيف على الإمام؟

ترى المعتزلة أن النهي عن المنكر يجب قبل وقوعه حتى لا يقع، فإذا وقع، فلا معنى للنهي بعد، وكان عليه قد نهى أهل الامصار عن قتل الخليفة قبل قتله مراراً، ونابذهم بيده ولسانه، وبأولاده دون فائدة، حتى تفاقم الأمر إلى قتل الخليفة، ولا يجب بعد القتل الا القصاص، فإذا ما امتنع أولياء الدم من طاعة الإمام عليه، لم يجب عليه أن يقتضي من القاتلين، فالقصاص

(١) وهو من أهالي مصر خرج سنة ٣٥ هـ إلى المدينة، وقام سودان بقتل الخليفة عثمان بمساعدة قتيبة، فقام غلام لل الخليفة قتل سودان، فثار قتيبة وقتل الغلام فقام غلام آخر لل الخليفة وقتل قتيبة. أنظر الطبرى: ٣٤٨ / ٤، ٣٩١.

(٢) الشرح ٤/١٦-١٧، ١٤/٣٧-٣٨. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ١٨٩.

معركة الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٨ م

لم تلاق السياسة التي اتبعها الإمام قبولاً لدى طلحة والزبير، فخرجا من المدينة بعد بيعة الإمام علي عليه السلام إلى مكة بعد أن سمعا بال موقف السلبي للسيدة عائشة من الإمام علي عليه السلام، ومن هناك تحركا صوب البصرة، حيث تمت لهم السيطرة التامة عليها، فاضطرب الإمام علي عليه السلام للخروج إلى البصرة داعياً أهل الكوفة للخروج معه، وبعد وصوله للبصرة دخل في مفاوضات مع طلحة والزبير لم تسفر الا عن حالة الحرب، التي انتهت بمقتل طلحة في ساحة المعركة، فيما خرج الزبير من المعركة فاغتاله-ابن جرموز-في وادي السباع^(١)، وبعد ذلك القى أهل البصرة السلاح، وتمت إعادة السيدة عائشة إلى المدينة^(٢).

(١) وادي السبع: بين البصرة ومكة وعلى بعد خمسة أميال عن البصرة، قيل سمي باسماء اخوة يحملون اسماء السبع الحموي: معجم البلدان ٥/٣٤٣-٤. الحميري: الروض المعطار ص ٦٠٣-٤.

(٢) أنظر تفاصيل ذلك متداولة في الشرح: ٩/١، ٢٠١، ٦٦-٢٤٣، ٦-٢٣٠، ٧-٢٢٥، ٢٠١، ٣٩/٩، ٤٦-٣٥/٧، ٢٢٩-١٢٨، ١١-٦/٤، ٨-١٨٧، ١٧٠-١٦٦، ٣١١-١٠٩، ١٢١، ٢٠-١٠/١١، ٨-٩، ٢٤٧-٤/٢٧، ١٠-٣١٠، ٤-٢٩٣، ٢٠٠-١٩٠، ١٦٢، ١١٥. وانظر الطبرى: تاريخ ٤/٤٤٤-٤٤٦/٦، ١٤٥-٢٥٤/١٧، ٢٥-٨/٦، ١٤

هذا الحدث التاريخي المهم في تاريخ المسلمين، الذي كان فاتحة للحروب الاهلية في الإسلام، يا ترى ما هي رؤية المعتزلة له؟ ولنناقش هذه الرؤية في المباحث الآتية:

بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام.

مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة.

موقف الإمام علي إزاء أصحاب الجمل قبل وبعد المعركة.

رؤيه الاعتزال لاصحاب الجمل.

أولاً: بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام.

تناقضت الروايات بشأن بيعة طلحة والزبير للإمام علي عليه السلام، هل كانت طوعاً أم كرهاً؟ فقد «اختلف الناس في بيعة امير المؤمنين عليه السلام، فالذى عليه أكثر الناس وجمهور ارباب السير أن طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين، ثم تغيرت عزائمها.... قال الزبیريون منهم عبد الله بن مصعب، والزبیر بن بکار، وشیعیهم، ومن وافق قولهم من بنی تمیم بن مرة، ارباب العصبية لطلحة: انہما بایعا مکرهین؛ وان الزبیر كان يقول: بایعت واللنج على قفی، واللنج سیف الاشت»^(١).

فيما صورت روايات أبي هلال العسكري^(٢) وأبي مخنف دور عمار والأنصار في انجاح بيعة الإمام علي عليه السلام^(٣)، والظاهر أن هذا النجاح حمل طلحة والزبير

(١) الشرح ٤/٧.

(٢) الشرح ٤/٨-٧. وانظر أبو هلال: الاولى ص ١٦٢.

(٣) الشرح ٤/١١-٧. وانظر الطبرى ٤/٤٢٧-٤٣٠.

على البيعة. ولذا كان الزبير يقول: -بأيّت بيدي لا بقلبي - «وكان يدعى تارة أنه أكره، ويدعى أخرى أنه ورى في البيعة، ونوى دخيلة وأتى بمعاريض لا تحمل على ظاهرها»^(١).

وقد رد الإمام علي عليه السلام على ادعاءات الزبير قائلاً: «يزعم انه بايع بيده، ولم يبايع بقلبه، فقد اقر بالبيعة، وادعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يعرف، وإنما فليدخل فيما خرج منه». فالزبير هنا اقر بالبيعة، وادعى امراً آخر لم يقم عليه دليل، فاما ان يقيم دليلاً على فساد البيعة الظاهرة وإنما فليعود للطاعة»^(٢).

والظاهر أن الإمام كان مدركاً لنوايا الزبير لذا قال له وقت البيعة: «إنّي لخائف أن تغدر بي، وتنكث بيتي، قال: لا تخافن ؟ فإن ذلك لا يكون مني أبداً، فقال عليه السلام فلي الله عليك بذلك راع وكفيل، قال نعم: الله لك على راع وكفيل. إذا كان هكذا فلماذا أذن الإمام عليه طلحة والزبير بالخروج من المدينة إلى مكة لما استئذناه لاداء العمرة؟

في الواقع ان الرواية اختلفوا في خروج طلحة والزبير من المدينة: هل كان بإذن الإمام علي عليه أم لا؟ فإن كان الجواب بغير إذنه، فالسؤال أعلاه لامعنى له، وإذا كانا خرجاً بإذنه، فالمعروف أنه عليه قال لهم: والله ما تريدان العمرة، وإنما تريدان الغدرة، وخوفهما بالله من التسرع إلى الفتنة، وما كان يجوز للإمام عليه لا في الشرع ولا في السياسة أن يحبسهما، ففي الشرع كان محظوراً عليه معاقبة شخص بما لم يفعل بعد وربما لا يقع هذا الفعل. وأماماً في السياسة فلا والله عليه لو اظهر التهمة لهما

(١) الشرح / ٢٣٠

(٢) الشرح / ٢٣٠. وانظر رد الحسن بن علي على عبد الله بن الزبير. القاضي: المغني ٢٠ / ٢ . ٨٠

وهما من المهاجرين السابقين، لكان في ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى، ويؤدي إلى الطعن فيه، كأن يقال: انه ليس على ثقة من إمامته فلذلك يتهم الرؤساء وأيامن الفضلاء، ولا سيما طلحه أول من بايعه والزبير لم يزل معروفاً بنصرته، فلو حبسهما واظهر الشك فيها لم يسكن أحد إلى جهته، ولتفرق الناس عنه^(١).

اذن لماذا لم يستصلاحهما ويوليهما، ويرتبطهما بالاجابة لاغراضهما؟

قال ابن أبي الحديد في جواب هذا التساؤل: «فحوى هذا انكم تطلبون من أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون في الإمامة مغلوباً على رأيه، مقتاتاً عليه في تدبيره، فيقر معاوية على ولاية الشام غصباً، ويولي طلحه والزبير مصر والعراق كرهاً؛ وهذا شيء ما دخل تحته أحد من قبله؛ ولا رضوا أن يكون لهم من الإمامة الاسم، ومن الخلافة اللفظ، ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجبر إلى ذلك. فكيف تسمون علياً عليه السلام أن يفتح أمره بهذه الدنية ويرضى بالدخول تحت هذه الخطة! وهذا ظاهر»^(٢).

ثانياً: مدى اهلية طلحة والزبير للخلافة؟

إن المعتزلة يرون عدالة أكثر الصحابة و منهم طلحة والزبير - كما سيتضح فيما بعد - ولكن الإمام علي عليه السلام في اشارته لطلحة والزبير أكد عدم اهلية هم للخلافة إذ يقول: «لقد اتعلعوا اعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله، فوقصوا دونه»^(٣). فكيف يا ترى يتم التوفيق بين كلام الإمام علي عليه السلام هذا وبين رؤية الاعتزال المخالفة لكتابه، خاصة إذا علمنا أن ابن أبي الحديد يعد ان كل ما جاء في نهج البلاغة

(١) الشرح ٢٤٨-٢٤٧/١٠.

(٢) الشرح ٢٤٨/١٠.

(٣) الشرح ١٢٣/١١ . وانظر ابن الاثير: النهاية ١/١٩٤.

هو من كلام الإمام علي عليه السلام.

هنا يشير ابن أبي الحميد لرؤيه الاعتزال إلى اهلية طلحه والزبير للخلافة في حالة عدم طلب الإمام علي عليه السلام للخلافة، اما إذا طلبها فلم يكونا لا هما ولا غيرهما اهلاً لها، ولو لا طاعته عليه السلام، من تقدمه بالخلافة، ورضاه بهم، لم يحکم معتزلة بغداد بصحبة خلافتهم^(١). كما مر بنا.

ثالثاً: موقف الإمام علي عليه السلام من أصحاب الجمل قبل المعركة وبعدها:

عدّ الإمام علي عليه السلام خروج طلحه والزبير نكثاً للبيعة، لكنه آثر الامساك عن حربهم أولاً، «وسأمسك الأمر ما استمسك، وإذا لم أجده بدأ فآخر الدواء الكي». أي امسك نفسي عن محاربة هؤلاء ما امكنتني، وادفع الأيام بمراسلتهم، وتخويفهم وإنذارهم، واجتهد في ردهم إلى الطاعة ترغيباً وترهيباً، فإذا لم أجده بدأ من الحرب، فآخر الدواء الكي، أي الحرب، فهي الغاية التي إليها يتنهى أمر الخارجين^(٢).

لكنه عليه السلام وجد أن الواجب الشرعي يحتم عليه استخدام القوة لارجاعهم إلى الطريق الصحيح «فما وجدتني يعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت معالجة القتال أهون من معالجة العقاب، ومotasat الدنيا أهون على من مواتات الآخرة»^(٣).

(١) الشرح ١٢٦/١١. إن دعوى طاعة الإمام لمن تقدمه هي محض افتراء وتکفي الخطبة الشقشيقية التي أكد ابن أبي الحميد صحتها على ان موقف الإمام يفسر لعدم وجود الناصر.

(٢) الشرح ٢٩١/٩، ٢٩٤.

(٣) الشرح ٦/٤. ورد معنى النص عند الحاكم: المستدرك ١٢٥-١٢٤/٣، القاضي: المغني .٧٥/٢/٢٠

ولكن كيف يكون تارك الواجب جاحداً لما جاء به النبي عليه السلام؟

ترى المعتزلة أنه في حكم الجاحد لأنه مخالف وعاص، لاسيما معتزلة بغداد التي ترى أن تارك الواجب مخلد في النار حتى ولو لم يجحد النبوة، وترى المعتزلة أن جهاد الخارجين عن طاعة الإمام واجب على الإمام في حالة إذا وجد انصاراً. فإذا أخلّ بذلك يكون قد أخلّ بواجب، فيستحق العقاب^(١).

والملاحظ أنَّ الإمام علي عليه السلام لا يستند في قتاله على شرعية حكمه بل على أحاديث تنسب للنبي عليه السلام^(٢) وهذا من دلائل نبوته عليه السلام لأنَّه أخبار صريح بالغيب، لا يحتمل التمويه والتديليس، كما تحمله الأخبار المجملة^(٣).

إن ما حدث من خروج طلحة والزبير أمر غير مألف مسبقاً عند المسلمين لذلك كان من الصعب اتخاذ موقف بصلفهم، وهنا كان موقف الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ فَقَاتِ عَيْنَ الْفَتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرَى عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِيْ بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبَهَا، وَاشْتَدَ كَلْبَهَا»^(٤).

إن الناس قبل معركة الجمل كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم؟ هل يتبعون مولיהם أم لا؟ وهل يجهرون على جريحهم أم

(١) الشرح ٦/٤.

(٢) أنظر: البيهقي: المحسن والمساوئ ص ٤٥. الحاكم: المستدرك ١٥٠/٣. القاضي: المغني ٢٠/٢٢/٧٤. الخطيب: تاريخ بغداد ٨/٣٤٠-١٣١٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١١٧. الشهريستاني: الملل ١/١٥٨. الخوارزمي: المناقب ص ١١٠. الجويني: فرائد السبطين ١/١٥٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٦١.

(٣) الشرح ١/٢٠٠-٢٠١.

(٤) الشرح ٧/٤٤. وانظر: أبي هلال: الغارات: ص ٥.

لا؟ وكيف يتعاملون مع غنائمهم؟ وكانوا يستعظامون قتال من يؤذن بآذان المسلمين، ويصلّي بصلاتهم، وكذلك استعظاموا حرب أم المؤمنين وطلحة والزبير، ل מקانهم في الإسلام، وتوقف جماعتهم عن الدخول في هذه الحرب، كالاحتفظ بن قيس وغيره.

فلو لا أن الإمام علي عليه السلام اجترأ على سل السيف ما أقدم أحد على الحرب^(١). حيث قال عليه السلام: «قد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر والعلم بموضع الحق، فامضوا لما تؤمرن به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى تتبينوا، فإن لنا مع كل أمر تنكر منه غيرًا». فهنا الإمام علي عليه السلام يشير لهيبة الناس من قتال أهل القبلة، حتى أن الشافعي يقول: «لولا عليّ لما عُرِفَ شيء من أحكام البغي»، وأكّد الإمام علي عليه السلام أن مثل هذا الحال لا يعرف موضع العمل به إلّا من خصه الله بال بصيرة والعلم^(٢)، ولذا قال عليه السلام: «لو لم أكُن فيكم لما قوتل أهل الجمل واهل النهروان». وذلك لأن الشبهة كانت في أهل الجمل ظاهرة الالتباس فالزبير وطلحة موعدان بالجنة، وام المؤمنين زوجة رسول الله في الدنيا والآخرة، وحال طلحة والزبير في السابق والجهاد معروفة، وكان أهل النهروان في حالة من العبادة والزهد، وهم قراء العراق، في حين كان معاوية مشهوراً بقلة الدين وكذلك من ناصره وهو عمرو بن العاص، ومن تابعهم من أهل الشام وأعرابهم فاؤلئك كان حا لهم معروفاً في

(١) الشرح ٧/٤٤-٤٦. وانظر كتاب سليم ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) الشرح ٩/٣٣٠-٣٣١. ولذلك لما اعترض أحد الاشخاص على الإمام، قال عليه السلام: انه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحق تعرف أهله، الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٢١.

القاضي عبد الجبار: المختصر في اصول الدين ص ١٧١.

الانحراف فلا يستحرمون قتالهم^(١).

أما عن موقف الإمام بعد المعركة، فالمعروف أن الزبير خرج منها إثر احتجاج الإمام عليه، فاتبعه ابن جرموز - فاغتاله وجاء برأس وسيف الزبير للإمام عليه، وادرك الإمام أن ابن جرموز لم يقتل الزبير مبارزة وإنما غدراً حيث قال له: «والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لئيناً». ولكن الحين ومصارع السوء»، ثم أخذ سيف الزبير وقال: «سيف طالما جلّ به الكرب عن وجه رسول الله عليه» فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين! فقال عليه: أماني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: بشر قاتل ابن صفية بالنار» فخرج ابن جرموز خائباً، وقتل في النهر وان مارقاً^(٢).

اما طلحة فقد قتل في ساحة المعركة، واتهم مروان بن الحكم بقتله، بل كان مروان يصرح بذلك، حيث لما ضعف اصحاب الجمل قال مروان: «لا اطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم! فانتحى له بسهم فاصاب ساقه»^(٣).

وعن موقف الإمام علي عليه السلام منه، فترى المعتزلة انه عليه لما مر بساحة المعركة ومر على طلحة قال: اجلسوه، ثم قال: «أعزز علي يا أبا محمد أن اراك معفراً تحت نجوم السماء، وفي بطن هذا الوادي! ابعد جهادك في الله، وذبك عن رسول الله عليه!» فجاء إليه انسان فقال: أشهد يا أمير المؤمنين، لقد مررت عليه بعد أن اصابه السهم وهو صريح، فصاح بي، فقال: من اصحاب من أنت؟ فقلت: من

(١) الشرح ٧/٥٨.

(٢) الشرح ١/٢٣٣-٢٣٦. وانظر ابن حبيب: اسماء المغتاليين ٦/١٥٩. الطبراني: المعجم الكبير ١/٤١٤.

(٣) الشرح ٩/١١٣.

اصحاب امير المؤمنين عليهما السلام، فقال: امدد يدك لا يابع امير المؤمنين عليهما السلام فمددت إليه يدي فباعني لك. فقال علي عليهما السلام: ابى الله ان يدخل طلحة الجنة الا وبيعتي في عقنه»^(١).

إننا لا نستبعد موقف الإمام من طلحة، فتأسيه وتألمه لهذه العاقبة مسألة طبيعية! كيف وهو زميله في درب الجهاد منذ أن كان الإسلام لا زال بذرة في مكة، مروراً بتلك الأيام الصعب حتى أصبح الإسلام يرفرف على اتجاه الجزيرة وحولها. إن ذلك قطعاً سيثير الشجون لدى الإمام علي عليهما السلام، وهو الذي تألم لأشقي الآخرين -ابن ملجم- كيف لا يتألم لأحد الصحابة. ولكننا نتحفظ على المشهد التمثيلي الذي فبركه الراوي إذ أن آثار الوضع غير خافية؟!!

اما بالنسبة إلى أم المؤمنين فقد اوكل أمير المؤمنين عليهما السلام امرها لأخيها محمد بن أبي بكر، ثم اعادها إلى المدينة بصحبة اربعين من نساءبني عبد القيس^(٢).

اما عن باقي الناس فقد «اتفقت الرواية على أنه -عليهما السلام- قبض ما وجد في عسكر الحمل من سلاح ودبابة، ومملوک ومتاع وعرض فقسمه بين أصحابه، وإنهم قالوا له: اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً، فقال: لا، فقالوا: فكيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم! فقال: كيف يحل لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام، اما ما اجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، واما ما وارت الدور واغلقتم عليه ابواب فهو لاهلهم، ولا نصيب لكم في شيء

(١) الشرح ١ / ٢٤٨-٢٤٩ . وانظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤ / ٣٢١ . الحاكم: المستدرك ٣ / ٤٢١ .

(٢) الشرح ٦ / ٢٢٩ . وانظر اليعقوبي: تاريخ ٢ / ١٧٠ .

منه، فلما اكثروا عليه قال: فاقرعوا على عائشة لادفعها إلى من تصيبه القرعة!
قالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين: ثم انصرفوا»^(١).

رابعاً: رؤية المعتزلة لخاتمة أصحاب الجمل:

تحكم المعتزلة لكل فاسق مات على فسقه بالنار، ويعدون الباغي على الإمام الحق، والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق^(٢) ومن خلال حديث للنبي عليه السلام يرويه الصحابي حذيفة بن اليمان ذكر فيه خروج أم المؤمنين فقال عليه السلام: «تقاتل معها مضرها الله في النار، واخذ عهان سلت الله اقدامها، وإن قيساً لن تنفك تبغي دين الله شرّاً، حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمنعوا ذنب تلعة»^(٣). أشار المعتزلة ان هذا الحديث يؤكّد مذهب المعتزلة في فسق أصحاب الجمل، إلّا من ثبتت توبته وهم الرؤساء فقط - طلحه والزبير وعائشة^(٤) - وهذه التوبة كانت بعد المعركة وان الإمام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل^(٥).

وفي معرض نقاده لطعن معاوية على الإمام علي عليه السلام في حرثه طلحه والزبير وعائشة، قال ابن أبي الحديد: «واصحابنا يذهبون إلى أنّها تابا، وفارقا الدنيا نادمين على ما صنعوا، وكذلك نقول نحن؛ فإن الاخبار كثرت بذلك، فهما من أهل الجنة لتوبتهما، ولو لا توبتهما لكانا هالكين كما هلك غيرهم، فإن الله تعالى لا يحابي

(١) الشرح /١ ٢٥٠.

(٢) الشرح ٩/١.

(٣) ابن قتيبة: غريب الحديث /٢ ٢٥٠.

(٤) الشرح ١١/١٢١-٢. فيما يرى الاشاعرة أنّهم اجهدوا، والمجتهد إذا اخطأ له اجر واحد.
الشرح ٢٤/١٤.

(٥) الشرح ٢٠/٣٤. القاضي عبد الجبار: المغني: ٢٠/٢-٨٤-٨٩.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٣٨٣
أحداً في الطاعة والتقوى:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَهُ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَهُ﴾^(١).

واما الوعد لهم بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة، والكلام في سلامتها، وإذا ثبتت توبتها فقد صح الوعد لها وتحقق؛ وقوله «بشر قاتل ابن صفيه بالنار» فقد اختلف فيه، فقال قوم من ارباب السير وعلماء الحديث، هو كلام امير المؤمنين عليه السلام غير مرتفع، وقوم منهم جعلوه مرتفعاً، وعلى كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله مولياً خارجاً من الصف، مفارقًا للحرب، فقد قتله على توبة وإنبابة ورجوع من الباطل، وقاتل من هذه حالة مستحق للنار»^(٢).
وفي دعائه عليه السلام على طلحة والزبير «وارهما المساعة فيما املا وعملا» عذر ابن أبي الحديد هذه المساعة مساعة الدنيا لا الآخرة، لأن الله وعدهما على لسان رسوله عليه السلام بالجنة التي استوجبها بالتوبة^(٣).

وبالنسبة إلى أم المؤمنين فإنها عند المعتزلة قد ندمت سبباً بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، حيث يرى المعتزلة أنها اعترفت يوم الجمل بالخطأ لامير المؤمنين، وسألته العفو، وإن الاخبار تواترت باظهارها الندم، وإنها كانت تقول: ليته كان لي من رسول الله عليه السلام بنون عشرة، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٤)-وثكلتهم، ولم يكن يوم الجمل! وإنها كانت تقول: ليتنى مت قبل

(١) سورة الانفال (٤٢).

(٢) الشرح ٢٥٤/١٧.

(٣) الشرح ٣٩-٣٨/٩.

(٤) هو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أسلم ابوه يوم فتح مكة، وكان صغيراً لما توفي الرسول عليه السلام وأمه فاطمة بنت الوليد اخت خالد، ولما توفي ابوه تزوج عمر بن الخطاب امه فنشأ في

يوم الجمل، وإنها كانت إذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها^(١).

إن الأخبار الواردة في توبتها أكثر من الواردة في توبة طلحة والزبير، لأنها عاشت بعدهما زماناً، فالذى جرى كان خطأ منها، وليس على أمير المؤمنين ذنب، على أنه أكرمها وصانها وعظم من شأنها^(٢).

ولكن كلام الإمام «ولها بعد حرمتها الأولى، والحساب على الله» يدل على توقفه في أمرها، فكيف الجمع بين كلامه عليه السلام، ومذهب الاعتزال؟

هنا يرى ابن أبي الحديد أنه يجوز أن كلامه هذا كان قبل توادر الخبر بتوبتها^(٣)، فإن المعتزلة يرون أنها تابت بعد مقتله عليه السلام، وندمت، وقالت: لوددت أن لي عشرة بنون من الرسول عليه السلام، وكلهم ماتوا، ولم يكن يوم الجمل، وأنها كانت بعد مقتله تشني عليه، وتنشر مناقبه، مع أن المعتزلة أيضاً روت أنها بعد الجمل كانت تبكي حتى تبل خمارها، وتستغفر الله. ولكن لم يبلغ لأمير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها بعد الجمل بشكل يقطع العذر ويثبت الحجة، والذي شاع من ندمها وتوبتها بعد مقتله عليه السلام إلى أن ماتت وهي على ذلك، والتائب عند

= حجر عمر، ثم تزوج مريم بنت عثمان بن عفان، وكان أحد الاربعة الذين عهد إليهم عثمان بنسخ المصاحف، خرج مع طلحة والزبير في الجمل، توفي سنة ٤٣ هـ. أنظر مصعب الزبيري نسب قريش ص ٣٠٣. الطبرى /٤، ١١٢، ٤٧١، ٥٠٧، ٥١٣ /٥، ٦٧، ٢٧٨، ٥٢٨. الحاكم: المستدرك ٣٠٨، ٣١٣. ابن عبد البر: الاستيعاب /٢، ٤٢٦. ابن حجر: الأصابة /٢، ٣٩٤.

(١) الشرح /١٤، ٢٤. البيهقي: المحسن ٢٩٧-٨. الحاكم: المستدرك /٣، ١٢٨-٩. القاضي: المغني . ٢٠/٢، ٨٩-٩١. سبط ابن الجوزي: تذكرة: ص ٨١.

(٢) الشرح /١٧، ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) ولكن ابن أبي الحديد قد أشار إلى أنها اعترفت للإمام عليه السلام وسألته العفو. !!.

المعتزلة مغفور له، وقبول التوبة واجب عند المعتزلة من باب العدل الالهي، والمعروف أنه ثبت أنها زوجة الرسول عليهما السلام في الدنيا والآخرة، إذن فيجب عند المعتزلة تكليف إثبات التوبة لها إذا لم يكن هناك ما يدل عليها، كيف وقد أكدت الروايات والأدلة على توبتها^(١).

وايضاً استفاد ابن أبي الحميد في إثبات توبتها من قوله عليهما السلام: «إيتكن صاحبة الجمل الأدب، تبحها كلاب الحواب، يقتل عن يمينها وشمها قتلى كثيرة، كلهم في النار، وتنجو بعدهما كادت»^(٢).

حيث يحمل المعتزلة قوله عليهما السلام: «وتنجو» على نجاتها من النار، لأن لفظة «في النار» اقرب من لفظة «القتل»، والقرب معتبر في هذا الباب، وإن نحاة البصريين اعملوا اقرب العاملين، نظراً إلى القرب^(٣). ويخلص ابن أبي الحميد في أمر أم المؤمنين ان المعتزلة ترى في إنها اخطأت فيما فعلت، ثم تابت وماتت تائبة وأنها من أهل الجنة^(٤).

اما توبة الزبير فإنه رجع عن الحرب معترفاً بالخطأ لما ذكره علي عليهما السلام بما مضى من حديث الرسول عليهما السلام. في حين إن طلحة مر به وهو صريح -فارس، فقال له: قف، فوقف قال: من أي الفريقين أنت؟ قال: من اصحاب أمير المؤمنين، قال

(١) الشرح ١٨٩/٩ . ٢٠٠

(٢) الشرح ٣١١/٩ . اخرجه الطبرى: تاريخ ٤/٤٥٧ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٧٤٥ . المىشى:

مجمع الزوائد ٧/٢٣٤ ، ٨/٢٨٩ .

(٣) الشرح ٣١١/٩ .

(٤) الشرح ٦/٢١٤ .

اقعدي، فاقعده، فقال: امدد يدك ابأيتك لامير المؤمنين، فبأيتك^(١).

هذه الروايات وإن كانت احاداً، فإن التوبية يحکم بها للمكلف على غالب
الظن في جميع المواقف، وليس على القطع^(٢).

إن الذي يلاحظ على ابن أبي الحميد:

١ حكمه بتوبية الزعماء الثلاثة فقط مع أن العامة كانوا اتباعاً وقد اعتقادوا
بصحة دعواهم في حرب الامام فمن باب أولى ان يحکم للاتباع.

٢ كان متناقضاً في كلامه فتارة يرى بأن توبتهم كانت متواتره وتارة يرى
بأنها أخبار آحاد؟!!

(١) الشرح ١٤/٢٤

(٢) الشرح ١٧/٢٥. وأوضح البغدادي رؤية الاشاعرة بقوله «وقالوا [[الاشاعرة]] بتصويب علي في
حربيه بالبصرة وبصفين وبالنهر وان، وقالوا: بأن طلحه والزبير تبا ورجعا عن قتال علي لكن
الزبير قتلته عمرو بن جرموز بوادي السبع بعد منصره من الحرب. وطلحه لما هم بالانصراف
رماه مروان بن الحكم وكان مع اصحاب الجمل بسهم فقتله، وقالوا: أن عائشة... قصدت
الاصلاح بين الفريقين فغلبها بنو ضبة والازد على رأيها وقاتلوا علياً دون إذنها حيث كان من
الأمر ما كان». الفرق بين الفرق ص ٢١١-٢١٢.

معركة صفين ٥٣٧

بعد انتهاء الإمام من معركة الجمل في البصرة توجه نحو الكوفة بدلاً من المدينة لأن الواقع يفرض عليه اعتماد قوة الامصار، ازاء الاخطار المحدقة بخلافته حيث رفض معاوية بن أبي سفيان والي الشام بيعة الإمام مستغلًا مقتل الخليفة كورقة سياسية، ومستفيداً من الموقف السلبي لطلحة والزبير وام المؤمنين من الإمام علي عليهما السلام فكانت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ، والتي احرز فيها الإمام علي عليهما السلام نصراً عسكرياً، ولكن معاوية وباشارة من عمرو بن العاص تمكنا من ايقاف الحرب بخدعه المصاحف، والدعوة إلى الاحتكام إلى كتاب الله تعالى، وكان ذلك سبباً في انشقاق اتباع الإمام بين داع للاستمرار بالحرب، وبين من انهكه القتال ورأى في رفع المصاحب عذراً له، وازاء ذلك اضطر الإمام للقبول بالتحكيم، حيث مثل أبو موسى الاشعري أهل العراق تلبية لطلب الداعين لوقف القتال، وإن كان الإمام علي عليهما السلام غير راضٍ عنه. أما أهل الشام فرشحوا عمرو بن العاص، وانتهى الأمر بفشل التحكيم^(١).

(١) أنظر تحليل ابن أبي الحميد في الشرح ٩/١، ١٦٦-١٨٨، ٢٠٦-٢٦٠، ٢٧٠-١١٨، ٢٠٦/٣، ٢٦٠/٣، ٣٢-١٣، ١٧٥-١٢٩، ٥/٥، ٣٠٢-٣١٢، ٢٠٢-٢١٥، ٣٣٨.

وستناقش تحليل ابن أبي الحديد لأحداث صفين في المحاور الآتية:

أولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة.

ثانياً: الاسس التي اعتمدتها معاوية في حربه للإمام.

١. نسبة.

٢. ولايته للشام.

٣. مقتل الخليفة.

٤. الطعن في سيرة الإمام.

٥. موقف الإمام من عائشة وطلحة والزبير.

ثالثاً: معركة صفين

١. موقف الإمام من معاوية وأهل الشام.

٢. أحداث المعركة.

٣. التحكيم.

رابعاً: رؤية الاعتزاز لأهل صفين.

أولاً: دعوة الإمام معاوية للدخول في البيعة:

بعد انتهاء معركة الجمل، ومسير الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة كتب لعماليه بخبر أهل الجمل، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي والنبي همدان، الذي بايع للإمام ثم جاء إلى الكوفة فارسله الإمام رسولًا إلى معاوية، بكتاب جاء فيه «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن

للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه أماماً كان ذلك الله رضاً، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة، ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولي»^(١).

ولما قرأ معاوية الكتاب اغتم بما فيه، وذهبت به افكاره كل مذهب وطاول جرير الجواب حتى كلام أنساً من أهل الشام في مسألة الطلب بدم عثمان، فاجابوه، ووثقوا له، واحب الزiyادة في الاستظهار، فاستشار اخاه عتبة بن أبي سفيان فاشعار عليه بالاستعانتة عمرو بن العاص، «فانه من قد علمت من دهائه ورأيه، وقد اعتزل عثمان في حياته، وهو لامرك أشد اعتزالاً، إلا أن تثمن له دينه، فيتبعك فإنه صاحب دنيا»^(٢).

كان عمرو بن العاص والياً على مصر لل الخليفة عمر ثم لعثمان، وبعد ذلك عزله فاتخذ منه موقفاً سلبياً، وتشير بعض الروايات لمجاهرته ب النقد الخليفة عثمان وإعلانه الصريح بأنه من وراء قتله^(٣). ولما جاءه كتاب معاوية استجاب لدعوته بعد طول تفكير ومناقشة مع ولديه وغلامه^(٤)، مع أن هناك إشارة تفيد أن عمرو بن العاص كان المحرض الأول لمعاوية على الإمام بعد مقتل عثمان قائلاً له: «ما كنت صانعاً

(١) الشرح ٣/١٤. ١١٨-٧٠. ٣٥/١٤. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٥١-٦١. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٧١.

(٢) الشرح ٢/٦١. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧-٣٣.

(٣) الشرح ٢/١٣٥، ٧-١٤٣، ٤-٧. وانظر الطبرى: تاريخ ٤/٣٣٤، ٣٥٦، ٧-٣.

(٤) الشرح ٢/٦١، ٦٤-٦١، المنقري: وقعة صفين ص ٣٤-٣٦. اليعقوبى: تاريخ ٢/١٧٢، ٣-٣.

فاصنعن، إذ قشر ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقرئ عن العصا لحالها»^(١).

وبعد وصوله لمعاوية تداول معه الرأي بخصوص الموقف من الإمام علي عليه السلام، فقال عمرو: «والله يا معاوية: ما أنت وعلى بحملي بغير، ليس لك هجرته، ولا سابقته، ولا صحبته، ولا جهاده، ولا فقهه، ولا علمه، ووالله إن له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره، ولكنني قد تعودت من الله تعالى أحساناً وبلاءاً جميلاً؛ فما تجعل لي إن أنا شاعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، فقال مصر طعمة، فتكلماً عليه معاوية، ثم قال: يا أبا عبد الله! أني أكره لك أن تتحدث العرب عنك إنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: لا لعمرو والله ما مثلي يخدع لأننا أكياس من ذلك، قال معاوية: أدنُ مني اسarak، فدنا منه عمرو ليساره، فغضّ معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة! هل ترى في البيت أحداً؟ ليس غيري وغيرك»^(٢).

واوضح الجاحظ السر في مطالبة عمرو بن العاص بمصر، لأنّه هو الذي افتتحها في خلافة عمر، فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره، وما قد عرفه من اموالها وسعة الدنيا، لا يستعصم أن يجعلها ثمناً لدينه^(٣).

وبعد مداولات وتدخل عتبة بن أبي سفيان وافق معاوية على اعطاء مصر طعمه لعمرو بن العاص وكتب بذلك كتاباً جاء فيه: «على ألا ينقض شرط طاعة» فكتب عمرو: «على الا تنقض طاعه شرطاً». فكايد كل واحد منها صاحبه، وتفسيره ان معاوية قال للكاتب: اكتب «على الا ينقض شرط طاعه».

(١) الشرح / ١ / ٢٧٠

(٢) الشرح / ٢ / ٦٥. وانظر المنقري: وقعة صفين ص ٣٧-٣٨.

(٣) الشرح / ٢ / ٦٦

يريدأخذ إقرار عمرو له أن قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء. وهذه مكايضة له؛ لأنه لو كتب ذلك لكان معاوية أن يرجع في اعطائه مصر، ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته، ويحتاج عليه برجوعه عن اعطائه مصر، لأن مقتضى المشارطة المذكورة، أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواء كانت مصر مسلمة إليه أم لا، ولكن عمرو انتبه للمكايضة فقال للكاتب: بل اكتب: «على الا تنقض طاعه شرعاً» يريدأخذ اقرار معاوية له بأنه إذا كان اطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه، وهذا أيضاً مكايضة من عمرو معاوية، ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر^(١).

ثم بدء العمل حيث استشار معاوية عمراً في امور ثلاثة:

الأول: خروج محمد بن أبي حذيفة^(٢).

الثاني: تحرك قيس الروم^(٣).

(١) الشرح /٢-٦٨. المنقري: وقعة صفين ص ٤٠-٤١.

(٢) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان من اتخذ موقفاً من الخليفة عثمان، ثم سيطر على مصر في اواخر أيام الخليفة عثمان، وقد تم قتله على يد معاوية- الطبرى: عثمان، ثم سيطر على مصر في اواخر أيام الخليفة عثمان، وقد تم قتله على يد معاوية- الطبرى: تاريخ /٤-٢٩١، ٣٥٣، ٢-٣٥٧، ٣٩٩، ٤٢١، ٥٤٦-٧. ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ٧٧.

(٣) الطبرى /٤-٤٤١.

(٤) الشرح /٢-٧١. المنقري: وقعة صفين ص ٤٤.

(٥) الشرح /٢-٧١-٧٢. وانظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٣-٤٧.

(٦) الشرح /١٠-٧١.

(٧) الشرح /٣-٨٨. وانظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٧٧. المbrid: الكامل في اللغة والادب .٣٢٥/١

الثالث: الموقف من الإمام علي عليه السلام.

وكان رأي عمرو أن يرسل مالك بن هبيرة الكندي لمحمد بن أبي حذيفة، فانفذه إليه وقتلها، وأما القيسير فأأن يوادعه بالهدايا والاموال في حين قال في حق الإمام: «إنه قد اتاك في طلب البيعة خير أهل العراق، ومن عند خير الناس في أنفس الناس، ودعواك أهل الشام إلى رد هذه البيعة خطراً شديداً، ورأس أهل الشام شرحبيل بن السبط الكندي وهو خصم لحرir رسول علي، «فابعث إليه، ووطن له ثقاتك، فليفسروا في الناس أن علياً عليه السلام قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عند شرحبيل، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً».

وفعلاً أرسل معاوية إلى شرحبيل، وتمكن من اقناعه وفق الخطة التي رسمها عمرو في رمي مسؤولية قتل الخليفة عثمان على الإمام علي عليه السلام ونتيجة لذلك اتحدت الشام في تأييدها لمعاوية، بعد استخدامه سياسة تقرير رؤساء القبائل «ان معاوية.. كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكنى الشام، الأموال الجليلة، يستعبدهم بها، ويدعو أولئك الرؤساء اتباعهم من العرب فيطيعونهم، فمنهم من يطيعهم حمياً، ومنهم من يطيعهم لأياد وعوارف من أولئك الرؤساء عندهم، ومنهم يطيعهم ديناً، زعموا للطلب بدم عثمان، ولم يكن يصل إلى هؤلاء الاتباع من أموال معاوية قليل ولا كثير».

وبعد حصول معاوية على تأييد أهل الشام عاد الجواب معلناً رفضه للبيعة، ومطالباً إياه بدم الخليفة: «أما بعد، فلعمري لو بايتك القوم الذين بايوك

(٨) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/٦٩٩ - ٧٠٠. ابن حجر: الاصابة ٢/١٤٣ - ١٤٤.

وأنت بريء من دم عثمان، كنت كأبي بكر وعمر وعثمان؛ ولكنك أغرت بعثان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فاطاعك الجاهل، وقوى بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ليس حججك على كحجتك على طلحة والزبير لأنهما باياعك، ولم ابأياعك، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، لأن أهل البصرة اطاعوك، ولم يطعك أهل الشام. فاما شرفك في الإسلام، وقرباتك من النبي صلى الله عليه، وموضعك من قريش. فلست ادفعه».

يلاحظ على هذا الكتاب ان معاوية يجعل نقطة الفصل هي مسألة عثمان، فالإمام علي عليه السلام وإن لم يكن القاتل، فهو الذي أغوى المهاجرين وخذل الأنصار، إذن فهو مطالب أولاً بتقديم قتلة عثمان وبعد ذلك تلغى خلافة الإمام ويعاد الأمر شورى، ولكن أين يا ترى تكون الشورى، فهل في المدينة التي اتخذت موقفاً سليماً حيال مقتل الخليفة، أم في العراق، وهذا ما لا يقبل به معاوية، إذن فمعاوية لا يقصد من الشورى الا في الشام، وهو ما يعني توليه الخلافة، ثم أكد ان الإمام ليست لديه حجة على معاوية كما كانت لديه حجة على طلحة والزبير لأنهما باياعاه، ولا له حجة على أهل الشام كما كانت له حجة على أهل البصرة، لأنهم استجابوا للأمره بعزل الوالي القديم وتولية والي جديد، وباياعوا للإمام.

ثانياً: الأسس التي اعتمدتها معاوية في حربه للإمام:

نسبة:

الملاحظ أن معاوية استند في صراعه مع الإمام على نسبة المكافئ لنسب الإمام، إذ يقول له في أحد كتبه: «إانا بنى عبد مناف، لم نزل نزع من قليب

واحد، ونجري في حلبة واحدة، ليس لبعضنا على بعض فضل، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر، كلمتنا مؤتلفة، والفتنا جامعة، ودارنا واحدة، يجمعنا كرم العرق، ويحوننا شرف النجار، ويحنو قوينا على ضعيفنا، ويواسي غيننا فقيرنا، قد خلصت قلوبنا من وغل الحسد، وطهرت انفسنا من خبث النية، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادهان في أمر ابن عمك...»^(١).

والظاهر أن معاوية إراد التغطية على تاريخه في ظل الإسلام، فالتجأ إلى ما قبل الإسلام مؤكداً على مسألة النسب التي هي من ضرورات الجاهلية، مدعياً أنه لا يوجد فضل للإمام علي عليه السلام - لأنهما من أصل واحد، لكن الإمام علي عليه السلام أنكر التساوي في الفضل حيث قال: «كذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كابي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كالصيق، ولا الحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبيس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هو في نار جهنم»^(٢).

كان الترتيب يقتضي أن يجعل الإمام هاشم بـإزارء عبد شمس لأنهما أخوة في قعدد، وكلاهما ولد عبد مناف لصلبه، وأن يكون إزارء عبد المطلب، وأن يكون حرب بـإزارء أبي طالب، وأن يكون أبو سفيان بـإزارء أمير المؤمنين عليه السلام، لأن كل واحد منهم في قعدد صاحبة إلا أن الإمام عليه السلام لما كان في صفين بـإزارء معاوية اضطر لجعل هاشم بـإزارء أمية بن عبد شمس^(٣).

إن ترتيب الإمام هو ما يلائم الواقع فعلاً، فأمية هو الذي نافر هاشماً

(١) الشرح ٢٥١/١٧.

(٢) الشرح ١١٧/١٥.

(٣) الشرح ١١٨/١٥.

واضطر للرحيل إلى الشام بعد أن غلبه هاشم، وحرب نازع عبد المطلب، أما أبو سفيان فموقعه بالنسبة للدعوة الإسلامية بالضبط من موقف أبي طالب، ثم جاءت مواقف معاوية المقابلة لمواقف الإمام علي عليه السلام.

ان الإمام وهو يضع نفسه مقابلاً لمعاوية في تأكيده على مسألة الإيمان له ونفيها عن معاوية، وقد سبق أن قابل بين أجداده وأجداد معاوية، واللاحظ أن المقابلة حول نفس المسألة وهي الإيمان، فمثلما كان الإمام مؤمناً فكذلك أسلافه، ومثلما نفى الإمام الإيمان عن معاوية فكذلك عن أسلافه، لذلك خلص الإمام علي عليه السلام للقول: ((وليس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هو في نار جهنم)).

وأضاف الإمام علي عليه السلام: «وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللت بها العزيز، ونعشتها بها الذليل، ولما ادخل الله العرب في دينه افواجه، واسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم من دخل في الدين». أي إذا فرضنا تساوي الاقدام في مآثر أسلافكم كان في ايدينا بعد الفضل عليكم بالنبوة التي نعشنا بها الخامل، واحملنا بها النية^(١).

إن تفسير ابن أبي الحديد الأخير لا يتفق مع كلام الإمام علي عليه السلام، بل إنه عليه السلام بعد أن ذكر فضائله قبل الإسلام أضاف لذلك مأثرة جديدة وهي النبوة.

ورد الإمام علي عليه السلام على ما جاء في كتاب معاوية في مسألة توحدهما وكونهما من أصل واحد فقال: «أَتَا كُنَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذُكِرَتْ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ؟!، فَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسَ أَنْ آمَنَا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَا أَسْتَقْمِنَا وَفَتَنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمْ

مسلمكم الا كرهاً وبعد أن كان انف الإسلام كله لرسول الله عليه السلام حرباً»^(١). ولكن لماذا لم يقل الإمام علي عليه السلام معاوية: ولا أنا أكانت؟ قال ابن أبي الحميد: قبيح أن يقال ذلك، كما يقال: السيف امضى من العصا، بل قبيح به أن يقولها مع أحد من المسلمين كافة، نعم قد يقولها لا تصرحأ، بل تعريضاً، لأنه يرفع نفسه عن أن يقيسها بأحد»^(٢).

ثم أكد الإمام علي عليه السلام على أن معاوية من الطلقاء، والطلاق هو: كل من دخل عليه الرسول عليه السلام مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام، كصفوان بن أمية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي اعلن إسلامه، وكذلك من اسر في حرب الرسول عليه السلام فمن عليه بفاء أو غير فداء فهو أيضاً طلاق، فممن امتن عليه بفاء كسهيل بن عمرو وبغير فداء مثل أبي عزة الجمحي، ومن امتن عليه معاوضة مقابل اطلاق اسير من المسلمين عمرو بن أبي سفيان آخر معاوية، فهو لا كلام من الطلقاء^(٣).

وفي وصفه عليه السلام معاوية اطلق عليه لفظة اللصيق، فهل في نسب معاوية شبهة؟

يرى ابن أبي الحميد أن الإمام علي عليه السلام هنا لم يقصد النسب، وإنما إراد بالتصريح بالاسلام ويعني نفسه، فهو من أسلم اعتقاداً واحلاضاً، اما اللصيق فهو من

(١) الشرح ١٧ / ٢٥٠ . وقد عقد ابن أبي الحميد فصلاً اوضح فيه فضلبني هاشم علىبني عبد شمس قبل الاسلام وبعده، الشرح ١٥ / ١٩٥ - ٢٩٥ . وانظر الجاحظ: رسالة فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٤٠٧ - ٤٦٠ .

(٢) الشرح ١٥ / ١١٨ .

(٣) الشرح ١٥ / ١١٩ .

أسلم تحت السيف، أو رغبة في دنيا، وقد جاء في أحد كتبه لمعاوية «كتتم من دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة»^(١). وختم الإمام عليه السلام كلامه «ولبئس الخلف خلفاً يتبع سلفاً هو في نار جهنم»، فالإمام عليه السلام يعيّب معاوية على اسلافه، لأنّه اتبع آثارهم، واحتذى حذوهم، فهنا عليه لم يعبه لأن سلفه كفار، بل لأنّه كان متبعاً لهم^(٢).

وأشار الإمام علي عليه السلام -أن معاوية من لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ، والرضيحة شيء قليل يعطاه الإنسان يصانع به عن شيء يطلب منه كالاجر، وذلك لأنّه من المؤلفة قلوبهم، الذين رغبوا في الإسلام والطاعة، بجمال وشاء دفعت إليهم، وهم قوم معروفوون كمعاوية وآخيه يزيد وابيهما أبي سفيان ، وحكيم ابن حزام، وسهيل بن عمرو، والحارث بن المغيرة، حيث «كان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنيوية، ولم يكن عن أصل، ولا عن يقين وعلم»^(٣).

وكان الإمام يؤكد على الموقف السلبي الذي اتخذه معاوية من الإسلام في بدء الدعوة الإسلامية «ومتى كتم يا معاوية ساسة الرعية، وولاة أمر الأمة، بغير قدم سابق، ولا شرف باستقالة». وهذا ينبغي أن يحمل على نفي كونهم سادة في الإسلام، وليس قبله بدليل:

المعروف رياضة عبد شمس على عدد من بطون قريش، وهم قادة يوم بدر، فكان عتبة قائد النمير، أما أبو سفيان فصاحب العير، أما في أحد والختندي

(١) الشرح ١١٩/١٥ . وربما قصد الإمام عليه السلام ما ذكره أبو الفرج في كتابه الأغاني بأنّ أمية كان عبداً لعبد شمس ثم تبنّاه.

(٢) الشرح ١١٩/١٥ .

(٣) الشرح ١٧/٢٢٥-٢٢٦ .

فالزعامة لأبي سفيان.

قوله عليه السلام «ولاة أمر الأمة» يفيد أنه يقصد ذلك في الإسلام، لأن لفظة- الأمة- تعني العرب في ظل الإسلام^(١).

إن الإمام علي عليه السلام ينكر على معاوية أن يكون له الحق في قيادة الأمة لأنه لا يوجد لديه ولا أهل بيته «قدم سابق، ولا شرف باسبق» أي القدر في الإسلام والجهاد في سبيله. ولذا أنكر الإمام علي عليه السلام على معاوية دخوله في المفاصلة بين كبار الصحابة لأنه من الطلقاء: «وما أنت والفضل والمفضول، والسائل والمسوس! وما للطلقاء وابناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم! هيهات، لقد حن قدح ليس منها^(٢)، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! الا تربع ايهما الانسان على ضلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخر حيث اخرك القدر! فما عليك غلبة المغلوب، ولا ظفر الظافر، فانك لذهب في التي، رواغ عن القصد»^(٣).

ثم أكد عليه السلام قتال معاوية واهل بيته للاسلام «فانا أبو الحسن قاتل جدك و أخيك وخالك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معى، وبذلك القلب القى عدوى، ما استبدلت ديناً، ولا استحدثت نبياً وإنى لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين، ودخلتم فيه مكرهين»^(٤).

(١) الشرح ١٥/٨١، ٨١/٧٩.

(٢) يضرب مثلاً لرجل يدخل نفسه في القوم ليس منهم: أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٣٧٠. ابن نباتة: سرح العيون ص ٢٩٦.

(٣) الشرح ١٥/١٨١.

(٤) الشرح ١٥/٧٩.

وكتب له في مناسبة أخرى «فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وإن قائمه لفي يدي، وقد علمت من قلت من صناديدبني عبد شمس، وفراعنةبني سهم، وجمع وبني مخزوم، وايتمت ابناءهم، وايمت نسائهم واذكركما لست له ناسياً، يوم قلت أخاك حنظلة، وجررت برجله إلى القليب، واسرت أخاك عمراً، فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففررت ولد حصاص؛ فلو لا اني لا اتبع فاراً بجعلتك ثالثهما، وأنا أولي لك بالله إليه برة غير فاجرة، لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لاتركنك مثلاً يتمثل به الناس أبداً، ولا جمع عننك في مناخك حتى يحكم الله بيني وبينك»^(١).

وفي محاوره له مع شيخه النقيب سأله ابن أبي الحميد عن معاوية هل شهد بدرأ؟ قال: نعم، شهدتها ثلاثة من اولاد أبي سفيان: حنظلة وعمرو ومعاوية، قتل أحدهم واسر الثاني، وافلت معاوية هارباً على رجليه، فقدم مكة، وقد انتفخت قدماه، وورمت ساقاه. ثم قال الشيخ: اما سمعت نادرة الاعمش ومناظره؟ سأله رجل الاعمش - وكان قد ناظر صاحباً له - هل معاوية من أهل بدر أم لا؟ فقال له: اصلاحك الله، هل شهد معاوية بدرأ؟ فقال: نعم من ذلك الجانب^(٢).

وقد اعتبر الإمام علي عليه السلام معاوية عدواً للنبي عليه السلام: «إنه لا سواء، إمام الهدى، وامام الردى، وولي النبي، وعدو النبي». فالإمام عليه السلام هنا يشير إلى نفسه كامام للهوى، وإلى معاوية كامام للردى، وسمى معاوية اماماً من قوله تعالى:

(١) الشرح ١٥/٨٤. إن اسلوب هذه الرسالة لا يتتناسب مع سجايا الإمام عليه السلام وخلصاته وبلامته، فطاب التحرير واضح عليها بدليل أنها لم ترد في نهج البلاغة.

(٢) الشرح ١٥-٨٦.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(١).

ثم نعته بصفة أخرى الا وهي عداوته للرسول عليه السلام، لقوله عليه السلام: عدوك عدوي، وعدوي عدو الله^(٢).

وخلص الإمام للقول: «وأعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تفرض بهم الشورى»^(٣).

إذن كان قتل الإمام بحد واح وحال معاوية سبباً في خلق كراهيته للامام، فكان «علي اس الدهر مبغضاً لعلي عليه السلام شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه، وقد قتل اخاه حنظلة يوم بدر، وحاله الوليد بن عتبة، وشرك عمه في جده. وقتل منبني عبد شمس نفراً كثيراً من اعيانهم واماثلهم، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان، فنسبها كلها إليه بشبهة امساكه عنه، وانضواء كثير من قتليه عليه السلام، فتأكدت البغضة، وثارت الاحقاد، وتذكرت تلك الترات الاولى، حتى افضى الأمر إلى ما افضى عليه»^(٤).

٢. ولاته للشام:

اعتمد معاوية، ولاته الطويلة للشام-عذراً في صراعه مع الإمام علي عليه السلام. وكان قد تولاها بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان منذ خلافة عمر بن الخطاب

(١) سورة القصص آية ٤١.

(٢) الشرح ١٥/١٧٠-١٧١. والحديث اخرجه الحاكم: المستدرك ١٣٨/٣. الخطيب: تاريخ بغداد ٤١. حب الدين: الرياض ٢/٢٢٠. الذهيبي: تلخيص المستدرك ١٣٨/٣. الفيروزآبادي: فضائل الخمسة ٢/٢٠.

(٣) الشرح ٣٦/١٤

(٤) الشرح ٣٣٨/١

سنة ١٨هـ، واستمر حتى وفاة الخليفة!! ولما جاء عثمان اقره طوال خلافته، ورغم تعرض أكثر الولاية للعزل في عهد الخليفتين، فإنه لم يعزل. ولذا لما جاء الإمام علي عليه السلام كان معاویة قد امضى سبعة عشر عاماً في ولايته للشام وفي هذه الفترة اجهد نفسه بالاهتمام بإقليم الشام، وكسب ود أهله. وأخذ يميل نحو الترف والبذخ رغم نهي الخليفة عمر إياه، لكنه كان يعتذر بأنه في ثغر، ولذا فهو بحاجة للظهور بمظاهر خاص امام الروم^(١). ولما تولى عثمان ازدادت مكانة معاویة، ومع بوادر ظهور الفتنة كانت الشام المكان المناسب لنفي الثائرين، والذين دخلوا في مناقشات مع معاویة، الذي احتاج عليهم قائلاً: «ليس في زمانٍ أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيري أقوى مني لم يكن عند عمر هوادة لي ولا لغيري». ولما وثب عليه هؤلاء اخذذن برأسه ولحيته قال لهم: «مه! إن هذه ليست بارض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا امامهم، ما ملكت أن أنهما عنكم حتى يقتلوكم»^(٢). وفي هذا إشارة لمدى تمكّنه من قلوب أهل الشام.

كان معاویة من اكبر ولاة عثمان ومستشاريه، وهو الذي أشار عليه بالخروج معه إلى الشام أيام الفتنة، وقد اظهر ما في نفسه مستخدماً التهديد ضد كبار الصحابة فيما إذا حصل حادث لعثمان^(٣)، و((من هذا اليوم أنساب معاویة اظفاره في الخلافة؛ لأنّه غالب على ظنه قتل عثمان، ورأى أن الشام بيده، وأنّ أهله يطيعونه وأن له حجة يتحجّ بها عليهم، ويجعلها ذريعة إلى غرضه؛

(١) الشرح ١/٨.٣٣٨-٢٩٩.

(٢) الشرح ٢/١٣٣. وانظر الطبرى: تاريخ ٤/٣١٨، ٣٢١-٣٢٤، ٥-٣٢٤.

(٣) الشرح ٢/١٣٩. وانظر الطبرى: تاريخ ٤/٣٤٤، ٥-٣٤٤.

وهي قتل عثمان إذا قتل، وأنه ليس في أمراء عثمان أقوى منه، ولا اقدر على تدبير الجيوش، واستهلاة العرب، فبني أمره من هذا اليوم على الطمع في الخلافة. ألا ترى إلى قوله لصعصعة «إنه ليس أحد أقوى مني على الامارة، وإن عمر استعملني، ورضي سيرقي! أو لا ترى إلى قوله للمهاجرين الأولين: إن شرعتم في أخذها بال غالب، وملتم على هذا الشيخ، اخرجها الله منكم إلى غيركم، وهو على الاستبدال قادر، وإنما كان يعني نفسه، وهو ي يكنى عنها، ولهذا تربص بنصرة عثمان لما استنصره ولم يبعث إليه أحداً»^(١).

وكان معاوية - مع عظم قدر الإمام علي عليه السلام في النفوس، واعتراف العرب بشجاعته، وانه البطل الذي لا يقام له - يتهدده وعثمان بعد حي بالحرب والمناذدة، ويكتبه من الشام برسائل شديد اللهجة، حتى قال له مرة في وجهه «إنّي اقسم بالله إن لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لا اعطيكم الا هذا السيف»^(٢). وقد وصف ابن أبي الحديد في امارته «إنه كان كثير الهزل والخلاعة، صاحب جلسات وسمار، ومعاوية لم يتوفّر، ولم يلزم قانون الرياسة الا منذ خرج على أمير المؤمنين، واحتاج إلى الناموس، والسكنية، والا فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك، موسوماً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه، إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج واللوشي، وكان حيئذ شاباً، وعنده نزق الصبا، واثر الشبيبة، وسكر السلطان والامرة... ولا خلاف في انه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه»^(٣).

(١) الشرح ١٤٠-١٣٩ / ٢.

(٢) الشرح ١ / ٣٣٨-٣٤٠. وانظر : أبو هلال العسكري: الاولى ص ١٤٦ .

(٣) الشرح ١٦ / ١٦١ .

٣. مقتل عثمان

لما بُويع الإمام علي عليه السلام بالخلافة كتب إلى معاوية: «أما بعد، فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبأيعونى عن غير مشورة منهم، واجتمع، فإذا أتاك كتابي فبایع لي، وأوفد إلى أشراق الشام قبلك»^(١).

كان معاوية يتنتظر الفرصة المناسبة للوصول إلى الحكم، حيث لم يزل «ذا همة عالية، يطلب معالي الأمور، ويرشح نفسه للرياسة» وجاءت الفرصة إثر مقتل عثمان، خاصة وإن الذي تولى من بعده، من يكن له معاوية أشد العداء، حيث كان على اس الدهر مبغضاً لعلي عليه السلام^(٢).

وقد اتخذ الإمام قرار عزل معاوية مباشرة بعد البيعة، ذلك القرار الذي جوبه بنقد من قبل البعض كابن عباس، والمغيرة، واعتبره البعض من اخطاء الإمام لأنـه «لو كان حين بُويع له بالخلافة في المدينة اقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ويتوطد، ويُبَايِع معاوية واهـل الشام ثم يعزله بعد ذلك؛ لـكان قد كفـى ما جرى بينهما من الحرب»^(٣).

في الواقع إنـ أمـير المؤمنـينـ عليه السلامـ علمـ منـ قـرائـنـ الأـحوالـ أنـ مـعاـويـةـ لاـ يـبـاـيـعـ لهـ حتـىـ لوـ اـقـرـهـ عـلـىـ ولـاـيـةـ الشـامـ، بلـ إنـ اـقـرـارـهـ أـقـوىـ لـحـالـ مـعاـويـةـ، وـآـكـدـ فيـ اـمـتنـاعـهـ عـنـ الـبيـعـةـ، لأنـ عـلـىـ الإـمـامـ إـمـاـ أـنـ يـطـالـبـ مـعاـويـةـ بـالـبـيـعـةـ وـيـقـرـنـ ذـلـكـ بـتـقـليـدـهـ الشـامـ، أوـ يـطـالـبـهـ بـالـبـيـعـةـ فـقـطـ، أوـ يـتـقدـمـ مـنـهـ الإـقـرـارـ عـلـىـ الشـامـ وـتـتأـخـرـ

(١) الشرح ١ / ٦٨، ٢٣١-٢٣٠.

(٢) الشرح ١ / ٣٣٨.

(٣) الشرح ١٠ / ٢٣٢.

المطالبة بالبيعة إلى وقت آخر ، فإن كان الأول ، فمن الممكن أن يقرأ معاوية كتاب التقليد على الناس ، فيؤكّد حاله عندهم ، ويقرر في أنفسهم لولا أنه أهل لذلك لما اعتمدته علي عليه السلام ، ثم يهاطله بالبيعة ، وإن كان الثاني فهو عين ما فعله الإمام ، وإن كان الثالث فهو كالقسم الأول بل أكد لما يريد معاوية من الخلاف والعصيان .

إذ «كيف يتوهّم من يعرّف السير أن معاوية كان يبأّع له ، لو اقرّه على الشام وبينه وبينه ما لا تبرّك الابل عليه ، من الترات القديمة والاحقاد ، وهو الذي قتل حنظلة اخاه ، والوليد خاله ، وعتبه جده في مقام واحد ، ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان ، حتى اغلظ كل واحد منهما لصاحب ، وحتى تهدّه معاوية وقال له : إني شاخص إلى الشام ، وتارك عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والله لئن انحصت منه شرة واحدة ، لا ضربنك بهائة الف سيف»^(١) .

ولذا عدّ ابن أبي الحديد رؤية الإمام في عزل معاوية اصح من رؤية ابن عباس والمغيرة ، فالإمام علي عليه السلام : «كان أعلم بحاله مع معاوية ، وأنها لا تقبل العلاج والتدبّر ، وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ومكره ودهائه ، وما كان في نفسه من علي عليه السلام من قتل عثمان ، ومن قبل قتل عثمان ، وانه يقبل اقرار علي عليه السلام على الشام ، وينخدع بذلك ، ويبأّع ويعطي صفقه يمينه ! إن معاوية لادهى من أن يكاد بذلك ، وإن علي عليه السلام لا عرف بمعاوية من ظن أنه لو استماله باقراره لبأّع له ، ولم يكن عند علي عليه السلام دواء لهذا المرض الا السيف ؛ لأن الحال إليه كانت تؤول لا محالة ، فجعل الآخر أولاً» .

إن مسألة انجذاب معاوية لعلي واعطائه البيعة أمر مستحيل ، إذ أن مبaitته

لعلي عليهما السلام كمباینة السواد للبياض، لا يجتمعان أبداً، وكمباینة السلب للايجاب، فإنها مباینة لا يمكن زوالها اصلاً^(١).

لقد احسن معاوية استخدام مقتل عثمان كورقة سياسية، بل كان يمهد لها قبل مقتله، إذ لما وصله كتاب مروان يخبره بحصار الخليفة، ارسل معاوية جيشاً امره بالاقامة في مكان حده له ريثما تأتيه اوامره^(٢)، ولما جاء كتاب مروان الثاني يعلم بمقتل الخليفة، اوعز للجيش بالانسحاب إلى الشام، وأكَد ابن أبي الحديد أن معاوية كانت له يد في خروج طلحه والزبير، حيث ابرق لكل واحد منها بكتاب يدعوه للسير نحو العراق، بعد الالتقاء بوالي عثمان المعزول لليمين، يعلي بن منيه -في مكة لأن الأخير أخذ اموال اليمن وسار إلى مكة، حيث وظفها صالح الجيش الخارج للبصرة وفي رسالته إلى طلحه والزبير أكد معاوية انه ضمن لها الشام، حيث بايع لأحدهما بالخلافة، والثاني من بعده، دون تحديد من هو الأول ومن الثاني^(٣). وهكذا اشغل معاوية الإمام علي عليهما السلام -فترة من الزمن حيث معركة الجمل.

ولم يكتف معاوية بذلك، بل راسل كبار الشخصيات الأموية أو المتضررة

(١) الشرح ١٠/٢٣٣.

(٢) الشرح ١٥١/٢، ١٥٤/١٦. البلاذري: انساب الاشراف ٥/٧١-٧٢. الطبرى: تاريخ ٤/٣٦٨. وقد حمل ابن عباس معاوية مسؤولية تربصه وخذلانه لعثمان إذ قال: فاقسم بالله لانت المتربيص بقتله، والمحب هلاكه، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من امره ولقد اتاك كتابه وصرىخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به حتى بعشت إليه معذراً بأخره، أنت تعلم انهم لن يتركوه حتى يقتل، فقتل كما كنت اردت..). الشرح ١٥٤-١٥٥/١٦.

(٣)

من خلافة الإمام علي عليه السلام، وهم -مروان بن الحكم^(١)، وسعيد بن العاص^(٢)، وعبد الله بن عامر الحضرمي^(٣)، والوليد بن عقبة^(٤)، ويعلى بن منه^(٥).

يوضح لهم الوضع المأساوي الذي آل إليه الخليفة، والمستقبل المجهول الذي يتتظرونهم، لذا دعاهم إلى رص الصفوف، والوقوف بوجه الخليفة الجديد، مؤكداً عليهم بأنهم سيقعون تحت طائلة الحساب على أعمالهم السابقة، حيث كتب عبد الله بن عامر: «وأعلم أنك غير متوك ولا مهمل» وحضر الوليد بن عقبة «وعن قليل يجتث أصلك»، أما يعلى بن منه فكتب إليه «أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستنطاق ما حوتة يداك من المال، فاعلم ذلك واعمل على حسيبه»^(٦).

وقد تركت هذه الكتب اثرها فيهم فكتبو لمعاوية يحرضونه، ويغروننه، ويحركونه ويهجونه ما عدا سعيد بن العاص الذي كتب له بخلاف ذلك^(٧).

(١) كان مستشار عثمان، وتشير الروايات انه يتحمل المسؤولية الكبرى عن مقتله. الطبرى: تاريخ ٣٣٩ /٤ وما بعدها.

(٢) كان والي عثمان على الكوفة، فرفضه أهلها، وتم تولية أبي موسى الأشعري، الطبرى: تاريخ ٢٧٨ /٤ وما بعدها.

(٣) والي عثمان على مكة وهو الذي ايد اصحاب الجمل وجمعهم في مكة ووحد صفوفهم. الطبرى: تاريخ ٤٤٨ /٤٥٠-٤٤٨ .

(٤) والي عثمان على الكوفة، وقد عزل وجده الإمام علي عليه السلام اثر شربه الخمر، الطبرى: تاريخ ٢٥١-٢٧٧ . أبو الفرج: الأغاني ٥ /١١٤-٩ . الشرح.

(٥) والي عثمان على اليمن، أخذ اموالها ووظفها في حرب الجمل. الطبرى: تاريخ ٤٤٣ /٤ . الفيروزابadi: تحفة الآية في من نسب إلى غير أبيه ١١ /١.

(٦) الشرح ٣٣٦ /١٠ .

(٧) الشرح ٣٤٥-٣٤٠ /١٠ .

إذن اجتمع إلى معاوية فضلاً عن طموحه في الملك والرياسة، وعلو همته،
اجتمع له تحريض المحرضين، ولو لم يكن إلا شعر الوليد بن عقبة:

فوالله ما هنُّ بآمِك إن ماضٍ
أيُقتل عبدُ الْقَوْمِ سيدُ أهْلِهِ
وَمَنْ عَجِبْ أَنْ بِتَّ بِالشَّامِ وَادِعًاً
النَّهَارُ وَلَمْ يَشَأْ بِعَثَانِ ثَائِرُ
وَلَمْ تَقْتُلُوهُ لَيْتَ أَمَّكْ عَاقِرُ
قَرِيرًاً وَقَدْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ

اذاً فكيف لمعاوية إطاعة علي وبيعته، وتسليم نفسه إليه، وهو نازل في الشام
وسط قحطان «ودونه حره لا ترام؛ وهم اطوع له من نعله، والامر قد امكنه الشرع
فيه، وتالله لو سمع هذا التحرير اجبن الناس واضعفهم نفسا وانقصهم همة لحركه
وشحد من عزمه؛ فكيف معاوية، وقد ايقظ الوليد بشعره من لا ينام»^(١).

فيما يرى ابن أبي الحديد «وأعلم ان حقيقة الجواب هو أن علياً عليه السلام، كان لا
يرى خلافة الشرع لأجل السياسة سواء كانت تلك السياسة دينية أو دنيوية. أما
الدنيوية فنحو أن يتوهם الإمام في انسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت
ذلك عليه يقيناً فإن علياً عليه السلام لم يكن يستحل قتله ولا حبسه، ولا يعمل بالتوهم
وبالقول غير المحقق، واما الدينية فنحو ضرب المتهم بالسرقة، فإنه أيضاً لم
ي肯 يعمل به، بل يقول: أن يثبت عليه باقرار أو بينة، اقامت عليه الحد، والا
لم اعترضه. وغير علي عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأي، ومذهب
مالك بن أنس العمل على المصالحة المرسلة^(٢)، فإنه يجوز لللامام أن يقتل ثلث

(١) الشرح ١٨/٦٨-٦٩. وانظر شعر الوليد: أبو الفرج: الأغاني ٥/١١٢.

(٢) هي الوصف المناسب لتشريع الحكم الذي يترب على ربط الحكم به جلب نفع أو دفع ضرر،
ولم يدل شاهد من الشارع على اعتباره أو الغائه. البهادلي: مفتاح الوصول ٢/١٦٠. ولمزيد من

التفاصيل ينظر: مذكور: مناهج الاجتهداد ص ٢٨٠ - ٣٠٧.

الأمة لصلاح الثلين، ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأي وبغالب
الظن، وإذا كان مذهبـ عليه السلام ما قلناه، وكان معاوية عنده فاسقاً، وقد سبق عنده
مقدمة أخرى يقينه، وهي أن استعمال الفاسق لا يجوز، ولم يكن من يرى تمهيد
قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة، فقد تعين مجاهرته بالعزل، وإن افضى ذلك إلى
الحرب»^(١).

رابعاً: الطعن في سيرة الإمام علي عليه السلام:

استخدم معاوية الحرب الدعائية ضد الإمام علي عليه السلام - وذلك بتشويه
سمعته، ومن هذه الطعون:

١. اظهار أن الإمام اتخذ موقفاً سلبياً من الخلفاء السابقين حيث جاء في
أحد كتبه للامام علي عليه السلام «لقد حسدت أبا بكر، والتويت عليه، ورمت افساد
امرها، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيته،
ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدة، وسررت بقتله، واظهرت
الشماتة بمصابه، حتى أنك حاولت قتل ولده لأنه قاتل أبيه^(٢)، ثم لم
تكن أشد منك حسداً لابن عمك عثمان؛ ونشرت مقابحه، وطويت محاسنه،
وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في عقله؛ واغريت به السفهاء من
اصحابك وشيعتك، حتى قتلوه بمحضرتك، لا تدفع عنه بisan ولا يد، وما
من هؤلاء الا من بغية عليه، وتلكأت في بيته، حتى حلت إليه قهراً، تساق
بخزائم الاقتدار، كما يساق الفحل المخشوش، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة،

(١) الشرح ٢٤٦/١٠.

(٢) كان رأي الإمام علي قتل عبيد الله بن عمر لأنه قتل الم Hormuzan وهو ليس قاتل الخليفة عمر.

البلاذري: انساب ٥/٢٤. الطبرى: تاريخ ٤/٢٣٩.

وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحددون بك، وتلك من اماني النفوس،
وضلالات الاهواء»^(١).

إن الإمام علي عليه السلام في موقفه مع من سبّقه بالخلافة كان يرى أنه أحق بالأمر طبقاً للافضلية^(٢). هذا الموقف استغلّه معاوية لتصويره ك موقف سلبي للإمام من الخلفاء السابقين، فأخذ يندد به عسى أن يتفوّه الإمام بكلمة أو تصرف يستعملها معاوية للتنديد به ليس أمّاً أهل الشام فحسب بل حتى أمّاً أهل العراق^(٣).

وكان الإمام علي عليه السلام يدرك النوايا السلبية لمعاوية لذا رد عليه منكراً دخوله في الفاضل والمفضول لأنّه من الطلقاء الذين ليس لهم الحق في التمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، ودعاه الإمام لعرفة نفسه وقصور ذرعة عن الوصول إلى مكانة المهاجرين^(٤). واستنتاج ابن أبي الحديد أنّ كلام الإمام علي عليه السلام ينقض ما يقوله من يطعن في السلف، لأنّه عليه انكر عليه المفاضلة بين المهاجرين الأولين اصحاب الدرجات والطبقات الرفيعة، وإن قدر معاوية يصغر في أن يدخل نفسه في مثل ذلك، فهذه شهادة قاطعة على علو شأنهما، وعظم منزلتهما^(٥).

(١) الشرح ١٨٦/١٥.

(٢) الشرح ١٧/٢٥٥-٦. إن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تنص صراحة على إمامية الإمام علي عليه السلام.

(٣) الشرح ١٨٥/١٥.

(٤) الشرح ١٨١/١٥.

(٥) الشرح ١٩١/١٥.

أن ابن أبي الحديد يحاول أن يقتضي أي كلمة للإمام عليه السلام لدعيم رأيه في الخلفاء السابقين، وفي النص أعلاه فإن الإمام عليه السلام أنكر على معاوية أن يكون له رأي في التفاضل بين الصحابة لأنه من الطلقاء، ولم يكن في كلام الإمام عليه السلام ما يؤيد ماذهب إليه ابن أبي الحديد، بل إن الإمام عليه السلام أنكر على معاوية تفضيله الشيختين قائلاً «وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان..»

وندد معاوية بموافقات الإمام من عثمان واتخذ من دمه ورقة سياسية ضده. حيث كتب له «.. كان منك ما كان من الادهان في أمر ابن عمك، والحسد له، ونصرة الناس عنه، حتى قتل بمشهده منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، فليتك اظهرت نصره حيث اسررت خبره، فكنت كالمتعلق بين الناس بعذر، وإن ضعف، والمترى من دمه بدفع وإن وهن، ولكنك جلست في دارك تدس إليه الدواهي، وترسل إليه الأفاسي، حتى إذا قضيت وطركت منه، اظهرت شماتة، وابديت طلاقة، وحرست للامر عن ساعدك، وشمرت عن ساقك، ودعوت الناس إلى نفسك، واكرهت اعيان المسلمين على بيتك»^(١).

وقد انكر الإمام على معاوية دخوله في أمر عثمان، لأن من يحق له المطالبة بدم عثمان إنما هم أبناءه لصلبه، فإذا زعم معاوية أنه الأقوى، فعليه أن يدخل فيما دخل به المسلمين، ثم يحاكم قتلة عثمان إلى الإمام علي عليه السلام^(٢). وانكر ابن أبي الحديد اتهامات معاوية للإمام عليه السلام فيما يخص موقفه من الخلفاء وأظهار الشماتة، وإنه دعى الناس لقتل عثمان، وكراهة طلحة والزبير على البيعة «فكله دعوى

(١) الشرح ٢٥٢-٢٥١ / ١٧

(٢) الشرح ٣ / ٨٩ . وانظر: المنقري: صفين ص ٥٧-٥٩

والامر بخلافها، ومن نظر في كتب السيرة عرف أنه قد بته، وادعى عليه مالم يقع منه»^(١).

وما عاب به معاوية الإمام عليه السلام اتهامه بالزهو والاستطالة على الآخرين «إنك الشامخ بأنفه، الذاهب بنفسه، المستطيل على الناس بلسانه ويده». وقد اسرف معاوية بما وصفه به، ولا شك أن الإمام علياً - عليه السلام - كان عنده زهو، ولكن ليس كما وصفه معاوية، فكان مع زهوه الطف الناس خلقاً^(٢).

وندد بالإمام كونه ترك المدينة المنورة واختار الكوفة: «ثم ترك دار الهجرة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها: إن المدينة لتنقى خبثها كما ينقى الكير خبت الحديد^(٣). فلعمري لقد صح وعده وصدق قوله، لقد نفت خبثها، وطردت عنها من ليس باهل أن يستوطنها، فاقمت بين المcriين، وبعدت عن بركة الحرميin، ورضيت بالكوفة بدلاً من المدينة، وبمجاورة الخورنق والخيرية عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة»^(٤).

إنه لا مانع ولا عيب على الخليفة إذا انتقضت عليه اطراف الإسلام الخروج من المدينة، إذ ليس كل من يخرج منها كان خبيثاً، فقد خرج عمر مراراً إلى الشام، وكذلك معاوية قد خرج من المدينة فهل يعد هذا نفياً له، وكذلك طلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الصالحين، والواجب على الإمام أن يقدم الاهتمام على المهم، فالإقامة في الحرميin ومجاورة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهمة، ولكن مصالح الإسلام، وقتل

(١) الشرح ٢٥٥ / ١٧.

(٢) الشرح ٢٥٢ / ١٧، ٢٥٦. وانظر فصل خصائص الإمام عليه السلام.

(٣) مالك: الموطأ ٤ / ٤٦٣ - ٤. مسلم: الصحيح ٩ / ١٥٣. المتقي المندى: كنز العمال ١٣ / ٢١٨.

(٤) الشرح ٢٥٢ / ١٧. ولكن معاوية نفسه ترك المدينة واتخذ دمشق عاصمة لما تولى الحكم!!؟

أهل البغي أولى من ذلك^(١).

خامساً: موقف الإمام من طلحه والزبير وام المؤمنين:

من الطعون التي وجهها معاوية للامام قتاله عليهما طلحه والزبير باعتبارهما من شيوخ الإسلام وقتلها، وتشريد أم المؤمنين، واحلالها مبذلة بين الاعراب وفسقة الكوفة، «ترى ابن عمك بهذه لو رأاه راضياً، اما كان يكون عليك ساخطاً، ولك عنه زاجراً! أن تؤذني أهله وتشرد حليلته، وتسفك دماء أهل ملته»^(٢).

اجاب ابن أبي الحميد «إن طلحة والزبير قتلا انفسهما... واما كونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع، ولكن العيب يحدث، واصحابنا يذهبون إلى انهم تابا... واما الوعد لهم بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة والكلام في سلامتها، وإذا ثبتت توبتهم فقد صح الوعد لهم وتحقق» واما قوله «لو عاش رسول الله عليهما السلام فربك هل كان يرضي لك ان تؤذني حليلته». فلعله^{عليه السلام} أن يقلب الكلام عليه، فيقول: افتراء لو عاش اكان يرضى لحليته أن تؤذني اخاه ووصيه! وايضاً أتراه لو عاش اكان يرضي لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع علياً الخلافة وتفرق جماعة هذه الأمة! وايضاً أتراه لو عاش كان يرضى لطلحه والزبير أن يبايعا، ثم ينكثا لا لسبب، بل قالا: جئنا نطلب الدرارهم، فقد قيل لنا: إن بالبصرة اموالاً كثيرة! هذا كلام يقوله مثلهم^(٣)».

بعد هذه السلسلة من الطعون هدد معاوية الإمام علي عليه السلام بالحرب: «وها

(١) الشرح ٢٥٥ / ١٧.

(٢) الشرح ٢٥٢ / ١٧.

(٣) الشرح ٢٥٤ - ٢٥٥ / ١٧. القاضي: المغني ٢٠ / ٢ - ٨٩.

أنا سائر إليك في جمع من المهاجرين والأنصار، تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية، حتى يحاكموك إلى الله». ولكن الإمام علي عليه السلام انكر على معاوية أي وجود للمهاجرين والأنصار معه، قائلاً له: «قد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك». فالإمام يريد أن يقول له إنه ليس معك إلا من الطلقاء وابنائهم الذين اسلموا بعد فتح مكة، والنبي عليه السلام يقول: لا هجرة بعد الفتح، وعبر الإمام علي عليه السلام عن يوم الفتح بعبارة فيها تقرير لمعاوية واهله بالكفر، وأنهم ليسوا من أهل السوابق، فقال عليه السلام: «وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك» أي يزيد بن أبي سفيان الذي اسر يوم فتح مكة في باب الخدمة^(١)، وقد خرج في عدد من قريش لمحاربة الرسول عليه السلام، فقتل بعضهم واسر يزيد، اسره خالد بن الوليد، فخلصه أبو سفيان منه، وادخله داره، فاصبح آمناً^(٢).

إن هذه السلسلة من المراسلات كانت موضع استياء من ابن أبي الحميد «واعجب واطرب ما جاء به الدهر - وإن كانت عجائب وبدائعه جمة - أن يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونصيراً مثالاً، يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به احدهما صاحبه، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة إلا قال مثلها واخشن مساً منها، فليت محمد عليه السلام كان شاهداً ذلك؛ ليرى عياناً لا خبراً أن الدعوة التي قام بها، وقايس أعظم المشاق في تحملها، وكابد الا هوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيد اركانها، وملا الآفاق بها خلصت صفوأً عفوأً لاعدائه الذين كذبوه لما دعا إليه، وآخر جوه

(١) جبل بمكة تجمع فيه بعض المشركين لمحاربة المسلمين يوم الفتح، الزمخشري: كتاب الامكنة، ص ٧٨. الحموي: معجم البلدان ٢/ ٣٨٢-٣٩٢. الحميري: الروض من ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) الشرح ١٧ / ٢٥٠، ٢٥٢، ٣-٢٥٦، ٢٥٧-٢٥٨.

عن - أوطانه لما حض عليها، وادموا وجهه، وقتلوا عمه واهله، فكأنه كان يسعى لهم، ويدأب لراحتهم، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان وقد مرّ بقبر حمزة، وضر به برجله، وقال: يا أبا عمارة! إن الأمر الذي اجتلتنا عليه بالسيف امسى في يد غلمنااليوم يتلعبون به^(١)! ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علياً كما يفتخار الأكفاء والنظراء:

وقرَّعَ قَسَا بِالْفَهَاهِةِ بِاقْلُ
وَقَالَ الدُّجَى يَا اصْبُحُ لَوْنَكَ حَائِلُ
وَكَاثِرَتِ الشَّهْبُ الْحَصَادُ الْجَنَادُلُ
وَيَا نَفْسُ جُدُّى إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

إِذَا عَيَّرَ الطَّائِيَّ بِالْبَخْلِ مَادُرُ
وَقَالَ السَّهَا لِلشَّمَسِ: أَنْتِ خَفَيَّةٌ
وَفَاخِرَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ سَفَاهَةً
فِيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةً

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام: ليت شعري: لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية! وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك، فهلا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرض للمفاخرة والمناقفة! وإذا كان لا بد منها فهلا اكتفى بها من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله. وبashed منه، ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢). وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الأحق، هذا مع انه القائل: من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون!

(١) المقرizi: النزاع والتنازع ص ٣.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٠٨.

(٣) آیات لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت یہ جو مسکین الدارمی الشرح ١٣٧/١٦ ہے (المحقق).

أَيُّهَا الشَّاتِئِي لِتُحْسِبَ مثِيلُ
إِنَّمَا أَنْتَ فِي الضَّلَالِ تَهْمِيْ
لَا تُسَبِّبَنِي فَلَسْتَ بِسَبِيْ
إِنْ سَبِيْ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

وهكذا جرى القنوت واللعن، قفت بالكوفة على معاوية، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه عمرو بن العاص، وابا موسى، وابا الاعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، بلغ ذلك معاوية بالشام، فقفت عليه ولعنه بالصلاه، وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والاشتر النخعي، ولعله عليه السلام قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عن الآن، والله أمر هو بالغه»^(١).

ثالثاً: وقائع معركة صفين

بعد أن ادرك الإمام علي عليه السلام أنه لا فائدة من مراسلة معاوية بعد أن قدم الأدلة وردَّ ادعاءاته في مسألة مقتل عثمان، رأى عليه السلام أنه لا مناص من اللجوء للقوة، ولم يكن عليه السلام يستند في ذلك لمشروعية حكمه فحسب، وإنما أيضاً لما اثر عن الرسول عليه السلام بأنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، «واما الطائفة الفاسقة فاصحاب صفين وسمواهم رسول الله عليه السلام القاسطين.. وهذا الخبر من دلائل نبوته صلوات الله عليه لأنَّه أخبر صريح بالغيب لا يحتمل التمويه والتدييس كما تحتمله الاخبار المجملة، وصدق قوله عليه السلام.. واما اصحاب صفين فإنهم عند اصحابنا رحمهم الله مخلدون في النار لفسقهم فصح بهم قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا إِلَّا جَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٢)

(١) الشرح ١٣٦/١٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٥.

ولقد تمكّن جيش معاوية من الوصول إلى شريعة الفرات قبل جيش الإمام علي لذا كانت فرصة ذهبية لمعاوية أن يحرّمهم من الماء ولكن السيطرة على الشريعة ما لبثت أن تحولت إلى الإمام علي وجيشه فلذا طلب أصحاب الإمام منه معاملتهم بالمثل، فقال عليه السلام: «لا أفعل كما فعلوا الجاهلون». وسمح لهم باستخدام شريعة الفرات^(١).

إن سيطرة الإمام عليه السلام على الماء، وازاحته لأهل الشام، ثم سماحة لهم باستخدامه كانت من ضمن الطعون التي اثيرت ضد سياسة الإمام عليه السلام حيث قالوا: هلا إذا ملك شريعة الفرات على معاوية، وبعد أن كان معاوية ملكها عليه، ومنعه واهل العراق منها، منع معاوية واهل الشام منها؛ فكان يأخذهم قبضاً بالايدي! فإنه لم يصبر على منعهم من الماء، بل فسح لهم في الورود، وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب^(٢).

هذه الرؤية فنّدها ابن أبي الحديد وقدّم الأدلة على السبب الذي دفع الإمام لذلك حيث قال: «إنه عليه السلام لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش؛ فإن الله تعالى ما أمر في أحد من العصاة الذين أباح دماءهم بذلك، ولا فسح فيه في نحو القصاص، أو حد الزاني المحسن، أو قتل قاطع الطريق، أو قتل البغاة والخوارج، وما كان أمير المؤمنين من يترك حكم الله وشرعيته، ويعتمد ما هو محروم فيها لأجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو، ولذلك لم يكن يستحل البيات ولا الغدر ولا النكث، وأيضاً فمن الجائز أن يكون عليه غالب

(١) الشرح ٣٣١.٣١٢/٣

(٢) الشرح ٢٥٧/١٠

على ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء كان ذلك ادعى لهم إلى الحملات الشديدة المنكرة على عسكره، وأن يضعوا فيهم السيف، فيأتوا عليهم، ويكسروهم بشدة حنقهم وقوه داعيهم إلى ورود الماء، فإن ذلك من أشد الدواعي إلى أن يستميت القوم ويستقتوها. ومن الذي يقف بين يدي جيش عظيم عرمم حنق قد اشتد بهم العطش، وهم يرون الماء كبطون الحياة، ولا يحول بينهم وبينه إلا قوم مثلهم، بل أقل منهم عده وضعف عده، ولذلك لما حال معاوية بين أهل العراق وبين الماء، وقال: لامنעם وروده فاقتلهم بشفار الظماء، قال له عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء، فليسوا من يرى الماء ويصبر عنه، فقال: لا والله لا أخلي لهم عنه فسفة رأيه وقال: أتظن أن ابن أبي طالب وأهل العراق يموتون بازائك عطشاً، والماء بمعقد الأزر، وسيوفهم في أيديهم! فلرج معاوية، وقال: لا اسقيهم قطرة، كما قتلوا عثمان عطشاً، فلما مس أهل العراق العطش، أشار عليه عليه السلام إلى الاشعت أن احمل، وإلى الاشت أن احمل، فحملوا بمن معهم فضرروا أهل الشام ضرباً اشباً الوليد، وفرّ معاوية ومن رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء كما تفرّ الغنم خالطتها السباع، وكان قصارى أمره، ومتنه همته أن يحفظ رأسه، وينجو بنفسه، وملك أهل العراق عليهم الماء، ودفعوه عنهم فصاروا في البر القفر، وصار عليه عليه السلام واصحابه على شريعة الفرات، مالكين لها، فما الذي كان يؤمن عليه عليه السلام لو عطش القوم أن يذوق هو واصحابه منهم مثل ما اذاقهم! وهل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الانسان! وهل يبقى له ملجاً إلا السيف يحمله به فيضرب خصميه إلى أن يقتل أحدهما»^(١).

ولم يكتف الإمام بذلك الموقف؛ بل عقبه بعدها مواقف كان من خلاها الإمام يريد أن يتوصل لحل سلمي، ويهدف أن يستبصر أهل الشام بصحة موقف الإمام وبطلان موقف معاوية حيث قال لاصحابه لما استبطأوه في إذنه بالقتال «...فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وأنا اطمئن أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، فهو أحب إلى من أن اقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها»^(١).

فكان معركة صفين التي ادت لسقوط عدد من القتلى من كلا الطرفين، فيهم عدد من كبار الصحابة، ولما ادرك معاوية ان النصر بات وشيكةً^(عليه السلام) طلب فرساً لينهزم، ثم أشار عمرو بن العاص على أهل الشام برفع المصاحف، ودعوة أهل العراق إلى الاحتکام إلى كتاب الله تعالى، فهنا انقسم أصحاب الإمام علي عليه السلام أقساماً: «فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف، وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة، بل حقاً ودعاء إلى الدين ووجب الكتاب، فرأى أن الاستسلام للحججة أولى من الاصرار على الحرب، ومنهم من كان قد مل الحرب، وأثر السلم، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية اخلد إليها. ومنهم من كان يبغض علياً^(عليه السلام) بباطنه، ويطيعه بظاهره، كما يطيع كثير من الناس السلطان في الظاهر، ويبغضه بقلبه، فلما وجدوا طريقاً إلى خذلاته وترك نصرته، اسرعوا نحوها، فاجتمع جمهور عسكره عليه، وطالبوه بالكف وترك القتال، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة، وقال لهم: إنها حيلة وخديعة، وإنني اعرف بالقوم منكم، إنهم ليسوا

اصحاب قرآن ولا دين، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً، فعرفت منهم الاعراض عن الدين، والرکون إلى الدنيا، فلا تراعوا برفع المصاحف، وصمموا على الحرب، وقد ملكتمومهم، فلم يبق منهم الا حشاشة ضعيفة، وذمار قليل. فأبوا عليه والخوا واصروا على القعود والخذلان، وامروه بالانفاذ إلى المحاربين من أصحابه. وعليهم الاشترا أن يأمرهم بالرجوع، وتهدوه إن لم يفعل بإسلامه إلى معاوية. فأرسل إلى الاشترا يأمره بالرجوع وترك الحرب فأبى فقال: كيف ارجع وقد لاحت امارات الظفر! ليمهلني ساعة واحدة. ولم يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت. فلما عاد إليه الرسول بذلك. غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: انفذت إلى الاشترا سراً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكف، وإن لم تعد الساعه، والا قتلناك كما قتلنا عثمان. فرجعت الرسول إلى الاشترا فقالوا له: أتحب أن تظفر بمكانك وامير المؤمنين قد سل عليه خمسون الف سيف! فقال: ما الخبر؟ قال: إن الجيش يأسره وقد احده به، وهو قاعد بينهم على الأرض، تحته نطع وهو مطرق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تعد الاشترا قتلناك! قال: ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رفع المصاحف. قال: والله لقد ظنت حين رأيتها رفعت أنها ستوقع فرقه وفتنه، ثم كر راجعاً على عقبيه، فوجد امير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد ردده أصحابه بين امررين: إما أن يسلموه إلى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم الا ولداه، وابن عميه ونفر قليل لا يبلغون عشرة. فلما رأهم الاشترا سبهم وشتمهم، وقال: ويحكم! بعد الظفر والنصر صب عليكم الخذلان والفرقه! يا ضعاف الاحلام! يا اشباه النساء! يا سفهاء العقول! فشتموه وسبّوه، وقهروه، وقالوا: المصاحف، المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب امير المؤمنين عليه السلام إلى التحكيم، دفعاً

للمحذور الاعظم بارتکاب المحضور الاضعف، فلذلك قال: كنت اميراً فاصبحت مأموراً، وكنت ناهياً فصرت منهاها^(١).

إن قبول الإمام عليه السلام التحكيم وايقاف الحرب بعد ما لاحت علامات النصر ولم يبق إلا أن يأخذ معاوية ثم ترك ذلك، وانحدر إلى التحكيم، وإن تحكيمه عدّ البعض دليلاً على شك في أمره، وضعفاً في سياسته!!.

إن أهل الشام لما رفعوا المصاحف انخدع بها أهل العراق وقالوا: لا يحل لنا التصميم على حربهم ولا يجوز لنا الا وضع السلاح والرجوع لحكم المصاحف، فاشار الإمام بأنها خديعة، وكلمة حق يراد بها باطل ودعاهم للصبر ولو ساعة، فأبوا قائلين: ارسل إلى الاشتراط، وبعد أخذ ورد عاد الاشتراط وجرى بينه وبين أهل العراق المتخاذلين من السب والشتم، «إذا كانت الحال هكذا، فأي تقصير وقع من أمير المؤمنين عليه السلام، وهل ينسب المغلوب على أمره، المقهور على رأيه إلى تقصير أو فساد تدبير! أما قوله أن التحكيم يدل على الشك في أمره: لأنها يدل على ذلك لو ابتدأ هو به، فأما إذا دعاه إلى ذلك غيره، واستجاب إليه أصحابه، فمنعهم وامرهم أن يستمرروا على وتيرتهم وشأنهم، فلم يفعلوا، وبين لهم أنها مكيدة فلم يتبيّنوا، وخاف أن يقتل أو يسلم إلى عدوه، فإنه لا يدل تحكيمه على شكه، بل إنه يدل على أنه قد دفع بذلك ضرراً عظيماً عن نفسه، ورجا أن يحكم الحكام بالكتاب، فترول الشبهة عمن طلب التحكيم من أصحابه»^(٢).

ولما قبل الإمام التحكيم، ووضعت صيغة الصلح رفض معاوية كتابة لفظة

(١) الشرح ١١/٢٩-٣١. وانظر الطبرى: تاريخ ٥٤٨/٥-٥٥٠.

(٢) الشرح ١٠/٢٥٢-٢٥٣.

(أمير المؤمنين) للإمام علي عليهما السلام برفعها، فاصبح ذلك من المطاعن التي وجهت إلى سياسته حيث قالوا: إن الإمام اخطأ حيث محا اسمه بالخلافة من صحيفة الحكومة، لأن ذلك مما ونه عند أهل العراق، وقوى الشبهة لدى أهل الشام.

في الواقع إنه عليهما السلام اقتدى في ذلك بفعل الرسول عليهما السلام في صلح الحديبية، حيث محا عليهما السلام اسمه من النبوة كما طلب سهيل بن عمرو الذي قال للرسول عليهما السلام: لو علمنا إنك رسول الله عليهما السلام لما حاربناك، ولا منعنك البيت. وقد قال عليهما السلام يومها عليهما السلام وكان الكاتب لصلح الحديبية: ستدعى إلى مثلها فتجيب. وهذا من علام نبوته عليهما السلام، ودلائل صدقه، وقد جرى للإمام ما جرى للرسول عليهما السلام حذو القذة^(١) بالقذة^(٢).

واختار أبو موسى الأشعري حكمًا عن أهل العراق، وعمرو بن العاص عن أهل الشام، وكان ذلك مما اثار الطعن في سياسة الإمام علي عليهما السلام، إذ كيف يرضي بحكومة أبي موسى وهو فاسق عنده بتبييضه أهل الكوفة عنه؟ وكيف رضي بتحكيم عمرو بن العاص وهو افسق الفاسقين؟

إن الإمام علي عليهما السلام كره أبا موسى واراد ان يجعل بدله ابن عباس فقال أصحابه: لا يكون الحكمان من مصر، فرشح الإمام الاشتراط، فقالوا: وهل اضرم النار الا الاشتراط! وهل جر ما ترى الا حكومة الاشتراط! فأبوا الا أبا موسى، ومدحوه، فاضطر الإمام للقبول على مضض. واما تحكيمه عمرًا فإنه لم يرض

(١) القذة: الريشة التي تركب على السهم. والمثل يضرب في تشابه الشيئين. أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال ١ / ٣٨١. التویری: نهاية الارب ٣ / ٢٦.

(٢) الشرح ١٠ / ٢٥٨. وانظر الطبری: تاريخ ٥ / ٥٢-٥٣. وللباحث رأی في صحيفة الصلح حيث يرى بأنها حرفت وزيد فيها. رسالة في الحكمين ص ٦-١٧٢.

بـه، وإنما رضاـه خصـمه، وقد اجـاب ابن عـباس حينـما قال للـخواـرج: أليس قد
قال الله تعالى:

﴿فَأَبْعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ ^(١) ! أرأـيـتم لو كانت المـرأـة
يهـودـية، فـبـعـثـتـ حـكـمـاً منـ أـهـلـهـاـ، أـكـنـاـ نـسـخـتـ ذـلـكـ ^(٢) .

وـكـانـتـ نـتـيـجـةـ التـحـكـيمـ أـنـ خـدـعـ عـمـرـ وـبـنـ العـاصـمـ أـبـاـ مـوسـىـ، وـذـهـبـ لـلـشـامـ
وـبـاعـ لـمـعـاوـيـةـ، فـيـمـاـ هـرـبـ أـبـوـ مـوسـىـ إـلـىـ مـكـةـ، وـاصـبـحـتـ خـدـيـعـةـ عـمـرـ لـهـ مـضـرـبـ
الـمـثـلـ ^(٣) .

كـانـتـ فـلـسـفـةـ الإـلـمـاـمـ فـيـ التـحـكـيمـ مـفـادـهـ: «إـنـاـ لـمـ نـحـكـمـ الرـجـالـ، وـإـنـاـ حـكـمـنـاـ
الـقـرـآنـ، هـذـاـ الـقـرـآنـ، إـنـاـ هـوـ خـطـ مـسـطـوـرـ بـيـنـ الدـفـيـنـ، لـاـ يـنـطـقـ بـلـسـانـ، وـلـاـ بـدـ لـهـ
مـنـ تـرـجـمـانـ، وـإـنـاـ يـنـطـقـ عـنـهـ الرـجـلـ، وـلـاـ دـعـانـاـ القـوـمـ إـلـىـ أـنـ نـحـكـمـ بـيـنـاـ الـقـرـآنـ،
لـمـ نـكـنـ فـرـيقـ المـتـوـلـيـ عـنـ كـتـابـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ: وـقـدـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ عـزـ مـنـ
قـائـلـ:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ^(٤) .

فرـدوـهـ إـلـىـ اللهـ أـنـ نـحـكـمـ بـكتـابـهـ، وـرـدوـهـ إـلـىـ الرـسـوـلـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ أـنـ نـحـكـمـ بـسـتـتهـ، فـإـذـاـ
حـكـمـ بـالـصـدـقـ فـيـ كـتـابـ اللهـ تـعـالـىـ، فـنـحـنـ أـحـقـ النـاسـ بـهـ، وـإـنـ حـكـمـ بـسـنـةـ رـسـوـلـ
الـلـهـ صلـوةـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـامـ، فـنـحـنـ أـحـقـ النـاسـ وـأـوـلـاـهـمـ بـهـاـ ^(٥) .

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) الشرح ١٠/٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٣. وانظر الشريف المقطبي: تنزيه الانبياء ص ١٦٦-١٧٠.

(٣) الشرح ١٠/٥٦-٥٧. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ١/٧٠٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٥) الشرح ٨/١٠٣. وانظر: الطبرى: التاريخ ٥/١٦٦.

إن الإمام هنا يقول: لما دعينا إلى تحكيم الكتاب، لم نكن القوم الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(١).

بل أجبنا إلى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

ومعنى ذلك أن نحكم بالكتاب والسنة، فإذا عمل الناس بها بالحق، واطروا الهوى والعصبية، كنا أحق بتدبير الأمة، وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها. وقد رفع الله نفسه أن يصرح بذلك الخلافة فكئن عنها، وقال: نحن إذا حكم بالكتاب والسنة أولى بهما، ويلزم من كونه أولى بهما من جميع الناس أن يكون أولى بالخلافة من جميع الناس، فدل على ما كنى عنه بالأمر المستلزم له^(٢).

ولكن يمكن التساؤل: إذا كان الرجال الذي يترجمون القرآن ويفسرونه، وقد كلفوا أن يحكموا في واقعة أهل العراق وأهل الشام، بما يدهم القرآن عليه، يجوز أن يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله، فيدعى صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده، ويدعى وكيل أهل الشام ما يقابل ذلك ويناقضه، بطريق الشبهة التي تمسكوا بها من دم عثمان، ومن كون الإجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين الله، احتاج الحكمان حينئذ إلى أن يحكم بينهما حكمان آخران، والقول فيها كالقول في الأول إلى ما لا نهاية له؛ وإنما كان يكون التحكيم قاطعاً للشغب لو كان القرآن ينص بالصریح الذي لا تأويل فيه، إما

(١) سورة النور، الآية: ٤٨.

(٢) الشرح ٨/١٠٤-١٠٥.

على أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما على معاوية، ولا نص صريح فيه، بل الذي فيه يحتمل التأويل والتجاذب، فما الذي يفيد التحكيم والحال تعود لا محالة؟؟

إن اجابة ابن أبي الحديد عن هذا السؤال تكمن في «أن الحكمين لو تأملا الكتاب حق التأمل، لوجدا فيه النص الصريح على صحة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، لأن فيه النص الصريح على أن الإجماع حجة، ومعاوية لم يكن مخالفًا في هذه المقدمة ولا أهل الشام، وإذا كان الإجماع حجة، فقد وقع الإجماع لما توفي رسول الله عليه السلام، على أن اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته، وقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون؛ فوجب أن تصح خلافته، وإذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، ولم يجب عليه أن يقييد بعثمان، إلا إذا حضر أولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتصفين لاحكامه، ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من قوم باعياهم يدعون عليهم دم المقتول، فقد ثبت أن الكتاب لو تؤمّل حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق، ولم يكن لأهل الشام من الشبهة ما يقدح في استنباطهم المذكور»^(١).

إن الآيات القرآنية كآية الولاية والبلاغ وغيرها صريحة في صحة خلافة الإمام علي عليه السلام.

رابعاً: رؤية الاعتزال لأهل صفين:

ترى المعتزلة هلاك أهل صفين لاصرارهم على البغي، وموتهم عليه سواء الرؤساء أو الاتباع. لذا صح فيهم قوله تعالى: «واما القاسطون فكانوا بجهنم

حطباً^(١)، ولكن الإمام علي عليه السلام وصف أهل صفين بأنهم إخوان بقوله: «ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيف والاعوجاج». في حين لا يصف المعتزلة المحاربين للأمام من أهل صفين بال المسلمين، فكيف التوفيق في ذلك؟

في الواقع إن المعتزلة وإن كانت تذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً ولا مسلماً، ولكنهم يحيزون اطلاق لفظ الإسلام عليه إذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدي الأصنام، فيطلق مع قرينة حالة أو لفظة تخرجه عن أن يكون مقصوداً به التعظيم والثناء والمدح، لأن لفظة «مسلم» و «مؤمن» تستعمل في أكثر الأحوال كذلك، والإمام علي عليه السلام لم يقصد بذلك إلا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من أهل الشرك، ولم يقصد مدحهم بذلك، لذا لا ينكر اطلاق لفظ المسلمين عليهم بهذا القصد^(٢).

ولذا فكبّار قادة صفين كمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة لا يتولاهم المعتزلة ولا يثنون عليهم، وهم لدى المعتزلة في مقام غير محمود، أما رؤية المعتزلة لمعاوية خاصة، فهو «مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله... وقد ذكرنا في «نقض السفيانية»^(٣). على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه في كتابهم الكلامية عنه... ولو لم يكن شيء من ذلك، لكن في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حاله، لاسيما على قواعد أصحابنا، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على

(١) سورة الجن، الآية: ١٥. الشرح ٩/١، ٢٠١.

(٢) الشرح ٧/٢٩٩.

(٣) هورد على كتاب السفيانية للجاحظ. أنظر على جواد محيي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٤٣.

المصير إلى النار والخلود فيها إن لم تكفرها التوبة»^(١).

وقال في معرض مقارنته بين معاوية والخوارج: «وقد طعن كثير من اصحابنا في دين معاوية.... ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات الفاظه ما يدل على ذلك». وقد استشهد ابن أبي الحديد بما رواه الزبير بن بكار في كتابه الموقفيات^(٢) من موقف معاوية من النبي عليه السلام في اثناء خلافته، وقد أيد ابن أبي الحديد صحة الرواية بقوله بخصوص الزبير بن بكار: «وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حالة من مجانية علي عليه السلام، والانحراف عنه»^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد صحة رؤيته من خلال التأكيد على افعال معاوية المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب والفضة، حتى انكر عليه ذلك أبو الدرداء، حيث قال له: إني سمعت رسول الله عليه السلام يقول: إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم^(٤). فرد معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً. فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية: أنا اخبره عن رسول الله عليه السلام وهو يخبرني عن رأيه: لا اساكنك بارض أبداً^(٥). وأ أكد ابن أبي الحديد أن هذا الخبر اخرجه المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الاحتجاج على أن خبر الواحد معمول به في الشرع، وهذا الخبر يقبح في عدالته، كما يقبح في

(١) الشرح /١ ،٣٤٠ /١٠١ ،٢٠ /٢٠ ،٣٥ . وانظر القاضي: المغني /٢٠ /٩٣-٩٤.

(٢) الاخبار الموقفيات ص ٥٧٦-٥٧٧.

(٣) الشرح /٥ /١٢٩-١٣٠.

(٤) اخرجه ابن ماجه: صحيح /٢ /٢٤٨.

(٥) رواه مالك: الموطأ /٢ /٥١٢ . النسائي: سنن /٧ /٢٧٩ . البهقي: السنن /٥ /٢٨٠ .

عقيدته، لأن من قال في مقابلة خبر قد روي عن الرّسول صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما أنا فلا أرى بأساً فيها حرمه الرّسول صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا ليس بصحيح العقيدة^(١).

وأضاف ابن أبي الحديد: «ومن المعلوم أيضاً من حاله استئثاره بهال الفيء، وضربه من لأحد عليه، واسقاط الحق عنمن يستحق اقامة الحد عليه، وحكمه برأيه في الرعية، وفي دين الله، واستلحاقه زياذاً، وهو يعلم قول رسول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الولد للفراش وللعاهر الحجر»^(٢). وقتله حجر بن عدي واصحابه، ولم يحب عليهم القتل، ومهانته لأبي ذر الغفاري وجبهه وشتمه، وإشخاصه إلى المدينة على قتب بغير وطاء لانكاره عليه، ولعنه علياً وحسناً وحسيناً^(عليهم السلام) (عليهم السلام) وعبد الله بن عباس على منابر الإسلام، وعهده بالخلافة إلى ابنه يزيد، مع ظهور فسقه وشربه المسكر جهاراً، ولعبه بالنرد، ونومه بين القيان المغنيات، واصطحابه معهن، ولعبه بالطنبور بينهن، وتطريقهبني أمية للوثوب على مقام رسول الله صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلافته حتى افضت إلى يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد، المفتضحين الفاسقين، صاحب حبابة وسلامة، والآخر رامي المصحف بالسهام، وصاحب الأشعار في الزندقة والآحاد»^(٣).

(١) الشرح ٥ / ١٣٠ . وانظر: الجاحظ: رسالة في النابتة ص ١-٢٤٢ .

(٢) اخرجه: الجاحظ: رسالة في الحكمين ص ٣٦٨ . رسالة في النابتة ص ٢٤١ . مسلم: الصحيح ١٠ / ٣٧ . ابن ماجه: صحيح ١ / ٣٣٩ - ٤٠ . أبي داود: سنن ٢ / ٣٨٢ - ٤١٢ . الطبرى: تاريخ ٥ / ٢٧٩ . الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ١٣٩ . البيهقي: السنن ٧ / ٤٠٢ ، ٤١٢ . ابن الأثير: النهاية ١ / ٤-٢٣ .

(٣) الشرح ٥ / ١٣٠-١٣١ . عن فكرة الخروج على الإمام الجائز عند الخوارج. انظر: الزوار: الفكر السياسي عند الخوارج ص ٥٨-٧٣ .

ويرى ابن أبي الحميد أنه إذا كان الخوارج قد بريء منهم أهل الدين والحق، لأنهم فارقوا الإمام وبرئوا منه، وما عدا ذلك من عقائدهم كالقول بخلد الفاسق في النار والخروج على أمراء الجور وغيرها فالمعتزلة تعتقد بها، فلم يبق ما تقتضي البراءة منهم الا برائهم من علي عليه السلام، وقد كان معاوية يلعنه على رؤوس الأشهاد على المنابر في الجمع والاعياد، سواء في المدينة أو مكة أو سائر الامصار، إذن فقد شارك الخوارج في الأمر المکروه فيه، وامتازوا عليه باظهار الدين والالتزام بقوانين الشريعة، والاجتهاد في العبادة، وانكار المنكرات وكانوا احق بأن ينصروا عليه من أن ينصر عليهم، فاتضح بذلك قول الإمام علي عليه السلام «لا تقاتلوا الخوارج بعدي»، أي في ملك معاوية، وما يؤكد هذا المعنى ان عبد الله بن الزبير استنصر بالخوارج على يزيد بن معاوية، وقال: لو شأعني الترك والدليل على محاربةبني أمية لشأعنيهم، وانتصرت بهم. حتى قال فيه الشاعر^(١):

يا ابنُ الزبِيرِ أَهْوَى فَتِيَّةَ قَتَلُوا ظُلْمًا إِبَاكَ وَلَّا تُنَزِّعُ الشَّكُّ!
صَحَّوَا بِعْثَانَ يَوْمَ النَّحْرِ ضَاحِيَّةً يَاطِيبَ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِيِّ الَّذِي سَفَكُوا

وقد وصف الإمام علي عليه السلام معاوية بأنه عدو النبي، وقد اوضح ابن أبي الحميد ذلك لأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه، ومن افعاله، ولقد أكد المعتزلة على هذه المسألة خاصة في مؤلفات أبي عبد الله البصري، وابي جعفر الاسكافي، وابي القاسم البختي^(٢).

وفي اشارته لمفاوضات معاوية وعمرو بن العاص حول كيفية التعاون

(١) الشرح ٥ / ١٣١ . لم أهتد إلى قائل البيت.

(٢) الشرح ١٥ / ١٧٠ - ١.

ضد الإمام، فطلب عمرو أقليم مصر طعمه له، فقال معاوية: «إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك إنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا». فقال عمرو بن العاص: دعني عنك قال ابن أبي الحميد: «قال شيخنا أبو القاسم البلاخي رحمه الله تعالى، قول عمرو له: «دعني عنك» كنایة عن الاخاد، بل تصريح به، أي دع هذا الكلام، لا أصل له؛ فإن اعتقاد الآخرة، وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات وقال (رحمه الله تعالى): وما زال عمرو بن العاص ملحداً، ما تردد قط في الاخاد والزندقة، وكان معاوية مثله، ويكتفي من تلاعهما بالاسلام حديث السرار المروي، وأن معاوية عض اذن عمرو. أين هذا من سيرة عمر؟ وain هذا من أخلاق علي عليه السلام، وشدته في ذات الله؟ وهما مع ذلك يعيانه بالدعابة»^(١).
ويخلص للقول أن المعتزلة ترى فساد عقيدة معاوية^(٢).

وفي شرحه لكتاب الإمام إلى عمرو بن العاص «فإنك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريمة بمجلسه، ويسفة الحليم بخلطته، فاتبعت أثره، وطلبت فضله؛ إتباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يلقي إليه من فضل فريسته، فاذهبت دنياك وأخرتك، ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت».

قال ابن أبي الحميد: إن كل ما قاله الإمام هو الحق الصريح بعينه، فالإمام على عليه السلام لم يحمله بغضه وغضبه منهم للمبالغة في ذمهم، كما يبالغ الفصحاء عند سورة الغضب «ولا ريب عند أحد من العقلاء ذوي الانصاف أن عمراً جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية، وأنه ما بايعه وتابعه الا على جعلها له وضمان

(١) الشرح ٦٥ / ٢

(٢) الشرح ١١٥ / ١٥

تكفل له بايصاله، وهي ولاية مصر مؤجلة، وقطعة وافرة من المال معجلة، ولو لولديه وغلمانه ما ملأ اعينهم».

اما وصفه لمعاوية بأنه ظاهر غيّه، فإن ظهور ضلاله وبغيه لا ريب فيه، فكل باع غاو، اما مهتوك ستره فإنه كان كثير الهرزل والخلاعة، صاحب جلسات وسمار، وهو لم يتوفّر ويلزم قانون الرّياستة، الا بعد خروجه على الإمام عليه السلام، فاحتاج إلى النّاموس والسكنية، واما قبل ذلك فكان شديد التّهتك موصوفاً بكل قبيح، وكان في أيام عمر يستر نفسه خوفاً منه، لكنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة، ويركب البغلات ذات السروج المحلاة بها، وعليها جلال الديباج والوشى، وكان حينئذ شاباً وعنده نزق الصبا، واثر الشّبيبة وسكر السلطان والامرّة. واما بعد وفاة الإمام علي عليه السلام واستقرار الأمر له ولا خلاف في أنه سمع الغناء وطرب عليه، واعطى ووصل عليه، واما قوله عليه السلام «يشين الكريّم بمجلسه، ويسفه الحليم بخالطته» فلأنه لم يكن في مجلسه الا شتم بنى هاشم وقدفهم، والتّعرض بذكر الإسلام والطعن عليه، حتى وإن اظهر انتهاءه إليه، واما طلب عمرو فضله واتباعه اثره اتباع الكلب للاسد، فامر ظاهر ولم يقل عليه الشّغل، غضا من قدر عمرو، وتشبيهاً له بما هو ابلغ في الإهانة والاستخفاف^(١).

وعدّ ابن أبي الحديد معاوية وعمّر بن العاص من ائمة الضلاله الذين أشار لهم الإمام علي عليه السلام بقوله: «فتقرّبوا إلى ائمة الضلاله، والدّعاء إلى النار بالزّور والبهتان، فولوهم الاعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس». وذكر بعض

الاحاديث الموضوعة على لسان النبي ﷺ كحديث في حق معاوية «اللهم قرئ العذاب والحساب، وعلمه الكتاب»^(١) وكرواية عمرو بن العاص تقرباً إلى قلب معاوية، إن الرسول ﷺ قال: «إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما ولائي لله وصالح المؤمنين»^(٢). وكرواية آخرين في أيام معاوية موضوعات في فضائل عثمان تقرباً لمعاوية^(٣).

ويؤكد ابن أبي الحديد أن معاوية من أسلم رهبة لذلك كان من المؤلفة قلوبهم^(٤) الذين رغبوا في الإسلام والطاعة بجمال وشاء دفعت إليهم، فكان اسلامهم للطعم والاغراض الدنيوية. ولم يكن عن أصل ولا علم ويقين^(٥).

اما رؤية المعتزلة لعمرو بن العاص، فعند استعراضه لسيرته قال ابن أبي الحديد: إن المعتزلة تحكم على كل من شهد صفين بما يحكم به على الامام الباغي الخارج على الامام العادل، فمذهبهم في صاحب الكبيرة إذا لم يتبع الحكم بالنار. ولكن عمراً بن العاص تلفظ بالفاظ في ساعاته الأخيرة فلم لا تكون دليلاً على توبته لقوله «اللهم خذ مني حتى ترضى» وقوله «امررت فعصيت، ونهيت فركبت» وقوله «ولا مستكبر بل مستغفر» فهي الفاظ تفيد الاعتراف والندم، وهو معنى التوبة. يستدل ابن أبي الحديد من قوله تعالى: (وليس التوبة للذين

(١) رواه الهيثمي: تطهير اللسان والجنان بذكر سيدنا معاوية بن أبي سفيان ص ١٦.

(٢) اخرجه مسلم: صحيح ٣/٨٧. الهيثمي: الصواعق ص ١٥٦.

(٣) الشرح ١١/٣٩، ٤٢.

(٤) الذين اسلموا رهبة أو رغبة بحطام الدنيا وجعل لهم القرآن نصيبياً من الزكاة كما ورد في آية الصدقات الآية ٦٠ من سورة التوبه. انظر الطبرى: جامع البيان ١٠/١٦١-١٦٣.

(٥) الشرح ١٧/٢٢٦.

يعلمون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن^(١). بأن هذه الآية تمنع من كون ما بدر من عمرو توبة، لأن شروط التوبة معلومة، وليس هذا الاعتراف والتأسف منها في شيء^(٢). فالنوبة عند المعتزلة لها شروط ثلاثة:

الأول: الندم على ما مضى من فعل قبيح.

الثاني: العزم على عدم العودة إليه.

الثالث: اللجوء إلى الذنوب السابقة فإن كانت بين العبد وربه سواء كانت في الاعتقادات أو المسائل العملية كالصلوة والصوم، فعليه تأديتها، وإن كانت بين العبد والناس فعليه ارجاع كل حق إلى صاحبه^(٣).

يرى أبو عبد الله البصري أحد شيوخ المعتزلة: إن أول من قال بالارجاء المحسن معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم، وارتكتب ما تعلم، فقال: وثبتت بقوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٤).

وإلى هذا المعنى أشار عمرو بن العاص لابنه^(٥) بقوله: تركت أفضل من ذلك، شهادة أن لا إله إلا الله^(٦).

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٢) الشرح ٣٢٥ / ٦

(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٧٩٩-٧٨٩.

(٤) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٥) أنظر الكندي: الولاية والقضاء، ص ٣٣.

(٦) الشرح ٣٢٦-٣٢٥ / ٦

وفي تعقيبه على قول عمرو بن العاص يوم صفين: «كم من رجل احسن في الله، عظيم الحال لم ينج من قتلة فلان وفلان» قال ابن أبي الحميد: «ليت شعري لم برأ نفسه! وكان رأساً في الفتنة بل لولاه لم تكن؛ ولكن الله تعالى انطقه بهذا الكلام واشباهه، ليظهر بذلك شكه، وإنه لم يكن على بصيرة من أمره»^(١).

وقال في إسلام عمرو أنه مدخول أيضاً، إلا أنه لم يكن عن رضيحة، وإنما لمعنى آخر^(٢). ولم يحدد ابن أبي الحميد الوازع الذي دفع عمراً للإسلام.

وحيينا أورد ما ذكره الواقدي في غزوة بدر حول ما كان يرويه عمرو بن العاص بعد إسلامه حول رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب -في أن شخصاً أخذ صخرة من جبل أبي قبيس^(٣) وارسلها تهوى، فما بقي بيت في مكة إلا ودخلها منه فلقة فكان عمرو بن العاص يقول: لقد رأيت كل هذا، ولقد رأيت في دارنا فلقة من الصخرة التي انفلقت من أبي قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكن الله لم يرد أن نسلم يومئذ لكنه آخَرَ اسلامنا إلى ما أراد^(٤).

قال ابن أبي الحميد معلقاً: «كان بعض اصحابنا يقول: لم يكف عمراً أن يقول: رأيت الصخرة في دور مكة، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطناً على وجه النفاق، واستخفافه بعقول المسلمين زعم حتى يضيف إلى ذلك القول

(١) الشرح ٥/٢٥٦.

(٢) الشرح ١٧/٢٢٧.

(٣) أحد جبال مكة، ويقال عنه شيخ الجبال: البكري: معجم ما استعجم ٣/٤٠١٠. الحميري: الروض ص ٤٥٢.

(٤) الشرح ١/٩٢. وانظر الواقدي: المغازي ١/٢٩.

بالجبر الصراح فيقول: إن الله تعالى لم يكن إراد منه الإسلام يومئذ»^(١).

اما أبو موسى الاشعري فهو عند المعتزلة من ارباب الكبائر، لذا حكمه عندهم حكم من واقع كبيرة ومات عليها بلا توبه—قال فيه—ابن متويه—أحد معتزلة البصرة «اما أبو موسى الاشعري فإنه عظم جرمـه بما فعله، وأدّى ذلك إلى الضرر الذي لم يخفـ حاله، وكان على الله يقـنـتـ عليه وعلى غيره، فيـقولـ: اللـهمـ العـنـ مـعاـوـيـةـ أـولـاـ، وـعـمـرـاـ ثـانـيـاـ، وـبـابـ الـاعـورـ السـلـمـيـ ثـالـثـاـ، وـبـابـ مـوـسـىـ الـاشـعـرـيـ رـابـعاـ.

روي عنه عليه السلام أنه كان يقول في أبي موسى: صبغ بالعلم صبغًا وسلخ منه سلخًا وأبو موسى هو الذي روى عن النبي عليه السلام أنه قال: كان في بني اسرائيل حكمان ضالان، وسيكون في امتی حكمان ضالان، ضال من اتبعهما وأنه قيل له: ألا يجوز أن تكون احدهما؟ فقال: لا—أو كلاما ما هذا معناه—فلما بلي به، قيل فيه: البلاء موكل بالمنطق^(٢). ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبـةـ غيرـهـ، وإن كان الشـيخـ أبوـ عـلـيـ [الـجـبـائـيـ] قد ذـكـرـ في آخرـ كـتـابـ الـحـكـمـيـنـ أنه جاءـ إـلـىـ أمـيرـ المؤمنـينـ عليهـ السلامـ فيـ مـرـضـ الحـسـنـ بـنـ عـلـيـ، فـقـالـ لـهـ: أـجـئـنـاـ عـائـدـاـ أـمـ شـامـتـاـ؟ـ فـقـالـ: بـلـ عـائـدـاـ، وـحـدـثـ بـحـدـيثـ فـضـلـ الـعـبـادـةـ.ـ وـهـذـهـ إـمـارـةـ ضـعـيفـةـ فيـ تـوـبـتـهـ»^(٣).

(١) الشرح ٩٢/١٤

(٢) قول للرسول عليه السلام: أصبح يضرب كمثل. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٠٧. ابن منقد: لباب الاداب ص ٣٣٢.

(٣) الشرح ١٣/٣١٥-٣١٦. القاضي: المغني ٢٠/٢. وقد اوضح البغدادي رؤية الاشاعرة. لأهل صفين: «وقالوا في صفين ان الصواب كان مع علي (رضي الله عنه)، وإن معاوية واصحابه بغوا عليه بتأويل اخطئوا فيه ولم يكفروا بخطأهم. وقالوا: إن علياً اصاب في التحكيم غير أن الحكمين اخطأوا في خلع علي عليه السلام من غير سبب اوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر».

الفرق بين الفرق ص ٢١٢.

معركة النهروان ٣٨

بعد أن اضطر الإمام عليه السلام للقبول بالتحكيم تحت تخاذل أصحابه، وتمت كتابة صحيفة المدنة بين أهل العراق والشام، وتعيين الحكمين، وإذا بطائفة من أصحابه ينادون «لا حكم الا الله». ويطالبون الإمام عليه السلام بالاستمرار في الحرب، ولما أوضح لهم الإمام عليه السلام أن ذلك غير جائز، كفروه وخرجوا عليه معسكرين في النهروان^(١)، وبعد مناظرات له عليه السلام معهم دون فائدة كانت المعركة الثالثة وهي معركة النهروان التي تمكن الإمام من استئصال الخوارج فيها، لكنهم تفرقوا في البلاد^(٢). فيا ترى ما هو تحليل ابن أبي الحديد والمعزولة لأحداث النهروان؟.

المعروف عن سياسة الإمام عليه السلام الحربية انتهاجه أو لا الدعوة إلى السلم، وفتح باب الحوار، أما الحرب فهي آخر الدواء، وبعد أن أكد لهم أنه لا بد للناس من

(١) النهروان: نسبة إلى نهر يسمى النهروان. البكري: معجم ما استعجم ٤/١٣٣٦-٧. الحموي: معجم ٥/٣٢٤-٧. الحميري: الروض ص ٥٨٢-٥٨٣.

(٢) عن احداث معركة النهروان انظر الشرح ١/٩، ٢٠١، ٢٠١/٢، ١٩١، ٧-٢٦٥، ٨٣-٣٠٧، ١١-٣٠٧، ٣٧-١٢٩، ٦/٥، ٢٤٩/١٠، ٣٧/٩، ٣-٢٩٢/٧، ١٣١-٧٨، ٥١-١٢٧/٣. وانظر الطبرى: تاريخ ٥/١٨-٧٢، ٢٧/١٨، ٨/٣-٧٢، ١١٣/٨.

امير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر - كما اوضحتنا ذلك في بدء الفصل او فد ابن عباس لمناظرهم موصياً إياه: «لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون. ولكن حاجتهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»^(١). اعتبر ابن أبي الحديد وصيحة الإمام هذه «كلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه». حيث أن القرآن يضم الآيات المحكمة والمتشبهة، والتي يغلب على ظن البعض أنها متناقضية نحو قوله تعالى:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢).

وقوله:

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣).

ونحو قوله:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ﴾^(٤).

وقوله:

﴿وَأَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحْبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٥).

(١) الشرح ١٨/٧١. وانظر مؤلف مجھول: اخبار العباس ص ٣٩-٤٠. ابن عبد البر: جامع بيان العلم ٢/١٠٣-٤. البیهقی: السنن ٨/١٧٩-٨٠. سبط ابن الجوزی: تذكرة ص ٩٩. محب الدين: الرياض ٢/٣٢٠.

(٢) سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٤) سورة يس، الآية: ٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ١٧.

ونحو ذلك، وهو كثير جداً، واما السنة فليست كذلك، وذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتستوضح منه الاحكام في الواقع، وما عساه يشبه عليهم من كلامه؛ يراجعونه فيه، ولم يكونوا يراجعونه في القرآن الا فيما قل؛ بل كانوا يأخذونه منه تلقفاً، وأكثرهم لا يفهم معناه، لا لأنه غير مفهوم، بل لأنهم ما كانوا يتعاطون فهمه، اما اجلالاً له أو لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسألوه عنه، أو يحرون بحرى الأسماء الشريفة له التي إنما يراد منها بركتها لا الاحاطة بمعناها؛ فلذلك كثر الاختلاف في القرآن، وايضاً فإن ناسخه ومنسوخه أكثر من ناسخ السنة ومنسوخها وقد كان بعض الصحابة يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن معنى كلمة وردت في القرآن فيفسرها له تفسيراً مقتضياً، فلا يستوعب فهمها، حيث لما نزلت آية الكلالة^(١)، وقال تعالى في آخرها:

﴿وَيَسِّئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾^(٢).

سأل عمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن آية الكلالة، فاجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكيفك منها آية الصيف، لم يزد على ذلك، فسكت عمر ولم يراجعه ولم يفهم مراد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى مات عمر، وكان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بينت، فإن عمرأ لم يتبين. يشير لقوله تعالى: ﴿وَيَسِّئُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

ولكنهم في السنة كانوا على خلاف ذلك من مخاطبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفهم ألفاظه، لذا دعا الإمام ابن عباس لمحاجتهم بالسنة.

(١) ابن ماجه: صحيح ١١٥/٢. أبي داود: سنن ٣/١٢٠. ابن الطيب: المعتمد ١/٣٥٧، ٣٠٢/١.
البيهقي: السنن ٦/٨، ٢٢٤/١٥٠. القرطبي: الجامع ٦/٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢.

ولكن ابن عباس حاجتهم بالقرآن، كقوله تعالى:

﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾^(١).

وقوله:

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٢).

ولذلك لم يرجعوا فالتحمت الحرب. وكان غرض الإمام علي عليه السلام من المحاججة بالسنة هو ما اثر عن الرسول ﷺ من احاديث بحق الإمام علي عليه السلام ك قوله عليه السلام: «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» و قوله «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واحذل من خذله». «ونحو ذلك من الاخبار التي كانت الصحابة قد سمعتها من فلق فيه صلوات الله عليه، وقد بقي من سمعها جماعة، تقوم الحجة وتثبت بنقلهم، ولو احتاج بها على الخوارج في انه لا يحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السلام في محاجتهم، واغراض أخرى أرفع وأعلى منهم، فلم يقع الأمر بموجب ما إراد، وقضى عليهم بالحرب، حتى اكلتهم عن آخرهم، وكان أمر الله مفعولاً»^(٣).

ويروى أن الإمام علي عليه السلام تمكن قبل معركة النهروان من اقناع الخوارج حينما قالوا له: أنا اذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتوب إلى الله كما تبنا نعد لك. فقال عليه السلام: أنا استغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه وهم ستة الاف. لكن الاشعث جاء للإمام فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تحدثوا إنك رأيت

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٣) الشرح ٧١-٧٣ / ١٨.

الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً، فقام عليه وقال: من زعم أنني رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رأها ضلالاً فقد ضل، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت^(١).

عد ابن أبي الحديد ان كل فساد في خلافة الامام، وكل اضطراب فاصله الاشعش، فلو لا محاquette الامام في معنى الحكومة هذه المرة لما كانت معركة النهروان، ولكان نهض باصحابه لمعاوية، وملك الشام، فإنه صلوات الله عليه حاول أن يسلك معهم مسلك التعریض والمواربة طبقاً للمثل النبوی «الحرب خدعة» وذلك لأنهم لما قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبا ننهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم كلمة مجملة مرسلة، يقولها الانبياء وهي قوله: استغفر الله من كل ذنب. فرضوا بها واعتبروها اجابة لسؤالهم، وصفت له نياتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافاً بکفر أو ذنب، فلم يتركه الاشعش، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال وهاتكا ستر التورية والكناية، ومخراجاً لها من ظلمة الاجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بها يفسد التدبير، ويوغر الصدور، ويعيد الفتنة، ولم يستفسر عليه عنها إلا بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هدنة على دخن^(٢) ولا ترقيقاً من صبور^(٣)، والجاء

(١) الشرح ٢/٢٧٩. وانظر المبرد: الكامل ٣/٢١٠-١.

(٢) مثل يضرب على المصالح. الشريف الرضي: المجازات النبوية ص ٤٨-٩. الميداني: مجمع الأمثال ٢/٢٨٢. الزمخشري: الفائق ٣/١٩٦-٧. ابن الأثير: النهاية ٢/١٠٩. النويري: نهاية الارب ٣/٥٥.

(٣) مثل يضرب لمن كنى عن شيء ويريد غيره. أبو هلال العسكري: جهرة الأمثال ١/٢٩. الشعالي: التمثيل والمحاورة ص ٣٧. الميداني: مجمع الأمثال ٢/٢١. الزمخشري: الفائق ١/٥٠٠. ابن الأثير: النهاية ٢/٢٥٣.

بتضيق الخناق عليه إلى أن يكشف ما في نفسه، ولا يترك الكلمة على احتمالها، ولا يطويها على غرها، فخطب بما صدح به عن صورة ما عنده مجاهرة، فانتقض ما دبره، وعادت الخوارج لشبهتها الأولى. وهكذا الدول التي تظهر فيها إمارات الانقضاء والزوال، يتاح لها امثال الاشعش من اولي الفساد في الارض:

﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الدِّينِ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١).

لم يكن الإمام علي عليه السلام يستند في قتاله للخوارج على سلطته الشرعية فحسب، وإنما أيضاً إلى ما أثر عن الرسول عليه السلام في قتال الإمام هؤلاء حيث قال له عليه السلام: ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين والمعروف ان المارقين هم الخوارج، وقال عليه السلام: في وصفهم بالمارقين «يمرون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢).

وبعد أن اشتبك معهم الإمام علي عليه السلام-كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ثم يطرق للارض تارة أخرى ويقول: «ما كذبت ولا كُذِّبْتُ»، هذا الموقف من الإمام كان موضع طعن من-ابراهيم بن سيار النظام-أحد معتزلة البصرة، الذي عده ايهاماً من الإمام، إما بنزول الوحي عليه، أو أنه موحى عليه من قبل بشأن الخوارج بأمر. وأشار النظام لسؤال الحسن لأبيه(عليهما السلام): أكان رسول الله عليه السلام قد تقدم إليك في أمر هؤلاء بشيء؟ فقال عليه السلام: لا، ولكن رسول

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) أخرجه مسلم: الصحيح ١٥٩. الملاطي: التنبية ص ١٨٢-٣. البيهقي: السنن ٨/٧١-١٦٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٩٨. حب الدين: الرياض ٢/٣١٨. السيوطي: الخصائص: ٣/١٦-١٧. الفيروزآبادي: فضائل الخمسة ٢/٤٠٠-٤١٠.

الله عَزَّلَ أمرني بكل حق، ومن الحق أن اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١).

علق ابن أبي الحديد على طعن النظام قائلاً: «إن النظام أخطأ عندنا في تعریضه بهذا الرجل خطأ قبيحاً، وقال قوله منكراً، نستغفر الله له من عقابه، ونسأله عفوه عنه، ولیست الروایة التي رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه (عليهما السلام) وجوابه له، بصحیحه ولا معروفة، والمشهور المعروف المنقول نقلاً يکاد يبلغ درجة المتواتر من الاخبار، ما روى عن رسول الله عَزَّلَه في معنى الخوارج بأعيانهم، وذكرهم بصفاتهم، وقوله عَزَّلَه لعلي عَزَّلَه: «إنك مقاتلهم وقاتلهم وإن المخدج ذا الثدية منهم^(٢)، وإنك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين». فجعلهم أصنافاً ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه. وهذا من معجزات الرسول عَزَّلَه، واخباره عن الغيوب المفصلة. فما أعلم من أي كتاب نقل النظام هذه الروایة، ولا عن أي محدث رواها، ولقد كان رحمة الله تعالى بعيداً عن معرفة الاخبار والسير منصباً فكره، مجاهداً نفسه في الامور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء، ومداخلة الاجسام وغيرها، ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولا من علومه؛ ولا ريب أنه سمعها من لا يوثق بقوله، فنقلها كما سمعها»^(٣).

واما سبب نظر الامام عَزَّلَه تارة إلى السماء واخرى إلى الأرض و قوله «ما كذبت ولا كُذبت»، فهذا إشارة لاستبطائه وجود المخدج (ذا الثدية) مع القتل،

(١) الشرح ٦/١٢٩. وانظر الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٠.

(٢) هو حرقوص بن زهير ذو الخويصة الذي قال للرسول عَزَّلَه: اعدل يا محمد. الطبری: تاريخ أبي داود: سنن ٣/٢٤٥. ابن حزم: الفصل ٤/٥٥. البیهقی: السنن ٨/١٧٠-١٧١. ٥/٨٨.

الشهرستاني: الملل ١/١٥٧. السیوطی: الخصائص ٣/١٦.

(٣) الشرح ٦/١٣٠.

وخشى عليه دخول الشبهة على أصحابه لأنه أخبرهم بأنه سيقتل، فاخذ يكرر قوله «ما كذبْتُ ولا كذبْتُ» أي إن الإمام عليه لم يكذب على الرَّسُول عليه، ولا الرَّسُول عليه كذب فيما أخبر به الإمام عليه. فكان عليه حين يرفع رأسه إلى السماء يدعوه يتضرع إلى الله في تعجيل الظفر بالمخدج وحينما يطرق إلى الأرض يغلبه الهم والتفكير^(٤).

وعَدَ النَّظام قول الإمام «إذا حدثكم عن رسول الله عليه فهو كما حدثتكم، فوالله لأنَّ آخَرَ من السماء أحب إلي من أن أكذب على رسول الله عليه، وإذا سمعتموني أحدثكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة» يجري مجراه التدليس في الحديث، فلو لم يحدثهم عن الرَّسُول عليه بالعارض، وعلى طريق الایهام لما اعتذر من ذلك. ولكن ابن أبي الحديد يرى أن النَّظام قد وهم ولم يفهم مقصد الإمام عليه، فالإمام لشدة ورعيه أراد أن يميز للسامعين ما بين ما يخبر به عن نفسه، وما يرويه عن الرَّسُول عليه، وذلك لأنَّ الضرورة ربها تدعوه لاستعمال المعارض، لا سيما في الحرب القائمة على الخديعة والرأي، فأخبرهم عليه أن ما يقوله لهم بلفظ قال رسول الله عليه فهو سليم من المعارض، حال من الرمز والكناية، لأنَّه عليه لا يستجيِّز ولا يستحل الالغاز في حديث النبي عليه، أما ما يحدثهم به عن نفسه فلربما يستعمل عليه فيه المعارض لأنَّ الحرب خدعة^(٥).

وعَدَ ابن أبي الحديد كلام الإمام عليه هذا كلام من استعمل التقوى والورع

(٤) الشرح ٦ / ١٣٠ - ١٣١. فكرة ابن أبي الحديد هذه نجدها ماثلة لدى الشريف المرتضى والذي قد يكون هو مصدر ابن أبي الحديد مع عدم إشارة الأخير له. انظر: تنزيه الانبياء ص ١٧١ - ١٨٩.

(٥) الشرح ٦ / ١٣١. وانظر: الارييل: كشف الغمة ١ / ١٢٧.

في جميع اموره، حيث بلغ من تعظيم أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجلال قدره، واحترام حديثه الا يرويه الا بالفاظه لا بمعانيه، ولا بأمر يقتضي فيه إلباباً وتعمية، حتى لو كان مضطراً لذلك؛ ترجحأ للجانب الذي على جانب مصلحته في خاص نفسه، أما إذا قال كلاماً من نفسه فيجوز استعمال المعارض إذا اقتضت الحكمة والتدبر، كما كان يفعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي فتحه لملكة قال لاصحابه كلاماً يقتضي أنه يقصدبني بكر بن عبد مناة من كانة، ولم يعرفوا الحقيقة حتى شارفوها مكة، وقال لاعرابي لما سأله من أنت؟ قال من ماء. فتحير الاعرابي وقال من ماء فلان أو فلان. وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقصد انه من نطفة^(١).

وذهب النظام إلى أن الإمام لو لم يحدث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعارض لما اعتذر من ذلك، فأنكر ابن أبي الحديد وجود اعتذار للامام، وإنما الإمام نفى أن يدخل المعارض في روايته عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجازها بالنسبة لنفسه، وهذا لا يتضمن اعتذاراً، واستدل بقوله عَلِيٌّ: «لأن أخراً من النساء» دليل على أنه عَلِيٌّ ما فعله ولا يفعله^(٢).

ومن شبّهات الخوارج «نهيتنا عن الحكومة، ثم امرتنا بها، فما ندري أي الامرین ارشد». ومعنى ذلك إنك نهيت عن الحكومة أولاً ثم امرت بها ثانياً، فإن كانت قبيحة كنت بنھیک عنها مصیباً، وبأمرک فيها مخطئاً، وإن كانت حسنة، كنت بنھیک عنها مخطئاً وبأمرک بها مصیباً، فلا بد من خطأ على كل حال. يرى ابن أبي الحديد أن للإمام أن يعمل حسبياً يغلب على ظنه من المصلحة،

(١) الشرح ٦/١٣٢.

(٢) الشرح ٦/١٣٢.

^{٤٤} الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

فهو لَمَّا نهَاهم أولاً كان نهيه مصلحة، ولما امرهم بها كانت المصلحة في ظنه قد تغيرت، فامرهم على حسب ما تبدل وتغير في ظنه^(١).

وكان الإمام علي عليهما السلام قد ردَّ على قول الخارجي أعلاه: «هذا جزء من ترك العقدة» أي الرأي الوثيق، وقد استنتاج ابن أبي الحميد من هذا الكلام أن الإمام قد ظهر له فيما بعد ان الرأي الاصلح كان هو الاصرار والثبات على الحرب، وإن كان ذلك مكروراً فالله تعالى يجعل فيه الخير أي إنه للله كأن يرى حملهم على الحرب وترك الالتفات لمكيدة معاوية وعمرو من رفع المصاحف، فإذا ما استقاموا له فقد اهتدوا، وإذا لم يستقيموا فسينقسموا إلى قسمين:

الأول: اعو جاجهم وعصيائهم وفتور همتهם وقلة الجد في الحرب.

والثاني: التأني والامتناع المطلق عن الحرب.

فإذا كان الأول فسيقوم الامام بتنقيمه بالتأديب والإرشاد وارهاق الهمم
و العزائم بالتصوير والوعظ والتحريض والتشجيع . وإن كان الثاني : تدارك
الأمر بالاستنجاد بغيرهم من قبائل العرب واهل خراسان والهزاز ، فكان الله
يرى انه لو فعل ذلك ل كانت هي العقدة الوثقى أي الرأي الاصوب والاحزم .
ولكن هذا لا يعني أن الامام اخطأ بمعنى الاثم وإنما فعل ما غالب على ظنه أنه
المصلحة ، وليس الواجب عليه الا ذلك ، ولكنه ترك الرأي الاصوب ، فالاثم لا
يلحق من غالب على ظنه في حكم السياسة أمر فاعتمده ، ثم يبان له أن الاصوب
كان خلافه ، وقد قيل انه أشار لهذا المعنى بقوله ^(٢) :

٢٩٢-٢٩١/٧ (١) الشّرح

(٢) الشرح / ٧ - ٢٩٣ - ٢٩٤ . وانظر الشرييف المرضي: ترتیب الانبياء ص ١٧٠ - ١٧١ .

لقد عَثَرْتُ عَثِرَةً لَا تَنْجِبُ
سُوفَ أَكِيْسُ بَعْدَهَا وَاسْتِمْرُ

وَأَجْمَعُ الرَّأْيَ الشَّتِيْتَ الْمُنْتَشِرِ

ولقد اوضح الامام السبب الذي دعاه لعدم استخدام هذا الرأي وهو لعدم وجود من يطيعه فالذين معه قد عصوه وخالفوه، اما الغائبون في البلاد البعيدة، فإلى أن يصلوا إليه يكون العدو قد بلغ منه غرضه^(١).

لم يكن ابن أبي الحديد مصيبا فالامام يقصد بالذي ترك العقدة إنها أصحابه الذين اصرروا على التحكيم رغم ایضاح الامام لهم انه مكيدة.

ونّوّه ابن أبي الحديد برؤية أحد كبار معتزلة البصرة ألا وهو الجاحظ حول موقف الامام من التحكيم وهي: «من عرفه عرف أنه غير ملوم في الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنه ملّ من القتل وتجريد السيف ليلاً ونهاراً، حتى ملت الدماء من اراقته لها، وملت الخيال من ت quamمه الا هوال بها، وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة، والارزاء العظيمة، واستلاب الانفس، وتطاير الابيدي والارجل بين يديه، واكلت الحرب أصحابه واعداءه، وعطلت السواعد، وخدرت الابيدي التي سلمت من وقائع السيف بها، ولو أن أهل الشام لم يستعنوا من الحرب، ويستقليوا من المقارعة والمصادمة، لادت الحال إلى قعود الفيلقين معاً، ولزومهم الارض والقائهم السلاح، فإن الحال أفضت بعظمها وهو لها إلى ما يعجز اللسان عن وصفه»^(٢).

إن رؤية الجاحظ هذه تبدو عليها ميوله الخاصة، إنه تناهى أن معاوية طلب

(١) الشرح ٧/٢٩٤. انظر رؤية الإمامية عند التستري ١٠/٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) الشرح ٧/٢٩٣ - ٢٩٤. وانظر: الصاحب بن عباد: نصرة مذاهب الزيدية ص ٧١ - ٨٣.

فرساً لينهزم، وهذا ما كان الا بعد أن ادرك حلول الهزيمة، وتناسى الجاحظ عبقرية عمرو بن العاص ودهائه واستخدامه المصاحف للاغراض الحربية الشخصية بدلاً من الاغراض الربانية، وتناسى أنه بعد أن القيت الشبهة على أهل العراق انسحب أكثرهم ما خلا الاشتراط معه وهو يتقدم شبراً شبراً وفي هذا دلالة على هزيمة واضحة لأهل الشام، فأين يا ترى هذا من رؤية الجاحظ إنه لو لم يطلب أهل الشام ايقاف الحرب، للجأ الطرفان للجلوس على الارض وإلقاء السلاح، دلالة على تساويهما بالقتال، إن هذا الرأي من الجاحظ يفسره ميله كاحد شخصيات معتزلة البصرة!!؟.

إن الخوارج تذهب إلى تكبير مرتكب الكبيرة وقد عدوا التحكيم من الكبار لذا كفروا الإمام علي عليه السلام وكل من قبل التحكيم، وقد ردَّ الإمام علي عليه اعتقادهم هذا بأنَّ النبي ﷺ لم يكفر مرتكب الكبيرة، فقد رجم الزاني ثم صلى عليه، وورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحسن ثم قسم لهما من الفيء، وزوجهما من المسلمات واحتجاج الإمام هذا لازم وصحيح لأنَّه لو كان مرتكب الكبيرة كافر لما صلَّى عليه الرسول ﷺ، ولا ورثه، ولا زوجه المسلمات، ولا أعطاه من الفيء، ولا خرجه من لفظ الإسلام^(١).

ولكن الإمام أوصى بعدم قتال الخوارج من بعده قائلاً: «لا تقاتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فاختلط، كمن طلب الباطل فادركه». فمراده^{عليه السلام} أنَّ الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم مع أنهم كانوا يطلبون الحق،

ولهم تمسك في الدين ومحاماة عن عقيدة اعتقادوها وإن كانوا مخطئين فيها، في حين ان معاوية لم يكن يطلب الحق، وإن كان ذا باطل، ولا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة، واحواله كانت تدلل على ذلك، فإنه لم يكن من ارباب الدين، ولا ظهر عنه نسك ولا صلاح حال، وكان متراجعاً يذهب مال الفيء في ماربه؛ وتمهيد ملكه ويصانع به عن سلطانه، وكانت احواله كلها مؤذنة بانسلاخه من العدالة، واصراره على الباطل، وإذا كان كذلك لم يجز أن ينصر المسلمين سلطانه، وتحارب الخوارج عليه، وأن كانوا أهل ضلاله؛ لأنهم احسن حالاً منه، فانهم كانوا ينہون عن المنكر، ويرون الخروج على ائمة الجور واجباً^(١).

والمعتزلة تتفق مع الخوارج في وجوب الخروج على ائمة الجور وإن الفاسق المتغلب بغير شبهة يعتمد عليها لا يجوز نصره على من يخرج عليه من ينتمي إلى الدين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل يجب أن يُنصر الخارجون عليه، وإن كانوا ضالين في عقيدة اعتقادوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لأنهم اعدل منه واقرب للحق، والمعروف أن الخوارج ملتزمون بالدين، وعلى العكس من معاوية^(٢).

وبعد سرده لاحادث وسير رجالات الخوارج^(٣) قال ابن أبي الحميد «فهذا يسير ما هو معلوم من حال هذا الطائفة في خشونتها في الدين، وتلزمها بناموسه، وإن كانت في أصل العقيدة على ضلاله، وهكذا قال النبي صلوات الله عليه وسلم، تستحرق صلاة

(١) الشرح ٥/٧٨.

(٢) الشرح ٥/٧٨-٧٩، ١٣١. ومن هنا سمي المعتزلة: مخانيث الخوارج لأنهم لم يحملوا السلاح.

البغدادي: الفرق ص ٧١

(٣) الشرح ٥/٨٠-١٢٩.

احدكم في جنوب صلاتهم، وصيام احدكم في جنوب صيامهم»^(١).

ومعلوم أن معاوية ومن بعده من بنى أمية لم تكن هذه الطريقة طريقتهم؛
ولا هذه السنة سنتهم، وأنهم كانوا أهل دنيا واصحاب لعب ولهو وانغماس في
الملذات، وقلة مبالاة في الدين، ومنهم من هو مرمي بالزندقة واللحاد»^(٢).

ولذلك قال عليه السلام ولو لم أكُن فيكم لما قوتل أهل الجمل والنهروان ولم يقل
أهل صفين لأن الشبهة كانت في أهل الجمل والنهروان ظاهرة الالتباس، فكان
أهل النهروان أهل قرآن وعبادة واجتهاد، وعزوف عن الدنيا وإقبال على امور
الآخرة، وهم كانوا قراء العراق وزهادهم، واما معاوية «... مشهور بقلة
الدين...؛ وكذلك ناصره ومظاهره على امره عمرو بن العاص؛ ومن اتبعهما
من طعام أهل الشام واجلافهم وجهايل الاعراب، فلم يكن امرهم خافياً في
جواز محاربتهم واستحلال قتالهم، بخلاف حال من تقدم ذكره»^(٣).

ويخلص ابن أبي الحديد في ايضاحه لرؤيه المعتزلة إلى الخوارج للقول:
«اما الخوارج فإنهم مرقوا على الدين بالخبر النبوى المجتمع عليه، ولا يختلف
اصحابنا في أنهم من أهل النار»^(٤).

تجدر الاشارة إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب استشار الإمام علي عليه السلام في
الخروج لغزو الروم فكان جواب الامام: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك،

(١) الزمخشري: ربيع الابرار ٢ / ٣٥٤-٣٥٥ . الشهريستاني: الملل ١ / ١٥٧ .. السيوطي: الخصائص الكبرى ٣/٦.

(٢) الشرح ٥/١٢٩.

(٣) الشرح ٧/٥٨.

(٤) الشرح ١/٩.

فتلقهم فتنكب، لا يكن لل المسلمين كهف دون أقصى بلادهم. ليس بعده مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفظ معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت رداءً للناس ومثابة للMuslimين».

فهنا الإمام يشير على الخليفة بعدم الخروج حذراً من أن يصاب، فيذهب المسلمين كلهم لذهب الرأس، بل يبعث أميراً ويقيم بالمدينة رداءً لهم وفسر ابن أبي الحديد سبب خروج الرسول عليه السلام بالحروب لأنه كان موعوداً بالنصر، وأمنا على نفسه بالوعد الاهلي في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١).

وليس عمر كذلك، إذاً فما بال الإمام شارك بالحرب بنفسه في الجمل وصفين والنهر وان لم يبعث أميراً محرباً واقام هو بالمدينة رداءً ومثابة! هنا قدم ابن أبي الحديد جواباً؛ الأول: إنه عليه السلام كان عالماً من جهة النبي عليه السلام بألا يقتل في هذه الحروب، ويشهد لذلك قوله عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين والثاني: قد يكون غالب على ظنه عليه السلام أن لا يقوم أحد بمقامه، فلم يوجد أميراً محارباً من أهل البلاء والنصيحة، فمن كان في أصحابه محرباً لم يكن من أهل النصيحة له، ومن كان من أهل النصيحة لم يكن محرباً، فدعاه ذلك لمباشرة الحرب^(٢).

تحليل ابن أبي الحديد لسياسة الإمام علي عليه السلام.

إن ملاحظة سير حوادث خلافة الإمام علي عليه السلام منذ البدء مروراً بحربه

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) الشرح ٢٩٦-٢٩٨/٨.

الثلاث ثم ما آل إليه حاله بعد معركة النهر وان من تخاذل أصحابه، وفار بعضهم إلى معاوية، أو من ترك ولالياته بعدأخذ اموالها، ثم ما قام به معاوية من شن الغارات على المدن الموالية للإمام حتى فتح مصر، والإمام من جانبه يستصرخ أصحابه دون جدوى^(١).

هذا الحال دفع البعض للاعتقاد بأن السبب يكمن في حسن سياسة معاوية، وسوء تدبير الإمام عليه السلام، يقول ابن أبي الحديد: «إن قوماً من لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام، زعموا أن عمراً كان اسوس منه، وإن كان هو أعلم من عمر، وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في الشفاء في الحكمة^(٢)، وكان شيخنا أبو الحسين [البصري] يميل إلى هذا، وقد عرض به في كتاب العز^(٣)، ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان اسوس منه، واصح تدبيراً»^(٤).

ومن خلال مقارنته بين سياسة الإمام وسياسة معاوية، أورد ابن أبي الحديد اسباباً أدت إلى تغاير السياسيين وما نتج عنهم، وهي:

أولاً: إن الإمام علي عليه السلام اعتمد في سياسته السير على كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام في الوقت الذي اعتمد معاوية سياسة الحيل والمكاييد، وقد اوضح ذلك في طرحة لرؤيه الجاحظ^(٥) وهو من كبار معتزلة البصرة، حيث يقول الجاحظ: «ربما رأيت

(١) انظر تفاصيل خلافة الإمام عند الطبرى: تاريخ /٤ ، ٥٧٦-٤٢٧ /٥ .

(٢) لم يتثنى لي وجود هذا الرأي في كتاب الشفاء.

(٣) أحد كتبه الكلامية، وقد شرحه ابن أبي الحديد بكتاب شرح مشكلات الغرر. علي جواد محي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٣٨ .

(٤) الشرح ٢١٢ /١٠ . وانظر رؤية العثمانية. رسائل الجاحظ السياسية ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٥) رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٦٥ - ٣٦٨ .

بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز - وهو من العامة ويظن أنه من الخاصة - يزعم أن معاوية كان أبعد غوراً، واصح فكراً، واجود رؤية، وابعد غاية، وادق مسلكاً ؛ وليس الامر كذلك، وسأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه و المكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله..».

ثم أبان الجاحظ الاشكال الذي وقع فيه هؤلاء إذ قال: «كان عليه السلام لا يستعمل في حربه الا ما وافق الكتاب والسنة وكان معاوية، يستعمل خلاف الكتاب والسنة؛ كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكاييد، حلها وحرامها، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رتبيل^(١). وعلى عليه السلام يقول: لا تبدؤوهם بالقتال حتى يبدؤوكم، ولا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً؛ وهذه سيرته في ذي الكلاع، وفي أبي الاعور السلمي، وفي عمرو بن العاص، وحبيب بن مسلمة^(٢)، وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والخشوع والاتباع والسفلة واصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتواء، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نiams فعلوا، وإن امكن ذلك في طرفة عين لم يؤخره إلى ساعة، وإن كان الغرق اعجل من الخرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخرروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن امكن الهدم لم يتكلفو الحصار، ولم يدعوا أن ينصبوا المجانيق^(٣)، والعرادات^(٤)،

(١) خاقان لقب ملوك الترك. أما رتبيل فهو اسم أحد ملوك الترك أيام الحجاج. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٧٣. ابن نباتة: سرح العيون ص ١١.

(٢) كل هؤلاء كانوا في صف معاوية ضد الإمام علي عليه السلام.

(٣) آلة ترمي الحجارة الشرح: ٢٢٨ / ١٠.

(٤) من الالات الحربية، واصغر من المنجنيق تستخدم لرمي الحجارة نحو الاماكن البعيدة =

والنقب والتسريب، والدبابات^(١)، والكمين، ولم يدعوا دس السموم، ولا التضليل بين الناس بالكذب، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعایات، وتوهیم الأمور، وايحاش بعض من بعض، وقتلهم بكل آلة أو حيلة؛ كيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال^(٢).

وقد اوضح الباحث أن من يقتصر تدبیره على الكتاب والسنة يكون قد منع نفسه الطويل العريض من التدبیر؛ وما لا يتناهى من المکايد لأن «الكذب- حفظك الله- أكثر من الصدق، والحرام أكثر عدداً من الحلال، ولو سمي انسان انساناً باسمه لكان قد صدق، وليس له اسم غيره، ولو قال: هو شیطان أو كلب أو حمار أو شاة أو بعير أو كل ما خطر على البال، لكان كاذباً في ذلك، وكذلك الإيمان والکفر وكذلك الطاعة والمعصية، وكذلك الحق والباطل، وكذلك السقم والصحة، وكذلك الخطأ والصواب»^(٣).

اذاً لما كان الإمام ملجمًا بالورع عن جميع القول الا ما هو رضا الله، ومن نوع اليدين من كل بطش الا ما هو رضا الله، ولا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله ويحبه، وما دل عليه الكتاب والسنة، دون ما يعتمد اصحاب الدهاء والنکراء والمکايد، لذا لما ابصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المکايد، وغرائبها في الخداع، وما حصل عليه يده، ولم يجدوا ذلك لعلي عليه السلام «ظنوا- بقصر عقولهم،

. ٢٢٨/١٠: الشرح.

(١) آلية حربية تتخذ للحصار، يدخل فيها الرجال ثم تدفع داخل الحصن، ويعمل الرجال على تنفيذه.

. ٢٢٨/١٠: الشرح.

(٢) الشرح ٩- ٢٢٨/١٠.

(٣) الشرح ٢٢٩/١٠.

وقلة علومهم -أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقسان عند علي عليهما السلام . فانظر بعد هذه كله، هل يعدل له من الخدع الا رفع المصاحف! ثم أنظر هل خدع بها إلا من عصى رأي علي عليهما السلام ، وخالف امره! ^(١).

ثم أكد الجاحظ أن ما ناله معاوية من اختلاف أصحاب الامام لا يعود إلى ضعف سياسة الامام وإنما إلى «غرارة أصحاب علي عليهما السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم» ^(٢).

ويرى الجاحظ ان الصالحين لا يوصفون بالدهاء والمكر، ولذا «لا نقول ما كان انكر أبا بكر بن أبي قحافة! وما كان انكر عمر بن الخطاب! ولا يقول أحد عنده شيء من الخير: كان رسول الله عليهما السلام ادھی العرب والعجم، وانكر قريش وامكر كنانة؛ لأن هذه الكلمة إنما وضعت في مدح أصحاب الارب ومن يتعقب في الرأي في توكيده الدنيا وزبرتها وتشييد اركانها، فاما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر، وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر، فإن هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء، ولم يمنعوا هذا إلا يعطوا أفضل منه، وضرب الجاحظ مثلاً في وصف المغيرة لعمر بن الخطاب قائلاً فيه: «كان عمر اعقل من أن يخدع، وأفضل من أن يخدع». ولم يصفه المغيرة بالدهاء والنكراء، لأنه علم انه إذا اطلق على الأئمة الالفاظ التي لا تصلح في أهل الطهارة، لكان ذلك غير مقبولاً ^(٣).

(١) الشرح ٢٢٩/١٠.

(٢) الشرح ٢٢٩/١٠.

(٣) الشرح ٢٣٠-٢٢٩/١٠.

ثم أشار الجاحظ لعذر معاوية: «آخر جوا إلينا قتلة عثمان، ونحن لكم سلم» فتسائل: فاجهد كل جهلك، واستعن بمن شايوك إلى أن تخلص إلى صواب رأي في ذلك الوقت اضلهم على، حتى تعلم أن معاوية خادع، وإن علياً عليه السلام كان المخدوع.. وأكد الجاحظ أن نجاح معاوية يكمن في ابتلاء الإمام علي عليه السلام - باصحابه ودهره «بما لم يمتحن امام قبله من الاختلاف والمنازعة، والتشاح من الرياسة والتسرع والعجلة! وهل أتي علي عليه السلام الا من هذا المكان». وضرب الجاحظ مثلاً بمؤامرة الخوارج على قتل علي عليه السلام ومعاوية وعمراً، «فكان من الاتفاق أو من الامتحان، أن كان علي من بينهم هو المقتول»^(١).

وعلق ابن أبي الحديد أنه من تأمل كلام الجاحظ بعين الانصاف، ولم يتبع الهوى علم صحة جميع ما ذكر، وأن الذي وقع للامام نتيجة اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له، ولأنه لزم سنن الشريعة، ومنهج العدل، في الوقت الذي خرج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استهالة الناس إليهم رغبة أو رهبة وينخلص للقول: «فلولا أنه عليه السلام كان عارفاً بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة، حاذقاً في ذلك، لم يتجمع عليه إلا القليل من الناس، وهم أهل الآخرة خاصة؛ الذي لا ميل لهم إلى الدنيا، فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه؛ واجتمع عليه من العساكر والاتباع ما يتجاوز العد والحصر، وقاتل بهم أعداءه الذي حاهم حاهم، فظفر في أكثر حربه، ووقف الأمر بينه وبين معاوية على سواء، وكان هو الاظهر والاقرب إلى الانتصار-علمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين»^(٢).

(١) الشرح ٢٣١-٢٣٠ / ١٠.

(٢) الشرح ٢٣١ / ١٠.

ويرى ابن أبي الحديد أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرى فيه صلاح ملكه، سواء وافق الشريعة أم لا، وإذا لم ي العمل بذلك، فبعيد أن يتنظم أمره أو يستوثق حاله، ولما كان الإمام مقيداً بالشريعة ومتابعاً لها ورافضاً ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير فإذا لم يكن للشرع موافقاً، لذا لم تكن قاعدته في الخلافة كقاعدة غيره^(١).

وفي معرض مقارنته بين سياسة عمر بن الخطاب -رض- وسياسة الإمام علي عليه السلام قال ابن أبي الحديد: «كان [عمر] مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، ويرى تخصيص عمومات النص بالأراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيid خصمـه، ويأمر أمراءه بالكيد والخيـلة، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أن يستوعـب ذلك، ويصفـح عن آخـرين قد اجـتـرـمـوا ما يـسـتـحـقـونـ به التـأـديـبـ، كلـ ذـلـكـ بـقـوـةـ اـجـتـهـادـهـ وماـ يـؤـدـيـهـ إـلـيـ نـظـرـهـ»^(٢).

هذا المنهج يرى ابن أبي الحديد لا يطابق منهج الإمام علي عليه السلام لأنـهـ: «كان يقف مع النصوص والظواهر، ولا يتعداها إلى الاجتهاد والاقيسـةـ، ويطبقـ اـمـورـ الدـنـيـاـ عـلـىـ اـمـورـ الدـيـنـ، ويـسـوـقـ الـكـلـ مـسـافـاـًـ وـاحـدـاـ، وـلاـ يـضـعـ وـلاـ يـرـفـعـ الـاـكـتـابـ وـالـنـصـ، فـاـخـتـلـفـ طـرـيـقـاتـهـاـ فـيـ الـخـلـافـةـ وـالـسـيـاسـةـ، وـكـانـ عـمـرـ مـعـ الـذـكـرـ شـدـيدـ الـغـلـظـةـ وـالـسـيـاسـةـ، وـكـانـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـثـيرـ الـحـلـمـ وـالـصـفـحـ وـالـتـجـاـزـ، فـازـدـادـتـ خـلـافـةـ ذـاكـ قـوـةـ، وـخـلـافـةـ هـذـاـ لـيـنـاـ؛ وـلـمـ يـمـنـ عـمـرـ بـاـ مـنـيـ بـهـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـتـنـةـ عـشـانـ؛ الـتـيـ اـحـوـجـتـهـ إـلـىـ مـدارـةـ أـصـحـابـهـ وـجـنـدـهـ وـمـقـارـبـهـمـ، لـلـاضـطـرـابـ

(١) الشرح ٢١٢/١٠.

(٢) الشرح ٢١٣-٢١٢/١٠.

الواقع بطريق تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنة الجمل، وفتنة صفين، وفتنة النهر وان، وكل هذه الامور مؤثرة في اضطراب الوالي وانحلال معاقد ملكه، ولم يتفق لعمر شيء من ذلك، فشتان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وحتى تدبير الخلافة»^(١).

ولكن إذا كان السير على النصوص هو السبب في ما عاناه الإمام علي عليه السلام، فلماذا انتظمت سياسة الرسول عليه السلام وهو أيضاً من كان يعمل بالنصوص ولا يتعداها؟ أكد ابن أبي الحديد أنه لا يمكن المقارنة بين سياسة النبي عليه السلام وغيره لأنه معصوم لا تتطرق الغفلة إلى افعاله، ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا وأيضاً فإن كثيراً من الناس ذهبوا إلى أن الله أذن للرسول عليه السلام للحكم بالشرعيات برأيه، وحتى إذا كان الرسول عليه السلام مجتهداً كما يرى البعض، فإن اجتهاد الإمام لا يرقى إلى اجتهاده^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول: «فقد بان بها او ضحنا فساد قول من قال: إن تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة، وبان أنه اصح الناس تدبيراً واحسنهم سياسة، وإنما الهوى والعصبية لا حيلة فيها!»^(٣).

ثانياً: الاموال: إن سياسة توزيع الاموال كانت سبباً في ابعاد الناس عن الإمام وانجذابهم إلى معاوية، حيث ان سياسة الإمام علي عليه السلام قائمة على اساس

(١) الشرح ٢١٣/١٠.

(٢) الشرح ٢١٣/١٠-٢١٤. ولكن الا تدلل آية التطهير والمباهلة وحديث المترفة وغيرها من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على عصمة الإمام علي^{\$}، والقول بالعصمة قال به أيضاً ابن متويه من معتزلة البصرة كما مر بنا قبل قليل.

(٣) الشرح ٢٦٠/١٠.

توزيع الاموال بالتساوي وذلك بالرجوع إلى سياسة الرسول عليه السلام وابي بكر. في حين ان سياسة معاوية قائمة على دس الاموال لرؤساء القبائل لكسب ودهم، ففي شرحه لكلام الإمام «أوليس عجباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا ادعوكم وانتم ترثيكة الإسلام وبقية الناس إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتتفرقون عنى، وتختلفون علي!».

اوضح ابن أبي الحديد أن معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء، وإنما كان يعطي رؤساء القبائل اليمنية، وسكان الشام من الوجهاء الاموال الجليلة، يستعبدهم بها، ثم يقوم أولئك الرؤساء بدعة اتباعهم فيطبعونهم اما حمية، او لاياد وعوارف من أولئك الرؤساء عندهم، ومنهم من يطيعهم تديناً بدعوى الطلب بدم عثمان، إلا أنه لا يصل هؤلاء الاتباع من اموال معاوية لا قليل ولا كثير. في الوقت الذي يقسم فيه الإمام علي عليه السلام العطاء والارزاق على وجه المساواة بين الرؤساء والاتباع، ولا يرى شرفاً لشريف على مشرف «فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر من ينصره ويقوم بأمره، وذلك لأن الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون في أنفسهم من ذلك اعني المساواة بينهم وبين الاتباع فيخذلونه عليه باطنناً، وإن أظهروا له النصر، وإذا احس اتباعهم بتخاذلهم وتواكلوا أيضاً، ولم يجد علي (صلوات الله عليه) ما اعطى الاتباع من الرزق، لأن انتصار الاتباع له وقتا لهم دونه لا يتصور وقوعه، والرؤساء متخاذلون، فكان يذهب ما يرزقهم ضياعاً»^(١).

إن مسألة سبب تقاعده العرب عن نصرة الإمام علي عليه السلام هو أمر المال،

لأن الإمام لم يكن يفضل شريفاً على مشرف، ولا عربياً على اعجمي، ولا يصانع الرؤساء وامراء القبائل كما يفعل الاخرون، ولا يستميل أحداً لنفسه، كما يفعل معاوية، لذا ترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية، وقد شكا الإمام عليه السلام ذلك لمالك الاشتراط أحد المقربين إليه، فقال الاشتراط: يا أمير المؤمنين؛ إننا قاتلنا أهل البصرة باهل الكوفة، ورأي الناس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النيمة، وقل العدد، وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق، وتنصف الوضيع من الشرييف فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة من معك من الحق إذ عموا فيه، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يحتوي الحق ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل اليك اعنق الرجال، وتصف نصيحتهم لك وتستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين! وكبت أعداءك، وفض جعهم.

فكان جواب الإمام علي عليه السلام: «اما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل فإن الله عز وجل يقول: «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن اساء فعليها وما ربك بظلم للعيid»^(١)، وأنا من اكون مقصراً اخوف. واما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا جحاؤا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا الا دنيا زائلة عنهم، وكأن قد فارقوها، وليسألن يوم القيمة؛ اللدنيا أرادوا أم الله عملوا؟ واما ما ذكرت من بذل الاموال، واصطنان الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرءاً من الفيء أكثر من حقه، وقد

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿كُمْ مِنْ فِتَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبْتُ فِتَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وحده فكتّره بعد القلة، وأعزّ فنته بعد الذلة، وأن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يذهب في خلافته كالملوك الذين يصانعون بالاموال، ويصرفونها في مصالح ملوكهم وملاذ أنفسهم، ولم يكن -عليه السلام- من أهل الدنيا، وإنما كان رجلاً متألهاً صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً^(٣).

ثالثاً: الأصحاب: لقد ابْتَلَيَ الإمام علي عليه السلام ب أصحابه يدعوهم فلا يستجيبون، ويكلّمهم فيكذبونه، في الوقت الذي كان فيه معاوية لا يجد من أصحابه إلا السمع والطاعة، فيصدقونه إذا قال، ويطيعونه إذا أمر، ويصور لنا الجاحظ موقف الإمام علي عليه السلام بأنه قد امتحن في أصحابه وفي دهره بما لم يمتحن امام قبله من اختلاف أصحابه ونزاعهم. وكان عليه السلام لا يريد من طاعة أصحابه إلا نصرة دين الله والقيام بحدوده، وحقوقه، لا يريد لهم لحظ نفسه، أما هم فيريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقرير، والأسباب الموصولة لمنافع الدنيا، ولذا كان عليه السلام يقول: «إني أريدكم لله، وانتم تريدونني لأنفسكم»^(٤).
وكان الإمام مدركاً أن اصلاحهم لا يكون إلا بالسيف «ولأني لعلم بها

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٢) الشرح ٢/١٩٧-١٩٨.

(٣) الشرح ٢/٢٠٢-٢٠٣.

(٤) الشرح ٩/٣١-٣٢.

يصلحكم، ويقيم اودكم، ولكنني والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي». لأنه لا يستحلّ من دماء أصحابه ما يستحله من يريد الدنيا وسياسة الملك^(١)، ويتساءل ابن أبي الحميد: اليس نصرة الامام واجبة؟ فلم لا يقتلهم إذا اخلوا بهذا الواجب؟ ترى المعتزلة انه ليس كل اخلال بواجب عقوبته القتل، كالحجج مثلاً ، ولربما تكون عاقبة القتل فسادهم عليه وشعبهم الذي يفضي لقتلهم إياه وقتل أولاده أو تسليمه لمعاوية، وإذا علم ذلك أو غالب على ذنه لا يجوز أن يسو سهم بالقتل، فلو ساهم الحال هذه لكان آثماً ومواقاً لقبيح وفي ذلك افساد لدینه^(٢).

ونتيجة لهذه المعاناة أشار الإمام علي عليه السلام إلى أنه لم يأتهم اختياراً وإنما اضطراراً لأنه لو لا يوم الجمل لم يحتج للخروج من المدينة إلى العراق استنجاداً باهل الكوفة على أهل البصرة- لأن جيشه الحجازي لم يكن وافياً باهل البصرة، فخروجه من المدينة وهي دار الهجرة، ومفارقته لقبـر الرسول عليه السلام وـقبر فاطمة عليهما السلام ليس عن إيثار ومحبة، ولكن الأحوال تحكم وتسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابداً^(٣).

وأشار الإمام علي عليه السلام لنكتة لطيفة فقال: «ولقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي» حيث من تأمل احواله - عليه السلام - في خلافته، علم أنه كان كالمحجور عليه، ولا يتمكن من بلوغ ما في نفسه، لأن العارفين بحقيقة حاله اقلية، أما السواد الاعظم فلا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقاده فيه، ويررون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه، ويظنون أن الافضلية بالخلافة، ويررون أنه

(١) الشرح ٩/١٠٢-٤.

(٢) الشرح ٦/١٠٤.

(٣) الشرح ٦/١٢٧-١٢٨.

لولا أن الاوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدّموهم، ولا يرونـه إلا بعين التبـعـية
لمـن سـبـقهـ، وأنـه كانـ رـعـيـة لـمـن سـبـقهـ، وـكـانـ أـكـثـرـهـم يـحـارـبـ معـهـ حـمـيـةـ وـبـنـخـوـةـ الـعـرـبـيـةـ
لاـ بـالـدـيـنـ وـالـعـقـيـدـةـ، نـتـيـجـةـ لـذـلـكـ اـضـطـرـالـلـلـهـ مـلـدـارـاـتـهـ وـمـقـارـبـتـهـ؛ وـلـمـ يـكـنـ قـادـرـاـ
عـلـىـ وـاـظـهـارـ ماـعـنـدـهـ، «أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ كـتـابـهـ إـلـىـ قـضـاتـهـ فـيـ الـامـصـارـ وـقـولـهـ: فـاقـضـوـاـكـماـ
كـنـتـمـ تـقـضـوـنـ، حـتـىـ تـكـوـنـ لـلـنـاسـ جـمـاعـةـ، وـاـمـوـتـ كـمـاـ مـاتـ اـصـحـابـ»^(١).

وهـذاـ الـكـلامـ لاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـفـسـيرـ، وـمـعـنـاهـ وـاضـحـ، وـهـوـ اـنـهـ قـالـ لـهـمـ: اـتـبعـواـ
دـعـاتـكـمـ الـآنـ بـعـاجـلـ الـحـالـ فـيـ الـاـحـكـامـ وـالـقـضـائـاـ الـتـيـ كـنـتـمـ تـقـضـوـنـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ
يـكـونـ لـلـنـاسـ جـمـاعـةـ، أـيـ إـلـىـ أـنـ تـسـتـقـرـ هـذـهـ الـاـمـورـ وـالـخـطـوبـ عـنـ الـاـجـتمـاعـ وـزـوـالـ
الـفـرـقـةـ وـسـكـونـ الـفـتـنـةـ وـحـيـئـذـ اـعـرـفـكـمـ مـاـعـنـدـيـ فـيـ هـذـهـ الـقـضـائـاـ وـالـاـحـكـامـ الـتـيـ
قـدـ اـسـتـمـرـتـمـ عـلـيـهـاـ...ـ أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ قـولـهـ عـلـىـ الـمـنـبـرـ فـيـ اـمـهـاتـ الـاـوـلـادـ «ـكـانـ رـأـيـيـ
وـرـأـيـ عـمـرـ الـاـ يـبـعـنـ، وـأـنـاـ أـرـىـ الـآنـ بـيـعـهـنـ».ـ فـقـامـ إـلـيـهـ عـبـيـدـةـ السـلـمـانـيـ،ـ فـقـالـ
لـهـ: «ـرـأـيـكـ مـعـ الـجـمـاعـةـ أـحـبـ إـلـيـنـاـ مـنـ رـأـيـكـ وـحدـكـ،ـ فـمـاـ عـادـ عـلـيـهـ حـرـفاـ،ـ فـهـلـ
يـدـلـ هـذـاـ عـلـىـ الـقـوـةـ وـالـقـهـرـ،ـ أـمـ عـلـىـ الـضـعـفـ فـيـ السـلـطـانـ وـالـرـخـاوـةـ!ـ وـهـلـ كـانـتـ
الـمـصـلـحـةـ وـالـحـكـمـةـ تـقـتـضـيـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ غـيـرـ السـكـونـ وـالـامـسـاكـ!ـ».ـ وـأـضـافـ
ابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ مـثـلـاـآـخـرـ عـلـىـ أـنـ الـإـمـامـ اللـلـهـ كـانـ يـصـلـيـ صـلـاتـ الصـبـحـ جـمـاعـةـ،ـ فـقـرأـ
احـدـهـمـ رـافـعاـ صـوـتهـ مـخـالـفـةـ لـقـرـاءـةـ الـإـمـامـ عـلـيـ اللـلـهـ:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٢).

فـلـمـ يـضـطـرـبـ الـإـمـامـ عـلـيـ اللـلـهـ وـلـمـ يـقـطـعـ صـلـاتـهـ،ـ وـلـمـ يـلـتـفـتـ وـرـاءـهـ،ـ بـلـ قـرـأـ

(١) اوردـهـ الـبـخـارـيـ ٩٠ / ٥

(٢) سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ،ـ الـآـيـةـ:ـ ٥٧ـ.

معارضاً على البداهة:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفْنَكَ الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾^(١).

وهذا صبر عظيم وأنة عجيبة و توفيق بّين.^(٢)

وبهذا وامثاله استدل المعتزلة على حسن سياسة الامام وصحة تدبيره، لأن من مني بهذه الرعية المختلفة الا هواء، وهذا الجيش العاصي له والتمرد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، وقتل الرؤساء، فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ولا قدره، ويرى بعض المعتزلة أن سياسة الإمام علي عليه السلام إذا تأملها المنصف متذمراً لها فضلاً عن احواله التي دفع إليها مع اصحابه، فإنها جرت مجرى العجزات، لصعوبة الأمر وتعذرها، لأن أصحابه كانوا فرقتين:

الاولى: ترى أن عثمان قتل مظلوماً - وتتولاه وتبرأ من اعدائه.

والثانية: وهم جمهور اصحاب الحرب واهل الغناء والبأس، فيعتقدون أن عثمان قتل لاحداث اوجبت قتله.

وكل من هاتين الفرقتين تعتقد أنه يتفق معها في الرأي، وتطالبه بابداء رأيه في قتل الخليفة عثمان، فكان عليهما يعلم أنه متى ما وافق إحدى الفرقتين تركه الآخرى، وخذلتة، فاخذ - عليهما يعتمد في كلامه ما تظن كل واحدة أنه يوافقها في الرأى كقوله: «الله قتله وأنا معه» وقوله: «ما امرت به ولا نهيت عنه» وقوله: «لو امرت به لكنت قاتلاً، ولو نهيت عنه لكنت ناصراً». واخذت كل فرقة تؤول

(١) سورة الروم، الآية: ٦٠.

(٢) الشرح ٧/٧-٧٣. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية

كلامه بما يوافق توجّهها، واستمر على هذا الحال حتى وفاته «فلو لم يكن له من السياسة الا هذا القدر- مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان وال الحاجة إلى ذكره في كل مقام- لكتفاه في الدلالة على أنه اعرف الناس بها، واحذقهم فيها، واعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبیر أحوال الرجال»^(١).

ونتيجة لهذا التخاذل من اصحابه تنبأ بأن أهل الشام يتغلبون على أهل العراق، ليس لأن أهل الشام على حق، وإنما لأنهم اطوع لاميرهم، ومدار النصرة في الحرب هو طاعة الجيش وانتظام امره، لا اعتقاد الحق، فإنه ليس يعني في الحرب أن يكون الجيش محقاً في العقيدة إذا كان مختلف الآراء غير مطيع لأمر المدبر له^(٢).

وقد تبّينت وجهة نظر الإمام لأهل الكوفة بين المدح والذم، فلما حرق بهم الانتصار على أهل البصرة مدحهم مدحًا ليس باليسير ولا بالمستصغر، وقال في الكوفة وأهلها: أهلاً بك وبأهلك، ما ارادك جبار بكيد الا قصمه الله، ويثنى عليها وعلى أهلها حسب ذمّه للبصرة وعييه لها، ودعائه عليها وعلى أهلها، ولكن لما خذله أهل الكوفة يوم التحكيم، وتقاعدوا عن نصرته، وخرج منهم الخوارج، واستنفرهم فلم يخرجوا معه، ورأى منهم دلائل الوهن وإمارات الفشل، انقلب المدح ذمًّا وذلك الثناء استزاده تقريراً وتهجيناً فقال لهم «يا أهل الكوفة، لقد ضربتكم بالدرة التي اعظ بها السفهاء فما اراكم تنتهون! ولقد ضربتكم بالسياط التي أقيم بها الحدود، فما اراكم ترعنون!! فلم يبق إلا أن اضربكم بسيفي، وإنني

(١) الشرح ٧٣-٧٤ / ٧.

(٢) الشرح ٧ / ٧٢.

لاعلم بما يقوّمكم، ولكنّي لا أحب أن ألي ذلك منكم»^(١).

ولقد فسد حال أهل الكوفة او اخر خلافته، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى وينادي باسم قبيلته يقصد الشر والفتنة، فيتالب عليه فتيان القبيلة التي يمر بها ويهتفون باسم قبيلتهم، فيضربوه، وتسل السيف وثار الفتنة، وهي لا أصل لها سوى تعرض الفتى بعضهم لبعض. لذا خطب بهم الإمام قائلاً: «فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصيكم لمكارم الخصال ومحامد الافعال، ومحاسن الامور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجاداء من بيوتات العرب، ويعاسب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والاحلام العظيمة، والاخطر الجليلة، والاثار المحمودة»^(٢).

إن سياسة الإمام في السير على أحكام الكتاب والسنة، والشدة على الولاة بضرورة السير عليها، ومعاملته للجميع بالتساوي وخاصة في توزيع الاموال، دفع البعض من أصحابه لتركه والالتحاق بمعاوية، أو الخروج على طاعته مستغلين الظرف السلبي له، لذا كان من جملة الانتقادات الموجهة لسياسته «أن جماعة من أصحابه عليه السلام فارقوه؛ وصاروا إلى معاوية، كعقيل بن أبي طالب أخيه، والنحاشي شاعره؛ ومصقلة بن هبيرة أحد الوجوه من أصحابه؛ ولو لا أنه كان يوحشهم، ولا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا إلى عدوه، وهذا يخالف حكم السياسة، وما يجب من تألف قلوب الأصحاب والرعية»^(٣).

إن الذي يرغب في حطام الدنيا وزخرفها، ويحب العاجل من ملاذها

(١) الشرح ١٩٥/٢ - ١٩٦.

(٢) الشرح ١٦٦/١٣ - ١٦٨.

(٣) الشرح ٢٤٩/١٠ - ٢٥٠.

وزييتها فلا ينكر ميله لمعاوية الذي يبذل من الدنيا كل مطلوب، ويسمح بكل مأمول، ويطعم خراج مصر لعمرو بن العاص، ويضمن لذى الكلاع، وحبيب ابن مسلمة، ما يوفي على الرجاء والاقتراح والإمام علي عليه السلام - لا يعدل فيها هو امين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة وحكم الملة، حتى قال خالد بن معمر السدوسي ^(١) لعلبة بن الهيثم ^(٢) وهو يریده على مفارقتة الإمام واللحاد بمعاوية: اتق الله يا علبة في عشيرتك، وانظر لنفسك ولرحمك: ماذا تؤمل عند رجل اردته على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين (عليهما السلام) دريمات يسيرة ريشما يرثا بان ظلف عيشهما، فأبى وغضب ولم يفعل ^(٣).

عقيل بن أبي طالب:

وهو الابن الثاني لأبي طالب إذا صح وجود طالب - وهو اكبر من الإمام علي عليه السلام بعشرين سنة، خرج في بدر مع المشركين، ووقع اسيراً فاطلقه الرّسول عليهما السلام بفداء، ثم أسلم قبيل فتح مكة، يعد من نسابي العرب، وقد قال في حقه الرّسول عليهما السلام إني احبك حين حب لك وحب حب أبي طالب لك ^(٤).

تشير الروايات أن عقيلاً كان يرتاد مجلس معاوية فسأله ذات مرة قائلاً: «يا أبا يزيد: أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال:

(١) هو أحد قادة الإمام علي عليه السلام في معركة صفين. أنظر الطبرى: تاريخ /٤، ٥٧٤ /٥-٣٣.

(٢) هو من أهل الكوفة واشتراك مع الإمام في حرب الجمل وقتل فيها. أنظر: الطبرى: تاريخ /٤، ٤٩٣-٤٩٤ /٤، ٥١٣، ٥٤٢.

(٣) الشرح /١٠، ٢٥٠. وانظر الجاحظ: رسالة في الحكمين ضمن رسائل الجاحظ السياسية ص ٣٥٠.

(٤) أنظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب /٣، ١٠٧٨-٩. ابن حجر: الاصابة /٢، ٤٩٤.

أخبرك، مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله عليه السلام ونهار كنهار رسول الله عليه السلام، إلا أن رسول الله عليه السلام ليس في القوم، ما رأيت الا مصلياً، ولا سمعت الا قارئاً ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين من نفر رسول الله ليلة العقبة». ثم أخبر معاوية وجلساءه كل واحد منهم حول نسبة^(١).

ولكن هل كان هذا الالتحاق بمعاوية في خلافة الإمام علي عليه السلام أو في حكم معاوية، فهناك من يرى أنه في خلافة الإمام، وأن معاوية قال يوماً وعقيل عنده: هذا أبو يزيد، لو لا علمه أني خير له من أخيه لما اقام عندنا وتركه. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي فيدني، وقد آثرت ديني، أسأل الله خاتمة الخير^(٢).

وهناك من يرى أنه التحق بمعاوية بعد وفاة الإمام علي عليه السلام، واستدلوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه عقيل في آخر حياة الإمام، وجواب الإمام عليه حول غارة الضحاك على نواحي الكوفة كما سنرى^(٣)، حيث جاء في كتاب عقيل: «فأَفِي حَيَاةِ فِي دَهْرٍ جَرَأْ عَلَيْكَ الضَّحَاكُ! وَمَا الضَّحَاكُ؟ فَقَعْ بِقَرْقَرٍ! وَقَدْ تَوَهَّمْتْ حَيْثُ بَلَغْنِي ذَلِكَ أَنْ شَيْعَتْكَ وَانْصَارَكَ خَذْلُوكَ، فَاكْتَبْ إِلَيْ يَا

(١) الشرح ١٢٤/٢.

(٢) الشرح ١١/٢٥٢.

(٣) الشرح ١١/٢٥٢. وقد سها ابن أبي الحديد في اثناء شرحه لكتاب الإمام أعلاه لعاقل قائلاً: «قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر حال بسر بن ارطأة وغارته على اليمن في أول الكتاب». والصحيح أنها غارة الضحاك، وفعلاً أشار لها ابن أبي الحديد. الشرح ٢/١١٨ - ٢/١٤٨.

ابن امي برأيك، فإن كنت الموت تريده، تحملت اليك ببني اخيك، وولد ابيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت؛ فوالله ما أحب أن ابقي في الدنيا بعدك فوافاً، واقسم بالأعز الأجل إن عيشاً نعيشه بعده في الحياة لغير هني، ولا مري ولا نجيع». فاجابه الإمام علي عليه السلام: «اما ما عرضت به من مسيرك الى ببنيك، وبني ابيك، فلا حاجة لي في ذلك، فاقم راشداً مموداً، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن امك - ولو اسلمه الناس - متخشعاً ولا متضرعاً»^(١).

واشارت الروايات ان عقلياً جاء للkovفة في خلافة الامام وقد كف بصره، فانتظر الامام عطاءه، فاعطاه إياه، و لكنه لما التحق فيها بعد بمعاوية أعطاه معاوية مائة الف دينار^(٢).

ويخلص ابن أبي الحميد للقول: «الصحيح الذي اجتمع ثقات الرواة عليه أنه لم يجتمع مع معاوية الا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه لازم المدينة، ولم يحضر حرب الجمل وصفين، و كان ذلك بإذن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كتب عقيل إليه بعد الحكمين يستأذنه في القدوم عليه الكوفة بولده وبقية أهله، فأمره عليه بالبقاء، وقد روی خبر مشهور، أن معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه في صفين، فقال سعيد: لو دعوتني لوجدتني قريباً، ولكنني جلست بمجلس عقيل وغيره من بني هاشم ولو اوعينا لا وعيوا»^(٣).

(١) الشرح ١١٩/٢ ، ١٢٠/١٤٨ ، ١٢٠/١٦ . وانظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص ٤٣-٥ . الزمخشري: .٥٢٧/٢ . ربيع الابرار /٢

(٢) الشرح ١٢٤/٢ . ١٢٥-١٢٤

(٣) الشرح ١٠/٢٥٠ .

النجاشي الشاعر:

السبب الذي دفعه لترك الامام والالتحاق بمعاوية أنه شرب الخمر في شهر رمضان، فأقام الإمام علي عليه السلام الحد عليه، وزاده عشرين جلدة، فقال النجاشي: ما هذه العلاوة؟ قال عليه السلام لجرأتك على الله في شهر رمضان، فهرب إلى معاوية^(١).

مُصْقَلَةُ بْنُ هِبَّةَ^(٢):

ارتدى بنو ناجية^(٣) وحاربوا الامام، وقد تمكّن قائد الامام من القضاء عليهم وسيبهم، فاشترى مُصْقَلَةَ السبي وعتقهم، ولما طالبه الامام بالأموال هرب إلى معاوية، فقال عليه السلام: فعل فعل السادة وأبق إباق العبيد^(٤).

قال ابن أبي الحديد وليس تعطيل الحدود واباحة حكم الدين، وإضاعة مال المسلمين، من التألف والسياسة، لمن يريد وجه الله تعالى، والتلزم بالدين، ولا يظن بعلي عليه السلام التساهل والتسامح في صغير من ذلك ولا كبر^(٥).

الوالى المجهول:

وتوقف ابن أبي الحديد في اصدار حكم بحق شخص من اقرب المقربين للامام علي عليه السلام الذي استغل الظرف السيئ للامام، فاخذ اموال ولايته وتركتها، فكتب له الامام: أما بعد، فإني كنت اشركتك في امانتي، وجعلتك شعاري

(١) الشرح /١٠ - ٢٥١ - ٢٥٠ . وانظر ترجمته أبي هلال: الغارات ص ٣٦٥.

(٢) من ولادة الإمام علي عليه السلام ، الشرح /٣ - ١٢٧ .

(٣) عن بنى ناجية: أنظر: ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص ١٣ .

(٤) الشرح /٣ - ١١٩ - ١٤٨ - ١٤٨ /١٠ ، ٧٤ - ١٦ /١٧٥ .

(٥) الشرح /١٠ - ٢٥١ .

وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازاتي، واداء الامانة إلي؛ فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد تنكبت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، ففارقته مع المفارقين، وخذلته مع المتخاذلين، وختنه مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، ولا الامانة اديت، وكأنك لم تكن الله تريد بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك وكأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم، وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكتنك الشدة في خيانة الأمة اسرعت الكرا، وعاجلت الوثبة، واحتطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم واتبعهم، اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكبيرة، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من اخذه، كأنك-لا أبا لغيرك-حدرت إلى أهلك تراثك من ابيك وامك. فسبحان الله! اما تؤمن بالمعاد! او ما تخاف نقاش الحساب! ايها المعدود كان عندنا من أولي الالباب، كيف تسيغ طعاماً وشراباً، وأنت تعلم أنك تأكل حراماً، وتشرب حراماً، وتبتاع الإماماء، وتنكح النساء من اموال اليتامي والمساكين والمؤمنين والمujahidin، الذين أفاء الله عليهم هذه الاموال، واحرز بهم هذه البلاد! فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم اموالهم؛ فانك ان لم تفعل ثم امكتني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولا ضربتك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً الا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين (عليهما السلام) فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإراده، حتى آخذ الحق منها، وأزيح الباطل عن مظلمتها، وأقسم بالله رب العالمين، ما يسرني أن ما اخذته من اموالهم حلال لي، أتركه ميراثاً لمن بعدي فضح رويداً، فكأنك قد بلغت المدى، ودفنت تحت الثرى، وعرضت

عليك اعمالك بال محل الذي ينادي الظالم فيه بالحسنة، ويتمنى المضي في
الرجعة، ولا ت حين مناص»^(١).

لقد انقسمت الآراء في المكتوب إليه إلى قسمين، قسم يرى أنه ابن عباس
وقسم لا يرى ذلك. وقد استدل القائلون بأنه ابن عباس بالأدلة:

أولاً: الفاظ الكتاب، فإنها تشير إلى شخص مقرب من الإمام عليه السلام وهي تنطبق على ابن عباس، كقوله عليه السلام: «اشركتك في امانتي، وجعلتك بطاطي وشعاري، وإنه لم يكن في اهلي رجال او ثق منك». وقوله عليه السلام: «على ابن عمك قد كلب» وقوله عليه السلام: «قلبت لابن عمك ظهر المجن». وقوله عليه السلام: «فلا ابن عمك آسيت». وقوله عليه السلام: «لا أبا لغيرك» وهذه الكلمة لا تقال لثله، فاما غيره من افباء الناس، فإن الإمام عليه السلام كان يقول له: لا أبا لك. وقوله عليه السلام: «أيتها المعدود كان عندنا من اولي الالباب». وقوله عليه السلام: «لو أن الحسن والحسين وهذا يدل على أن المكتوب إليه هذا الكتاب قريب من أن يجري مجرى الحسن والحسين عند الإمام.

ثانياً: استدل القائلون بأنه ابن عباس بوجود روایات تشير لتبادل رسائل بين الإمام وابن عباس، حيث كتب ابن عباس للإمام: «قد أتاني كتابك تعظم على ما أصبت من بيت مال البصرة، ولعمري إن حقي في بيت المال أكثر مما أخذت، والسلام» فرد الإمام: «إن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك في بيت مال المسلمين من الحق أكثر من رجل واحد من المسلمين، فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل، وادعائك ما لا يكون ينجيك من المآثم، ويحل لك المحرم إنك لأنك المهتدى السعيد إذا! وقد بلغني أنك أخذت مكة وطننا، وضربت بها

(١) الشرح ١٦٧-١٦٨. وانظر: الكشي: رجال ص ٥٨-٦٠.

عطناً، تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف، تختارهن على عينك، وتعطي فيهن مال غيرك، فارجع هداك الله إلى رشدك، وتب إلى الله ربك، واخرج إلى المسلمين من اموالهم، فعما قليل تفارق من الفت، وتترك ما جمعت، وتغيب في صدع من الأرض، غير موسد ولا مهد، قد فارقت الاحباب، وسكنت التراب، وواجهت الحساب، غنياً عَمِّا خللت، فقيراً إلى ما قدمت».

فكتب إليه ابن عباس: «قد اكثرت علىّ، ووالله لأن القى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلها، وذهبها وعيانها وجينها، أحب إلى من القى الله بدم امرئ مسلم»^(١).

أما القسم الثاني وهم الأقل، فانكروا وقوع ذلك من ابن عباس وأكدوا انه لم يفارق الإمام عليه السلام ولا خالقه، وأنه لا زال أميراً على البصرة حتى قتل الإمام علي عليه السلام، واستدلوا بما رواه أبو الفرج في كتابه مقاتل الطالبين^(٢)، بأن ابن عباس كتب لمعاوية وهو في البصرة كتاباً بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، واستدلوا أيضاً بأن معاوية قد خدعاً أكثر أصحاب الإمام عليه السلام وجذبهم إليه بالأموال، فما باله وقد علم النبوة بين الإمام وابن عباس لم يجذب الأخير إليه، ثم أن الروايات التاريخية تؤكد مشافقة ابن عباس لمعاوية بعد وفاة الإمام عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام وشديد الخصام، وكان يمدح الإمام عليه السلام امام معاوية، ويذكر فضائله، ويمدح بمناقبه «فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر به من أمرهما». وقد

(١) الشرح ١٦٩/١٧١.

(٢) ص ٣٤.

أيد ابن أبي الحديد آراء هذا الفريق.

ويرى قطب الدين الرواندي^(١) أحد شراح نهج البلاغة أن المكتوب له هو عبيد الله بن عباس وليس عبد الله، وقد رد ابن أبي الحديد على ذلك لأن عبيد الله كان والي الإمام على اليمن وفي سنة ٤٤٠ هـ غزا بسر بن أرطأة^(٢) اليمن، وهرب منها عبيد الله، ولم ترد رواية أو خبر يفيد أن عبيد الله أخذ اموالاً أو خالف الإمام^(٣).

ويخلص ابن أبي الحديد القول: «وقد اشكل علي أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل، وقلت: هذا كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، خالفت الرواية، فإنهم قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه وقد ذكر في أكثر كتب السير. وإن صرفته إلى عبد الله بن عباس صدّني عنه ما اعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد مماته، وإن صرفته إلى غيره، ولم أعلم إلى من اصرفه من أهل أمير المؤمنين عليه السلام، والكلام يشعر بأن الرجل الخاطب من أهله وبني عمه، فأنا في هذا الموضوع من المتوقفين»^(٤).

إن هذا الموقف من ابن عباس قد أشارت له المصادر الأخرى، فقد

(١) هو سعيد بن هبة الله أحد اعلام الإمامية ت ٥٧٣ هـ. أنظر مصادر ترجمته: الزركلي: الأعلام . ١٠٤ / ٣

(٢) من الصحابة الذين وقفوا إلى جانب معاوية ضد الإمام وقد أحدث مذابح رهيبة في الحجاز واليمن. أنظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة ١/١٤٧-٨

(٣) الشرح ١٦/١٧٢-١٧٣

(٤) الشرح ١٦/١٧٢ . وانظر: ابراهيم الخوئي: الدرة النجفية ص ٣٢٨

أورد كل من البلاذري^(١) والطبرى^(٢) نص الرسائل المتبادلة بين الإمام علي عليهما السلام وابن عباس وتفاصيلها، وبعد معركة الجمل ولى الإمام علي عليهما السلام ابن عباس البصرة، وولى أبو الأسود الدؤلي على بيت المال، فمر ابن عباس ذات مرة على أبي الأسود وقال له: «لو كنت من البهائم كنت جمالاً، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى واحسنت مهنته في المشتى». فكتب أبو الأسود إلى الإمام عليهما السلام: «أما بعد، فإن الله جلّ وعلا جعلك والياً مؤمناً، وداعياً مسؤولاً، وقد بلوناك فوجدناك عظيم الامانة، ناصحاً للرعاية، توفر لهم فيئهم وتظلف نفسك عن دنياهم فلا تأكل اموالهم، ولا ترشي في احكامهم، وإن عمالك وابن عمك قد أكل ما تحت يده بغير علمك، ولا يسعني كتمانك ذلك، فانتظر رحمة الله فيما قبلنا من أمرك، واتكتب إلى برأيك إن شاء الله والسلام».

فأجابه الإمام عليهما السلام: «قد فهمت كتابك، ومثلك نصح الإمام والامة، ووالى على الحق، وفارق الجور، وقد كتبت إلى صاحبك فيما كتبت إلى فيه من أمره ولم اعلمك بكتابك إلى فيه، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامة صلاح، فإنك بذلك محقوق، وهو عليك واجب، والسلام».

وكتب الإمام لابن عباس: «قد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسرختت ربك، وأخذت أمانتك، وخنت المسلمين، بلغني أنك جردت الأرض، وأكلت

(١) انساب الاشراف ٢/١٦٩-١٧١. وانظر: التوحيدى: البصائر والذخائر ١/٤٩٠-٤٩٣. سبط

ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧

(٢) الطبرى ٥/١٤١. وايدتها من المحدثين: بوليوس: تاريخ الدوله العربيه ص ٩٥، ١٠٥. طه

حسين: علي وبنوه ٢/١٣٣-١٤٢. علي الوردي: مهزلة العقل البشري ص ٥٧-٥٨

ما تحت يديك، فارفع الي حسابك، وأعلم أن حساب الله أشد من حساب الناس. والسلام»

فكتب ابن عباس: «إن الذي بلغك عني باطل، واني لما تحت يدي اضبط واحفظ فلا تصدق على الأضنان، والسلام».

فكتب له الإمام علي عليه السلام: «إنه لا يسعني تركك حتى تعلمني ما أخذت، من الجزية؟ ومن أين أخذته، وفيها وضعت ما انفقت منه، فاتق الله فيها أثمنت عليه، واسترعيتك حفظه، فإن المتع بها أنت رازيء منه قليل وتباعه ذلك شديد والسلام».

فلما رأى ابن عباس أن الإمام لا يعفيه كتب إليه: «قد فهمت تعظيمك على مرزأة مال بلغك اني رزأته من أهل هذه البلاد، والله لأن القى الله بما في بطن هذه الارض من عقianها ولجيئها وبطلاع ما على ظهرها أحب إلى من أن القاه وقد سفك دماء الأمة لأنال بذلك الملك والامارة، فابعث إلى عملك من احبيت، فإني ضاغن عنه، والسلام».

قال البلاذري والطبرى: (١)

«ولما أراد ابن عباس الخروج، دعا أخواله من بنى هلال بن عامر ليمنعوه ف جاء الضحاك بن عبد الله الهلالي، وهو كان على شرطة البصرة، وعبد الله بن رزين الهلالي، وقيصمة بن عون الهلالي وغيرهم من الهلاليين، فقال الهلاليون: لا غناه بنا عن اخواننا من بنى هوازن، ولا غناه بنا عن اخواننا من بنى سليم، فاجتمعت قيس كلها، وصاحب ابن عباس أيضا سنان بن سلمة بن المحيق

(١) (١) انساب الاشراف ٢ / ١٧١ - ٤ . تاريخ ٥ / ١٤٢

الهذلي، والحسين بن أبي الحر العنبري، والربيع بن زياد الحارثي، فلما رأى عبد الله من معه حمل المال وهو ستة الاف الف في الغرائر^(١) ثم سار، واتبعه اخمس البصرة كلهم فلحقوا بالطف^(٢) على أربع فراسخ^(٣) من البصرة، إرادةأخذ المال منه، فقالت قيس: والله لا يصلون إليه ومنا عين تطرف. فقال صبرة بن شيبان بن عكيف الحداني وهو رأس الا زد يا قوم إن قيساً اخواننا وجيراننا في الدار، واعواننا على العدو، ولو رد عليكم هذا المال كان نصيبكم منه الاقل فانصرفوا. وقالت بكر بن وائل: الرأي والله ما قال صبرة بن شيبان، واعترزوا أيضاً، فقالت بنو تميم: والله لنقاتلهم عليه. فقال لهم الاحنف: انتم والله احق أن لا تقاتلونهم، وقد ترك قتالهم من هو بعد منهم رحمةً. فقالوا: والله لنقاتلهم عليه فقال الاحنف: والله لا اساعدكم وانصرف عنهم. فرأوا عليهم رجالاً يقال له ابن المجاعة وهو منبني تميم، فحمل عليهم الضحاك بن عبد الله الهايلي فطعن ابن المجاعة فصرعه، وحمل سلمة بن ذؤيب على الضحاك فطعنه، فاعتنيه عبد الله بن رزين الهايلي فسقطا إلى الأرض يعتركان... وكثرت الجرحى بينهم، ولم يقتل من الفريقين أحد، فقال من اعتزل من الاخمس: والله ما صنعتم شيئاً حيث اعتزلتموهם، وتركتموهם يتناحرون فجاؤا حتى صرفا وجه بعضهم عن بعض، وحجزوا بينهم، وقالوا لبني تميم: والله لنحن اسخن انساناً منكم،

(١) جمع غرارة وهي الجوالق التي يوضع فيها التبن. ابن منظور: لسان العرب ٦/٣٢١

(٢) وهي ما اشرفت من ارض العرب على العراق، وسمى بالطف لقربه من الريف. انظر: الزمخشري:

كتاب الامكنة ص ١٢٥ الحموي: معجم البلدان ٤/٣٥-٣٦. الحميري: الروض ٣٩٦.

(٣) الفرسخ هو ثلاثة اميال أو ستة. ابن منظور: لسان العرب ٢/١٠٧٣-١٠٧٤ (مادة فرسخ).

تركنا لبني عمكم شيئاً انت تقاتلونهم عليه، فخلوا عن القوم، وعن ابن اخthem، ففعلوا ذلك... ومضى عبد الله بن عباس ومعه وجوههم نحوa من عشرين سوى مواليهم ومواليه، ولم يفارقه الضحاك بن عبد الله، وعبد الله بن رزين حتى وافاه مكة.. وكان ابن عباس يعطي في طريقه من سأله ومن لم يسأله من الضعفاء حتى قدم مكة. ويقال إنه كان استودع حصين بن الحر مالاً فاداه إليه. قالوا: ولما قدم ابن عباس مكة ابتعث من حبيرة مولى بني كعب من خزاعة ثلاثة مولدات حوراء وفنور وشادن بثلاثة الاف دينار فكتب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام: «أما بعد، فإني كنت أشركتك في إمانتي ولم يكن في أهل بيتي رجل...». نص الكتاب الذي ذكرناه في صدر الموضوع. ثم أشار البلاذري لرد ابن عباس ثم رد الإمام علي عليه الذي ذكرناه سابقاً^(١).

فيما يرى آخرون أن ابن عباس لم يغادر البصرة حتى صلح الحسن، فذهب إلى الكوفة، وشهد الصلح ثم رجع إلى البصرة فحمل اثقاله، وما لا قليلاً من بيت المال ادعى بأنها ارزاقه^(٢).

وقد ذكر أبو الفرج انه بعد تحاذل عبيد الله بن عباس^(٣) وميله لمعاوية- وكان قائداً جيش الحسن الموجه لحرب معاوية-قام قيس بن سعد بن عبادة^(٤)

(١) انساب الأشراف ٢/١٧٤-١٧٦.

(٢) البلاذري: انساب الأشراف ٢/١٧٦. الطبرى: تاريخ ٥/١٤٣.

(٣) أنظر ترجمته ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٠٠٩. ابن حجر: الأصابة ٢/٤٣٧-٨.

(٤) من أشد أصحاب الإمام اخلاصاً له. الشرح ٦/٥٧-٦٥. وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب

٣/٢٤٩. ابن حجر: الأصابة ٣/١٢٨٩-١٢٩٣.

خطيباً في أصحابه قائلاً: ايه الناس، لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع أي الجبان، إن هذا وأباه وآخاه لم يأتوا ب يوم خير قط، إن آباء عم الرسول عليهما السلام خرج يقاتلته بيدر فاسره أبواليسر كعب بن عمرو الانصاري^(١) فأتى به رسول الله عليهما السلام، فأخذ فداه فقسمه بين المسلمين وإن آخاه ولاه على أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال. وإن هذا ولاه اليمن فهرب من بصرى بن ارطأة وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع^(٢).

تجدر الاشارة إلى أن عبد الله بن عباس كان ذا علاقة وثيقة جداً بالإمام علي عليهما السلام إلى درجة انه يعتبر تلميذ الإمام علي عليهما السلام، ولما سئل عن مقدار علمه من علم الإمام علي عليهما السلام، أكد أن نسبة علمه إلى علم الإمام علي عليهما السلام كالقطرة إلى البحر المحيط^(٣)، وكان ابن عباس الناطق باسم الهاشميين جميعاً، والإمام علي عليهما السلام خاصة في مناظراته مع الخليفتين عمر بن الخطاب^(٤)، وعثمان بن عفان^(٥)، حيث تظهره الروايات بمظهر المدافع والثبت لحق الهاشميين في الإمامة. ولما تولى الإمام الخلافة كان لابن عباس دور مشهور في احداث خلافته، فهو رسول

(١) انظر ترجمته: ابن حجر: الاصابة /٣ /٣٠٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٢.

(٣) الشرح ١٩ / ١.

(٤) الشرح ١٢ / ١٢٠ ، ١-٢٠ ، ٤٦ ، ٥٥-٥٠ ، ٨٢-٧٨ . وانظر اخبار العباس، ص ٣٣ ، ٩-١٢٨ .

البلاذري: انساب ٥/١٦ . اليعقوبي: تاريخ ٢/١٤٦-٧ . ابن عبد البر: الاستيعاب

٣/١١١٩ . الجوهري: فرائد ١/٣٣٤-٦ .

(٥) الشرح ٩/٨-٢٢ .

الإمام إلى كل من طلحة والزبير^(١)، ثم أم المؤمنين عائشة^(٢)، وبعد نهاية معركة الجمل أصبح ولياً على البصرة للامام^(٣)، وأشار الطبرى^(٤) أنه تولاها طيلة أيام خلافة الإمام عليه السلام، وإذا ما طلبه الإمام فكان يعين بدله ولياً من قبله. وكان الإمام قد عيّن على قضاء البصرة وبيت المال أباً الأسود الدؤلي.

اما في معركة صفين، فمسألة وجوده فيها معروفة، فكان هو الذي أشار على الإمام أن يكون ممثلاً في التحكيم، إلا أن الاشتراك واصحابه لم يوافقو عليه قائلين للامام: كأنك تبعث نفسك، إذ لا يجدون فرقاً بين الإمام وابن عباس، وكان ضمن الوفد الذي ارسل للتحكيم برئاسة أبي موسى الاشعري وانه كان ينصح أباً موسى ويجدره من مكيدة عمرو بن العاص^(٥).

ثم كان رسول الإمام عليه السلام إلى الخوارج، حيث أوصاه الإمام بأن يناظرهم بالسنة وليس بالقرآن وقد أوضحنا ذلك من قبل. وبعد ذلك عاد ابن عباس إلى البصرة.

وفي سنة ٣٨ هـ تمت لمعاوية السيطرة على مصر وتم تسليمها إلى عمرو بن العاص حسب الاتفاق المبرم، وقد قتل وإليها - من قبل الإمام - محمد بن أبي

(١) الشرح ١٦٦/٢-١٧٠.

(٢) الجاحظ: رسائل الجاحظ السياسية ص ٢١٥-٦. مؤلف مجهول: اخبار العباس وولده ١٢٥-١٢٥.

. ١٢٧ . ابن عبد ربہ: العقد الفريد ٤/٣٢٨-٩.

(٣) الطبرى ٤/٤-٥٤٣.

(٤) تاريخ ٥/٩٣، ١٣٢، ١٥٥.

(٥) الشرح ٢/٢٤٦. وانظر: مؤلف مجهول: اخبار العباس ص ٣٦-٧. الطبرى: ٥/٥١، ٦٧، ٧٠.

. ٧١ . سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٢-٣.

بكر^(١)، والواضح من الروايات أن الإمام خص ابن عباس باهتمام كبير إذ كتب له رسالة يخبره بمقتل محمد بن أبي بكر موضحاً أثر ذلك في نفس الإمام. مما دعا ابن عباس لاعادة الجواب معزيًا الإمام بمقتل محمد الذي هو ابن الإمام من صلب أبي بكر^(٢)، ولم يكتف ابن عباس بذلك بل سار إلى الكوفة بنفسه لتعزية الإمام تاركًا زياد بن أبيه في البصرة لادارة شؤونها، فاستغل انصار معاوية ذلك فارسلوا إلى معاوية يدعونه لاستغلال الفرصة، فأرسل معاوية ابن الحضرمي - مما دعا زياداً لمراسلة ابن عباس الذي اطلع أمير المؤمنين عليه السلام وهنا لا نجد الروايات تشير لاي دور لابن عباس، فهو لم يرجع إلى البصرة بل إن الإمام عليه السلام كان يكاتب زياد، وزياد يشرح له الحال وارسل الإمام من جانبه رسولين لمعالجة الوضع حتى تم قتل ابن الحضرمي بجهود زياد^(٣).

وفي السنة نفسها هـ ٣٨ خرج الخريت بن راشد في بني ناجية^(٤) على سلطة الإمام وتشير الروايات ان ابن عباس كان والياً على البصرة، فكتب له الإمام عليه السلام من قبله رجلاً صليبياً ومعه الفي رجل لمساندة قائد الإمام معمقل بن قيس الذي تمكن من تصفية تمرد الخريت^(٥). وكان معمقل قد اسر وسبى انساً كانوا على دين النصارانية فاشترأهم وإلى الإمام مصقلة بن هبيرة واعتقهم، فطالبه الإمام بماله، فجاء مصقلة إلى البصرة، فطالبه ابن عباس بالاموال، لأن عمال

(١) الشرح ٦/٦٥-١٠٠. وانظر: الطبرى: تاريخ ٥/٩٤-١٠٥.

(٢) الشرح ٦/٥٣، ٩٢، ١٦، ٣٩٢، ٥٣. الطبرى: تاريخ ٥/١٠٩. أبي هلال: الغارات ص ١٩٦.

(٣) الشرح ٤/٤، ٣٥-٣٤. وانظر الطبرى ٥/١١٣-١١٠. أبي هلال: الغارات ٢٥٥-٢٨٤.

(٤) الشرح ٣/٣١٢٧، ١٤٨. وانظر الطبرى ٥/١١٣-١٢٩. أبي هلال: الغارات ٢١٩-٢٤٥.

(٥) الشرح ٣/١٣٦. وانظر الطبرى ٥/١٢١.

البصرة كانوا يحملون الاموال لابن عباس الذي يقوم بدوره بحمل الاموال إلى الإمام عليه السلام، وثم سيره للإمام علي عليه السلام^(١).

واشار الطبرى ان خلافة الإمام علي عليه السلام - واجهت تحدياً واضطرابات داخلية بعد معركة النهر وان في بلاد فارس حيث اخرجوا والي الإمام سهل بن حنيف فاشار ابن عباس على الإمام بأن يرسل زياد بن أبيه، حيث يقول: فقال ابن عباس لعلي عليه السلام اكفيك فارس بزياد، فأمره الإمام علي عليه السلام أن يوجهه إليها، فقدم ابن عباس البصرة ووجه زياد إلى فارس في جمع كثير تمكن من تصفيته التمرد في سنة ٣٩ هـ^(٢).

واوضح الطبرى ان ابن عباس في سنة ٣٩ هـ لم يكن في البصرة «كان شخص عن عمله بالبصرة، فاستخلف زياداً على الخراج، وابا الاسود على القضاء»^(٣) ولكن الطبرى لم يوضح سبب شخص ابن عباس، وربما طلبه الإمام للمشاورة في أمر الاوضطرابات في بلاد فارس وغيرها.

ثم تأقى السنة الأخيرة من خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٠ هـ وهي السنة التي أشارت الروايات لأخذ ابن عباس اموال البصرة، والتي ادت لتلك المراسلات الشديدة اللهجية بين الطرفين، والتي لا تناسب علاقتها مع بعضها البعض، وتترك الروايات هذه العلاقة بهذا الوضع السلبي دون أن تضع لها نهاية، لكننا نجد روايات أبي الفرج توضح أنه بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام كان ابن عباس من

(١) الشرح ٣/١٤٣-١٤٨. وانظر الطبرى ٥/١٢٩.

(٢) الطبرى: تاريخ ٥/١٢٢، ١٣٧.

(٣) الطبرى: تاريخ ٥/١٣٦. الجهمي: الوزراء والكتاب ص ٢٣.

غسل الإمام^(١)، ورثاه^(٢)، ودعا إلى بيعة الحسن^(٣)، وقد يكون هذا تصحيفاً وربما الذي قام بذلك هو أخوه عبيد الله، لأننا نجد ابن عباس يكتب رسالة إلى الإمام الحسن يدعوه للقيام بالأمر^(٤)، ورسالته فيها دلالة على أن ما جاء في الرسائل المتأدلة بين الإمام وابن عباس أمر مبالغ فيه، واوضحت الروايات أن معاوية لما تولى الخلافة كتب لابن عباس برسالة يهدده، فرد عليه ابن عباس برسالة مماثلة^(٥).

واشار أبو الفرج أن معاوية دس جواسيساً في خلافة الحسن إلى الكوفة والبصرة، فقبض على الجواسيس، وكتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية يندد بفعله هذا^(٦).

وذكر الطبرى ان ابن عباس شخص إلى الكوفة وشهد الصلح بين الحسن ومعاوية ثم رجع للبصرة، فحمل اثقاله، وبعضاً من مال بيت المال وارتحل للحجاج^(٧).

وهنا نطرح الحيثيات التالية:

أولاًً: ما طبيعة العلاقة بين أبي الاسود الدؤلي وابن عباس؟ إن الوقوف

(١) الشرح ١٢٢/٦.

(٢) الشرح ١٢٥-١٢٦/٦

(٣) الشرح ١٦/٢٢-٢٣، ٣٠-٣١

(٤) الشرح ١٦/٢٣-٢٤

(٥) الشرح ١٦/١٥٤

(٦) الشرح ١٦/٣٢. أبو الفرج: مقاتل الطالبين ص ٣٤.

(٧) تاريخ ٥/١٤٣

عليها قد يكون فيه اضاءة للموضوع؟ وهذا ما لم نجده.

ثانياً: ماهي ميول رواة تلك المراسلات وخروج ابن عباس وترك ولايته؟

ثالثاً: إن من يقرأ الالفاظ التي تبودلت بين الإمام وابن عباس سيجد أنها لا تتطابق مع تلك العلاقة الودية والحميمة وذلك الاعتقاد الذي يحمله ابن عباس للامام علي عليه السلام.

فهل يعقل أن يكتب ابن عباس للامام: «والله لأن القى الله بما في هذه الأرض من عقيانها ولجينها وبطلاع من على ظهرها أحب إلى من أن القاه وقد سفكت دماء الأمة لانا بذلك الملك والأماراة»؟!

إذا كان ابن عباس يرى هذا الرأي، فلماذا نجده العضد اليمين للامام في معاركه الثلاثة، وفي مناظراته مع خصوم الإمام كان يحاول بما أوتي من قوة جدال إثبات صحة مواقف الإمام وأمامته والتأكيد على خطأ خصوصه. ولذلك نجد الإمام يرشحه ليمثله في التحكيم، ويرسله للخارج، ومن قبل إلى طلحة والزبير وام المؤمنين، وكل ذلك ليشير إلى مدى الثقة التي يكنّها الإمام لابن عباس.

ثم ان ابن عباس يجعل سر حروب الإمام هو الوصول إلى الحكم والملك، وهذا أمر لم يفعله خصوم الإمام، فأئنني لابن عباس أن يعتقده، وإذا كان الإمام عليه السلام يريد الوصول إلى الحكم بأية طريقة، ولو بسفك الدماء، فما باله رفض شرط عبد الرحمن بن عوف وهو يقول له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيفيين^(١).

وقد علق المحمودي على ذلك قائلاً: «الظاهر أن هذا الكتاب وضعه بعض

اتباع الأموية كي يكثروا سواد معاوية وامثاله من باع الآخرة بالدنيا، وذهب طيباته في نيل الارذل والادنى، ويلقوا في روع الناس وادهانهم أن حروب امير المؤمنين عليه السلام وقيامه بالأمر، لم تكن دينية، وإنما كانت دنيوية محضة كي ينفرد بالملك وينال السلطة والرئاسة وكيف يمكن أن يكتب ابن عباس هذا إلى امير المؤمنين ويعتقده مع أن احتجاجاته الكثيرة على النواصب والخوارج مشحونة بتبرير عمل امير المؤمنين عليه السلام، وأنه كان في جميع أعماله على الحق وأن اعداءه على الباطل»^(١).

ثم كتب الامام لابن عباس «فلما رأيت الزمان على ابن عمك كلب... إلى نهايته» فيه من المبالغات مما لا يتناسب مع شخصية الامام ونظرته لابن عباس، منها قوله «فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم امواهم، فأنك ان لم تفعل ثم امكتني الله منك لأعذرن إلى الله فيك، ولا ضربتك بسيفي هذا الذي ما ضربت أحداً الا دخل النار».

هب أن ابن عباس أخذ الاموال فهل عقوبته القتل، ثم ان الروايات، لا تشير لاعادة ابن عباس الاموال، فهل هذا يعني أن الإمام عليه السلام يقول بأن ابن عباس من أهل النار؟

رابعاً: إن طريقة خروج ابن عباس من البصرة حسبها تووضح الروايات، تشير إلى سلوك غير طبيعي لا يتناسب مع ابن عباس، فإنه طلب حماية الآخرين للخروج، وإذا فهو مقتنع بأن تصرفه غير صحيح، ولذا طلب معاونة الآخرين من أخواله، وقد بالغت الروايات في أمر المال المأخوذ وهو ستة ملايين، دون

(١) البلاذري: انساب الاشراف ٢ / ١٧١ هـ ٣ (المحقق).

أن تحدد دراهم أو دنانير، وهذا شيء لا يمكن أن يقع من ابن عباس، ولم ترك الروايات خروج ابن عباس حتى جعلته وكأنه رغماً على أهل البصرة وبالقوة، رغم محاولاتبني تميم الحيلولة دون ذلك.

خامساً: لماذا تصور الروايات ان بنى تميم فقط اخذوا موقفاً متشددأً من ابن عباس فهل هذا يعود لتشدده مع بنى تميم أبان ولايته إلى درجة أن كتب له الإمام ينهاه عن ذلك لأن بنى تميم كلما غاب منهم نجم ظهر لهم آخر حسب تعبير الإمام^(١).

سادساً: لم ترك الروايات ابن عباس وامواله دون أن تحدد موارد صرفها التي لم تتجاوز (الجواري)، وكأن الروايات تريد أن تؤكد على دنيوية ابن عباس وميله للنساء، فأشارت لاسماء الجواري (حوراء وفنور وشادن) إلأ إنها لم تشر إلا إلى صرف ثلاثة الآف دينار فقط.

سابعاً: تجدر الاشارة إلى أن معاوية كان يفتعل الكتب، وينشر الاخبار غير الصحيحة على السن اصحاب الإمام في محاولة منه اما لجذبهم إليه أو تشويه سمعتهم، أو لادخال الشك في نفس الإمام منهم، كما فعله مع قيس بن سعد^(٢) والاشتر، وغيرهما، اذن يا ترى ما باله لم يوظف هذا الشرخ الكبير الذي ظهر من ابن عباس خاصة وان ابن عباس هو الساعد الايمن للإمام عليه السلام، فإننا لم نجد أي إشارة لا في خلافة الإمام ولا بعده، ونحن نعلم بأن ابن عباس كان لسان الهاشميين في مجلس معاوية^(٣) ولم يتردد يوماً في الثناء على الإمام والطعن

(١) الشرح ١٥/١٢٥.

(٢) الشرح ٦/٦١-٦٢.

(٣) الشرح ٦/٢٩٨-٣٠٤. وانظر: البيهقي: المحاسن والمساوئ ص ٨٨-٩١.

على معاوية بل الاكثر من ذلك ان معاوية اشرك ابن عباس في اللعن مع الامام والحسن الحسين عليهم السلام وجعل ابن عباس رابعهم ^(١)!!؟

ثامناً: إن رسالة ابن عباس للإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد ^(٢) الإمام علي عليه السلام، توضح أن ابن عباس كان يحمل ذلك الاعتقاد الراسخ والمعروف عنه للإمام، خاصة وأن رسالته جاءت بعد أشهر من مسألة أخذ الأموال إن صحت؟!!

تاسعاً: إننا لا نستبعد أن يكون ابن عباس قد أخذ الأموال، فهو ليس معصوماً من الخطأ، ولا نستبعد موقف الإمام هذا، فالمعروف عنه عليه السلام شدته في تطبيق الأحكام، ولو كان مع اقرب المقربين إليه، كأولاده مثلاً ، ولكن هل إن غلظة الإمام وشدته على ولاته توجب عليهم مفارقته، فلماذا لم يفارقه عثمان بن حنيف وإليه على البصرة الذي حاسبه على استجابته للأدب طعام ^(٣)، وقاضيه شريح القاضي الذي ندد به لشراءه داراً بثمانين ديناراً ^(٤) إذن إذا كان الإمام قد تشدد مع ابن عباس وهذا ما لا نستبعده فهذا لا يعني انه قد فارق الإمام ^(٥).

إن قراءتنا لما جاء لدى اليعقوبي حول هذه المسألة التي اطلنا الحديث فيها تعطينا انطباعاً إلى أي مدى بولغ في هذه المسألة؟ ولماذا بولغ؟ فلنقرأ ما جاء

(١) الشرح ٦/١٣٧ الطبرى: تاريخ ٥/٧١

(٢) الشرح ١٦/٢٣-٢٤.

(٣) الشرح ١٦/٢٠٥ وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٢/٧١٩.

(٤) الشرح ١٤/٢٧-٢٨.

(٥) أنظر ميشم البحراني: شرح نهج البلاغة ٥/٩٠.

لدى اليعقوبي: «وكتب أبو الاسود الدئلي [كذا] كان خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة إلى علي عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة الاف درهم فكتب إليه يأمره بردها فامتنع، فكتب يقسم له بالله لتردتها، فلما ردها عبد الله أو رد أكثرها، كتب إليه علي عليه السلام: أما بعد فإن المرء يسرُه دُرُكٌ ما لم يكن ليقوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فما اتاك من الدنيا، فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها، فلا تكثر به جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت، والسلام». فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاظي بكلام أمير المؤمنين»^(١).

والظاهر أن ابن عباس كان يعتقد أن له الحق فيأخذ المال ولا ندرى بالضبط ما هو طبيعة اعتقاد ابن عباس هذا، حيث نجده يبرر للإمام أسباب اخذه المال بقوله: «إن حقي في بيت المال لاعظم مما أخذت»^(٢) فهل اعتقاد ابن عباس من باب العاملين عليها؟ أم من باب ذوي القربى؟ أم شيء آخر؟

هذا التخاذل من أصحاب الإمام دفع معاوية لاستغلال الفرصة ومهاجمة عدد من الولايات اثارة للشغب والفتنة، كما فعل في رسالته دعاء إلى مكة يدعون إلى طاعته، وتشييط الناس عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام ويوقعون في أنفسهم انه قاتل لعثمان أو خاذل، وان الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل، وينشرون عندهم محاسن معاوية وأخلاقه وسيرته، فكتب الإمام عليه السلام لعامله على مكة قسم

(١) التاريخ /٢ .١٩٣ . وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة /١ .٣٢٧ . ابن الأثير: المثل السائر /١ .٣٩٤ .

سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥ . حب الدين: الرياض ٢٩٥ /٢ .

(٢) البلاذري: انساب الاشراف /٢ .١٧٥ .

بن العباس^(١) ينبهه لذلك ليعتمد فيه ما تقتضيه السياسة^(٢).

وبعد معركة النهر وان إراد الإمام السير باصحابه صوب الشام اثر فشل التحكيم ولكنهم تقاعسوا وتخاذلوا، وعادوا للكوفة فلما علم معاوية بذلك ارسل الضحاك بن قيس^(٣) للاغارة على نواحي الكوفة، فتمكن من نشر الخوف، فدعا الإمام أصحابه للخروج لكنهم تناقلوا وخرج اخيراً حجر بن عدي الذي اضطر الضحاك للهرب^(٤).

وبعدها ارسل معاوية -النعمان بن بشير الانصاري^(٥) إلى عين التمر^(٦) فاستصرخ الإمام أصحابه للخروج لنجدته وإليها مالك بن كعب الارجبي^(٧)

(١) أنظر ترجمته ابن الأثير: اسد الغابة ٤-١٩٧-٨ ابن حجر: الاصابة ٣/٢٢٦-٧.

(٢) الشرح ١٣٨/١٣٩.

(٣) هو من خواص معاوية حيث شارك في صفين وتولى الكوفة في ايامه ثم صلى على معاوية بعد وفاته واصبح صاحب شرطة يزيد ثم قتل في مرج راهط بعد وفاة يزيد. الطبرى: ٥/١٢، ١٢/٧١، ١٣٥، ٩٨، ٣٠٩، ٣٠٠، ٢٩٨، ١٣٥، ٩٨، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٠٩.

(٤) الشرح ٢/١٢٥-١٢٣. وانظر اليعقوبي: تاريخ ٢/١٢-١٨٣.

(٥) يقال هو أول مولود للانصار في الإسلام بعد الهجرة، وهو الذي حمل قميص عثمان مخضباً بدمه إلى معاوية، وقد تولى الكوفة لمعاوية ويزيد، ثم عزل أيام يزيد في أمر الإمام الحسين (عليه السلام) وقتل بعد وفاة يزيد. الطبرى ٢/٤٠١، ٤٣٠/٤، ٥٦٢، ٤٣٠/٥، ٣١٥، ٤-١٣٣.

. ٥٣١، ٤٨١، ٤٦٢، ٤٥٩.

(٦) حصن في العراق افتتحه خالد بن الوليد وهو قريب من الانبار. الهمذاني: مختصر كتاب البلدان

ص ٤٢٣. ١٧٦-١٧٧. الحميري: الروض ص ١٣٥.

(٧) من أهل الكوفة شارك في القادسية وشهد صفين مع الإمام علي عليه السلام ثم تولى له عين التمر. الطبرى:

. ٩/٤، ٥٤/٥، ٨-١٠٧.

دون جدوى، ولكن مالك تمكن بعد ذلك من صد غارة النعمان الذي عاد دون ان يتحقق اهدافه^(١).

ومن الغارات التي ارسلها معاوية مستغلاً تناذل اصحاب الامام، غارة سفيان بن عوف الغامدي^(٢) على الانبار، الذي تمكن من دخولها وقتل اميرها وحمل اموالها. ورغم دعوة الامام أصحابه إلا أنه لم يجد نفعاً وسار بعد ذلك سعيد بن قيس الذي لم يدرك سفيان^(٣).

ثم كان فتح مصر ومقتل محمد بن أبي بكر على يد عمرو بن العاص والمعروف ان مصر هي الشرط الذي اشترطه عمرو مقابل دخوله مع معاوية الصراع مع الإمام علي عليه السلام، فتمكن من اثارة الشعب في مصر، ثم دخولها، ومقتل وإليها محمد بن أبي بكر^(٤) وكان الامام قد ولى مصر أولًا قيس بن سعد ثم عزله وولى محمد بن أبي بكر، فاثار عزله انتقاداً لسياسة الامام، فاجاب عنه ابن أبي الحديد قائلاً: «ان ليس من الممكن ان يقال: ان محمد رحمة الله لم يكن باهل ولولية مصر، لأنه كان شجاعاً زاهداً فاضلاً، صحيح العقل والرأي، وكان مع ذلك من المخلصين في محبة امير المؤمنين عليه السلام، والمجتهدين في طاعته، ومن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه وهو رببه وخرجه، ويجرئ مجرى اولاده عليه السلام».

(١) الشرح ٣٠١ / ٢. وانظر اليعقوبي: تاريخ ١٨٢ / ٢. الطبرى ٥ / ١٣٣ - ٤. أبي هلال: الغارات ص ٣١١ - ٧.

(٢) انظر ترجمته. الطبرى: تاريخ ٥ / ١٣٤، ٢٣٤. الحاكم: المستدرك ٣ / ٥٠٥

(٣) الشرح ٢ / ٩٠ - ٨٥. وانظر الطبرى: تاريخ ٥ / ١٣٤

(٤) الشرح ٦ / ٦٥ - ١٠١ / ١٦ - ١٤٣ - ١٤٢. وانظر الطبرى ٥ / ٤ - ١٠٥. أبو هلال: الغارات ص ١٨٤ - ٧.

الفصل الرابع: المبحث الثاني: خلافة الإمام علي عليه السلام ٤٨٩
لتربيته له وشفاقه عليه»^(١).

وأضاف: «كان المصريون على غاية المحبة له، والإشار لولايته، ولما حاصروا عثمان، وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عنهم، اقترحوا تأميم محمد بن أبي بكر عليهم. فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن سعد في أمره وامر المصريين بما هو معروف^(٢). فعادوا جميعاً، وكان من قتل عثمان ما كان، فلم يكن ظاهر الرأي ووجه التدبير الاتولية محمد بن أبي بكر على مصر لما ظهر ميل المصريين إليه، وايشارهم له، واستحقاقه لذلك بتكميل خصال الفضل فيه، فكان الظن قوياً باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم إلى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الأمر واضطرا به عليه حتى كان ما كان»^(٣).

وأردف قائلاً: «ليس ذلك بعيوب على أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الأمور إنما يعتمد她的 الإمام على حسب ما يظن فيها من المصلحة، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وقد تولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مؤته جعفرًا فقتل، وولي زيدًا فقتل، وولي عبد الله بن رواحة فقتل، وهزم الجيش، وعاد من عاد منهم إلى المدينة باسوء حال، فهل لأحد أن يعيوب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا ويطعن في تدبيره»^(٤).

واستغل انصار معاوية في البصرة غياب والي البصرة - عبد الله بن عباس - الذي ذهب للكوفة لتعزية الإمام بمقتل محمد بن أبي بكر - فكتبو المعاوية، الذي أرسل - ابن

(١) الشرح ٢٤٩-٢٤٨ / ١٠.

(٢) إشارة إلى كتاب عثمان بقطع أيدي وارجل المصريين. الشرح ١٤٩-١٥١ / ٢. البلاذري: انساب ٥/٦٥-٧. الطبرى: تاريخ ٣٧٣ / ٤. الجھشیاری: الوزراء الكتاب ص ٢١-٢٢.

(٣) الشرح ٢٤٩ / ١٠.

(٤) الشرح ٢٤٩ / ١٠.

الحضرمي - لاثارة البصرة ضد الامام، إلا أنه اخفق في تأدية مهمته حيث قتل»^(١).

وافضع الغارات التي ارسلها معاوية هي غارة - بسر بن ارطأة - على المدينة ومكة والطائف، واليمن، وكانت في السنة الأخيرة من خلافة الامام عليه السلام، حيث تشير الروايات لعدد كبير من القتلى الذي طال حتى الاطفال^(٢) ودخل الربع والخوف في قلوب الناس، وقد وصف ابن أبي الحديد علاقه بسر بمعاوية: «كان مسلم بن عقبة ليزيد، وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة^(٣) كما كان بسر معاوية، وما عمل بالحجاز واليمن، ومن اشبه اباه فما ظلم^(٤)».

ومع حالة التخاذل هذه، والتي نجم عنها التصعيد الذي قام به معاوية من شن الغارات على الولايات الموالية للامام، لكن الامام عليه السلام لم يتخلى عن فكرة ضم بلاد الشام وأعادتها إلى حضيرة الدولة، لذا تشير الروايات انه في اواخر خلافته تمكّن من اعداد جيش كبير لاستعادة الشام، إلا أن استشهاده المفاجيء حال دون ذلك^(٥).

ان اعداد هذا الجيش فيه دلالة على إن ما تشير إليه بعض الروايات من ان الإمام علي عليه السلام هادن معاوية على أن يكون العراق له، والشام معاوية^(٦) ليس له من الصحة شيء.

(١) الشرح /٤-٣٤ . ٥٣-٥٤ . أبي هلال: الغارات ص ٢٥٥-٢٨٤ .

(٢) انظر قصة طفل عبيد الله بن عباس. الشرح /٢-١٣ الطبرى: تاريخ /٥-١٤٠ .

(٣) وقعت في أيام يزيد بن معاوية في أهل المدينة لما رفضوا بيته، انظر تفاصيلها: الطبرى: التاريخ . ٤٨٢-٤٩٤ /٥

(٤) أي لم يضع الشيء في غير موضعه. الميداني مجمع الأمثال /٢-٣٠٠ .

(٥) الشرح /٢-٩٣ ، ٩٠ /٧-٤ . وانظر الزمخشري: ربيع الابرار /٤-٢٤٢-٢٤٣ .

(٦) الطبرى: تاريخ /٥-١٤٠ .

الفصل الخامس

الإمام علي

عليه السلام

مصدر الفكر
العربي الإسلامي

الفصل الخامس

الإمام علي عليه السلام

مصدر الفكر العربي الإسلامي

المبحث الأول

الإمام علي عليه السلام مدينة العلم

كانت تربية الإمام علي عليه السلام في بيت الرسالة البداية لتفتح ذهنيته وقدرتها على استيعاب حقائق الكون واسراره بعد الهجرة المباركة حيث كان عليه مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله عليه السلام، لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان عليه كثيراً ما يسأل النبي عليه السلام عن معاني القرآن ومعاني كلامه عليه وإنما يسأل ابتدأه النبي عليه السلام بالتعليم والتشريف^(١)، وروي أنه قال: (كنت إذا سألت رسول الله اعطاني، وإذا سكت ابتدأني)^(٢).

(١) الشرح: ٤٨/١١.

(٢) الترمذى: الصحيح ١٢/١٧٠. ١٧٥. الحاكم: المستدرك ٣/١٣٥. ابن طلحة: مطالب السؤول

ص ٤٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠.

ولم يكن أحد من اصحاب النبي عليه السلام كذلك، إذ كانوا اقساماً:

منهم من يهاب الرسول عليه السلام أن يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي أو الطارئ فيسأله وهم يسمعون.

منهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في البحث والنظر.

منهم من كان مشغولاً عن طلب العلم.

منهم المعاني اما بعبادة او دنيا.

منهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال.

منهم البعض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغواصيه^(١).

واضيف إلى اختصاص الإمام علي عليه السلام بالنبي عليه السلام (ذكاءه وفطنته، وطهارة طينته واسرار نفسه وضوئها، وإذا كان محل قبلاً متهيئاً، كان الفاعل المؤثر موجوداً، والموانع مرتفعة، حصل الاثر على أتم ما يمكن فلذلك كان عليه السلام كما قال الحسن البصري (رباني هذه الأمة، وذا فضلها، ولذا تسميه الفلسفه: امام الأنمة وحكيماً العرب)^(٢).

فكان عليه السلام سيد أهل النظر كافة واماهم حيث لم يكن عليه السلام مقتبراً على اوائل الأدلة في تكليفه بالعقليات، وقد اشاد النبي عليه السلام بمكانته العلمية إذ قال: (أنا

(١) الشرح: ٤٨/١١.

(٢) الشرح: ٤٨/١١. وانظر ما جاء لدى جورج جرداد: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية . ص ١٠٣-١٠٨

مدينة العلم وعلى بابها، فمن إراد المدينة فليأتها من بابها^(١).

ومن هنا كان عليه السلام يؤكد على ضرورةأخذ العلم من مصدره لا وهو نفسه الشريفة، إذ يقول: (فالتمسوا بذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق). وهذا القول كناية عن نفسه عليه السلام فكان عليه السلام كثيراً ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعرض وهو الصادق الأمين العارف بالأسرار الإلهية^(٢).

ولذا نجده الوحيد الذي تجرأ وقال: (سلوني قبل أن تفقدوني^(٣)) فلأننا بطرق

(١) الترمذى: صحيح ١٢/١٧١. الملاطى: التنبيه والرد ص ٢٥. الطبرانى: المعجم الكبير ١١/٥٥. ابن أخي تبوك: مناقب ص ٤٢٧. الحاكم: المستدرك ٣/١٣٧-٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢/٣٧٧، ٤/٣٤٨، ٤٩/١١، ١٧٣/٧، ٢٠٤. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٢. ابن الأثير: اسد الغابة ٤/٢٢. البلوى: الفباء ١/٢٢٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٧-٤٨. النwoي: تهذيب الاسماء ١/٣٤٨. الكنجي: كفاية الطالب ص ٢٢٠-٣. ابن طلحة: مطالب السئول ص ٣٥. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٨٧. الرياض ٢/٢٥٥. الجويني: فرائد الس冨طين ص ٩٨-١٠٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣١. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥٩. الهيثمى: مجمع الزوائد ٩/١١٤. الدميري: حياة الحيوان ١/٥٥. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. الجامع الصغير ٣/٤٦. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠١-٢١٢. الهيثمى: الصواعق ص ١٢٠. محمودى: ترجمة الإمام علي \$٢/٤٥٧-٤٩٩.

(٢) الشرح: ٩/١٠٦-١٠٧.

(٣) أبو نعيم: حلية الأولياء ١/٦٧-٨. ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/١١٤. الخوارزمى: المناقب ص ٤٦-٤٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٧. محب الدين: ذخائر العقبى ص ٩٣. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٥٩. الجويني: فرائد ١/٣٤١. ابن حجر: الاصادبة ٢/٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١-١٨٥.

السماء أعلم مني بطرق الأرض). وقد تأول البعض كلامه عليه السلام هذا (أراد أنا بالاحكام الشرعية والفتاوي الفقهية أعلم مني بالأمور الدنيوية، فعبر عن ذلك بطرق السماء، لأنها احكام اهلية، وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الامور الارضية)^(١).

وكان عليه السلام يقول: (نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة وختلف الملائكة ومعادن العلم، وينابيع الحكم...) أي الحكم الشرعي، فإنه وإن عنى بها نفسه عليه السلام وذريته، فإن الأمر فيها ظاهر جدا كما نجده في حديث الرسول صلوات الله عليه وسلم أعلاه (أنا مدينة العلم وعلى بابها). وقوله عليه السلام: (أقضاكم على^٢) . المعروف أن القضاء يستلزم علوماً عددة^(٣).

واشار ابن أبي الحميد^(٤) إلى عدد من الآيات القرانية النازلة في حق الإمام عليه السلام في هذا المجال كقوله تعالى (وتعيها اذن واعية). قال عليه السلام: سألت الله أن يجعلها اذنك ففعل^(٥) . وقوله تعالى:

. ١٠٦. ١٠١/١٣ . الشرح:

(٢) ابن سعد: الطبقات ٢/٩-٣٣٨ . الحاكم: المستدرك ٣/١٤٥ . ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٢ . الخوارزمي: المناقب ص ٣٩-٤١ . الشهري: الملل ١/٢٢١ . النووي: تهذيب الاسماء واللغات ١/٣٤٦ . الجويني: فرائد ١/١٦٦ . ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٦٠ . ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧ . السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠ . الهيثمي: الصواعق ١٢١ ص.

. ٢١٩-٢١٨/٧ . الشرح:

. ٢٣٥/١٨، ٢٢٠/٧ . الشرح:

(٥) سورة الحاقة: ١٢. أنظر: الطبرى: جامع البيان ٢٩/٥٥ . الواحدى: أسباب التزول ص ٢٩٤ . الطوسي: التبيان ١٠/٩٨ . الزمخشري: الكشاف ٤/٦٠٠ . القرطبي: الجامع ١٨/٢٦٤ . الخوارزمي: المناقب ص ١٩٩ . الكنجى: كفاية الطالب ص ٨٠٩ . ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٤٤٦ ، ٤٦٠ . السيوطي: الدر المثور ٦/٢٦٠ .

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِي الْإِمَامِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ مَا خَصَّ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

أن الشاهد هو الإمام علي عليه السلام^(٢).

وأكَدَ هذَا الْمَعْنَى بَعْدَ مِنْ الْأَحَادِيثُ النَّبُوَيَّةِ كَقَوْلِهِ لِفَاطِمَةَ الْمُتَكَبِّرَةِ: (زوجتك أقدمهم سلماً، واعظمهم حلمها، واعلمهم علمها). وقال عَزَّ وجلَّ: (من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعيه، فلينظر إلى علي ابن أبي طالب) ^(٣).

وإلى هذا المعنى كان عليه السلام يشير بقوله: (وعندنا - أهل البيت - ابواب الحكم، وضياء الأمر). فالحكمة هنا الشرعيات والفتاوی، وضياء الأمر هي العقليات والعقائد (وهذا مقام عظيم لا يجسر أحد من المخلوقين أن يدّعى به سواه عليه السلام، ولو اقدم أحد على ادعائه لکذب ^(٤) وكذبه الناس) ^(٥):

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤. الطوسي: التبيان / ٣-٢٢٧. محمد الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٠٩.

(٢) سورة هود: ١٧. الطبرى: جامع البيان /١٢. الطوسي: التبيان /٥. ٤٦١.

(٣) الشرح: ٢٢٠، ٩/١٦٨. الخوارزمي: المناقب ص ٤٠-٤١، ٢٢٠. ابن المغازي: مناقب ص ٢١٢. الكنجي: كفاية الطالب ص ١٢٢. محب الدين: الرياض ٢/٢٩٠. الجويني: فرائد السمطين ١/١٧٢-٣. ابن كثير: البداية ٧/٣٥٧. الصفورى: نزهة المجالس ٢/٢٤٠.

المحمودي: ترجمة الإمام علي ٥٠٦ / ٢

(٤) أنظر بعض ذلك في الشرح ١٣/١٠٧-٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/١٦٣-١٦٦. الذهبي: طبقات الحفاظ ٢/٧٥٥.

طبقات الحفاظ ٢/٧٥٥.

(٥) الشرح: ٧/٢٨٩.

وكان عليه السلام على درجة من اليقين إذ يقول: (وما شككت في الحق منذ أريته). فالإمام علي عليه السلام هنا يشير لنعمة الله عليه في أنه لم يشك بالله منذ عرفه، أو منذ عرف الحق في العقائد الكلامية، والاصولية والفقهية (وهذه مزية له ظاهرة على غيره من الناس فإن أكثرهم أو كلهم يشك في الشيء بعد أن عرفه وتعتريه الشبه والوساوس ويران على قلبه، وتختلجه الشياطين عما ادي إليه نظره) ^(١). لذا نجد الإمام علي عليه السلام يقول: (بل اندمجت على علم لو بحث به، لا ضررت به اضطراب الارشية ^(٢) في الطوى البعيدة) ^(٣).

وقد انكر الإمام علي عليه السلام ادعاء البعض العلم دونه بقوله: (أين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرمنا، وادخلنا واجههم، بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى). وهذا الكلام كنایة وإشارة لمن ينزعه الفضل، فهناك من يقال عنه أنه افترض، أو أقرأ، أو اعرف بالحلال والحرام ^(٤)، مع تسليم الكل له عليه السلام، ولكنه لم يرض بذلك وعد هذا الكلام موضوعا حسدا ^(٥).

لذا كان للإمام علي عليه السلام نعمتان على الصحابة نعمة الجهاد ونعمة (علومه

(١) الشرح: ٢٧٤/١٨.

(٢) الارشية: هي الحبال، والطوى البعيدة: البئر البعيدة القعر. الشرح ٢١٥/١.

(٣) الشرح: ٢١٣/١. وانظر سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢٨. ابن طلحة: مطالب السؤول ص ٣٩.

(٤) ابن ماجة: صحيح ١/٣١. الحاكم: المستدرك ٣/٣٠٥-٦. البيهقي: السنن الكبرى ٦/٢١٠. الشهري: الملل ١/٢٢١. الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٣٥.

(٥) الشرح: ٩/٨٤.٨٦.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٤٩٩

التي لولاها حكم بغير الصواب في كثير من الأحكام، وقد اعترف له عمر بذلك، والخبر المشهور، (لولا علي هلك عمر) ^(١).

وأجمالاً فحاله ^{عليه السلام} حال رفيعة لم يلحقه أحد ولا قاربه، لذا حق له ^{عليه السلام} أن يصف نفسه بأنه معادن العلم وينابيع الحكم، فلا أحد أحق بها منه بعد الرسول ^{عليه السلام} ^(٢).

لذا أخذت كل فرقة تنتسب إليه وتجاذبه كل طائفة لأنه رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها، وسابق مضمائرها، ومجل حليتها، فكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفي، وعلى مثاله احتذى ^(٣).

(١) الشرح: ١٤١/١.

(٢) الشرح: ٢٢٠/٧.

(٣) الشرح: ١٧/١.

المبحث الثاني

الإمام علي عليه السلام والعلم الالهي

العلم الالهي هو العلم الذي يختص بدراسة الذات الإلهية وصفاتها، لذا يعد اشرف العلوم لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه اشرف الموجودات، فكان هو اشرف العلوم^(١).

يعد الإمام علي عليه السلام امام المتكلمين، ولم يعرف علم الكلام^(٢) من سبقه من العرب، ولا نقل في ما جاء من الاكابر والاصاغر منه شيء، وهو فن انفرد به أولا اليونان، اما من العرب فأول من خاض به منهم هو الإمام علي عليه السلام، ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبسوطة عنه في فرش كلامه وخطبه، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك، ولا يتصورونه، بل حتى لو فهموه لم يفهموه^(٣).

وهذا الفن هو الذي بان به امير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة،

(١) الشرح: ٩/١٧. ٢٥٧. وانظر: ابن خلدون: المقدمة ص ٨٢٦.

(٢) عن علم الكلام أنظر: صبحي احمد محمود: في علم الكلام ١/١-١٠١.

(٣) الشرح: ٣٧٠-١٠١/٦.

ولذا استحق التقدم والفضل عليهم اجمعين (وذلك لأنّ الخاصة التي يتميّز بها الإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات في اللحمية والدموية والقوّة والقدرة، والحركة الكائنة على سبيل الارادة والاختيار فليس الامتياز الا بالقوّة الناطقة، اي العاقلة العالمة، فكلما كان الإنسان أكثر حظاً منها كانت إنسانيته أتم، ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن، وهو اشرف العلوم، لأن معلومه اشرف المعلومات، ولم ينقل عن أحد من العرب غيره في هذا الفن حرف واحد، ولا كانت اذهانهم تصل إلى هذا، ولا يفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه، وبغيره من الفنون، وهي العلوم الشرعية مشارك لهم وراجح عليهم، فكان أكمل منهم لأنّا قد بيّنا أنّ الاعلم ادخل في صوره الإنسانية وهذا هو معنى الأفضلية) ^(١).

وفي شرحه للخطبة رقم (٩٠) عقب ابن أبي الحديد (لو سمع النظر ابن كنانة^(٢) هذا الكلام لقال لقائله، ما قاله علي بن العباس بن جريج^(٣)، لاسماويل بن بليل^{(٤)(٥)}:

(١) الشرح: ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) النظر بن كنانة بن خزيمة أحد أجداد النبي عليه السلام وسمي بالنظر لحاله. أنظر ابن حبيب: المحرر ص ٥٠. الطبرى: تاريخ ٢/٢٦٤-٥. النويرى: نهاية الارب ١٦/١٣-١٥.

(٣) هو الشاعر (ابن الرومي). ٢٢١-٢٨٣ هـ. أنظر ترجمته: المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٩. الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/٢٣-٦. ابن خلkan: وفيات ٣/٣٥٨-٦٢.

(٤) هو كاتب الموفق العباسي سنة ٢٧٢ هـ. الطبرى: تاريخ ١٠/١٠. الهمذانى: تكميلة تاريخ الطبرى ص ٢٣١.

(٥) الشرح: ٧/٣٢. لم أجد الأبيات في ديوان ابن الرومي.

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم
كلاً، ولكن لعمري منه شيبان
وكمن أب قد علا بابن ذرٍ شرفٍ
كما علا برسول الله عدنان

إذ كان يفخر به على عدنان وقططان بل كان يقر به عين أبيه إبراهيم خليل الرحمن، ويقول له: إنه لم يعُف ما شيدت من معالم التوحيد، بل اخرج الله لك من ظهري ولذا ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام ارسطو طاليس^(١)، القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزيئات، لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره، ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة، والعظمة والفحامة، والمتانة والجزالة! مع ما قد اشرب من الحلاوة والطلاؤة واللطف والسلامة، لا ارى كلاماً يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإن هذا الكلام نبعه من تلك الشجرة وجداول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول (إن التوحيد والعدل والباحث الشريفية الإلهية، ما عرفت إلا من كلام هذا الرجل، وإن كلام غيره من أكابر الصحابة

(١) ارسطو طاليس: أنظر: ترجمته: ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٥-٣٥٢. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٣٧-٥٣. القفطي: تاريخ الحكام ص ٢٧-٥٣. ابن أبي اصبيعة: عيون الانباء ص ٨٦-١٠٥. ابن نباته: سرح العيون ص ١٤١-١٤٤.

(٢) سورة الانعام الآية: ٥٩.

لم يتضمن من ذلك اصلاً، ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكره، وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام^(١).

وقد أثار ذلك استغراب ابن أبي الحديد فعلق قائلاً: (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة! أن يكون غلام من أبناء عرب مكة، ينشأ بين أهله، لم يخالط الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من افلاطون^(٢) وارسطو، ولم يباشر ارباب الحكم الخلوقية والأداب النفسانية، لأن قريشاً لم يكن أحد منهم مشهوراً بمثل ذلك وخرج اعرف بهذا الباب من سocrates^(٣)).^(٤)

ولهذا انتسب المتكلمون الذين بجوا في بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره، وسموه استاذهم ورئيسهم، واجتذبه كل فرقه من الفرق إلى نفسها (الملعون الذين هم أهل التوحيد والعدل وارباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن، تلامذته وأصحابه، لأن كثيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد

(١) الشرح: ٣٤٦/٦.

(٢) هو افلاطون بن ارسطو من فلاسفة اليونان. درس على يد سocrates وفيثاغورس وتللمذ على يديه ارسطو طاليس. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣-٤. الشهرستاني الملل ١٩٠/٢-١٩٣. القبطي: تاريخ الحكماء ص ٢٧-١٧. ابن أبي اصيبيع: عيون الانباء ص ٧٩-٨٦. ابن نباته: سرح العيون ص ٤٤٧-٤٦٧. ابن منقذ: لباب الاداب ص ١٤٠-١٤١.

(٣) من اهالي اثينا: ومن اوائل من تكلم بالفلسفة وقد قتله اليونانيون بسبب ارائه. انظر ابن النديم: الفهرست ص ٣٤٣. الشهرستاني: الملل ١٨٥-١٩٠/٢. القبطي: تاريخ الحكماء ص ١٩٧-١٩٨. ابن أبي اصيبيع: عيون الانباء ص ٧٠-٩.

(٤) الشرح: ١٤٦/١٦.

الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وابوه تلميذه عليهما السلام^(١).

وقد أشار الحكم الجشمي^(٢) إلى سند المعتزلة واتصاله بالإمام علي عليهما السلام: (وي بيان اتصاله (سند المعتزلة) بواسطه وعمرو، أنه أخذه القاضي عن أبي عبد الله البصري وأبو عبد الله أخذه عن أبي اسحق بن عياش^(٣) وأبو اسحق أخذه عن أبي هاشم وطبقته، وأبو هاشم أخذه عن أبيه أبي علي الجبائي، وأبو علي أخذه عن أبي يعقوب الشحام، والشحام أخذه عن أبي الهذيل وأبو الهذيل أخذه عن عثمان الطويل^(٤)، وطبقته، وعثمان أخذه من واصل وعمرو، وهم أخذاه عن عبد الله بن محمد، وعبد الله أخذه عن أبيه محمد بن علي (ابن الحنفية)، ومحمد أخذه عن أبيه علي عليهما السلام، وعلى عليهما السلام عنهما سلم وما ينطق عن الهوى)^(٥).

واما الاشعرية الذين يتّمون لأبي الحسن الاشعري^(٦) الذي هو تلميذ أبي علي الجبائي أحد كبار، رجال المعتزلة، وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام، والشحام تلميذ أبو الهذيل تلميذ أبو عثمان الطويل، وأبو عثمان

(١) الشرح: ١٧/٦٠. ٣٧١/١٠. ٦٠/١٣. ٤٧.

(٢) هو من متأخرى المعتزلة. أنظر: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ١١٦.

(٣) أنظر ترجمته: القاضي: فرق طبقات المعتزلة ص ١١٣.

(٤) أنظر ترجمته: ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٤٢.

(٥) ابن المرتضى: طبقات المعتزلة ص ٧.

(٦) كان معتزلياً ثم ترك الاعتزاز مؤسساً مذهبًا توقيرياً حيث أخذ افكار التيار السلفي واثبّتها بأدلة التيار العقلي. محاضرات القاها د. محمد جواد الموسوي على طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩-٢٠٠٠. وانظر ترجمته: السمعاني: الانساب ١/٢٦٦-٧. حمودي غرابه: أبو الحسن الاشعري ص ٢ وما بعدها. الحفني: موسوعة الفرق ص ٦٦-٦٨.

تلميذ واصل فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى علي عليه السلام^(١).

واما الإمامية^(٢) والزيدية^(٣) والكيسانية^(٤) فانتهواهم إليه ظاهر، وكذلك الخارج، مع طعنهم فيه، لأنهم كانوا أصحابه، وانحرفوا عنه، بعد ان تعلموا منه، وهم انصاره في الجمل وصفين، ولكن الشيطان ران على قلوبهم وأعمى ابصارهم^(٥).

وتنتهي مقالة الكرامية^(٦) إلى الإمام علي عليه السلام عن طريقين:

الأول: إنهم يستندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ حتى يتنهون إلى سفيان الثوري وهو من الزيدية.

الثاني: إن مشايخ الكرامية يتنهون إلى علماء الكوفة من أصحاب الإمام

(١) الشرح: ٣٧١/٦.١٧/١.

(٢) هم القائلين بامامة اثنى عشر اماماً من الإمام علي عليه السلام إلى محمد بن الحسن العسكري: أنظر. الأشعري: مقالات الاسلاميين ١ /٨٧-٨٨. البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٤٠. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢١٨-٢٢٤. الحفني: موسوعة الفرق ص ٨٩-٩٥.

(٣) هم القائلون بامامة زيد بن علي بن الحسين. أنظر الماطي: التنبيه والرد ص ٣٣. البغدادي: الفرق ص ٢٢-٢٦. الشهرستاني: الملل ١/٢٠٧-٢١٨.

(٤) هم القائلين بامامة محمد بن الحنفية. أنظر مؤلف مجھول: اخبار العباس ص ١٦٥. البغدادي: الفرق ص ٢٦-٣٤. الشهرستاني: الملل ١/١٩٦-١٩٧.

(٥) الشرح: ٣٧١/٦.١٧/١.

(٦) أصحاب محمد بن كرام: الأشعري: مقالات الاسلاميين ١ /٢٠٥-٢١٥. البغدادي: الفرق ص ٢٦٠، ٢٢٣، ٢٨٨/٣، ١١١، ٥/٢. الشهرستاني: الملل والنحل ١/١٤٤-١٥٤. الحفني: موسوعة الفرق ص ٥٣٠-٥٣٢.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٠٧

علي عليه السلام وهم سلمة بن كهيل^(١) وحبه العرني^(٢) وسالم بن الجعد^(٣) والفضل ابن دكين^(٤) وشعبة والاعمش^(٥) وعلقمة^(٦) وهبيرة بن مريم^(٧) وابي اسحق السبيسي^(٨) وغيرهم. وهؤلاء كلهم اخذوا عن الإمام علي عليه السلام فهو رئيس الجماعة واقوا لهم منقوله عنه ومؤخوذة منه^(٩).

(١) أنظر ترجمته: الطبرى: المتختب ص ٦٤٤. الكشى: رجال ص ٢٠٥.

(٢) هو حبه بن جوين بن علي بن عبد تميم العرنى. يعد من الصحابة. البرقى: رجال ص ٦. ابن حجر: الأصحاب / ١ - ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٣) سالم بن الجعد الاشجعى الكوفى. أنظر: البرقى: رجال ص ٣٣. ابن داود الحلى: رجال ص ١٦٦.

(٤) هو من محدثي الكوفة ومن شيوخ البخارى ومسلم. أنظر ترجمته: الخطيب: تاريخ بغداد ٣٤٦ - ٣٥٧. الذهبي: تذكرة الحفاظ / ١ - ٣٧٣ - ٣٧٢.

(٥) هو سليمان بن مهران الاعمش: الطبرى: المتختب ص ٦٥٢. أبو نعيم: حلية الاولىء / ٥ - ٤٦ - ٦٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ / ١ - ١٥٤.

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعى الكوفى ت بين ٦١ - ٧٣ هـ. أنظر ترجمته: أبو نعيم: حلية الاولىء / ٢ - ٩٨ - ١٠٢. الخطيب: تاريخ بغداد / ١٢ - ٢٩٦ - ٣٠٠. ابن الجوزى: صفة الصفوة / ٣ - ٢٨ - ٢٧. الذهبي: تذكرة الحفاظ / ١ - ٤٨ - ٤٩.

(٧) هبيرة بن مريم أو بريم الحميري. البرقى: رجال ص ٦.

(٨) أنظر ترجمته: الطبرى: المتختب ص ٦٤٧. أبو نعيم: حلية الاولىء / ٤ - ٣٣٨ - ٣٥٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ / ١ - ١١٤.

(٩) الشرح: ٦ / ٣٧١ - ٣٧٢.

المبحث الثالث

الإمام علي عليه السلام مصدرًا للتتصوف الإسلامي

من خلال ما ورد في نهج البلاغة من اشارات إلى أحوال التتصوف^(١) حيث (بين عليه السلام) من مقامات العارفين التي يرمي إليها في كلامه ما لا يعقله إلا العالمون ولا يدركه إلا الروحانيون^(٢) لذا عد ابن أبي الحديد الإمام علي عليه السلام مصدر التتصوف الإسلامي إذ يقول: (إن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه يتتهون وعنه يقفون، وقد صرَح بذلك الشبلي^(٣) والجندى^(٤))

(١) عن معنى التتصوف أنظر عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي ص ٤٧٠-٤٧١. السامرائي: تاريخ الفكر العربي ص ٢٧٧-٨.

(٢) الشرح: ٥/١.

(٣) أبو بكر دلف بن جحدرت ٣٣٤هـ. نشأ في بغداد وتفقه على مذهب مالك. السلمي: طبقات الصوفية ص ٣٣٧-٣٤٨. أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/٣٦٦-٣٧٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٤٥٦-٤٦١. ابن فرحون: الدبياج المذهب ص ١١٦-١١٧.

(٤) أبو القاسم الجندى بن محمد الخزاز أصله من نهاوند ت ٢٩٧هـ. السلمي: طبقات الصوفية ص ١٥٥-١٦٣. أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠/٢٥٥-٢٨٧. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٤١٦-٤٢٤. السبكي: طبقات الشافعية ٢/٢٨-٣٧.

وسرى^(١) وأبو يزيد البسطامي^(٢) وأبو

محفوظ معروف الكرخي^(٣) وغيرهم، ويكيفك دلالة على ذلك الخرقـة^(٤) التي

هي شعارهم إلى اليوم وكونهم يسندونها باسناد متصل إـلـيـهـ^(٥).

وقال في شرحـهـ لـكلـامـ الإـمامـ عـلـيـهـ السـلـيـطـيـ فيـ شـعـبـ الإـيمـانـ وـالـكـفـرـ^(٦): (هـذـاـ

الفـصـلـ اـخـذـتـ مـنـهـ الصـوـفـيـةـ وـاصـحـابـ الـطـرـيقـةـ وـالـحـقـيـقـةـ كـثـيرـاـ مـنـ فـنـونـهـمـ فيـ

عـلـوـمـهـمـ،ـ وـمـنـ تـأـمـلـ كـلـامـ سـهـلـ بـنـ عـبـدـ اللهـ التـسـتـرـيـ^(٧)ـ وـكـلـامـ الجـنـيدـ وـالـسـرـيـ

وـغـيـرـهـمـ رـأـيـهـمـ رـأـيـهـ كـلـمـاتـ فـيـ فـرـشـ كـلـامـهـمـ تـلـوحـ كـالـكـواـكـبـ الزـاهـرـةـ)^(٨).

وـمـنـ خـلـالـ قـوـلـهـ السـلـيـطـيـ: (إـنـ مـنـ أـحـبـ عـبـادـ اللهـ إـلـيـهـ عـبـدـ أـعـانـهـ اللهـ عـلـىـ نـفـسـهـ،ـ

(١) سرى ابن المغلس السقطي من مدرسة بغداد الصوفية واماها في وقته ت ٢٥١ هـ. السلمي:

طبقات الصوفية ص ٤٨-٥٥. أبو نعيم: حلية الاولىء ١١٦/١٠-١٢٧. ابن الجوزي: صفة

الصفوة ٣٧١/٢.

(٢) طيفور بن عيسى من أهل بسطام بلده بقومس ت ٢٦١ هـ. السلمي: طبقات الصوفية ص ٦٧-

.٧٤. أبو نعيم: حلية الاولىء ٣٣-٤٠/١٠. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٤/١٠٧-١١٤.

(٣) معروف بن علي من كبار المتصوفة وهو استاذ السري. وكان قد أسلم على يد علي بن موسى

الرضائي توفي وقبره معروف ببغداد. انظر: السلمي: طبقات الصوفية ص ٨٣-٩٠. أبو نعيم:

حلية الاولىء ٨/٣٦٠-٨. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣١٨-٣٢٤.

(٤) عن الخرقـةـ عـنـ الصـوـفـيـهـ أـنـظـرـ الـواسـطـيـ: طـبـقـاتـ خـرـقـةـ الصـوـفـيـهـ (الـصـفـحـاتـ جـمـيعـهـاـ).

(٥) الشرح: ١٩/١.

(٦) الشرح: ١٤٢/١٨-١٤٣.

(٧) من أهل تسـرـ وـلـدـ فيـ ٢٠٠ـ هـ وـتـوـفـيـ ٢٨٣ـ هـ.ـ أـنـظـرـ:ـ أـبـوـ نـعـيمـ.ـ حلـيـةـ الـأـولـىـءـ ١٨٩ـ/ـ ١٠ـ -ـ ٢١٢ـ.

ابن خلـكانـ:ـ وـفـيـاتـ الـأـعـيـانـ ٤٢٩ـ/ـ ٢ـ .ـ ٤٣٠ـ.

(٨) الشرح: ١٤٣/١٨.

فاستشعر الحزن، وتجلى الخوف، فزهر مصباح المدى في قلبه، واعد القرى
ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهو الشديد.

من هذا الكلام أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم، وهو تصريح
بحال العارف، ومكانته من الله تعالى، والعرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا
مناسبة للنبوة ويختصر الله تعالى بها من يقربه إليه من خلقه. والعارف هو الواصل
إلى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه، والباري سبحانه متمثل في نفسه مثل المعشوق
في ذات العاشق، ويستلزم أن يكون العارف زاهدا حيث لا يمكن تصور
العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا. وقد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء
والفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا، لكنهم لا يكونون كاملين في أحوالهم،
لأن الحالة الكاملة قد تحصل لمن رفض الدنيا، والتي تستلزم أن يكون العارف
عابدا عبادة ما، ولكن لا يتشرط في حصول العرفان أن يكون على قدم عظيمة
من العبادة، بل الاكثار من العبادة حجاب لكن لابد من القيام بالفترائض وقليل
من النوافل. والعارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه
 وبالحكمة المودعة في نظام العالم لاسيما الأفلاك والكواكب وتركيب طبقات
العناصر والاحكام وفي تركيب الابدان الإنسانية^(١).

وأكد ابن أبي الحديد أن هذه الصفات والشروط التي ذكرها في شرح حال
العارف إنما يعني بها نفسه عليه السلام فهذا من الكلام الذي له ظاهر وباطن، فظاهره ان
يشرح حال العارف المطلق، وباطنه ان يشرح حال عارف معين، وهو نفسه عليه السلام. ثم
ذكر ابن أبي الحديد هذه الصفات وهي ستة عشر آخرها العدالة وهي ملكرة تصدر

بها عن النفس الفاعل الفاضلة خلقا لا تخلقا، وهذه العدالة لها اقسام ثلاث هي الاصول وما عدتها تعد من الفروع الاولى: الشجاعة ويدخل فيها السخاء لأنه شجاعة وتهوين المال، كما أن الشجاعة الاصيلية تهوين للنفس، فالشجاع بالحرب

جواد بنفسه، والجواب بالمال شجاع في انفاقه. ولهذا يقول أبو تمام الطائي^(١):

أيقنت أنَّ مِنَ السَّمَاحَةِ شَجَاعَةً تَدْمِي، وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودًا

والثانية: الفقه ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة، والثالثة: الحكمة وهي اشرفها^(٢).

يعد ابن أبي الحديد العدالة الكاملة لم تحصل لأحد من البشر بعد الرسول عليه السلام إلا للإمام علي عليه السلام (ومن انصف علم صحة ذلك فإن شجاعته وجوده، وعفته وقناعته وزهده، يضرب بها الأمثل). واما الحكمة والبحث في الامور الإلهية، فلم يكن من فن أحد من العرب، ولا نقل في جهاد اكابرهم واصغرهم شيء من ذلك اصلا، وهذا فن كانت اليونان وسائل الحكماء واساطين الحكمة ينفردون به، وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام وهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ولا يتصورونه ولو فهموه لم يفهموه وأنى للعرب ذلك!^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد من خلال شرحه خطبة للإمام أشار فيها إلى اولياء الله

(١) ديوانه. ص ١٨.

(٢) الشرح: ٦/٣٦٧-٣٧٠.

(٣) الشرح: ٦/٣٧١-٣٧٠.

بأن الإمام هو مصدر التصوف إذ يقول (أعلم أن الكلام في العرفان لم يأخذه أهل الملة الإسلامية الا عن هذا الرجل، ولعمري لقد بلغ منه اقصى الغايات وابعد النهايات، والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى، وانتجتهم لنفسه واحتسبهم بأنسه، أحبوه فاحبهم وقربوا منه وتقرب منهم) ^(١).

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى مقامين من مقامات الصوفية وهما الولاية والمحبة بقوله: (يتواصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة) ^(٢).

واشار ابن أبي الحميد أن مسألة (البروق اللامعة) التي يقول بها الحكماء والمتصوفة أخذوها عن الإمام علي عليه السلام ففي قوله: (قد أحيا عقله، وامت نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه، وارضى ربه) ^(٣).

فقوله عليه السلام: (وبرق له لامع كثير البرق) هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة قول الصوفية اصحاب الطريقة والحقيقة، وقد صرخ به الرئيس أبو علي بن سينا فقال في ذكر السالك إلى مرتبة العرفان: (إنه إذا بلغت به الإرادة والرياضة حدا ما عننت له خلصات من اطلاع نور الحق إليه لذريدة كأنها بروق تومض إليه ثم تحمد عنه، وهي التي تسمى عندهم اوقاتا، وكل وقت يكتنفه، وجد إليه، ووجد

(١) الشرح: ٧٢/١١.

(٢) الشرح: ٧٥/١١.

(٣) الشرح: ١٢٧/١١.

عليه... ثم انه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينة فيصير المخطوب مأله، والوميض شهابا بيناً، ويحصل له معارف مستقرة، كأنها صحبة مستمرة، ويستمتع فيها ببهجهة، فإذا انقلب عنها انقلب حيران اسفاً^(١).

قال ابن أبي الحميد: (فهذه الفاظ الحكيم أبي علي بن سينا في الاشارات، وهي كما تراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعة للعارف)^(٢).

وأضاف: (وقال القشيري في الرسالة^(٣) لما ذكر الحال والأمور الواردة على العارفين قال: هي بروق تلمع ثم تحمد، وانوار تبدو ثم تخفي، ما احلها لو بقيت مع صاحبها! ثم تمثل بقول البحتري^(٤):

حَطَرْتُ فِي النَّوْمِ مِنْهَا حَطْرَةً	وَمَلَّمْ بِكَ لَوْ حَقًا فَعَلْ
أَيْ زورْ لَكَ لَوْ قَصْدًا سَرَى	

فهو كما تراه يذكر البروق اللامعة حسبما ذكره الحكيم وكلاهما يتبع الفاظ امير المؤمنين عليه السلام لأنـه حكيم الحـكماء، وعارف العـارفين، ومعلم الصـوفية، ولو لا اخـلاقـه وكـلامـه وـتعلـيمـه لـلنـاسـ هـذـاـ الفـنـ تـارـةـ بـقولـهـ، وـتـارـةـ بـفعـلـهـ، لـماـ اـهـتـدـىـ أحـدـ منـ هـذـهـ الطـائـفـةـ وـلـاـ عـلـمـ كـيفـ يـورـدـ وـلـاـ كـيفـ يـصـدرـ)^(٥).

وبعد أن أورد نصوصا للقشيري^(٦) علق في آخرها (أفلا ترى كلام القوم

(١) الشرح: ١١/١٣٧-٨. ابن سينا: الاشارات ٤/٨٢٨-٨٣٠.

(٢) الشرح: ١١/١٣٨.

(٣) الرسالة القشيرية ص ٢٧٢.

(٤) ديوانه ٣/١٧١٥-١٧١٦.

(٥) الشرح: ١١/١٣٨-١٣٩.

(٦) الشرح: ١١/١٣٩-١٤١. الرسالة القشيرية ص ٦٧-٦٩.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥١٥
كله مشحون بالبروق واللّمعان) ^(١).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه لأحد خطبه عليه السلام بأن ظاهر كلامه عليه السلام شرح حال القصاص، وارباب الموعظ في المجامع والطرقات، والمتضدين لانكار القبائح، اما باطنه فهو شرح حال العارفين الذين هم صفوة الله تعالى من خلقه، وهو عليه دائماً يكفي عنهم ويرمز إليهم، على أنه في هذا الموقع قد صرخ بهم في قوله (حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون). وقد ذكر من مقامات العارفين في هذا الفصل مقام الذكر، ومحاسبة النفس، والبكاء والنحيب، والندم والتوبة والدعاء والفاقة، والذلة، والحزن وهو الأسى الذي ذكر انه جرح قلوبهم بطوله ^(٢).

(١) الشرح: ١٤١/١١.

(٢) الشرح: ١٨٠/١١.

المبحث الرابع

الإمام علي عليه السلام وعلم الفقه

الفقه لغة: فهم غرض المتكلم من كلامه^(١). قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾^(٢).

اصطلاحاً: العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية وهو علم يستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل وهذا لا يسمى الله فقيها، لأنه لا يخفى عليه شيء^(٣).

كان الإمام علي عليه السلام أصل علم الفقه واساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه^(٤) وقد بدأت بواكير ذلك في عهد الرسول عليه السلام حيث أرسله إلى اليمن داعيا له: (اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه) فقال الإمام

(١) الرازي: مختار الصحاح ص ٥٠٩. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٩١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٨٠. الجرجاني: التعريفات ص ٩٠. البهادلي: مفتاح الوصول ٢٢-٢٤/١.

(٤) الشرح: ١٨/١. وانظر: رد ابن تيمية على ذلك: منهاج السنة ٤/٤٣-٤.

علي عليه السلام: (فما شركت بعدها في قضاء بين اثنين) ^(١) ولذا قال عليه السلام: (اقضاكم على)، كما مر بنا، والقضاء يحتاج صاحبه لأن يكون ملما بالفرائض، والقرآن والحلال والحرام وغيرها ^(٢).

وكان عليه السلام يقول: (فلا نأعلم بطرق السماء مني بطرق الأرض). أي أنه عليه السلام أعلم بالاحكام الشرعية والفتاوی الفقهية من الامور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لأنها احكام الهية، وهذه بطرق الأرض لأنها من الامور الأرضية ^(٣).

وأكده عليه السلام أن الاحكام الشرعية لا يجوز أن تنقض باجتهاد ^(٤) أو قياس ^(٥) بعد ثبوت الأدلة عليها عن طريق النص (القرآن والسنة) حيث (كل ما ورد به النص تتبع مورد النص فيه، فما استحلله عام أول، فهو في هذا العام حلال لك، وكذلك القول في التحرير). إذ يقول عليه السلام إن ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا

(١) الشرح: ١٨/٧. ٢٨٩. وآخرجه: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٧. ابن ماجة: صحيح ٢/٣٣.

أبو داود: سنن ٣/٣٠١. الحاكم: المستدرك ٣/١٤٦. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٠.

الخوارزمي: المناقب ص ٤١. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٤٤. الجوني: فرائد الس冇طين

ص ١٦٧. ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٠. المتقي

المتني: كنز العمال ١٢/٢٢٠. الهيثمي: الصواعق ص ١٢١.

(٢) الشرح: ٩/٨٤.

(٣) الشرح: ١٣/١٠١. ١٠٦.

(٤) هو بذل الجهد في استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية. مذكور: مناهج الاجتهاد

ص ٣٣٧.

(٥) القياس هو التسوية بين الفرع والاصل في الحكم لاشراكهما في علته. الخوارزمي: مفاتيح العلوم

ص ٧-٨. ابن الطيب: المعتمد ٢/٦٩٧.

ما حرم عليكم، أي ما احدثوه من القياس والاجتهاد، حيث يمنع من تقديم القياس على النص^(١).

وأشار عليهما أن الشرعيات مصالح للمكلفين، فإذا فعل سبحانه بنا ما فيه صلاحنا فقد أحسن إلينا، ومن جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف وفض إلى الثواب، وهذا أبلغ ما يكون من الاحسان، والمحسن يجب تعظيمه وشكره، والله سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً إلا وجعل له نصاً ظاهراً يدل عليه أو علمه يستدل به عليه، أما منصوص عليه صريحاً أو يمكن استنباط حكمه من القرآن أما بذكره أو بتركه، فيبقى على البراءة الأصلية^(٢) وحكم العقل، أما إذا لم ينص عليه صريحاً، بل هو في محل النظر فليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه، فيحله بعضهم ويحرمه آخرون، مع أن رضا الله واحد، وكذلك سخطه، فلا يجوز أن يكون شيء يفتي فيه البعض بالحل وآخرون بالحرمة، وهنا كان الإمام علي عليه السلام يقول بتحرير الاجتهاد ثم أن الله لا يرضى من عباده الا خلاف في الفتاوى والاحكام، كما اختلفت الامم السابقة، فسخط الله اختلافهم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيئاً لست منهم في شيء)^(٣).

وقد استنتاج ابن أبي الحديد من كلام للامام علي عليه السلام^(٤) أنه يرد على أهل

(١) الشرح: ١/٢٩٠ - ٣٠ / ١٠ . ٣١-٣٠ .

(٢) هي الوظيفة المؤمنة من قبل العقل عند عجز المكلف عن بلوغ حكم الشارع أو وظيفته. البهادلي: مفتاح الوصول: ٢٥١ / ٢ .

(٣) سورة الانعام، الآية: ١٥٩ .

(٤) الشرح: ١٠ / ١١٨ .

(٥) الشرح: ١/٨٨٢ .

الاجتهاد في الأحكام الشرعية وافساد قول من قال: كل مجتهد مصيب.
ويتلخص احتجاجه عليه السلام في خمسة وجوه:

الأول: لما كان الإله واحداً، والرسول عليه السلام واحداً والكتاب واحداً وجوب
أن يكون الحكم في الواقعه واحداً.

الثاني: لا يخلو الاختلاف الذي ذهب إليه المجتهدون أن يكون مأموراً به أو
منهياً عنه. والاول باطل حيث ليس في الكتاب والسنة ما يشير لذلك، والثاني
حق ويلزم منه تحريم الاختلاف.

الثالث: اما أن يكون دين الإسلام ناقصاً أو تاماً، فإن كان ناقصاً فإن الله سبحانه
استعان بالملائكة ل تمامه سواء على سبيل النيابة أو المشاركة، وهذا كفر، وإن كان
تماماً فاماً أن يكون الرّسول عليه السلام قصر عن تبليغه أو إنه بلغه على كماله وتمامه، والاول
كفر وإن كان الثاني بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبيّن.

الرابع: الاستدلال بقوله تعالى:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

وقوله:

﴿تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وقوله:

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

ففيها دلالة على اشتغال الكتاب على كل الأحكام فكل ما ليس في الكتاب وجب أن لا يكون في الشرع.

الخامس: قوله تعالى:

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

يجعل الاختلاف دليلاً على أنه ليس من الله تعالى، لكن القرآن من عند الله بالأدلة القاطعة الدالة على صحة النبوة فوجب أن لا يكون فيه اختلاف.

وخلص ابن أبي الحديد للقول (إن هذه الوجوه هي التي يتعلّق بها الإمامية وتفاهم القياس والاجتهاد في الشرعيات، وقد تكلّم^(٢) عنها أصحابنا في كتبهم وقالوا: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يجتهد ويقيس، وأذاعوا أجماع الصحابة على صحة الاجتهاد والقياس ودفعوا صحته هذا الكلام المنسوب في هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: إنه من روایة الإمامية، وهو معارض بما ترويه الزيدية عنه وعن ابنائه عليهما السلام في صحة القياس والاجتهاد ومخالطة الزيدية لأئمة

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٢) لكي نعرف موقف الإمامية من الاجتهاد يجب أن نعرف أن هذه الكلمة مرت بمصطلحات عديدة في تاريخها، فقد كانت هذه الكلمة عند بعض المذاهب السنّية تعني بالاصطلاح بما يرادف الرأي (التفكير الشخصي) فيكون الاجتهاد عند ذلك دليلاً من أدلة الفقيه بعرض الأدلة الأخرى كالقرآن والسنة وعلى هذا المصطلح نحمل الروايات الواردة عن أئمتنا في ذم الاجتهاد، ولكن الكلمة (الاجتهاد) تطورت عند فقهائنا العظام إلى ما دل اصطلاحاً على (الاستنباط) فخرج عن كونه دليلاً إلى ما يعني بذلك الجهد في استخراج الحكم الشرعي من أداته وخرج عن كونه مصدراً من مصادر الاستنباط إلى كونه نفس عملية الاستنباط وهو جائز بداعه (أنظر الحلقة الأولى من دروس في علم الأصول للشهيد الصدر ، التمهيد).

أهل البيت عليهما السلام كمخالطة الإمامية لهم، ومعرفتهم بأقوالهم وآرائهم ومذاهبهم كمعرفة الإمامية لا فرق بين الفتنين في ذلك. والزيدية قاطبة جاروديتها^(١) وصالحيتها^(٢) تقول بالقياس والاجتهاد، وينقلون في ذلك نصوصاً عن أهل البيت عليهما السلام وإذا تعارضت الروايات تساقطتا وعدهنا إلى الأدلة المذكورة في هذه المسألة وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى^(٣) على احتجاجه في إبطال القياس والاجتهاد بما ليس هذا موضع ذكره^(٤).

واضطر ابن أبي الحديد إلى تخصيص كلام الإمام عليهما السلام: (ما اختلفت دعوتان إلا كانت أحدهما ضلالاً). فقال: (ولا يحمل أصحابنا كلامه عليهما السلام على عمومه لأن المجتهدين في فروع الشريعة، وإن اختلفوا وتضادوا أقوالهم، ليسوا ولا واحد منهم على ضلال). ولذا خصص ابن أبي الحديد كلامه عليهما السلام هنا باختلاف الدعوة في أصول الدين^(٥).

كان الإمام عليهما السلام مرجع الصحابة في كثير من الأحكام الفقهية ومنهم الخليفة عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، فأما الخليفة عمر فتواتر عنه رجوعه إليه

(١) اتباع أبي الجارود زياد بن أبي زياد إحدى فرق الزيدية. الملطي: التنبيه ص ٢٣-٢٤. البغدادي: الفرق ص ٢٢-٢٤. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٤-٢١١.

(٢) اتباع الحسن بن صالح بن حي: إحدى فرق الزيدية.. الشهرستاني: الملل والنحل ١/٢١٦-٨. الجرجاني: التعريفات ص ٦٩.

(٣) كتاب الذريعة إلى أصول الشريعة للشريف المرتضى. شرحه ابن أبي الحديد في ثلاثة مجلدات. أنظر محيي الدين: ابن أبي الحديد ص ٢٣٩.

(٤) الشرح: ١/٢٨٩-٢٩٠.

(٥) الشرح: ١٨/٣٦٧.

في كثير من المسائل التي اشكت عليه، وعلى غيره من الصحابة حتى قال مرارا
(لولا علي لملك عمر)^(١) وقوله (لا بقيت لعuelleة ليس لها أبو الحسن)^(٢).
وقوله (لا يفتن أحد في المسجد وعلى حاضر)^(٣).

ومن فتاواه المشهورة فتواه في المرأة التي ولدت لستة أشهر فاراد الخليفة
رجحها وقد استنبط الإمام علي عليه السلام من النص القرآني صحة الحمل حيث يقول
تعالى:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤).

ثم جاءت آية أخرى حددت مدة الفطام:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرِضِّعْنَ أَوْلَادُهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٥).

(١) أنظر القاضي: المغني ٢٠/٢. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٣. الخوارزمي: مناقب
ص ٣٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٤٧. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٦٠. الجويني: فرائد
السمطين ص ٣٣٧-٣٥١. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١٧. المناوي: فيض القديرين ٤/٣٥٧.

(٢) أنظر: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٩. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٣. البلوبي: الفباء
١/٢٢٢. ابن الجوزي: صفة الصفو ١/٣١٤. الاربلي: كشف الغمة ١١٦. الجويني: فرائد

ص ٣٤٤-٥. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٥٩-٣٦٠. ابن حجر: الاصابة ٢/٥٠٩. تهذيب
التهذيب ٧/٣٣٧. ابن الصباغ: الفصول المهمة ص ١٧. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧١.
الميتمي: الصواعق ١٢٥. القسطلاني: إرشاد الساري ٣/١٩٥. قال ابن المسيب: وهذا
القول سبب وهو ان ملك الروم كتب إلى الخليفة عمر يسأله عن مسائل فلم يجد جوابا الا عند

علي عليه السلام. أنظر نص المسائل في سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٣٣-١٤٧.

(٣) الشرح: ١٥/٢٤٧.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

أي أربعة وعشرين شهراً، فيبقى ستة أشهر مدة الحمل.^(١) وأيضاً فتواء في الحامل الزانية التي إراد رجمها فقال له الإمام علي عليه السلام هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها! فتركها حتى ولدت ثم رجمها^(٢).

واراد الخليفة عمر أخذ حلي الكعبة لتوظيفها في الجهاد واستشار الإمام علي عليه السلام فقال عليه السلام: (إن هذا القرآن أنزل على محمد عليهما السلام) والأموال أربعة: اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء وقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عنه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه الله ورسوله).

هذا الاستدلال قال المعتزلة بصحته إذ يمكن أن يورد بوجهين:

الأول: أصل الأشياء الحظر والتحريم كما هو مذهب أكثر معتزلة بغداد فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي، ولم يوجد إذن شرعي في حلي الكعبة، فبقيت على الأصل.

(١) الشرح: ١٨-١٩. وانظر: المفید: الإرشاد ص ٨٠. ابن عبد البر: الاستیعاب ٣/١١٠. البیهقی: السنن ٧/٤٤٢. الخوارزمی: مناقب ٥٠. الصناعی: المصنف ٧/٣٤٩-٣٥١. سبط ابن الجوزی: تذكرة ١٤٨/١. محب الدين: ذخائر العقبی ٩٢/٦. الرياض الناظرة ٢٥٦/٢. الجوینی: فرائد ٣٤٦-٧. السیوطی: الدرة المثورة ١/٦. ٢٨٨/٤٠. ابن الدیبع: تیسیر الوصول ٢/٢.

(٢) الشرح: ١٨-١٩. وانظر: المفید: الإرشاد ص ٨٠. الخوارزمی: مناقب ٣٩. القرطبی: الجامع ١٦/١٩٣. ابن طلحة: مطالب السؤال ٣٦-٧. الاربی: کشف الغمة ١/١١٠. محب الدين: ذخائر العقبی ٩١. الجوینی: فرائد ٣٥٠-٣٥١.

الثاني: إن حلي الكعبة مال مختص بها، ويحري مجرى ستورها وبابها، فكما لا يجوز التصرف في ستور الباب إلا بنص، فكذلك حلي الكعبة، والجامع بينهما الاختصاص الجاعل كل واحد من ذلك كالجزء من الكعبة^(١).

ويشار إلى أن الخليفة عمر خاطب الحجر الأسود: (إني لاعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله عليه السلام قبلك واستلمك لما قبلتك ولا استلمتك) فقال له الإمام علي عليه السلام: (إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويه ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُتُّ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٢).

فلما شهدتهم واقروا له أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رقم ثم القمه هذا الحجر، وإن له لعينين ولسانا وشفتين، تشهد لهن وفاه بالموافقة فهو أمين الله عز وجل في هذا المكان، فقال عمر: «لا ابقاني الله بارض لست بها يا أبا الحسن»^(٣).

اما ابن عباس فهو تلميذه وأكثر علمه مأخوذ عن الإمام علي عليه السلام سواء في الفقه أو تفسير القرآن^(٤).

(١) الشرح: ١٥٨/١٩-١٥٩. وانظر: الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٢٦.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.

(٣) الشرح: ١٠١/١٢. وانظر: ابن ماجة: صحيح ٢/١٦٠. ابن الجوزي: مناقب ص ١٢٢-٣. الحلببي: السيرة الحلبية ١/٦-١٧٥. القسطلاني: إرشاد الساري ٣/١٩٥.

(٤) الشرح: ٢٤٧/١٥.

(٣) البخاري: الصحيح ٥/٩٢.

وكان الإمام علي عليه السلام يذهب إلى مخالفة الصحابة في بعض الأحكام الشرعية كقطع يد السارق من رؤوس الأصابع، وبيعه أمهات الأولاد، إلا أن الذي يمنعه من تغييرها انشغاله بالحرب أيام خلافته، ولذا كان يقول لقضاته: (اقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة). لفظة (حتى) تعني أنه أباح لهم اتباع عادتهم في القضايا والاحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة (وحدة) وما بعد (إلى وحتى) ينبغي أن يكون مخالفًا لما قبلها ويرى المعتزلة أن الإمام علي عليه السلام مجتهداً في أحكامه ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته^(١).

ومن فتاواه عليه المسألة المنبرية^(٢) حيث سُئل وهو على المنبر عن حصة امرأة معها ابوبن وابنتين فقال: صار ثمنها تسعًا (وهذه المسألة لو فكر فيها الفرضي

(١) الشرح: ١٩/٦١. أما عند الإمامية فالإمام غير مجتهد وإنما لديه المعرفة بالأحكام الواقعية بعينها وأحكامه كأحكام الرسول عليه السلام.

(٢) سأله رجل الإمام علي عليه السلام وهو على المنبر: إن ابنتي قد مات زوجها ولها من تركته الثمن وقد أعطوها التسع. فسألته الانصاف. فقال عليه السلام: خلف صهرك بنتين. قال: نعم. قال: وابواه باقيان. قال: نعم. قال: قد صار ثمنها تسعًا. فلا تطلب سواه ارثًا. أنظر: ابن الأثير: النهاية ١٣٩/٣. الاربلي: كشف الغمة ١/١٣٠. ابن منظور: لسان العرب ١٣٢/٥١٢-٥١٣. التوحيدى: البصائر والذخائر ٢/١٤٨-٩. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٢١. ومن فتاواه أيضًا المسألة الدينارية حيث قالت له امرأة: يا أمير المؤمنين إن أخي مات وخلف ستة دينار. وقد دفعوا لي من ماله ديناراً واحداً. فقال عليه السلام: خلف أخوك بنتين؟ قالت: نعم. قال: لها الثالثان أربعين ديناراً. وخلف أباً؟: قالت: نعم. قال: لها السادس مائة. وخلف زوجة؟: قالت: نعم. قال: لها الشمن خمسة وسبعين. وخلف معك اثنى عشر اخاً. قالت: نعم. قال: لكل اخ ديناران ولكل دينار واحد. فقد أخذت حقك فانصرفي. فسميت المسألة الدينارية. أنظر: الاربلي: كشف الغمة

طويلا لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديبة،
واقتضبه ارتجالا) (١).

وما يؤثر من أحكام الإمام علي عليه السلام أن العبد التابع إلى بيت المال إذا سرق لا تقطع يده، وأما بعيد عنه فتقطع، وهذا مطابق لرؤيه الإمامية في أن عبد المغنم إذا سرق من المغنم لا تقطع يده، أما العبد الغريب إذا سرق منه فتقطع إذا كان ما سرقه زائدا عما يستحقه من القيمة بمقدار النصاب الذي يجب فيه القطع، وهو ربع دينار، وكذلك الحر إذا سرق من المغنم حكمه هذا الحكم بعينه فوجب أن يحمل كلام الإمام علي عليه السلام على أن العبد المقطوع كان قد سرق أزيد من حقه من القيمة بمقدار النصاب المذكور أو أكثر (٢).

ومن خلال كتابه لقاضيه شريح القاضي (٣) أوضح فيه كيفية بيع الأموال، وأشار ابن أبي الحميد أن طريقته تطابق ما موجود في عصر ابن أبي الحميد (وهذا يدل على أن الشروط المكتوبة الآن قد كانت في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها إلا أنا ما سمعنا من أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط الفقهى إلى معنى آخر، كما قد نظمه هو عليه السلام، ولا غرو فما زال سباقاً إلى

(١) الشرح: ١٨/١٩-١٩.

(٢) الشرح: ١٩/٦٠.

(٣) أبو أمية شريح القاضي ادرك الجاهلية. ويعود من التابعين تولى القضاء في الكوفة منذ عهد الخليفة عمر وحتى وفاته أيام الحجاج سنة ٨٧هـ مما يشير ذلك الاستغراب. أنظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/٧٠-٢. ابن حجر: الإصابة ٢/١٤٦. وانظر الدورى: القاضي شريح وآراؤه الفقهية. رسالة ماجستير ص ٥-٢٢٤.

العجائب والغرائب^(١).

وكان يحيى اقامه وكيل عن الشخص في الخصومة وهو شاهد^(٢) ويرى انه لا قربة بالنوايل إذا اضرت بالفرائض ، حيث لا يصح التنفل من عليه قضاء فريضة فاته لا في صلاة ولا في غيرها^(٣).

وبذلك أصبح الإمام علي عليهما السلام أصل المذاهب الفقهية، فإن أصحاب الإمام أبي حنيفة كابي يوسف^(٤) و محمد بن الحسن^(٥) اخذوا عن أبي حنيفة. والشافعيقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه لأبي حنيفة، أما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فيرجع أيضاً لأبي حنيفة، وأبو حنيفةقرأ على الإمام جعفر الصادق عليهما السلام، والصادق عليهما السلامقرأ على أبيه محمد الباقر عليهما السلام حتى ينتهي الأمر إلى الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، أما مالك بن أنس فقدقرأ على

(١) الشرح: ٢٧، ٣١ / ١٤

١٩/١٠٧ (٢) الشّمْس:

(٣) الشّرْح: ١٨ / ١٥٨

(٤) هو يعقوب بن ابراهيم الانصاري (١١٣-١٨٢هـ) تلميذ الامام أبي حنيفة وأول من نشر مذهبة. تولى القضاء حتى وفاته واشتهر بكتابة الخارج. أنظر ابن التديم: الفهرست ص ٢٨٦. القرشي: الجواهر المضية ٢-٢٢٠. ابن قطلو بغا: تاج التراجم ص ٨١. لكنوبي: الفوائد . ٢٢٦. البهية ص

(٥) تلميذ الامام أبي حنيفة ومحب نشر مذهبة (١٣١-١٨٩) تولى القضاء ومات في الري. ابن النديم: الفهرست ص ٢٨٧-٨. الخطيب: تاريخ بغداد ٢/١٧٢-١٨٢. القرشى: الجوادر المضية ٢/٤٤-٤٤. اللكتنوى: الفوائد البهية ص ٦٣.

ربيعة الرأي^(١)، وربيعة قرأ على عكرمة^(٢) وعكرمة قرأ على ابن عباس والمعروف ان ابن عباس هو تلميذ الإمام علي عليه السلام، وكذلك فإن الشافعي، درس من طريق آخر على مالك ومالك يرجع فقهه للامام علي عليه السلام. واما فقه الشيعة فرجوعه إليه واضح^(٣).

هذه الاضاءات القليلة تنبئ على ان نهج البلاغة يعد مصدراً للفقيه الذي يرغب في أن يكون نافذ الفكر مستنير البصيرة^(٤).

(١) ربعة بن فروخ التيمي ت ١٣٦ هـ. لقب بربيعة الرأي لأنه يقول برأيه إذا لم يجد حديثا. ابن النديم: المهرست ص ٢٨٥. ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/١٧٧. الخطيب: تاريخ بغداد ٨/٤٢٠. ابن خلkan: وفيات الاعيان ١/٢٨٨-٢٩٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٥٧.

(٢) عكرمة بن عبد الله البربرى مولى بن عباس (١٠٥-٢٥) من التابعين طاف البلدان. واستقر فترة في المغرب حيث الخوارج هناك ثم عاد ومات بالمدينة. ابن سعد: الطبقات ٢/٣٨٥. أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/٣٢٦-٣٤٧.

(٣) الشرح: ١٨/١. طرحت العثمانية فكرة مغایرة لذلك وانتقدت القائلين بأسبقية الإمام علي عليه السلام في علم الفقه. أنظر رسائل الجاحظ السياسية ص ١٨٥-١٩٠. وقال أيضاً برأى العثمانية. ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٤-١٤٣.

(٤) العزيزي: الإمام علي عليه السلام اسد الإسلام ص ٢٢٥.

المبحث الخامس

الإمام علي عليه السلام وعلوم القرآن

كان الإمام علي عليه السلام المنظور إليه في هذا الباب، حيث اتفق الكل على حفظه للقرآن على عهد النبي عليه السلام وهو أول من جمعه بعد وفاة النبي عليه السلام حيث يرى أهل الحديث أنه تشاغل بجمع القرآن، وهذا يدل على أنه أول من جمعه، لأنه لو كان مجموعاً في حياة الرسول عليه السلام لما احتاج أن يتшاغل بجمعه^(١).

لقد أولى الإمام علي عليه السلام القرآن الكريم عنايته في التأكيد عليه، وايضاً حفظه ومكانته فمن أقواله فيه: (إن الله سبحانه وتعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا)^(٢).

وقال أيضاً: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحداً إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا أنه ليس

(١) الشرح: ٢٧/١. ولمزيد من التفاصيل عن علاقة الإمام بالقرآن. أنظر التستري: بہج الصیاغة . ٩٤- ١/١٣

(٢) الشرح: ٢٨٨/٩.

على أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدواتكم، واستعينوا به على آرائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال، فأسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوه به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنه شافع ومشفع، وسائل ومصدق، وانه من شفع له القرآن يوم القيمة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيمة صدق عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيمة: ألا إن كل حارث مبتدئ في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن. فكونوا من حرثته واتباعه، واستدلواه على ربكم، واستنصرحوه على انفسكم، واتهموا عليه ارائكم، واستشفعوا فيه (١). اهوائكم).

وقال أيضاً: (فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقهم، وارتهن عليهم أنفسهم، أتم نوره، واكرم به دينه، وقبض نبيه عليه السلام وقد فرغ إلى الخلق من احكام المدى به) (٢).

وقال بعد تلاوته لقوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣).

و(إن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الورقة، وتبصر به بعد العشاوة، وتنقاد به بعد المعاندة) (٤).

(١) الشرح: ١٩-١٨/١٠.

(٢) الشرح: ١١٥/١٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٦-٣٧.

(٤) الشرح: ١٧٦/١١.

وقال أيضاً: (وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم
arkanah, وعز لا تهزم اعوانه) ^(١).

وقال: (كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض،
ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالفه بصاحبه عن الله) ^(٢).

هذه الملامح فيها إشارة إلى مدى العلاقة الوثيقة بين الإمام والنص القرآني، وقد اتضحت في خصوصية فهمه ^{عليه السلام} إلى درجة يصورها في قوله ملئ سأله: (هل عندكم شيء من الوحي؟ فقال: لا والذى فلق الحبة وبرا النسمة، إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه). وإنعام النظر في قوله ^{عليه السلام} يثبت أن أقل ما يدل عليه إن ما نقل عنه من أ العجائب المعارف الصادرة عن مقامه العلمي الذي يدهش العقول مأخوذه من القرآن الكريم، لذا أصبح ^{عليه السلام} دائرة معارف القرآن ^(٣).

ومن خلال ملاحظة ما جاء في كلامه ^{عليه السلام} عن القرآن، نجد فيه أحسن ما ورد في تعظيمه واجلاله ^(٤). وقد شهد النبي ^{صلوات الله عليه} بذلك العلاقة الوثيقى، بين القرآن والإمام علي ^{عليه السلام} بقوله: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفتر قان حتى يردا على الحوض) ^(٥).

(١) الشرح: ٢٧٣/٨.

(٢) الشرح: ٢٨٧/٨.

(٣) الاعرجي: منهج المتكلمين في فهم النص القرآني ص ١٨-١٩.

(٤) الشرح: ٢/١٠.

(٥) أخرجه: الحكم: المستدرك ٣/١٣٤. الخوارزمي: المناقب ص ١١١-١١٠. الذهبي: تلخيص المستدرك ٣/١٣٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٧٣. السيوطي: الجامع الصغير ٤/٣٥٦. المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/٢٠٣. الهيثمي: الصواعق ص ١٢٢. ١٢٤.

لذا نجد الإمام علي عليه السلام أصبح مصدرًا للعلوم القراءات حيث أن أئمة القراءات يرجعون إليه مثل أبي عمرو بن العلاء^(١) وعاصم بن أبي النجود^(٢) وغيرهما لأنها يرجعان لأبي عبد الرحمن السلمي^(٣) القارئ، وهو تلميذ الإمام علي عليه السلام وعنه أخذ القرآن فصار فن القراءات من الفنون التي تنتهي إلى الإمام علي عليه السلام^(٤).

اما في علم التفسير فكان المعول عليه، حيث عنه أخذ ابن عباس (وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخربيجه، وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط)^(٥).

وكان عليه يقول: (لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العادات، و تمام الكلمات...) والمقصود بعلم تمام كلمات الله تعالى أي تأويلها وبيانها الذي يتم

(١) هو زيان بن العلاء المازني أخذ عنه مشايخ البصريين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٢-٤٦.
الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٨٣.

(٢) الكوفي الاسدي بالولاء ت ١٢٧ أو ١٢٨ هـ. يعد في التابعين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٤٣. الذهبي: العبر ١/١٢٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٧٣. ميزان الاعتدال ٢/٣٥٧-٨. الجزرى: غایة النهاية ١/٣٤٦.

(٣) عبد الله بن حبيب الكوفي تصدر القراء أيام عثمان بن عفان حتى توفي سنة ٧٣ هـ. أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/١٩١-١٩٥. السمعاني: الانساب ٧/١٨١. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٥٨.
الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٤٥.

(٤) الشرح: ١/٢٧-٢٨.

(٥) الشرح: ١/١٩. ١٥/٢٤٧.

به، لأن في كلامه تعالى المجمل الذي لا يستغني عن متم ومبين يوضحه^(١).

ولما كان الإمام علي عليه السلام ملهمًا بأساليب القرآن لذا نصّ رسوله للخوارج (ابن عباس) بان لا يجاججهم بالقرآن (لأن القرآن حمال ذو وجوه) حيث أنه كثير الاشتباه، فهناك آيات تفيد رؤية الله^(٢) وأخرى تنفيها^(٣) وآيات تشير إلى أن الهدایة والضلال من الله^(٤) وأخرى تنسبها للإنسان^(٥). ثم أن القرآن ناسخ ومنسوخ، ومن أجل ذلك دعا الإمام علي عليه السلام ابن عباس للمحاججة بالسنة النبوية لخلوها من هذه الأشكالات^(٦).

وفي علم أسباب النزول أشار الإمام علي عليه السلام إلى أن أول آية من سورة العنكبوت وهي (الم أحسب الناس أن يترکوا أن يقولوا إيماناً وهم لا يفتنون...). إنها نزلت بعد معركة بدر، في الوقت الذي أشار المفسرون أنها مكية^(٧)، والملاحظ أن هذه الآية ربما تكون وحدتها نزلت بعد معركة بدر، وكذا الحال في سورة النحل^(٨) التي هي مكية ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة التي نزلت

(١) الشرح: ٢٨٩/٧.

(٢) قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة. سورة القيامة، الآية: ٢٣.

(٣) قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾. سورة الانعام، الآية: ١٠٣.

(٤) قوله تعالى: ﴿فَيُضْلِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. سورة Ibrahim، الآية: ٤.

(٥) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ﴾. سورة الزمر: ٨-٧.

(٦) الشرح: ١٨/٧١-٧٣.

(٧) أنظر: الطوسي: التبيان ٨/١٨٥. القرطبي: الجامع ١٣/٣٢٣.

(٨) أنظر: الطوسي: التبيان ٦/٣٥٧. القرطبي: الجامع ١٠/٦٥.

بالمدينة بعد معركة أحد^(١).

وكان عليه السلام يؤكّد معرفته بأسباب النزول بقوله: (سلوني عن كتاب الله، والله ما من آية إلّا أنا أعلم إبّها بليل نزلت أم بنهار أم بسهل نزلت أم بجبل)^(٢).

(١) الشرح: ٢٠٧/٩.

(٢) أنظر: ابن سعد: الطبقات ٢/٣٣٨. الأزرقي: أخبار مكة ١/٥٠. البلاذري: انساب ٢/٩٩.

ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١١٠٧. جامع بيان العلم وفضله ١/١١٤. الخوارزمي: المناقب

ص ٤٩. البلوي: الفباء ١/٢٢٢. حب الدين: الرياض النظرة ٢/٢٦٢. ابن حجر: الاصابة

ص ٥٠٩. تهذيب التهذيب ٧/٣٣٨. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨٥. الهيثمي: الصواعق

ص ١٢٦.

المبحث السادس

الإمام علي عليه السلام والنحو والبلاغة

علم النحو:

يعد علم النحو من علوم اللغة العربية التي ابتدعها الإمام علي عليه السلام، فالمعروف أنه أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله التي منها: الكلام على ثلاثة أقسام: اسم و فعل و حرف. والكلمة: إما نكرة أو معرفة. وتقسيم وجوه الإعراب من حيث الرفع والنصب والجر والجزم. إن هذا الإمام «يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط».^(٣)

كان أبو الأسود الدؤلي أول من وضع علم النحو بإشارة من الإمام علي عليه السلام^(٤). قال الأنباري «وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره: أخذ أبو

(٣) ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة ٢٠ / ١. أبو هلال العسكري: الأوائل ص ٢٩٦-٢٩٨ . الحموي: معجم الأدباء ٤٢-٤٩ / ١٤. ابن الأثير: المثل السائر ٦١ / ١. ابن تيمية: منهاج السنة ٤٢ / ٤. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٨١.

(٤) أبو الطيب: مراتب النحويين ص ٢٠، أبو هلال: الأوائل ص ٢٦٧ ، ابن النديم: الفهرست ص ٤٥ ، المفید: الفصول المختارة ص ٩١ ، القسطی: أنباه الرواة ٣٩ / ٤٠ . المازنداي: شرح أصول الكافي ٢ / ٢٩٨ ، المجلسي: بحار الأنوار ٤١ / ١٤٢ ، الشیرازی: كتاب الأربعين ص ٤١٥ .

الأسود النحو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(١).

ويذكر الأنباري أيضاً^(٢): «أعلم أيدك الله تعالى بال توفيق، وأرشدك إلى سوء الطريق، أن أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحدّ حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واخذ عنه أبو الأسود... وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم، ما روى أبو الأسود، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء - يعني الأعاجم - فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليه الرقعة، وفيها مكتوب، الكلام كلّه اسم، و فعل، وحرف، فالاسم ما أنشأ عن المسمى، والفعل ما أنشأ به، والحرف ما جاء معنى، وقال لي: انح هذا النحو، وأصف إليه ما وقع إليك، وأعلم يا أبو الأسود، إن الأسماء ثلاثة، ظاهر، ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفضل الناس يا أبو الأسود فيها ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم.

قال أبو الأسود: فكان ما وقع إلى «إن» وأخواتها ما خلا «لكن». فلما عرضتها على علي رضي الله عنه، قال لي: وأين لكن؟ فقال: ما حسبتها منها، فقال: هي منها فألحقها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت! فلذلك سمي النحو نحو».

وذكر الأنباري أيضاً «وروي أن سبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم

(١) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٨ - ١٩.

(٢) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٤ - ١٥.

أنه سمع أعرابياً يقرأ «لا يأكله إلا الخاطئين»^(١)، فوضع النحو^(٢).

وبعد أن يستعرض الأنباري الآراء في من هو صاحب الريادة في وضع علم النحو يخلص للقول: «والصحيح أن أول من وضع النحو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود، وأبو الأسود يسند إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه روى عن أبي الأسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ فقال: لفقت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٣).

البلاغة:

البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، والمقصود بالطابقة أن يكون الكلام مناسباً لحال السامع حيث أن الناس طبقات ولذلك تختلف أساليب الكلام تبعاً لاختلاف حال السامع، أما الفصاحة فهي أن تكون الألفاظ سهلة واضحة عذبة خفيفة الحركات جارية على القياس الصرفي، وليس هناك تنافر بين حروفها، وأن يكون التركيب (الكلام المؤلف) خالياً من الغموض والتعقيد والتكرار^(٤).

كان الإمام علي عليه السلام من الفصاحة بمكان فهو أمام الفصحاء وسيد البلغاء

(١) الصحيح «لا يأكله إلا الخاطئون». سورة الحاقة، الآية: ٣٧.

(٢) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٧.

(٣) الأنباري: نزهة الالباء في طبقات الأدباء ص ١٩ - ٢٠.

(٤) أنظر معاني متعددة في ابن رشيق: العمدة ٢٤١ / ٢٤٠ - ٢٥٠. الجرجاني: التعريفات ص ٢٦. الحلاوي: البلاغة والتطبيق ص ٧-٨.

وفي كلامه قيل (دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين). ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة حيث حفظ عبد الحميد بن يحيى الكاتب^(١) سبعينًا من خطبه عليه السلام. وحفظ ابن نباتة^(٢) (كتنا لا يزيده الانفاق الا سعة وكثرة، حيث حفظ مائة فصل من مواعظه^(٣).

وقد شهد معاوية له بهذا الامتياز فلما دخل عليه محفن بن أبي محفن قائلًا له:
 (جئتكم من عند اعيا^(٤) الناس. فقال معاوية: ويحك! كيف يكون اعيا الناس!
 فوالله ما سن الفصاحة لقرיש غيره)^(٥).

ويكفي كتاب نهج البلاغة في الاشارة على أنه عليه السلام لا يجاري في الفصاحة، ولا يباري في الفصاحة، حيث لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة^(٦) العشر ولا نصف العشر مما دون له، وقد حفظ الجاحظ أحد معتزلة البصرة، في كتابه

(١) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء احتضن بمروان بن محمد وقتله، وكان يضرب به المثل في البلاغة، أنظر الجهميسياري: الوزراء والكتاب ص ٧٢-٨٣. ابن خلكان: الوفيات ٣/٢٢٨-٢٣٢. ابن نباتة: سرح العيون ص ١٦٢-٥.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة الفارقي (٣٣٥-٣٧٤هـ) ولد في ميافارقين وسكن حلب ودخل في خدمة سيف الدولة الحمداني وكان الأخير كثير الغزوات فاكتشف ابن نباتة من الخطب الجهادية. أنظر ابن خلكان: الوفيات ٣/١٥٦-٨. الذهبي: العبر ٢/١٤٣.

(٣) الشرح: ١/٢٤-٢٥.

(٤) العلي ضد البيان أي ليست لديه القدرة على الكلام الفصيح، الرازي: مختار الصاحب ص ٤٦٧.

(٥) الشرح: ١/٢٤، ١٥-٢٥.

(٦) قال المدائني: كان أبو بكر خطيباً وكان عمر خطيباً وكان عثمان خطيباً وكان علياً خطيباً، أنظر الجاحظ: البيان والتبيين ١/٣٥٣.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٤١
البيان والتبيين^(١) الكثير من خطبه^(٢).

فلمَّا أورد الجاحظ قوله لله تعالى: (قيمة كل امرئٍ ما يحسن) علق قائلًا: (لو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية، ومحزنة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقصورة عن الغاية. واحسن الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكأن الله عزّ وجلّ قد البسه من الجلالة، وغضاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراء، ومنزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، اصحابها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبارية، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة)^(٣).

لقد كان الإمام علي عليه السلام افصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، الا كلام الله سبحانه ونحوه وكتابه وكلام رسوله عليه السلام: (وذلك لأنّ فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على امرتين هما: مفردات الالفاظ ومركيباتها. اما المفردات، فأن تكون سهلة سلسة غير وحشية ولا معقدة، والفاظة عليه السلام كلها كذلك، واما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصوله إلى

(١) ١٤٠، ٢٩٧، ٢٥٦، ٢٠٢، ٨٣/١ (١)، ١٠٦، ١٠١، ٩٩، ٨٨، ٧٨-٧٧، ٥٦-٥٠، ٢٢-٢٠، ١٤/٢. ٢٩٧، ٢٥٦، ٢٠٢، ٨٣/١ (١)، ١٤١، ٩٨/٣، ٣٥٠، ٣١٦، ٣١١، ٢٨٥، ٢٧٩، ٢٧٤، ٢٠٠، ١٩٧، ١٩٠، ١٧٢، ١٦٥ . ٩٣، ٨/٤، ٣٠١، ٢٨٥، ٥-٢٧٤، ٢٦٠، ٢١١، ١٥٥، ١٤٨ . ٢٥/١: الشرح.

(٢) البيان والتبيين ١/٨٣. وانظر كلمة الإمام لدى سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٥٤.

الاوهام، واحتى الله على الصفات التي باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي ساهمت بها المتأخرن البديع من المقابلة والمطابقة، وحسن التقسيم، ورد آخر الكلام على صدره، والترصيع^(١) والتسهيم^(٢) والتوضيح^(٣) والمحاثة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط^(٤) والمشاكلة).

إن هذه الاساليب كلها موجودة في خطبه عليه السلام وكتبه مبثوثة ومتفروقة في فرش كلامه عليه السلام وليس يوجد هذان الامران في كلام أحد غيره، فإن كان عليه السلام قد تعلمها، وفكر فيها، واعمل روبيته في رصفيها ونشرها، فقد أتى بالعجب العجاب، لذا وجب أن يكون امام الناس في ذلك، لأنه المبتكر له، ولم يعرف من قبله، اما إذا كان قد اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهيه، من غير روية، ولا اعتمال فأعجب وأعجب! وعلى كلا الامرين فلقد جاء مجلية، والفصحاء تنقطع انفاسهم على اثره (وأعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب، وصاحبها منسوب

(١) هو أن تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾.

وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.**

أنظر ابن رشيق: العمدة ٢/٢٦. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٧. الجرجاني: التعريفات

ص ٣٠.

(٢) هو أن يكون معنى البيت مقتفيا قافيته وشاهدنا بها دالا عليها. ابن رشيق: العمدة ٢/٣٢-٣٤.

(٣) هو نفس التسهيم. ابن رشيق: العمدة ٢/٣١.

(٤) هو تصوير كل بيت اربعة اقسام ثلاثة على سجع واحد مع مراعاة القافية في الرابع حتى تنقضى

القصيدة، الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. الجرجاني: التعريفات ص ٣١، ٧٠٠.

إلى السفة، وليس جاحد الامور المعلومة على ضروريها، باشد سفها مما رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها)^(١) لقد اطلق على بعض خطبه عليه السلام اسماء لشهرتها، كخطبة الاشباح أي الملائكة، التي اثارت اعجاب ابن أبي الحديد فقال عنها: (هذا موضع المثل (إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) «إذا جاء هذا الكلام الرباني واللفظ القدسي بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، كنسبة التراب إلى النضار الخالص، وحتى لو افترضنا أن العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الالفاظ لكن من أين لهم المادة التي عبرت هذه الالفاظ عنها! ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرة للرسول عليه السلام هذه المعانى الغامضة السمائية، ليتهيا لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة، أو صفة جبال، أو فلوات، ونحو ذلك. أما بالنسبة للصحابية، فالمذكور منهم بفصاحة إنما كان متنهى فصاحة احدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إما في موعظة تتضمن ذكر الموت، أو ذم الدنيا، أو ما يتعلق بحرب أو قتال ترغيباً أو ترهيباً)^(٢).

في حين ان الكلام في الملائكة وصفاتها، وصورها وعباداتها، وتسويحيها ومعرفتها بخالقها وحبها له، وولهها إليه، وما جرى مجرى ذلك لما يتضمنه كلام

(١) الشرح: ٢٧٨-٢٧٩/٦.

(٢) الميداني: مجمع الأمثال ١/٨٨. نسبة إلى الصحابي معقل بن يسار المزني، حيث لما حفر زياد نهراً بالبصرة وأراد فتحه، أشهد معقل بن يسار فنسب النهر إليه. الزمخشري: ربيع الابرار ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الشرح: ٤٢٥-٤٢٦/٦.

الإمام في هذه الخطبة، فإذا لم يكن معروفاً عند الجاهلية ولا الصحابة تفصيل بهكذا وقد يكونوا علموا جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم^(١).

اما من كان له علم بهذا الموضوع كعبد الله بن سلام^(٢)-أحد إليهود-وأميرة بن أبي الصلت^(٣) فلم تكن لهم هذه العبادة، ولا قدرروا على هذه الفصاحة، إذن ثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبادة الفصيحة، لم تحصل ألا للإمام علي عليه السلام وحده «واعلم ان هذه الكلام إذا تأمله الليب، اقشعر جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله في روعه وجلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه، وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً، وأن يفارق هيكله صباة ووجدا»^(٤).

كان عليه السلام على درجة من التمكن في استخدام الألفاظ في ما يناسبها، فيعطي المتباعدات لفظه (مقرب)، لأن البعد بإزاء القرب ويعطي المتبادرات لفظه (مقارن) لأن البيونة بإزاء المقارنة، واعطى المتعاديات لفظه (مؤلف) لأن الإتلاف بإزاء التعادي^(٥).

(١) الشرح: ٤٢٦/٦.

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث من أسلم من إليهود في عصر النبي عليه السلام توفي سنة ٤٣ هـ. أنظر: ابن سعد: الطبقات ٢/١-٣٥٢. مسلم: صحيح ١٦/٤١. الحاكم: المستدرك ٣/٤٦٧-٤٧١. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٩٢١. ابن حجر: الإصابة ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٣) أميرة بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربعة الثقفي، كان من نبذ عبادة الأصنام، وحرم على نفسه الخمر، وادرك الإسلام ولم يسلم. ت ٥٥ هـ. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٣٦٩-٣٧٢. النووي: تهذيب الأسماء ١/١٢٦. الآلوسي: بلوغ الارب ٢/٢٥٣، ٣/٢١.

(٤) الشرح: ٤٢٦/٦.

(٥) الشرح: ١٣/٧٤-٧٥.

ووقف ابن أبي الحديد معجبًا بأسلوب كتاب أرسله الإمام لابن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر قائلاً «أنظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها، وتملكه زمامها، واعجب لهذه الالفاظ المنصوبية، يتلو بعضها بعضاً كيف تواطئه وتطاوعه، سلسة سهلة، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف، حتى انتهي إلى آخر الفصل فقال «يوماً واحداً ولا التقى بهم أبداً» وأنت وغيرك من الفصحاء، إذا شرعوا في كتاب أو خطبه، جاءت القرائن أو الفواصل تارة مرفوعة، وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد. ظهر منها في التكلف أثر بينَ، وعلامة واضحة»^(١).

هذا الصنف من البيان هو أحد انواع الاعجاز القرآني، (أنظر إلى سورة الناس وبعدها سورة المائدة، الاولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيها منصوب اصلا ولو مزجت إحدى السورتين بالآخر لم تمتزجا، وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما)^(٢).

ثم إن هذه الفواصل في كلام الإمام علي عليه السلام تساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا حسب الصناعة التكليفية. «ثم أنظر إلى الصفات والمواصفات في هذا الفصل كيف قال: (ولداً ناصحاً) و (عاملًا كادحًا) و (سيفاً قاطعاً) و (ركناً دافعاً) ولو قال: (ولداً كادحًا) و (عاملًا ناصحاً) وكذلك ما بعده لما كان صواباً، ولا في الموضع واقعاً»^(٣).

إن هذه البلاغة جعلت من أبي الحديد يتعجب قائلاً (فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة، والخصائص الشريفة! أن يكون غلام من ابناء عرب

(١) الشرح: ١٤٦-١٤٥/١٦.

(٢) الشرح: ١٤٦/١٦.

(٣) الشرح: ١٤٦/١٦.

مكة، ينشأ بين أهله... وخرج افصح من سجحان^(١) وقس^(٢)، ولم تكن قريش بافصح العرب، كان غيرها افصح منها، قالوا افصح العرب جرهم، وإن لم تكن لهم نباهة.... ولا غرو فيمن كان محمد عليه السلام مربيه ومحرجه، والعناية الإلهية تمده وترفعه أن يكون منه ما كان)^(٣).

وكان عليه السلام أيضاً مقتدرًا على التصرف في المعنى فعلى سبيل المثال نجده دائمًا يذم الدنيا ولكنه أيضًا أحياناً يمدحها، وهو صادق في المدح والذم^(٤).

وقد لاقى كلامه عليه السلام استحساناً لدى من كان له باع مشهود في البلاغة حيث يقول الشريف الرضي عن الخطبة الحادية والعشرين: (إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله عليه السلام بكل كلام مال به راجحاً وبرز عليه سابقاً^(٥)). ووصف الخطبة رقم (٤٨) بأن فيها (من غريب العبارات وعجبها)^(٦). وقد خصص الشريف الرضي آخر كتابه نهج البلاغة^(٧) لقصار

(١) سجحان بن زفر بن اياس ت ٥٤ هـ، أحد خطباء العرب. خطب امام معاوية من الظهر حتى العصر. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٤٨-٩. ابن حجر: الاصادة ٢/١٠٩.

الآلسي: بلوغ الارب ٣/١٥٦.

(٢) قس بن ساعدة اليايدي أول من خطب على عصا، ت ٢٣ قـ هـ. الجاحظ: البيان والتبيين ١/٤٢-٣. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ١/٢٤٩. المرزباني: معجم الشعراء ص ٣٣٨.

الشرح: ١٤٦-١٤٧/١٦.

(٤) الشرح: ٣٢٦/١٨.

(٥) الشرح: ٣٠١/١.

(٦) الشرح: ٢٠٠/٣.

(٧) نهج البلاغة ص ٤٦٩-٥٥٩.

كلمات الإمام والتي كانت على ايجازها في متنها الفصاحة، وقد وصف ابن أبي الحديد هذا الباب بأنه: (كالروح من البدن، والسودان من العين، وهو الدرة المكونة التي سائر الكتاب صدفها)^(١). لذا نجده يعلق على بعض من هذه الكلمات بالثناء ومنها:

الصفحة	تعليق ابن أبي الحديد	كلام الإمام
١٢/٦	من فضيح الكلام يريد الله غلبني النوم.	ملكتني عيني
٨١/٧	لقد اظرف الله وابدع، وذلك لأن للاديان سقماً وطباً وشفاءً، كما أن للابدان سقماً وطباً وشفاءً.	ونسأله المعافة في الأديان كما نسأله المعافة في الأبدان
٦٤/١٠	مَقَامُ رَفِيعٍ جَدًا لَا يَصْلُحُ أَنْ يَقُولَهُ غَيْرُهُ.	أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى!
٣٠٣/٩	هذا كلام شريف جداً.	العار أمامكم والجنة أمامكم.
٤١/١٧	هذا كلام شريف من كلام الحكماء.	إِنَّ الْبَخْلَ وَالْحَرْصَ غَرَائِزٌ شَتَّى يَجْمِعُهَا سُوءُ الْظَّنِّ بِاللَّهِ.

٣٥٣ / ١٨	<p>هذه اللفظة لا نظير لها في الایجاز والدلالة على المعنى وهي من اللفاظه المعدودة.</p>	<p>المرء مخبوء تحت لسانه.</p>
٣٤٠ / ١٩	<p>هذه إحدى كلماته التي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها.</p>	<p>تكلموا تُعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه.</p>
٣٥٥ / ١٨	<p>هذه الكلمة من كلماته المعدودة.</p>	<p>هلك امرؤ لم يعرف قدره</p>
٢٠٣ / ١٩	<p>ما اوجز هذه الكلمة وما أعظم فائتها!</p>	<p>ما أكثر العبر وأقل الاعتبار</p>
٨٦ / ٢٠	<p>هذه من الفاظه الشريفة التي لا نظير لها.</p>	<p>الناس أعداء ما جهلوا</p>
٨-١٦٧ / ١١	<p>هذا كلام لطيف فصيح غامض، ومعناه أن غمرات الموت واهواله عظيمة جداً، لا تستقيم على العقول، ولا تقبلها إذا شرحت لها، ووصفت كما هي على الحقيقة بل تنبو عنها ولا تصدق بما يقال فيها فعبر عن عدم استقامتها على العقول، بقوله: (أو يعتدل) كأنه جعلها كالشيء المعوج عند العقل فهو غير مصدق به.</p>	<p>أو تعتدل على عقول أهل الدنيا</p>

وأحياناً يكون كلامه عليه السلام ليس بحاجة لتفسير، كما في كلامه (٢١٩) حيث أن معانيه ظاهرة، والفاظه الفصيحة تعطيها وتدل عليها بما لو إراد المفسر أن يعبر عنه بعبارة غير عبارته عليه السلام أو أن يكون تفسيراً لكلام ذلك المفسر^(١). وكذلك كلامه ذو الرقم (١٨٣) الذي هو من فصيح الكلام ونادره، ويتضمن من توحيد الله تعالى ومجده، والثناء عليه ما يشهد لنفسه^(٢).

وكان عليه السلام يستخدم الألفاظ المناسبة لبعضها البعض، بحيث لو ذكر غيرها لما انطبقت عليها، ولا استقرت في قرارها^(٣). وكان عليه السلام يكرر المعنى، ولكن بالفاظ مختلفة وذلك لاقتداره على العبارة وسعة مادة النطق عنده^(٤).

ومن أساليبه عليه السلام الجواب الاقناعي (وهي اجوبة إذا بحث عنها لم يكن وراءها تحقيق، وكانت ببادئ النظر مسكتة للشخص صالحة لمصادمته في مقام المجادلة)^(٥). فلما سئل عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ أجاب: دعوة مستجابة. وسئل أيضاً: ما بين المشرق والمغرب؟ فقال: مسيرة يوم للشمس^(٦).

وهي اجوبة صحيحة لا ريب فيها لأن السائل سأل بحضور العامة، تحت المنبر فلو أجابه الإمام بمقدارها عدداً، لربما طالبه السائل بالدليل، والدليل

(١) الشرح: ١٤٤/١١.

(٢) الشرح: ٨٨/١٠.

(٣) الشرح: ٢٧٢-٢٧١/٧.

(٤) الشرح: ٣٦٠/١٨.

(٥) الشرح: ١٧٢/٢.

(٦) الشرح: ١٧٢/٢، ١٧٣-١٧٤/١٩، ١٩٩/٣. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين

الزمخري: ربيع الابرار ٦٦٣/١.

يصعب حصوله على البديهة، وحتى لو حصل لشق اتصاله إلى فهم السائل والحاضرين، ولصار فيها خلاف وربما فتنة، لذا عدل الامام إلى جواب اجمالي صحيح اسكت السائل واقتنع السامعون به واستحسنوه، وهذا من نتائج حكمته عليه السلام^(١).

ولما كان كلام الإمام علي عليه السلام متميزاً عن سواه، لذا لم يجد ابن أبي الحديد مشقة في تمييزه عن غيره، ففي شرحه خطبة الإمام الرابعة قال: (هذه الكلمات والامتثال ملقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه عليه السلام فقد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم، لا تتوافق الفاظها طريقته عليه السلام في الخطب، ولا تناسب فصاحتها فصاحته ولا حاجة إلى ذكرها فهي شهيرة، ونحن نشرح هذه الألفاظ لأنها كلامه عليه السلام لا يشك في ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء في خطبهم، ورسائلهم ولأن الرواية لها كثيرة، ولأن الرضي رحمة الله تعالى عليه قد التقطها ونسبها إليه عليه السلام وصححها وحذف ما عداها)^(٢).

ولما نسبت بعض خطبه وكلامه عليه السلام للغير تمكن علماء البيان من إعادة نسبتها للإمام عليه السلام فمثلاً الخطبة رقم (٣٢) التي نسبها من لا علم له إلى معاوية مع إنها من كلام الإمام عليه السلام الذي لا يشك فيه، إذ أين الذهب من الرغام! وain العذب من الاجاج! وقد دل على ذلك الخريت، ونقده الناقد البصير، عمرو بن بحر الجاحظ حيث ذكرها في كتابه البيان والتبيين^(٣)، وأشار إلى أن هناك من نسبها معاوية ثم انكر ذلك قائلاً: (وهذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي

(١) الشرح: ١٩٩/١٩.

(٢) الشرح: ٢٠٨/١.

(٣) ٦١-٥٩/٢.

الأخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أليق، ومتى وجدها معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ومذاهب العباد!)١(.

ونسب الجاحظ خطبة الإمام رقم (١١٠) إلى قطري بن الفجاءة)٢(والمعروف أنها للإمام حيث رواها المزباني في كتابه (المونق))٣(وهي بكلام الإمام عليه اشبه، وليس يبعد عند ابن أبي الحديد أن يكون قطري خطب بها بعد أن أخذها من أصحاب الإمام عليه الذين صاروا فيها بعد خوارج)٤(.

وما يؤثر عن الإمام عليه قوله: (لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوء، وأنت تجد لها في الخير محتملا) إلا أن هناك من رواها لل الخليفة عمر بن الخطاب)٥(.

ونسب (أبو حامد الغزالي))٦(قوله عليه: (من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصي إلّا فيها، ولا ينال ما عنده الا بتركها) إلى أبي الدرداء)٧(، وال الصحيح

(١) الشرح: ٢/١٧٥-١٧٦، ونسبها لمعاوية أيضاً لأبي: نشر الدرر ٣/١٩-٢١.

(٢) هو قطري بن الفجاءة بن مازن التميمي من رؤساء الازارقة من الخوارج، وتولى امرة الخوارج ثلاثة عشرة سنة، وقتل في حروبه. الجاحظ: البيان والتبيين ١/٢، ٣٤١-٢٣٦، ٩/١٢٦، ٢٠٩، ١٦٩، ٧-١٢٦. الطبرى: تاريخ ٦/٣٠٠-٣١٨، ٢٥٩، ١٦٩، ٧-١٢٦. ابن قتيبة: المعارف ص ٤١. الطبرى: تاريخ ٦/٣٠٠-٣١٨، ٢٥٩، ١٦٩، ٧-١٢٦.

(٣) لم اعثر على هذا الكتاب.

(٤) الشرح: ٧/٢٣٦. وانظر الجاحظ: البيان والتبيين ٢/١٢٦-٩. ابن قتيبة: عيون الاخبار ٢/٢٢٣-٥. النويري: نهاية الارب ٧/٢٥٠-١. القلقشندي: صحيح الاعشى ١/٥.

(٥) الشرح: ١٩/٢٧٧.

(٦) لم أهتد إليها في كتابه إحياء علوم الدين.

(٧) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الانصاري الخزرجي أحد الصحابة الذين عرفوا بالعبادة، تولى القضاء لل الخليفة عمر في دمشق توفي سنة ٣٢ هـ. أبو نعيم: حلية الاولاء ١/٢٠٨-٢٢٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/١٦٤٦-٨. الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٣٨. ابن حجر: الاصابة ٣/٤٥-٤٦.

أنها من كلام الإمام علي عليه السلام حيث ذكر ذلك الجاحظ^(١) وهو اعرف بكلام الرجال^(٢).

وذكر المبرد^(٣) خطبة الاعرابي بالبادية (وأكثر الناس يرون أنها من كلام الإمام علي عليه السلام) ويحوز أن يكون الاعرابي حفظها وأوردها كما يورد الناس كلام غيرهم^(٤).

ووجد ابن أبي الحديد كلمة الإمام (نفس المرء خطأه إلى أجله) منسوبة إلى عبد الله بن المعتز^(٥) فعلق قائلاً: (فلا ادرى هل هي لابن المعتز أم اخذها من امير المؤمنين عليه السلام! والظاهر أنها لأمير المؤمنين عليه السلام فإنها بكلامه اشبه، ولأن الرضي قد رواها عنه، وخبر العدل معمول به)^(٦).

اساليب البيان:

البيان: هو النطق الفصيح المعرب، أي اظهار المعنى وايضاح ما كان مستورا قبله، ليتم اظهار المراد للسامع^(٧) وموضوع علم البيان هو الفصاحة

(١) لم اهتد إليها في أي من مؤلفات الجاحظ.

(٢) الشرح: ٣٢٦/١٩.

(٣) الكامل في اللغة والادب ٤/١٠٨.

(٤) الشرح: ١١/٣-٤.

(٥) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن الخليفة العباسى المتوكى كان شاعرا وله مجموعة من الكتب الادبية. تولى الخلافة بعد المقتدر يوماً وليلة ثم عزل وتوفي سنة ٢٩٦ هـ مخنوقا، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٩٥-١٠١. القفطى: المحمدون من الشعراء ص ٢٥٥. الكتبى: فوات الوفيات ٢٣٩-٢٤٦.

(٦) الشرح: ١٨/٢٢١.

(٧) ابن رشيق: العمدة ١/٢٥٤. الجرجانى: التعريفات ص ٢٦، ٨٣.

والبلاغة^(١)، ويجب على صاحب علم البيان الألام بعلوم تسمى (ادوات علم البيان) وهي: النحو والتصريف والفاظ اللغة وامثال العرب وايامهم (التاريخ) والاحاطة بالمؤلفات السابقة التي كتبت في علم البيان، والاحكام السلطانية وحفظ القرآن الكريم والسنّة النبوية^(٢).

لقد تنوّعت اساليب البيان التي استخدمها الإمام علي عليه السلام في ثنايا كلامه ومنها:

أولاً: الاستعارة: نقل المعنى من لفظ إلى لفظ مشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه^(٣) وقد استخدم الإمام عليه السلام هذا الاسلوب على نطاق واسع.

- قوله عليه السلام: (شقوا امواج الفتنة بسفن النجاة... وضعوا تيجان المفاخرة. افلح من نهض بجناح). قال ابن أبي الحديد: (إن احسن الاستعارات ما تضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كهذه الاستعارات... وذلك لأن الفتنة قد تتضاعف وتترافق فحسن تشبيهها بامواج البحر المضطربة. ولما كانت السفن الحقيقية تنجي من امواج البحر. حسن أن يستعار لفظ السفن لما ينجي من الفتنة. وكذلك قوله (وضعوا تيجان المفاخرة) لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الانسان استعارة لما يتعظم به الانسان من الافتخار وذكر القديم. وكذلك استعارة النهوض بالجناح لمن اعتزل الناس، كأنه لما نفض يديه عنهم صار

(١) ابن الأثير: المثل السائر ١/٥١.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر ١/٥٧-٨٦.

(٣) ابن رشيق: العمدة ١/٢٦٨. الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٧. ابن الأثير: المثل السائر ١/٨٨. الجرجاني: التعريفات ص ١٣.

كالطائر الذي ينهض من الأرض بجناحيه^(١).

وأكثر الإمام من الاستعارة في خطبه له يصف أصحاب القبور إذ يقول (سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الأرض عليهم فيه، فاكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فاصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون، وضمارا لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأحوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال، ولا يغفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف، غيا لا يتظرون وشهودا لا يحضرون، وإنما كانوا جميعا فشتوها، والآفا فافترقو، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم، عميت أخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا، وبالسمع صمما، وبالحركات سكونا، فكانهم في ارتigue الصفة، صرعى سبات، جiran لا يتأنسون، واحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الاخاء، فكلهم وحيدا وهم جميع وبجانب المجر وهم أخلاقا^(٢).

قال ابن أبي الحديد: (هذه كلها استعارات لطيفة مستحسنة)، فإشارته للبرزخ أي الحاجز ويجوز أن يقصد به القبر لأن حجز بين الميت واهل الدنيا ويجوز أن يقصد به الوقت الذي بين حال الموتى إلى حال النشور. ولفظتا (أكلت الأرض من لحومهم وشربت من دمائهم). مستعاراتان والمقصود بالفجوة أي الفرجة التسعة بين الشيئين. (وجمادا لا ينمون) أي خرجوا عن صورة الحيوانية إلى صورة الجماد الذي لا ينمى ولا يزيد قوله: (لا يغفلون بالرواجف) أي لا

(١) الشرح: ٢١٥ / ١. وانظر نص كلام الإمام عليه السلام، سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ٢٨.

(٢) الشرح: ١٥٠ / ١١.

يكترون بالزلزال، قوله: (ولا يأذنون للقواصف) أي لا يسمعون الأصوات الشديدة، قوله: (غيبا لا يتظرون) أي شهدوا في الصورة وغير حاضرين في المعنى، قوله: (وبالسمع صمما) أي لم يسمعوا فيها نداء المنادي ولا نوح النائم أو لم يسمع في قبورهم صوت منهم. قوله: (كأنهم صرعي سبات) وهو النوم حيث لا فرق في الصورة بين الميت حال موته، والنائم المسبوق^(١).

- وقال عليه السلام: (وبادروا للموت وغمراهه، وامهدوا له قبل حلوله) فامهدوا له اتخذوا مهادا وهو الفراش^(٢).

- وقال عليه السلام: (وأنا أطمع أن تلتحق بي طائفة فتهتدى بي، وتعشو إلى ضوئي). شبه به عليه السلام من يلتتحق به من أهل الشام بمن يعشوا الليل إلى النار، وذلك لأن بصائرهم ضعيفة، فهم من الاهتداء بهداه عليه السلام كمن يعشوا ببصر ضعيف إلى النار في الليل^(٣).

- قوله عليه السلام في الخفافيش: (يقبضها الضياء الباطل لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف عشيت أعينها من أن تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها، وتتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها، وردعها بتلؤؤ ضيائها، عن المضي في سبات اشرافها). فعبارة (وتتصل بعلانية برهان الشمس) كلام جيد في مذاهب الاستعارة^(٤).

(١) الشرح: ١٥٤-١٥٥/١١.

(٢) الشرح: ١١٢/١٣.

(٣) الشرح: ٤/١٢-١٣.

(٤) الشرح: ٩/١٨١-١٨٢.

- قوله عليه السلام: (و جلب اسيافهم) أي ما اجلبته اسيافهم، و ساقته إليهم، والجلب: المال المجلوب، وجناه التمر ما يجني منه. وهذه استعارة فصيحة^(١).

- قوله عليه السلام: (من أحد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل) وهذه الكلمة تتضمن استعارة تدل على الفصاحة^(٢).

- وفي خطبة الاشباح من حسن الاستعارة وبديع الصنعة ما لا خفاء به كقوله عليه السلام: (ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال). ووجه الاستعارة هنا، كأن الجبال لما أخرجت المعادن، شبهها بولادة الحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورئته الهواء، وقوله: (وضحكت عنه الاصداف) أي تفتحت عنه وانشقت، يقال للطلع حيث ينشق: الضحك بفتح الضاد، وإنما سمي الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه^(٣).

وقوله في الخطبة أعلاه: (أنت الله الذي لم تتناه في العقول، ف تكون في مهب فكرها مكيّفا). فعبارة مهب فكرها استعارة حسنة^(٤).

قال ابن أبي الحديد في نهاية شرحه لهذه الخطبة: (ما تأمل العلماء شعر أمريء القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتاً أو بيتين نحو قوله يصف الليل^(٥):
فقلت له لما تتطى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلكلي

(١) الشرح: ١١/١٣.

(٢) الشرح: ٤٠٥/١٨.

(٣) الشرح: ٤٠٣/٦.

(٤) الشرح: ٤١٣/٦-٤١٥.

(٥) ديوانه ص ١٨.

وقوله^(١):

فَسِلِّيْ ثِيابِيْ مِنْ ثِيابِكِ تَنْسِلِيْ
وَإِنْ يُكْ قَدْ سَاءَتْكِ مِنْيِ خَلِيقَةُ

ولم ينشدوا مثل ذلك في اشعار الجاهلية، حكموا له بأنه امام الشعراء ورئيسيهم، وهذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة، وغيرها من ابواب البديع على ما لو كان موجوداً في ديوان شاعر مكثر أو مترسل مكثر لكان مستحق التقديم بذلك. ألا تراه كيف وصف الامواج بأنها مستفحلة وأنها ترغو رغاء فحول الابل، ثم جعل الماء جماحا، ثم وصفه بالخصوص وجعل للارض كلacula، وجعلها واطئة للماء به، ووصف الماء بالذل والاستخدا لما جعل الارض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس وجعل لها كواهل، وجعل للذل حكمة وجعل الماء في حكمه الذل منقاداً أسيراً وساجيا مقهوراً، وجعل الماء قد كان ذا نخوة وبأو واعتلاء فردته الارض خاضعا مسكييناً، وطأتات من شموخ انفه وسمو غلوائه وجعلها كأعمدة له، وجعل الماء ذا كظة بامتلائه، كما تعري الكظة المستكثر من الاكل، ثم جعله هاماً بعد أن كانت له نزقات، ولا بدا بعد أن كانت له وثبات، ثم جعل الارض اكتافاً وعرانين وانوفاً وخياشيم، ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مادية درد السحاب، ثم جعل للسحاب صدراً وبواناً، ثم جعل الارض مبتهجة مسرورة مزدهاة، وجعل لها ريطاً من لباس الزهور وسموطاً تحلى بها)^(٢).

وأردف ابن أبي الحديد قائلاً: (فيما لله وللعجب من قوم زعموا أن الكلام

(١) ديوانه ص ١٣.

(٢) الشرح: ٤٥١/٦ - ٤٥٢.

إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على امثال هذه الصنعة فإذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثة منها، اقاموا القيامة ونفخوا في الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستطراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على الطف وجه، وارصع وجه، وارشق عبارة وادق معنى واحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذا اجملوا واحسنتوا ولم يتعصبو لتفضيل غيره عليه! على أنه لا عجب، فإنه كلام علي عليه السلام وحظ الكلام حظ المتكلم وأشباهه امرؤ بزه^(١) (٢).

- ومن كلماته التي استخدم فيها الاستعارة قوله: (وخلق الاجال فاطلها وقصرها وقدمها وأخرها، ووصل بالموت اسبابها، وجعله خالجاً لأشطانها، وقطعاً لمرايا اقرانها). والقرائن هي الحال جمع قرن، ومرائي القرائن جمع مرير، وهو ما لطف وطال من الحال واشتد فتلها، وهذا الكلام من باب الاستعارة^(٣).

ثانياً: التجنيس: هو أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجاز، بل يكونان حقيقين، وهو سبعة اقسام. منها التجنيس الحقيقي ويسمى (الجناس التام) وهو الذي تتساوى حروف الفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى:

(١) قاله سهيل بن عمرو أو ذو الاصبع العدواني. أبو هلال العسكري: جمهرة الامثال ٢٥ / ١ ،

٤٥٠. ابن نباته: سرح العيون ص ٢٨٨.

(٢) الشرح: ٤٥٢/٦.

(٣) الشرح: ٢/٧.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةً﴾^{(١)، (٢)}.

وما ورد من هذا النوع في كلام الإمام علي عليه السلام قوله: (فالبصير منها شاخص والاعمى إليها شاخص). فهو من مستحسن التجنيس فالشاخص الأول الراحل والشاخص الثاني من شخص بصره بالفتح إذا فتح عينيه نحو الشيء مقابلًا له، وجعل لا يطرق^(٣). أما الأقسام الستة الأخرى فهي من متشابه التجنيس ولم أجد لها نهادجا في شرح ابن أبي الحديد لكلام الإمام علي عليه السلام^(٤).

ثالثا: البديع: هو المطابقة بين المعاني وهو الجمع بين الشيء وضده كالسود والبياض، والليل والنهار وأسماء ابن الأثير مقابلة لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين، إما يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس ضده. والأول مقابلة الشيء بضده كالسود والبياض ينقسم إلى قسمين، أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ. فمثال المقابلة في اللفظ والمعنى قوله تعالى:

﴿فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَمْكُوا كَثِيرًا﴾^(٥)

وقول الإمام علي عليه السلام: (إن الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبي، وأنت رجل إن صدقت سخطت وإن كذبت رضيت). مقابل الحق بالباطل والثقيل

(١) سورة الروم، الآية: ٥٥.

(٢) الشرح: ٨/٢٧٦. وانظر ابن رشيق: العمدة ١/٣٢١-٢. ابن الأثير: المثل السائر ١/٣٧٩-٣٨٠.

(٣) الشرح: ٨/٢٧٦.

(٤) ابن الأثير: المثل السائر ١/٣٨٦-٣٩٧.

(٥) سورة التوبه، الآية: ٨٢.

المري بالخفيف الوبي والصدق بالكذب، والسخط بالرضا. وهذه خمسة مقابلات في هذه الكلمات القصار^(١) وكذلك قوله عليه السلام للخوارج: (كلمة حق أُريد بها باطل)^(٢) وقوله عليه السلام في الخطبة الغراء: (الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عظيمة وازل، احمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، وأؤمن به أولاً بادياً، واستهديه قريبا هاديا، واستعينه قاهرا قادرا، واتوكل عليه كافيا ناصرا)^(٣).

هذه الخطبة التي اعتبرها الشريف الرضي من خطب الامام العجيبة فيها ضروب من البديع، فمنها ان لفظة (دنا) في مقابلة (علا) لفظاً ومعنى، وكذلك (حوله) و (طوله) ووجه المقابلة بين الحول والطول، لأن الحول هو القوة وهي مشعرة بالسطوة والقهر، ومنه منشأ الانتقام، والطول: الافضال والتكرم وهو نقىض الانتقام والبطش، ومنها ان (مانحا) في وزن (كاشف) و (غنيمة) بازاء (عظيمة) في اللفظ، وضدها في المعنى، وكذلك (فضل) و (ازل) ومنها ان (عواطف) بازاء (سوابغ) و (نعمه) بازاء (كرمه). ومنها - وهو الطف ما يستعمله ارباب هذه الصناعة - أنه جعل قريبا هاديا مع قوله (استهديته) لأن الدليل القريب منك اجدر بأن يهديك من بعيد النازح، ولم يجعله مع قوله (واستعينيه) وجعل مع الاستعانة (قاها قادرا) لأن القادر القاهر يليق ان يستعان ويستخدم به، ولم يجعله قادرًا قاهرا مع التوكل عليه، وجعل مع التوكل

(١) ابن الأثير: المثل السائر ٣/١٧١-١٧٣. الجرجاني: التعريفات ص ٨٣.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر ٣/١٧٣.

(٣) الشرح: ٦/٢٤١.

(كافي ناصر) لأن الكافي الناصر أهل لأن يتوكل عليه^(١).

وفي قوله عليه السلام: (اتقوا الله تقاة من شَمَرْ تجريدًا، وجدّ تشميرًا) فلو قال: (وجريدة تشميرًا) لكان قد أتى بنوع مشهور من أنواع البديع لكنه لم يحفل بذلك، وجرى على مقتضي طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع^(٢).

واشتملت خطبته الرقم (٢٣٦) على الكثير من صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى^(٣).

ومن أنواع البديع (الزوم ما لا يلزم) وهو من اشباق هذه الصناعة مذهبها، وابعدها مسلكا، وذلك لأن مؤلفه يتلزم ما لا يلزم، فإن اللازم في هذا الموضع وما جرى مجرأه إنما هو للسجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المتشور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا^(٤).

وفي ذلك قوله عليه السلام: (أحمده استئاما لنعمته... فإنه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن) فلفظنا وزن وخزن بلزوم الزّاي من باب لزوم ما لا يلزم^(٥).

ويخلص ابن أبي الحديد للقول على أن فن البديع لا يوجد منه في كلام غير

(١) الشرح: ٢٤٢/٦ - ٢٤٣.

(٢) الشرح: ١٩/٣٠.

(٣) الشرح: ١٣/١١٤.

(٤) الشرح: ١/١٣٣. وانظر: ابن الأثير: المثل السائر ١/٤٠١ - ٢. وقد وضع أبو العلاء المعري كتابا تحت عنوان (الزوم ما لا يلزم) جاء فيه بالجيد والرديء. الشرح: ١/١٣٥. المثل السائر: ١/٤٠٢. وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٦١.

(٥) الشرح: ١/١٣٣.

الإمام من تقدمه إلا الفاظا يسيرة غير مقصودة، ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود كقوله تعالى:

﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾^(١).

وقوله تعالى:

﴿وَالسَّاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٢).

على أنها ليست مقابلة في المعنى بل في اللفظ فقط^(٣).

ويقول باحث معاصر عن موقف ابن أبي الحميد من البديع عند الإمام علي: (يبدو ان موقفه من الإمام علي عليه السلام في جعله امام ارباب صنعة البديع، موقف نقيدي انفرد به عمن سبقة من النقاد)^(٤).

رابعا: الكناية: هي من اقسام المجاز، وهي ابدال لفظة عرض في النطق بها مانع بلفظة لا مانع من النطق بها^(٥). لقوله عليه السلام في الخوارج: (إنهم نطف في اصلاح الرجال وقرارات النساء) فإنه لما وجد الناس قد تواضعوا على استهجان لفظة (ارحام النساء) استخدم لفظة قرارات النساء كناية عن الارحام^(٦).
وقوله عليه السلام: (فالتمسوا ذلك عند أهله) كناية عن نفسه عليه السلام حيث كان عليه السلام كثيرا

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٧.

(٣) الشرح: ٣٠ / ١٩.

(٤) حسن حميد محسن فياض: ابن أبي الحميد ناقداً. ص ٦٠ - ٦١.

(٥) الشرح: ١٥ / ٥، ٥٩. ابن رشيق: العمدة ١ / ٣١٣. ابن الأثير: المثل السائر ٣ / ٥٩، ٨٣.

الجرجاني: التعريفات ص ٩٩.

(٦) الشرح: ٥٩ / ٥.

ما يسلك هذا المسلك ويعرض هذا التعرض وهو الصادق الأمين العارف بالأسرار الإلهية^(١) وقوله عليه السلام: (احمده استئمأنا لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته) فاللفاظ (استئمأنا، إسلاماً، إستعصاماً) من لطيف الكنایة وبديعها، فسبحان من خصه بالفضائل التي لا تنتهي السنة الفصحاء إلى وصفها، وجعله أمام كل ذي علم، وقدوة كل صاحب خصيصة^(٢).

خامساً: الاعتراض: هو كل كلام ادخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقي الأول على حاله^(٣). كقوله عليه السلام: (الا وفي غد- وسيأتي غد بما لا تعرفون- يأخذ الوالي من غيرها عما لها على مساوى اعماها).

فقوله عليه السلام: (الا وفي غد) تمامه (يأخذ الوالي). وبين الكلام جملة اعترافية وهي قوله (وسيأتي غد بما لا تعرفون) والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه^(٤).

وقوله عليه السلام: (يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على حيفة مرήمة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاغعون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقادمة الزحوف...)^(٥).

لما ذكر عليه السلام تنافس الناس على الحيفة المتنعة وهي الدنيا، أراد أن يقول بعدها

(١) الشرح: ١٠٧/٩.

(٢) الشرح: ١٣٣/١.

(٣) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦١. ابن الأثير: المثل السائر ٤٧/٣. الجرجاني: التعريفات ص ١٨.

(٤) الشرح: ٤٢-٤١/٩.

(٥) الشرح: ١٣٧/٩.

بلا فصل (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف) لكنه عليه السلام لما تعجب من تزاحم الناس وتكلبهم على تلك الجحيفة، أراد أن يؤكّد ذلك التعجب، فجاء بجملة اعتراضية بين الكلامين، لتأكيد معنى تعجبهم منهم، فقال: إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها، عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض، ويعلن بعضهم بعضاً، وذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون - إلى أن يتركوا التكالب والتهاوش على هذه الجحيفة الحسيسة، ثم عاد عليه السلام إلى نظام الكلام فقال: (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف) ^(١).

سادساً: التخلص: هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذ برقب بعض، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما افرغ افراغاً. وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوته تصرفه من أجل ان نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متبعاً للوزن والقافية، فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته، واما الناثر فهو مطلق العنوان يمضي حيث شاء، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر من الناثر ^(٢).

وما جاء في كلام الإمام عليه السلام قوله في ذكر ملك الموت: (هل يحس به إذا دخل منزلة، أم هل تراه إذا توفى أحداً! بل كيف يتوفى الجنين في بطنه امه! ايلج عليه من بعض جوارحها، أم الروح اجابته بإذن ربها، أم هو ساكن معه في احشائهما!) ^(٣).

(١) الشرح: ١٤٢/٩.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر ١٤٧/٣.

(٣) الشرح: ٢٣٧/٧.

ثم خرج عليه السلام لأمر آخر أعظم وشرف مما ابتدأ به، فقال: (كيف يصف الله من يعجز عن وصف مخلوق مثله!). وإلى هذا الغرض كان يتراوّم، وإياه كان يقصد وإنما مهد حديث الملك والجنين توطئه لهذا المعنى الشريف، والسر الدقيق)^(١).

سابعاً: الالتفات: هو الانتقال في الكلام من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ، ويسمى (شجاعة عربية) لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وكذلك الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون باقي اللغات^(٢).

وما ورد في كلام الإمام قوله عليه السلام: في توحيد الله تعالى: (كل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوه كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمع نطقه، ومن سكت علم سره، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فعليه منقلبه) ثم انتقل من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب، فقال: (لم ترك العيون، فتخبر عنك، بل كنت قبل الواصفين من خلقت)^(٣).

ثامناً: باب حسن التوصيل بآيات كلام غير مزعج، عوضاً عن لفظ يتضمن جبها وتقريراً، كقوله عليه السلام لاصحابه: (وقد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوكم). فمراد الإمام من جولتكم أي هزيمتكم، فأجمل عليه السلام في اللفظ وكفى

(١) الشرح: ٢٣٩/٧.

(٢) الشرح: ١٨١/٢. أنظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٦٠. ابن رشيق: العمدة ٤٥/٤٧.

ابن الأثير: المثل السائر ٢/٨١. الجرجاني: التعريفات ص ٢٠.

(٣) الشرح: ١٩٤/٧-١٩٦.

عن اللفظ المنفر، عادلا عنه إلى لفظ لا تنفيه فيه، وكذلك قوله عليه السلام: وانحيازكم عن صفوكم، كنایة عن المهر أیضاً، وهو مأخذ من قوله تعالى:

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾^(١).

تاسعاً: الاستدراج: هو استهالة واستدراج المقابل إلى الاعذان والتسليم، ويرى ابن الأثير أن مدار البلاغة كلها عليه لأنه لا انتفاع بايراد الألفاظ الملية الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة، دون أن تكون مجلية لبلوغ غرض المخاطب بها^(٢).

ومثال ذلك قول الإمام لابن عباس لما أرسله للزبير: (يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز، وانكرتني بالعراق) وهو لطيف جداً من باب الاستهالة والأذكار بالنسبة والرحم^(٣).

عاشرأ: السجع: هو تواظؤ الفواصل في الكلام المثبور على حرف واحد، مثل (الغريب، القريب، النسيب)^(٤)، وقد جاء السجع في كلام الإمام علي عليه السلام قوله: (وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للناس، يردونه ورود الانعام، ويولهون إليه وله الحمام، وجعله سبحانه علامه لتواضعهم لعظمته، واذعنهم لعزته، واختار من خلقه سماعاً اجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، ومحرون الارباح في متجر عبادته، ويتباردون إليه موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً

(١) سورة الانفال، الآية: ١٦.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر ٢/٢٥٩.

(٣) الشرح: ٢/١٦٢، ٣-١٧٠.

(٤) الشرح: ٣٠٨/١٥٤. ابن الأثير: المثل السائر ١/٣٠٨. الجرجاني: التعريفات ص ٦٣.

وللعاذين حرما، وفرض حقه، وأوجب حجه، وكتب عليكم وفادته^(١).

تجدر الاشارة إلى أن هناك من عاب السجع^(٢)، لأن الخطب الحالية منه برأيهم هي المستحسنة والخالية من التكلف، وهي خطب العرب كخطبة النبي عليه السلام في حجة الوداع. ولكن إذا كان السجع عيباً لكان كلام الله (القرآن) معيباً لأنه مسجوع كله ذو قرائن وفواصل، ويكتفي هذا دليلاً في بطلان ما ذهب إليه هؤلاء، وكذلك فإن خطب الرسول عليه السلام أكثرها مسجوع، كقوله عليه السلام: (إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا أخرة، وإن لكل شيء حساباً، ولكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن على كل شيء رقيباً، وإن لا بد من قرين يدفن معك هو حي وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمهك، وإن كان لئيناً اسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح انسنت به، وإن فسد لم تستوحش إلا منه، وهو عملك)^(٣).

فالملحوظ أن كلام النبي عليه السلام: أعلاه أكثره مسجوع، أما بالنسبة إلى السجع المذموم من التكلف فهو الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين، في حين لا عيب في التكلف المستحسن، فالملاحظ أن الشعر لا بد فيه من تكلف اقامة الوزن، وليس يوجد من يطعن في ذلك. وكان مما احتج به عائب السجع قوله عليه السلام: (اسجعوا كسجع الكهان) فقالوا: لو لا أن السجع منكر لما انكر عليه سجع الكهان وأمثاله الواقع أنه عليه أنكر سجع الكهان لا مطلق السجع، وكان عليه قد ابطل الكهانة والتنجيم والسحر، ونفى عنها، ولو كان عليه أنكر السجع مطلقاً لما قاله

(١) الشرح: ١٢٣/١.

(٢) ابن الأثير: المثل السائرة ١/٣٠٨.

(٣) الشرح: ١٢٦/١-١٢٨.

كما هو واضح في خطبته أعلاه^(١).

حادي عشر: الموازنة: وهي أن تكون الفاظ الفواصل من الكلام المتشور، متساوية في الوزن وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه تساوي الالفاظ وزنا، والموازنة اخت السجع في المعادلة دون المائلة، لأن في السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهي تماثل اجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد واما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع، ولا تماثل في فواصلها، فيقال إذا: (كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا) وعلى هذا فالسجع اخص من الموازنة^(٢). والموازنة مطلوبة في الكلام الذي يقصد فيه الفصاحة لأجل الاعتدال الذي هو مطلوب الطبع في جميع الاشياء^(٣).

ومثال الموازنة في القرآن قوله تعالى:

﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤).

وقوله:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلِهَةً لِيَكُونُوا إِلَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا * أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُّهُمْ أَرَّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْذِلُهُمْ عَدًّا﴾^(٥)^(٦).

(١) الشرح ١٢٨/١ . ١٢٩.

(٢) الشرح: ١٥٤/٣ . ابن الأثير: المثل السائر ١/٤١٤-٤١٥ . الجرجاني: التعريفات ص ١٢٤ .

(٣) الشرح: ١٥٤/٣ .

(٤) سورة الصافات، الآية: ١١٨ .

(٥) سورة مريم، الآيات ٨١-٨٤ .

(٦) الشرح: ١٥٤/٣ . ابن الأثير: المثل السائر ١/٤١٥ .

اما في كلام الإمام عليه السلام ففي الخطبة رقم (٤٥) جاء بـألفاظ (غير منقوط) موازناً بـلفظه (ولا مخلو) فـكل واحدة منها على وزن مفعول ولـفظة (ولا ميئوس) على وزن مفعول، لكنه في الفقرة الرابعة لم يمكنه من الاتيان بـلفظه ما امكنه في الاولى فجاء بـلفظه (ولا مستنكف) على وزن مستفعل وهو وإن كان خارجاً عن الوزن، لكنه غير خارج عن المفعولية لأن (مستفعل) مفعول في الحقيقة، كـقولك: (زيد مستحسن)، ثم وازن عليه بين قوله (لا تبرح) وقوله (لا تفقد) وبين (رحمة) و (نعمـة) فـاعطـت هذه الموازنـات الكلـام من الطلاوة والصنـعة ما لا نـجـدـهـ عـلـيـهـ لـوـ قـالـ: (الـحـمـدـ لـلـهـ غـيرـ مـخـلـوـ مـنـ نـعـمـتـهـ، وـلـاـ مـبـعـدـ مـنـ رـحـمـتـهـ) لأنـ (مـبـعـدـ) بـوزـنـ (مـفـعـلـ) وـهـوـ غـيرـ مـطـابـقـ، وـلـاـ مـاـمـاـلـ مـلـفـعـوـلـ، بلـ هـوـ بنـاءـ آـخـرـ، وـكـذـلـكـ لـوـ قـالـ: (لا تـزـوـلـ مـنـهـ رـحـمـةـ) فإنـ (تزـوـلـ) لـيـسـ فـيـ المـاـثـلـةـ وـالـمـواـزـنـةـ لـ(تفـقـدـ) كـ(تـبـرـحـ) حـيـثـ أـنـهـ مـعـتـلـةـ، وـتـلـكـ صـحـيـحةـ! وـكـذـلـكـ لـوـ قـالـ: (لا تـبـرـحـ مـنـهـ رـحـمـةـ وـلـاـ يـفـقـدـ لـهـ إـنـعـامـ) فإنـ (إنـعـامـ) لـيـسـ فـيـ وزـنـ (رحـمـةـ)^(١).

ثاني عشر: التقسيم: هو ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد، وإذا ذكرت قـامـ كلـ قـسـمـ منهاـ بـنـفـسـهـ. وـلـمـ يـشـارـكـ غـيرـهـ، فـتـارـةـ يـكـونـ التـقـسـيمـ بـلـفـظـةـ (إـمـاـ) وـتـارـةـ بـلـفـظـةـ (بـيـنـ) كـقـولـنـاـ: (بـيـنـ كـذـاـ وـكـذاـ) وـتـارـةـ بـلـفـظـ (مـنـهـمـ) كـقـولـنـاـ (كـذـاـ وـمـنـهـمـ كـذـاـ) وـتـارـةـ بـأـنـ يـذـكـرـ العـدـدـ المـرـادـ أـوـلـاـ بـالـذـكـرـ ثـمـ يـقـسـمـ، كـقـولـنـاـ (فـانـشـعـبـ الـقـومـ شـعـبـ اـرـبـعاـ، فـشـعـبـةـ ذـهـبـتـ يـمـينـاـ، وـشـعـبـةـ ذـهـبـتـ شـمـالـاـ، وـشـعـبـةـ وـقـفتـ بـمـكـانـهـاـ، وـشـعـبـةـ رـجـعـتـ إـلـىـ وـرـائـهـاـ) وـمـاـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـ التـقـسـيمـ (ثـمـ أـورـثـنـاـ الـكـتـابـ الـذـيـنـ اـصـطـفـيـنـاـ مـنـ عـبـادـنـاـ، فـمـنـهـمـ ظـالـمـ)

نفسه، ومنهم مقتضى، ومنهم سابق بالخيرات ^(١) _(٢).

وما جاء في كلام الإمام عليه السلام قوله: (طبيب دوار بطبعه، قد حكم مراهمه، وأحمد مراسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عمي، وأذان صمّ، والسنة بكم، متبع بدوائهما مواضع العفلة، ومواطن الحيرة).

وهذا التقسيم صحيح حاصر، لأن الضلال ومخالفة الحق يكون بثلاثة امور: اما بجهل القلب، أو بعدم سماع الموعظ والحجج، أو بالامساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر، فهذه الضلال ^(٣).

وقال عليه السلام في ذكر ملك الموت وكيفية قبضه لروح الجنين في بطن امه: (ايلاج عليه من بعض جوارحها، أم الروح اجابت بإذن ربها، أم هو ساكن معه في احسائه!).

وهذا التقسيم حاصر لأنه مع فرضنا إياه جسماً يقبض الأرواح التي في الأجسام، اما أن يكون مع الجنين في جوف امه لقبض روحه عند حضور اجله أو خارجاً عنها، والقسم الثاني ينقسم为 قسمين أحدهما أن يلتج جوف امه لقبض روحه فيقبضها. والثاني: أن يقابضها من غير حاجة إلى الولوج إلى جوفها. وذلك بان تطيعه الروح وتكون مسخرة إذا إراد قبضها امتدت إليه فقبضها. وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها، ولو قسمها واسع المنطق لما زاد ^(٤).

ثالث عشر: التكرار: هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً وينقسم على قسمين

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ٤٨. ابن الأثير: المثل السائر ١٩٥ / ٣. الجرجاني: التعريفات ص ٣٤.

(٣) الشرح: ١٨٣-١٨٤ / ٧.

(٤) الشرح: ٢٣٧-٢٣٩ / ٧.

يوجد في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه (اسرع اسرع) والثاني يوجد في المعنى دون اللفظ، كقولك (اطعني ولا تعصني) فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية فحصل التكرار^(١).

وقد اشتبه ذلك على البعض وتصوروا أنه اطناب أو تطويل^(٢) كما أخذ على الإمام عليه السلام في ذكره كلمة الأجل مرتين، والملاحظ أنه عليه السلام استعمل هذه اللفظة في موضوعين مختلفين المعنى، ف قوله (استقربوا الأجل) يعني المدة و قوله: (فلا حظوا الأجل) يعني الموت^(٣).

رابع عشر: الأمثال: المثل هو الشبه، لأن المثل يقارن بين الحادثة موضوع الكلام وبين الحادثة التي ضرب من أجلها المثل^(٤).

أشار ابن أبي الحديد أن الإمام علي عليه السلام سبق لاختراع ثلاثة أمثال وإن كان قد سبق بمعناها، وهي قوله: (لا تجتمع عزيمة ووليمة) و (ما انقض النوم لعزائم اليوم) (أحلى الظلم لتنذير المهم)^(٥).

أورد الإمام عليه السلام الغريب^(٦) من الألفاظ في كلماته ولما كان الشريف الرضي لم يورد إلا القليل^(٧)، فآثار ابن أبي الحديد أن ينقل ما آثر من غريب كلام الإمام

(١) ابن رشيق: العمدة /٢ ٧٣-٧٨. ابن الأثير: المثل السائر /٣ ٧. الجرجاني: التعريفات ص ٣٥.

(٢) ابن الأثير: المثل السائر /٣ ٧.

(٣) الشرح /٧ ٢٥٥.

(٤) ابن رشيق: العمدة /١ ٢٧٧-٢٨٦.

(٥) الشرح: ١٤٣ /١١.

(٦) كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسية الاستعمال. الجرجاني: التعريفات ص ٨٦.

(٧) نهج البلاغة ٥١٧-٥٢٠. الشرح: ١٩ /١١٧.

من المصنفات السابقة للشريف الرضي كتاب غريب الحديثين لأبي عبيد القاسم بن سلام^(١) وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة^(٢). فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام (والله لا أكون كالضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد)، واللدم صوت الحجر^(٣) وقوله عليه السلام: (لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع). والتشريق صلاة العيد لأنها بعد شروق الشمس^(٤).

وقد حفل كلام الإمام علي عليه السلام بكثير من الموعظ^(٥) الزهدية والزواجر الدينية، ففي شرحه للخطبة رقم (٢١٦) قال ابن أبي الحديد: (هذا موضع المثل - ملعا يا ظليم والا فالتخوية^(٦)) - من أراد أن يعظ ويخوف، ويقرع صفة القلب، ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها باهلها، فليأت بمثل هذه الموعظة في مثل هذا الكلام الفصيح، والا فليمسك، فإن السكوت استر، والععي خير من منطق يفضح صاحبه، ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه: (والله ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره) وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس، وتلي عليهم أن يسجدوا كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع قلم اصاب من الدواة مدادها^(٧)

(١) غريب الحديثين: ١٢٩/٢ . ١٥٩.

(٢) غريب الحديث: ٨٨/٢ . ١٥١.

(٣) الشرح: ١٩/١١٧ . وانظر أبو عبيد: غريب الحديثين: ٢/١٣٠ .

(٤) الشرح: ١٩/١٢٠ . وانظر أبو عبيد: غريب الحديثين: ٢/١٣٩ .

(٥) الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. الجرجاني: التعريفات ص ١٢٣-١٣٢ .

(٦) لم أجده معنى لهذا المثل في كتب الأمثال.

(٧) لم أجده في ديوانه.

فلما قيل لهم في ذلك قالوا: إننا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن^(١).

وقال أيضاً: (وأقسم بمن تقسم به الأمم كلها، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من الف مرة، ما قرأتها فقط لا واحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، واثرت في قلبي وجنياً، وفي اعصابي رعدة، ولا تأملتها إلا وذكرت الموت من أهلي وقاربي، وارباب ودي، وخيلت في نفسي أنني أنا ذلك الشخص الذي وصف الله حاله^(٢)).

وأردف قائلاً: (وكم قد قال الوعاظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى! وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه! فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فإما أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو كانت نية القائل صالحة، ويقينه كان ثابتاً، وخلاصه كان محسناً خالصاً، فكان تأثير قوله في النفوس أعظم، وسريران مواعظه في القلوب أبلغ)^(٣).

ولما قرأ ابن أبي الحديد -في أيام صباه- وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن على ابن الفرج محمد بن عباد^(٤)، حيث كان ابن أبي الحديد يحفظها، وقد تضمنت من الموعظ، فلما وصل إلى قوله عليه السلام (رويداً يسفر الظلام كأن قد وردت الأضuan)! يوشك من اسرع أن يلحق!) فصاح أبو الفرج صيحة شديدة

(١) الشرح: ١٥٣-١٥٢/١١.

(٢) الشرح: ١٥٣/١١.

(٣) الشرح: ١٥٤-١٥٣/١١.

(٤) لم اعثر على ترجمته.

وسقط، وكان جباراً قاسياً القلب^(١).

واستنكر ابن أبي الحميد شغف الناس في الموعظ بابن الشخباء العسقلاني^(٢)
وهو كاتب محدث، أورد له ابن أبي الحميد أحسن ما وجد له (لعلم الفرق بين
الكلام الأصيل والمولد) وعلق قائلاً: (هذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب،
وهي كما تراها ظاهرة التكلف بينة التوليد، تخطب على نفسها)^(٣).

إذن فرجل الوعظ المسلم الذي يريد أن يكون واسع الافق يحتاج إلى نهج
البالغة وإن لم يفعل فإنه ظلام لنفسه، قليل الاحترام لعقله^(٤).

في الواقع إن كلامه عليه السلام الوارد في النهج ما هو إلا شيء قليل جمّعه الشريف
الرضي لأنّه كان يقصد إلى النادر من الفصيح من كلام الإمام، ولو أورد كل
كلامه لجاء اضعاف كتاب النهج^(٥)، وقد أشار البحرياني أحد شراح النهج:
(قال قطب الدين الرواندي رحمه الله: سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول: إني
وجدت بمصر مجموعاً من كلام علي عليه السلام في نيف وعشرين مجلداً)^(٦).

لذا حاول ابن أبي الحميد أن يجمع ما استطاع من كلام الإمام وخطبه
وقصار كلماته في ثنايا شرحه للنهج وفي ختامه للشرح قال: (ونحن الآن

(١) الشرح: ٩٠-٩١.

(٢) هو الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشخباء العسقلاني ت ٤٨٢ هـ له خطب ورسائل وديوان
شعر، قتل بالقاهرة مسجوناً. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٢/٨٩-٩١.

(٣) الشرح: ١٢٦-١٢٧.

(٤) العزيزي: الإمام علي ص ٢٢٨.

(٥) الشرح: ٣/١٥٣.

(٦) البحرياني: شرح نهج البالغة ١/١٠١.

ذاكرون ما لم يذكره الرضي مما نسبه قوم إليه، وبعضه مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور، لكنه قد روی عنه وعزمي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء، ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته، ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعةرأينا الا نخلي هذا الكتاب منه، لأنه كالتكاملة والتتمة لكتاب نهج البلاغة وقد عدنا ذلك كله فوجدناه الف كلمة) لكنه أورد ٩٩٨ فقط^(١).

إن هذه الفصاحة أصبحت موضع استشهاد واقتباس الآخرين لاشتقاق كلام آخر منها، فقد أورد المبرد خطبة لاعرابي هي في الواقع من خطب الإمام علي عليه السلام وكان هذا الاعرابي يحفظها^(٢). واقتبس زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف من الفاظ الإمام في خطبه^(٣). واخذ عبد الله بن الزبير قوله عليه السلام: (لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم). فقال ابن الزبير على هذا المنوال: (فوا الله لوددت ان لي بكل عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم)^(٤). واقتبس من كلامه أيضاً (اطرح عنك واردات الهم بحسن الصبر وكرم العزاء) فقال ابن الزبير لما بلغه مقتل مصعب: (لقد جاءنا من العراق خبر احزننا واسرنا، جاءنا خبر مقتل مصعب فاما سرورنا فلأن ذلك كان له شهادة، وكان لنا إن شاء الله خيرة، واما الحزن فلوامة يجدها الحميم عند فراقه حميمه، ثم يرعوي بعدها ذوي الرأي إلى حسن الصبر وكرم العزاء)^(٥).

(١) الشرح: ٢٥٢/٢٠ . ٣٤٩-٢٥٢

(٢) الشرح: ١١/١١ . ٤-٣ . وانظر المبرد: الكامل في اللغة والأدب ٤/١٠٨ .

(٣) الشرح: ٢٧٨/١ . ٢٧٩-٢٧٨

(٤) الشرح: ٧/٧ . ٥٧

(٥) الشرح: ١٦/١١٧ .

واخذ الفرزدق قوله عليه السلام: (وصار دين احدهم لعقة على لسانه) فقال للإمام الحسين عليه السلام (اما قلوبهم فمعك واما سيفهم فعليك، والدين لعقة على السنتهم، فإذا مخصوصاً قل الديانون) ^(١).

واخذ يزيد بن المهلب ^(٢) لفظ الامام: «اعر الله ججمتك» فقال: «اعيروني سواعدكم ساعة» ^(٣). ونظر الحسن البصري إلى قوله عليه السلام: «من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن». فقال في مولود له: «لا مرحاً بمن إن كان غنياً فتنني، وإن كان فقيراً أحزنني، وإن عاش كدني، وإن مات هدني» ^(٤). واخذ أيضاً قوله عليه السلام: «ولا تسخط الله برضاء أحد من خلقه، فإن في الله خلقاً من غيره، وليس من الله خلق في غيره». فقال لعمر بن هبيرة ^(٥) امير العراق: «إن الله مانعك من يزيد، ولم يمنعك يزيد من الله» ^(٦).

واخذ الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك: قوله عليه السلام: «على اثر الماضي من يمضي الباقي» فقال بعد موت مسلمة بن عبد الملك: «إن عقيبي من بقي لحق من مضى، وقد افتقد بعد مسلمة الصيد لمن رمى، واحتل الثغر

(١) الشرح: ٢٤٩/٧.

(٢) هو أحد الامراء الأمويين في العراق والشرق، ولكنه بعد ذلك ثار على يزيد بن عبد الملك وقتل في حربه مع مسلمة بن عبد الملك. سنة ١٠٢ هـ. الشرح ٤/٢٢٥-١٤٤. أنظر: اليعقوبي: تاريخ ٣/٤٤. الطبرى: تاريخ ٦/٣٢٥-٦٠٤. صفحات متفرقة.

(٣) الشرح ٢٤٢/١.

(٤) الشرح ٢٣٩/٦.

(٥) هو أحد الامراء الأمويين، تولى العراق وخرسان والجزيرة. توفي سنة ١١٠ هـ. أنظر الطبرى: تاريخ ٦/٢٩٦، ٩-٥٢٣، ٦٢٢-٤٠/٧، ٤٠-١٠.

(٦) الشرح ١٦٨-١٦٧/١٥.

فوهى، وارتजط الطود فهوی، وعلى اثر من سلف ما يمضي من خلف، فتزودوا
فإن خير الزاد التقوی»^(١).

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا، وكثرة عدونا وتشتت
اهوائنا». اخذه سديف مولى أبي جعفر المنصور فقال: «اللهم أنا نشكو إليك
غيبة نبينا، وتشتت اهوائنا، وما شملنا من زيف الفتنة، واستولى علينا من غشوة
الحيرة، حتى عاد فيينا دولة بعد القسمة». وقد وجد ابن أبي الحديد هذا الدعاء
منسوباً إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام^(٢)، ولعله من كلامه وكان سديف
يدعوه به^(٣).

ومن قوله «لا مرحاً بوجوه لا ترى الا عند كل سوء» اخذه المستعين بالله
فقال لما دخل عليه ابن أبي الشوارب القاضي ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد
خلع نفسه من الخلافة وباعي للمعتز فقال: «لا مرحاً بهذه الوجوه التي لا ترى
الا يوم سوء»^(٤).

واشهر من اقتبس من كلام الإمام عليه السلام، الخطيب عبد الرحيم بن نباته الذي
قال: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة
فصل من مواعظ علي بن أبي طالب»^(٥). وقد أخذ من خطبة الإمام رقم (٢٣٦)
الكثير من الفاظها، واودعها خطبه، كقوله عليه السلام: «شديد كلبها، عال جبها،

(١) الشرح ٧/٨٣.

(٢) لم اعثر عليه في الصحفة السجادية.

(٣) الشرح ١١٢/١٥-١١٣.

(٤) الشرح ٢٠/١٩.

(٥) الشرح ٢٤/١.

ساطع لهما، متغيط زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خودها، ذاكي وقودها، مخوف وعيدها، عم قرارها، مظلمة اقطارها، حامية قدورها، فظيعة امورها». «إإن هذه الالفاظ كلها قد اختطفها، واغار عليها واغتصبها، وسمّط فيها خطبه، وشدّر بها كلامه»^(١).

واستفاد ابن نباته من قوله عليه السلام: «فلو مثلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك». أخذه وقال: «فلو كشفتم عنهم أغطية الاجداث، بعد ليتين أو ثلاث، لوجدتم الاحداق على الخود سائلة، والالوان من ضيق اللحود حائلة، وهوام الارض في نواعم الابدان جائلة، والرؤوس الموسدة على الإييان زائلة، ينكرها من كان لها عارفاً، ويفر عنها من لم يزل لها آلفاً»^(٢).

كان ابن نباته ملازمًا لسيف الدولة^(٣) لذا كثرت خطبه في الجهاد، وكانت مشابهة لخطب الإمام عليه السلام، إلّا أن هناك فرقاً في بلاغة الإمام عن ابن نباته، فحينما أورد ابن أبي الحديد خطبة ابن نباته في الجهاد^(٤) علق قائلاً: «هذه آخر خطبة ابن نباته، فانظر إليها وإلى خطبته عليهما بعين الانصاف، تجد أنها بالنسبة إليها كمحنة إلى فحل، أو كسيف من رصاص بالاضافة إلى سيف من حديد، وانظر

(١) الشرح ١١٤/١٣.

(٢) الشرح ١٦٢/١١.

(٣) هو الامير علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب بسيف الدولة (٣٥٦-٣٠٣)، عرف بالشجاعة وكثرة وقائعه مع الروم البيزنطيين. أنظر التعالبي: يتميه الدهر ١/٥٦-٣٧. ابن خلkan: وفيات الاعيان ٣/٤٠١-٤٠٦.

(٤) الشرح ٢/٨٠-٨٢. وقارن خطبته بخطبة للامام. الشرح ٢/٧٤-٥. الجاحظ: البيان والتبيين ٢/٥٣-٥٥.

ما عليها من اثر التوليد، وشين التكليف، وفجاجة كثير من الالفاظ، ألا ترى إلى فجاجة قوله «كأن أسماعكم تمج وداع الوعظ، وكأن قلوبكم بها استكبار على الحفظ». وكذلك ليس يخفى نزول قوله: «تندون من عدوكم نديد الابل، وتدرعون له مدارع العجز والفشل»^(١).

وفضلاً عن أن خطبة ابن نباته. يغلب عليها التوليد والتکلف، فإن الفاظها مسروقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا ترى إلى قوله عليه السلام: أما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة. وقد سرقه ابن نباته فقال: فإن الجهاد اثبت قواعد الإيمان، واوسع ابواب الرضوان، وارفع درجات الجنان. وقوله - عليه السلام -: من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم. سرقه أيضاً، فقال: صرخ بهم الشيطان إلى باطله فاجابوه، وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه. وقوله عليه السلام: قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ... إلى آخره، سرقه أيضاً فقال: كم تسمعون الذكر فلا تعقلون! وتقرعون بالزجر فلا تقلعون، وقوله عليه السلام: حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الاوطان. سرقه أيضاً وقال: وعدوكم يعمل في دياركم عمله، ويبلغ بتناقضكم عن جهاده امله»^(٢).

ثم أكد ابن أبي الحديد أن باقي خطب ابن نباته مسروقة أيضاً من خطب أخرى للامام ثم اوضح مقياساً للتمييز بين كلام الإمام عليه وغیره قائلاً: «نسبة شعر أبي تمام والبحري وأبي نؤاس ومسلم^(٣) إلى شعر أمريء القيس

(١) الشرح ٢/٨٢.

(٢) الشرح ٢/٨٢.

(٣) شعراء من العصر العباسي. أنظر تراجمهم في: ابن المعزن: طبقات الشعراء ص ١٩٣-١٧١،

والنابغة وزهير والاعشى^(١)، هلا إذا تأملت اشعار هؤلاء واشعار هؤلاء، تجد نفسك حاكمة بتساوي القبيليتين! وبتفضيل أبي نواس واصحابه عليهم؟ ما اظن أن ذلك مما تقوله أنت ولا قاله غيرك، ولا ي قوله الا من لا يعرف علم البيان، وماهية الفصاحة، وكنه البلاغة، وفضيلة المطبوع على المصنوع، ومزية المقدم على المتأخر، فإذا اقررت من نفسك بالفرق والفضل، وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص، فأعلم أن نسبة كلام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هؤلاء هذه النسبة، بل اظهر، لأنك تجد في شعر امرئ القيس واصحابه من التعجرف. والكلام الحoshi، واللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً، ولا تجد من ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هو باستعمال ذلك»^(٢).

وأضاف قائلاً: «فإن شئت ان تزداد استبصاراً فانظر إلى القرآن العزيز وأعلم أن الناس قد اتفقوا على أنه في أعلى طبقات الفصاحة، وتأمله تأملاً شافياً، وانظر إلى ما خصّ به من مزية الفصاحة والبعد عن التعمير والتقطيع^(٣)، والكلام الحoshi الغريب، وانظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فإنك تجده مشتقاً من الفاظه، ومقتضباً من معانيه ومذاهبه، ومحذواً به حذوه، ومسلوكاً به في منهاجه، فهو وإن لم يكن نظيراً ولا نداً، يصلح أن يقال أنه ليس بعده كلام افصح منه، ولا أجزل، ولا أعلى ولا افخم ولا انبيل، إلا أن يكون كلام ابن عمته عليه السلام، وهذا أمر لا يعلمه الا من ثبتت له قدم راسخة في علم هذه الصناعة، وليس كل الناس يصلح لانتقاد

(١) شعراء من عصر ما قبل الإسلام. أنظر معلقاتهم، وترجمتهم في ابن قتيبة: الشعر والشعراء . ١٨٦-١٧٨، ١٠٩-٩٢، ٨٨-٤٨ / ١

(٢) الشرح: ٨٣ / ٢

(٣) أي التعمق في الكلام والتشدق به. أنظر الجوهري: الصداح ١ / ٢٠٤، ٧٩٧ / ٢

الجوهر، بل ولا لانتقاد الذهب، ولكل صناعة أهل، ولكل عمل رجال»^(١).

ثم أورد ابن أبي الحميد خطبة أخرى لابن نباته في الجهاد، وأخذ يقارن بينها وبين خطب الإمام داعيًا القارئ للتأمل حيث أن ابن نباته، وإن كان قد أخذ من صناعة البديع بنصيب، لكنه بالمقارنة مع بلاغة الإمام نجد كلامه في حضيض الأرض بينما كلام الإمام في اوج السماء، فلو قورن ما جاء في استخدام ابن نباته لزوم ما لا يلزم الذي نجده فيه مقتدرًا قوة وكتابة نحو قوله «كنز» بازاء «حوز» و«عز» وقوله «مشاهدة» بازاء «مجاهدة» و«مغالبة» بازاء «محاربة» و«وحدوه» بازاء «تشييده»^(٢).

لكن هذا الكلام إذا قورن بكلام الإمام علي عليه السلام يكون كدار مبنية من اللبن والطين، موهة الجدران بالنقوش وال تصاوير ممزخرفة بالذهب من فوق الجص والاستيداج، قياساً إلى دار مبنية بالصخر الاصم الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المذاب، وهي مكسوفة غير موهة ولا ممزخرفة، حيث بين هاتين الدارين بوناً بعيداً وفرقًا عظيماً، فقد اقتبس ابن نباته من كلام الإمام عبارة: «ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا»، فكانت هذه العبارة «تصحيح من بين الخطبة صيحاً، وتنادي على نفسها نداءً فصيحاً، وتعلم سامعها أنها ليست من المعدن الذي خرج باقي الكلام منه، ولا من الخاطر الذي صدر ذلك السجع منه، ولعمر الله لقد جملت الخطبة وحستتها وزانتها، وما مثلها فيها الا كآية من الكتاب العزيز يتمثل بها في رسالة أو خطبة، فإنها تكون كاللؤلؤة المضيئة تزهر

(١) الشرح ٢/٨٣.

(٢) الشرح ٢/٨٤.

وتنير، وتقوم بنفسها وتكسي الرسالة بها رونقاً، وكتب بها ديباجة^(١).

وأضاف: وإذا أردت تحقيق ذلك، فانظر إلى السجعة الثانية التي تكشفها ليوازنها بها، وهي قول: «ولا قعدوا عن صون ديارهم إلا أضحموا» فانك إذا نظرت إليها وجدت عليها من التكلف والعثاثة ما يقوى عندك صدق ما قلته لك^(٢).

على أن بعض من كلام ابن نباته ليس بجيد: «وحرز طهر الله به أجسامكم» فإنه لا يقال في الحرز إنه يطهر الأجسام، وكان الألائق أن يقول: «حصن الله به أجسامكم». ولكنه ذكر «طهر» ليكون بازاء «وقر» وأظهره فأدّاه حب التقابل إلى ما ليس بجيد^(٣).

ولما كان ابن نباته الفائز بقصبات السابق من الخطباء في عصره فكان للناس غرام بخطبه، لذا أورد ابن أبي الحديد فصولاً من خطبه بوصفه الخطيب الذي وقع الإجماع على خطابته وحسنها، وان مواعذه هي الغاية التي ليس بعدها غاية. وبعد ايراده لخطبة، قال ابن أبي الحديد: «فلينظر المنصف هذا الكلام، وما عليه من اثر التوليد، أولاً بالنسبة إلى ذلك الكلام العربي المحضر، ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوة، والفتور والبلادة، حتى كأن ذلك الكلام لعامر بن الطفيلي، مستلئماً كته، راكباً جواده، وهذا الكلام للدلال المديني المخت^(٤) آخذ زمارته، متابطاً دفه»^(٥). وأضاف: «والمح ما في قوله «بوق الرحيل» من السفسفة واللفظ

(١) الشرح ٢/٨٤-٨٥.

(٢) الشرح ٢/٨٥.

(٣) الشرح ٢/٨٥.

(٤) اسمه ناقد، وكنيته أبو زيد من أهل المدينة. أبو الفرج: الأغاني ٤/٢٦٦-٢٩٥.

(٥) الشرح ٧/٢١١-٢١٣.

العامي الغث، وأعلم انهم كلهم عابوا على أبي الطيب المتّبّي قوله^(١):
فِي النَّاسِ بُوقَاتٌ هَا وَطْبُولٌ
فِي الْمَلَكِ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سِيفًا لِدُولَةٍ

وقالوا: لا تدخل لفظة «بوق» في كلام يفلح أبداً. والمح ما على قوله:
«القهيري، القهيري» متكررة من المجنّة، واهجّن منها (أم حبو كري) وأين
هذا اللّفظ الحوشى، الذي تفوح منه روائح الشّيخ والقيصوم وكأنه من اعرابي
قح قد قدم من نجد لا يفهم محاورة أهل الحضر، ولا أهل الحضر يفهمون
حواره؛ من هذه الخطبة اللينة الالفاظ التي تقاد أن تنشي من لينها، وتتساقط
من ضعفها!^(٢).

«ثم المح هذه الفقرة والسجعات التي او لها «القرى» ثم «المرا» ثم
«يفترى» ثم «الكري» إلى قوله «عبرت لمن يرى» هل ترى تحت هذا الكلام
معنىًّا لطيفاً، أو مقصدأً وشيقاً! أو هل تجد اللّفظ نفسه لفظاً جذلاً فصيحاً، أو
عذباً معسولاً! وإنما هي الفاظ قد ضم بعضها إلى بعض، والطالئ تحتها قليل
 جداً. وتأمل لفظة «مرا» فإنها محدودة في اللغة، فإن كان قصرها فقد ركب
ضرورة مستهجنة وإن إراد جمع مرية، فقد خرج من الصناعة، لأنّه يكون قد
عطف الجمع المفرد، فيصير مثل قول القائل «ما اخذت منه ديناراً ولا دراهم»
في أنه ليس بالمستحسن في فن البيان^(٣).

وقال في وصفه كلاماً آخر لابن نباته: فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة

(١) ديوانه ص ٢٢٥.

(٢) الشرح ٢١٣/٧.

(٣) الشرح ٢١٤-٢١٣/٧.

والبيان هذا الكلام بعين الانصاف، يعلموا أن سطراً واحداً من كلام نهج البلاغة يساوي ألف سطر منه، بل يزيد ويربى على ذلك، فإن هذا الكلام ملزق عليه اثار كلفة، وهجنة ظاهرة يعرفها العامي فضلاً عن العالم^(١).

وقال أيضاً: هل يجد من يتصفح كلام ابن نباته هذا عذوبة أو معنى يمدح الكلام لاجله؟ وهل هو الا الفاظ مضموم بعضها لبعض، ليس لها حاصل، كما قيل في شعر ذي الرمة^(٢)، «عبر ظباء ونقط عروس»^(٣) ويخلص للقول «إن كلام ابن نباته يتميز بالركاكة والتتكلف، ولو قاله خطيب من خطباء السواد، لم يستحسن منه، بل ترك واسترذل»^(٤).

ولكن أليس مما يعاب عليه أن نوازن بين كلام الإمام علي عليه السلام وكلام ابن نباته، وما هذا الا بمنزلة القول: «السيف امضى من العصا». وفي هذا غضاضة على السييف!؟.

وفي الواقع انه قد اشتغلت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى وبين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن، وزيادة فصاحتته على فصاحة كلام العرب، نحو مقاييسهم بين قوله تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكُمْ الْأَلَيُّونَ﴾^(٥)

(١) الشرح ٢١٤/٧

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوبي (٨٧-٧٧) أحد الشعراء في العصر الأموي. ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٤٣٧-٤٤٧. ابن خلkan: وفيات الاعيان ٤/١١-١٧.

(٣) هو وصف جرير لشعر ذي الرمة. أنظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٤٣٧.

(٤) الشرح ٢١٥/٢

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

وبين قول القائل «القتل أنفى للقتل» وبين قوله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

وبين قول الشاعر^(٢):

إِنْ عَرَضُوا بِالشِّعْرِ فَاصْفَحْ تَكْرُمًا
وَإِنْ كَتَمُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلِ

وكذلك عند مقايسة كلام مسيلمة، وأحمد بن سليمان الموري، وعبد الله بن المقفع بالقرآن الكريم، لبيان أنه لا يبلغ كلامهم درجة القرآن، ولا يقاربها. إذن فلا مانع من ذكر كلام ابن نباته مع كلام الإمام علي عليه السلام لتظهر فضيلة كلام الإمام عليه السلام، بالنسبة إلى هذا الخطيب الفاضل الذي اتفق على أنه أوحد عصره في فنه. وهذا أمر لا ينكر «ولكن قوماً من أهل العصبية والعناد، يزعمون أن كلامه يساوي كلام أمير المؤمنين عليه وآله وبياته، وقد ناظر بعضهم في ذلك فاحببت أن أبيين للناس في هذا الكتاب انه لا نسبة لكلامه إلى كلام الإمام عليه وآله وأنه بمنزلة شعر الأبله^(٣) وابن المعلم^(٤) مقارنة بشعر زهير والنابغة^(٥)».

ويخلص ابن أبي الحديد لقوله: «إن معرفة الفصيح والافصح، والرشيق

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

(٢) لم يتثنى لي معرفة قائله.

(٣) هو محمد بن بختيار بن عبدالله أحد شعراء بغداد ت ٥٧٩هـ، وسمى بالابله لقوته ذكائه. القسطي: المحمدون من الشعراء ص ٢٣٥-٦. ابن خلkan: وفيات الاعيان ٤٦٣-٤٥. الصفدي:

.٩٥/٦. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٢٤٢/٢. الوافي ٢٤٢/٢.

(٤) هو محمد بن علي بن فارس المهرثي من شعراء واسط، ت ٥٩٢هـ. ابن خلkan: وفيات الاعيان ١٠٤، ٦/١٠٢، ٥-٩. ابن تغري: النجوم الزاهرة ٦/١٠٢، ٥/١٠٤.

(٥) الشرح ٧/٢١٥-٢١٦.

والارشق، والخلو والاحلى، والعالي والاعلى من الكلام أمر لا يدرك بالذوق^(١)، ولا يمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه، وهو بمنزلة جاريتين: أحدهما بيضاء مشربة بحمرة دققة الشفتين، نقية الشغر، كحلا العينين، اسيلة الخد، دققة الانف، معتدلة القامة. والآخرى دونها في هذه الصفات والمحاسن؛ ولكنها احلى في العيون والقلوب منها، واليق واصلح، ولا يدرى لاي سبب كان ذلك، ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليله، وهكذا الكلام. نعم يبقى الفرق بين الموضعين إن حسن الوجوه وملاحتها، وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة، واما الكلام فلا يعرفه الا أهل الذوق، ليس كل من اشتغل بال نحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق، ومن يصلح لانتقاد الكلام؛ وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة^(٢)، فالى اولئك ينبغي أن نرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض ان كنت عادماً لذلك من نفسك»^(٣) .

من خلال ما أشار إليه ابن أبي الحميد أعلاه يتضح أنه ليس باستطاعة أي شخص أن يرجع النص إلى النصوص السابقة عليه، التي أخذ منها، إذ أن شخصاً مثل هذا يجب أن يكون واسع المعرفة والاطلاع والحفظ، ومتلكاً قابلية ذوق عالية كي يكشف النصوص المعدلة، وهذا النوع من النقاد هو الذي يتمكن من كشف المصادر التي استعان بها مؤلفو النصوص دون الاشارة إليها، إذ كثيراً ما يسرق بعض المؤلفين نصوصاً كاملة دون التنبيه إلى مصدرها الأصلي، ومعرفة

(١) عن معنى الذوق عند ابن أبي الحميد أنظر: حامد الظالمي: ابن أبي الحميد ص ٧٢-٧٦.

(٢) أنظر حامد الظالمي: ابن أبي الحميد ص ٧٣-٧٥.

(٣) الشرح ٢١٦/٧.

هذه النصوص المسوقة من أهم ما يجب على الباحث معرفته لئلا يقع في خطأ الاستنتاج وإن الانتباه لهذه النصوص المسوقة يعود أولاً للتطابق التام بين النصوص. ولكنه أحياناً يسرق الثاني من الأول نصاً معيناً يحاول إخفاء هذه السرقة بتعديل أو تغيير اللفاظ في النص، وقد لاحظنا ابن أبي الحديد قد قارن بين النصوص، وأكمل على وجود التناص الموجود بينهما، والتناص هو التماطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدية لنصوص مختلفة وقد استخدم ابن أبي الحديد عدة لفاظ تدل على وجود التناص أو السرقة وهي «سرقة، مصالحة، اخذه، بعينه، اختطفها، أغارت عليها، اغتصبها» وهذه الكلمات تطلق على اقبح أنواع السرقات حيث لمح ابن أبي الحديد أن السارق كان يأخذ النص بعينه أو بمعناه^(١).

- واخذ الحريري^(٢) ت ١٦٥ هـ كلمته عليه السلام: «كم من اكلة تمنع اكلات» فقال في المقامات «رب اكلة هاضت الاكل، ومنعته ماأكل»^(٣) - وأثبت ابن أبي الحديد معنى قوله عليه السلام: «أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نiams» في رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه يعزيه فقال: «لو تأمل الناس احوالهم، وتبينوا مآلهم، لعلموا ان المقيم منهم بوطنه، والساكن إلى سكنه، أخوه سفر يسري به وهو لا يسري، وراكب بحر يجري به وهو لا يدرى»^(٤).

-اما الشعراء فقد اقتبسوا من كلامه عليه السلام ووظفوه في شعرهم فقد نظر

(١) حامد الظالمي: ابن أبي الحديد وجهوده النقدية ص ٥٦-٥٧.

(٢) هو القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري (٤٤٦-٤١٦ هـ) صاحب المقامات الحريرية ومؤلفات آخر. ابن خلkan: وفيات الاعيان ٤/٦٣-٦٨. السبكي: طبقات الشافعية ٤/٢٩٥-

٧. البغدادي: خزانة الأدب ٣/١١٧-١١٨.

(٣) الشرح ١٨/٣٩٧. وانظر المقامات ص ٤٣.

(٤) الشرح ١٨/٢٠٩.

الفرزدق ت ١١٠ هـ إلى قوله عليه السلام: ((وَفَرَّوْا إِلَى اللَّهِ مِنَ اللَّهِ)) فقال يمدح سعيد بن العاص^(١):

إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمَنْ زَيَادٍ لَكُمْ حَلَالًا

- ومن قوله عليه السلام: «وَظَهَرَتْ آثَارُ صُنْعَتِهِ، وَدَلَائِلُ حِكْمَتِهِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ فَكَانَتْ وَهِيَ صَامِتَةٌ فِي الصُّورَةِ نَاطِقَةٌ فِي الْمَعْنَى بِوُجُودِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ سَبَحَانَهُ» فَنَظَرَ إِلَى ذَلِكَ أَبُو العَتَاهِيَّةَ ت ٢١١ وَقَالَ^(٢):

فَوَا عَجَباً كَيْفَ يُعْصِي إِلَهٌ
أَمْ كَيْفَ يَجْحُدُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدْلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

ونظر أَبُو العَتَاهِيَّةِ أَيْضًا لِقولِهِ عليه السلام: «وَقَدْ مَضَتِ اصْوَلُ نَحْنُ فَرَوْعَاهَا فِيمَا بَقَاءَ فَرَعَ بَعْدَ ذَهَابِ اصْلَهِ» فَصَرَحَ بِنَفْسِهِ مَعْنَاهُ قَائِلاً^(٣):

كُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مَاتِ
وَكُلُّ ذِي جَدَّةٍ يَحُولُ
كَيْفَ بَقَاءُ الْفَرَوْعِ يَوْمًا
وَقَدْ ذُوِّتِ قَبْلَهَا الْأَصْوَلُ!

وكذلك نظر لقولِهِ عليه السلام: «لَا جَاءِ يَرْدُ وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُ» فقال أَبُو العَتَاهِيَّة^(٤):

فَلَا أَنَا رَاجِعٌ مَا قَدْ مَضَى لِي
وَلَا أَنَا دَافِعٌ مَا سُوفَ يَأْتِي

وَمِنْ قَوْلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْزِي الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ «يَا أَشْعَثُ! إِنْ صَبَرْتَ جَرِيَّ
عَلَيْكَ الْقَدْرَ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرِيَّ عَلَيْكَ الْقَدْرَ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ» فَقَالَ

(١) الشرح ١/١٣٣ . وانظر ديوان الفرزدق ٢/٥٧ .

(٢) الشرح ٦/٢١٤ . وانظر ديوان أبي العتاهية ص ٢٢١ .

(٣) الشرح ٩/٣٩ . لم أجده في ديوان أبي العتاهية .

(٤) الشرح ٦/٦٥٢ . لم أجده في ديوان أبي العتاهية .

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٥٨٩

أبو العتاهية لمن يعزيه في ولد له: ولا بد من جريان القضاء اما مثاباً واما اثيماً^(١).

ولما قال عليه السلام من سأله: ما أكثر حب الناس للدنيا! فقال عليه السلام: هم ابناءها؛ ايام الانسان على حب امه. فقال محمد بن وهب الحميري ت ٢٢٥هـ^(٢):

ونحنُ بنو الدنيا خلقنا لغيرها وما كنتَ منه فهؤُ شيءٌ محببٌ

ومن قوله عليه السلام للاشعث: إن صبرت صبر الاكابر، والا سلوت سلو البهائم.

قال أبو تمام ت ٢٣١^(٣):

وقال عليٌّ في التعازي لاشعثِ

اتصبرُ للبلوى عزاءً وحسبةً

ونظر البحترى لقوله عليه السلام: «علا بحوله، ودنا بطوله» فقال^(٤):

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدرًا

فشاناكَ انخفاضُ وارتفاعُ

ويدنو النورُ منها والشاععُ

-واخذ أبو العلاف^(٥) الشاعر ت ٣١٨هـ كلمته عليه السلام «كم من اكلة تمنع

اكلات» فقال يرثي سنوره^(٦):

أردتَ أن تأكلَ الفِرَاجَ ولا

(١) الشرح ١٩٢/١٩. لم اجده في ديوان أبي العتاهية.

(٢) الشرح ٢٩٠/٨

(٣) الشرح ٢٠/٥. وانظر إلى ديوان أبي تمام ص ٢٨٢.

(٤) الشرح ٦/٢٤٢. وانظر ديوان البحترى ١٢٤٧/٢.

(٥) هو أبو بكر هبة الله بن الحسين. انظر: الشعالى: يتيمة الدهر ٣/٤٨٥ - ٤٨٧.

(٦) الشرح ١٨/٣٩٧. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٤٢٨ - ٩.

يَا مَنْ لَذِيدُ الْفِرَاغِ أَوْقَعَهُ
كَمْ أَكْلَةٌ خَارَتْ حَشَّا شَرِهٌ
وَبِحَكَّ هَلَّا قَنَعَتْ بِالْقَدِيرِ
فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ الْجَسَدِ

وَاقْتَبَسَ الْمُتَنبِيَّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَاكْتَحَلَتْ ابْصَارَهُمْ بِالْتَّرَابِ» فَقَالَ (١):
وَيَدْفُنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْشِي
أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِيِّ
وَكَمْ عَيْنٌ مَقْبَلَةٌ النَّوَاصِي
كَحِيلٌ بِالْجَنَادِلِ وَالرَّمَالِ
وَمَغْضِي كَانَ لَا يُغْضِي لَخْطِي
وَبَالِ كَانَ يَفْكُرُ فِي الْهَزَالِ

وَكَذَلِكَ نَظَرُ لَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَقَارِبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ»
فَقَالَ (٢):

وَخِلَّةٌ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا
وَكَلْمَةٌ فِي الطَّرِيقِ خَفْتُ أَعْرِبُهَا
كَيْمَا يَرِي أَنَّا مَثَلَانِ فِي الْوَهْنِ
فِيهَتْدِي لِي فَلَمْ أَقِدِرْ عَلَى اللَّهِنِ

وَمِنْ وَصْفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلدُّنْيَا: «أَوْلَاهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ» اقتَبَسَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ
ت ٦٤٠ هـ فَقَالَ (٣):

وَأَوَّلُنَا الْعَنَاءُ إِذَا طَلَعَنَا
إِلَى الدُّنْيَا وَآخِرُنَا الْذَهَابُ

وَكَذَلِكَ اقتَبَسَ مِنْ كَلَامِهِ: «لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ
وَالْحَوَادِثُ». فَقَالَ (٤):

(١) الشرح ١١/١٦٣ . وانظر ديوانه ص ٢٠٤ .

(٢) الشرح ٢٠/٣٠ . وانظر ديوانه ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٣) الشرح ٦/٢٣٨ . وانظر ديوانه ١/١٠١ .

(٤) الشرح ١٩/٢٥١ . وانظر ديوانه ١/٢٢٨ .

حُذْ من تُراثِكَ ما استطعتَ فإنما
شركاؤك الأيام والوراث
لَم يقضِ حقَ المال إِلاً معاشرُ
نظروا الزمان يُعثَ فيه فَعاشوا

واخذ الطغرائي^(١) قوله عليه السلام: «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تتمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها». فقال الطغرائي^(٢):

الجُودُ والاقْدَامُ في فِتْيَاهُم
والبُخْلُ في الفتياَتِ والإِسْفَاقُ
والطَّعْنُ في الاجْدَاثِ دَأْبُ رُمَاتِهِم
والرَّامِيَاتُ سَهَامُهَا الأَحْدَاقُ

اما ابن أبي الحميد فقد أشار لعدة اقتباسات له من كلام الإمام علي عليه السلام وتوظيفه في شعره، فمن قوله عليه السلام: «ومن ابصر بها بصرته، ومن ابصر إليها اعمته». فقال ابن أبي الحميد^(٣):

دنياكَ مثلَ شمسٍ تُدْنِي إِلَيَكَ
الضوءَ لَكَنْ دُعْوَةَ الْمَهْلِكِ
إنْ أَنْتَ ابْصَرْتَ إِلَى نُورِهَا
تعشُ وإنْ تُبْصِرْ بِهِ تُدْرِكُ

ومن قوله عليه السلام: «لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدركك من شكر الشاكر أكثر مما اضاع الكافر،

(١) هو الحسين بن علي بن محمد (٤٥٥-٥١٣) شاعر ومن الوزراء والكتاب لدى السلجوقة في الموصل. ابن خلكان: وفيات الاعيان ٢/١٨٥-١٩٠. الأعلام: الزركلي ٢/١٤٦.

(٢) الشرح ١٩/٦٥. أنظر ديوان الطغرائي ص ٢٦١.

(٣) الشرح ٦/٢٣٩.

والله يحب المحسنين». فقال ابن أبي الحميد^(١):

لَا تُسْدِينَ إِلَى ذِي الْلَّؤْمِ مَكْرُمَةً
فَإِنَّهُ سَبَخٌ لَا يُنْبَتُ الشَّجَرَا
وَأَكْلُ زَرِعَكَ شَكْرُ الْغَيْرِ إِنْ كَفَرَا

ومن قوله عليه السلام: «إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرًا للقدرة عليه» فقال ابن أبي الحميد^(٢):

لَا إِيمَانَ أَكْسَابُ الْجَهَولِ فَلَا
تَقْعُدُ بِهَا وَارْكِبُ الْأَهْوَالِ وَالْخَطْرَا
وَاجْعَلْ مِنَ الْعُقْلِ جَهَلًا وَاطْرَحْ نَظَرَا
وَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُتَّصِرًا
فَاشْكُرْ بِعْفُوكَ عَنْ أَعْدَائِكَ الظَّفَرَا

ومن قوله عليه السلام «والله إن امرءاً يمكن عدوه من نفسه، يعرق لحمه ويفري جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فاما أنا فوالله دون أن اعطي ذلك ضرباً بالمشفية ...» قال ابن أبي الحميد^(٣):

لَا يَرْهَبُ الْخَطَبَ إِذَا نَابَهُ
لَوْلَا يَحْصُنُ جَلْبَابَهُ
لَمْ يَدْرُجْ أَرَابَبَهُ
لَمْ يَدْرُجْ أَرَابَبَهُ

إِنْ امْرَءًا مَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ
لَا يَدْفَعُ الضَّيْمَ وَلَا يَنْكُرُ الدُّ
لَفَائِلُ الرَّأِيِّ ضَعِيفُ الْقِوَى
أَنْتَ فَكُنْ ذَاك فَإِنِّي امْرُؤٌ

(١) الشرح ١٩/٢٤. وانظر عبد الجبار سالم عبد الكرييم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢٠٢.

(٢) الشرح ١٨/١٠٩.

(٣) الشرح ٢/١٨٩، ١٩٢. عبد الكرييم: شعر عبد الحميد بن هبة الله ص ١٤٨.

لَهْ فِمْ ادَرَدْ أَنِيابُه دُونَ مَرَامِ الْخُسْفِ قَرْضَابُه يَقْدِرُ أَنْ يَتَرَكَّ مَا رَابَهُ	إِنْ قَالَ دَهْرٌ لَمْ يُطِعْ أَوْشَحَا أَوْ سَامِهِ الْخَسْفُ أَبِي وَانْتَضِي أَخْزَرُ غَضْبَانَ شَدِيدَ السُّطَا
----------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وكذلك اقتبس من قولين للإمام أحدهما: «فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه» والآخر: «ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه». فقال ابن أبي الحميد^(١):

ثُنْمِي وَتَزَكُّو إِذَا بَارَتْ بِضَائِعُهُ وَالشُّرُّ شُرٌّ وَشُرٌّ مِنْهُ صَانِعُهُ	خَيْرُ الْبِضَائِعِ لِلْأَنْسَانِ مَكْرَمَةً فَالْخَيْرُ خَيْرٌ وَخَيْرٌ مِنْهُ فَاعِلُهُ
-------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------

ومن وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «ايها وصادقة الاحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك». قال ابن أبي الحميد^(٢):

فَلَا خَيْرَ فِي صَحْبَةِ الْأَخْرِقِ عَيْنُ الرِّشَادِ فَلَا يَتَّقِي فَيُسْرُقُ مِنْهُ وَلَا يَسْرُقِ خَيْرٌ مِنْ الْمَشْفِقِ الْأَحْمَقِ	حَيَاتَكَ لَا تَصْبِحَنَّ الْجَهُولَ يِظْنُ أَخْوَ الْجَهَلِ أَنَّ الضَّلَالَ وَيُكَسِّبُ صَاحِبَةَ حُمَقَةَ وَاقْسِمُ أَنَّ الْعَدُوَ الْلَّبِيبَ
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

واشار ابن أبي الحميد إلى اقتباس عدد من الشعراء من كلمات الإمام وتوظيفها في اشعارهم، لكنه لم يذكر اسماء الشعراء.

فمن قوله عليه السلام في مصقلة بن هبيرة أحد ولاته حينها هرب لمعاوية: «قبح الله

(١) الشرح / ٧ / ١٤٩ ، ٢٥٧ / ١٨ . وانظر عبد الكرييم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢١٩ .

(٢) الشرح / ١٨ / ١٥٧ . وانظر عبد الكرييم: شعر عبد الحميد هبة الله ص ٢٢٥ .

مُصْلَّة! فَعَلَ السَّادَةِ وَفَرَّ فَرَارُ الْعَبِيدِ، فَمَا انْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى اسْكَتَهُ، وَلَا
صَدَقَ وَاصْفَهُ حَتَّى بَكَتَهُ، وَلَوْ اقَامَ لَا خَذَنَا مِيسُورَةً، وَانْتَظَرْنَا بِهَا لَهُ مَوْفُورَةً».
اقتبس أحد الشعراء^(١):

بِفِعالِهِ وَأَثَابَنَا خَجَلاً سَرْبَلْتُ فَارِدُدْهُ لَنَا سَمِلاً ابْنَائِهَا وَثُبَهْرُجُ الرَّجُلاً	يَا مَنْ مَدْحَنَاهُ فَأَكَذَبَنَا بَرَدًا قَشِيبًا مِنْ مَدَائِحِنَا إِنَّ التَّجَارِبَ تَهْتُكُ الْمَسْتَوَرَ مِنْ
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

ونظر أحد الشعراء لقوله^(٢) «في حلاتها حساب وفي حرامها عقاب»،
قال^(٣):

عَنْكَ بِمَا فِيهِ وَيَوْمٌ جَدِيدٌ حَرَامٌ يَوْمَيْكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَأَنْتَ فِي الْقِيرِ وَحِيدٌ فَرِيدٌ نَفْسِي وَقُولِي مِنْ فَعَالِي بَعِيدٌ تَكَلُّفُ الْعَاكِلَ مَا لَا يَرِيدُ	الدَّهْرُ يَوْمَانِ فِي يَوْمٍ مَضِي حَلَالٌ يَوْمَيْكَ حَسَابٌ وَفِي تَجَمَّعٍ مَا يَأْكُلُهُ وَارِثٌ إِنِّي لِغَيْرِي وَاعْظَمُ تَارِكٌ حَلَاوةُ الدُّنْيَا وَلَذَّاتُهَا
------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وقال أحد الشعراء مقتبساً من قوله^(٢) «يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن»^(٣):

وَدُورُنَا لِخَرَابِ الْدَّهْرِ نَبْنِيهَا	امْوَالُنَا لِذُويِ الْمِيرَاثِ نَجْمِعُهَا
--------------------------------------------	---------------------------------------------

(١) الشرح ١١٩/٣

(٢) الشرح ٢٣٩/٦

(٣) الشرح ٢٥٦/٦

ومن قوله عليه السلام: «ما أقرب الحي من الميت للحاق به، وما بعد الميت من الحي

لأنقطاعه عنه» اقتبس أحد الشعراء فقال^(١):

يَا بَعِيدَ عَنِي وَلَيْسَ بَعِيدًا	مِنْ لِحَاقِي بِهِ سَمِيعُ قَرِيبُ
حُدْتَ بَيْنَ الْوَرَى غَرِيبًا كَمَا	إِنَّكَ تَحْتَ الشَّرِّي وَحِيدُ غَرِيبُ

واخذ شاعر قوله عليه السلام في الحرب: (حلواً رضاعها، علقماً عاقبتها) فقال^(٢):

الْحَرْبُ أَوْلُ مَا تَكُونُ فَتْيَةً	تَسْعَى بِزِيَّتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا	عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلٍ
شَمَطَاءً جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَرَتْ	مَكْرُوهَةً لِلشَّمْ وَالْتَّقْبِيلِ

ومن قوله عليه السلام: «جديد بل» أخذ شاعر فقال^(٣):

يَا دَائِرُ غَادِرِي جَلِيلَ بَلَكِ	رَثَّ الْجَدِيدُ فَهُلْ رَتِبَتِ لَذَاكِ
-------------------------------------	------------------------------------------

وقال شاعر مقتبساً من كلامه عليه السلام: «شتان ما بين عمين، عمل تذهب لذته،

وتبقى بعنته، وعمل تذهب مؤونته، ويبقى اجره»^(٤):

تَفَنَى الْلَّذَادَةُ مِمَّنْ نَالَ بُعْيَتَهُ	مِنْ الْحَرَامِ وَيَقْنَى الْأَثْمُ وَالْعَارُ
تَبَقَّى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَعْبَتِهَا	لَا خَيْرٌ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وقال عليه السلام ساعة دفنه للنبي عليه السلام: «إن الصبر لجميل إلا عنك وإن الجزع لقبع

(١) الشرح ٦/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) الشرح ٩/٤١، ١٢/١١٩.

(٣) الشرح ١١/١٦٣.

(٤) الشرح ١١/١٦٣.

الا عليك، وإن المصاب بك بخليل وإنه بعده لقليل». فقال أحد الشعراء^(١):

حُزْنًا عَلَيْكَ وَفِي الْخَدْوَدِ رَسُومٌ
أَمْسَتْ بِعَجْنَنِي لِلَّدْمَوْعِ كُلُومٌ
وَالصَّبَرُ يُحَمِّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلُّهَا
إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وقال احدهم مقتبساً من كلامه عليه السلام: «ما لابن آدم والفخر! اوله نطفة،
وآخره جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه»^(٢).

مَا بِأَلْ مِنْ أَوْلَهُ نَطْفَةٌ
وَجِيفَةٌ أَخْرَهُ يَفْخَرُ
يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرٌ مَا يَحْذِرُ
يُصْبِحُ مَا يَمْلُكُ تَقْدِيرَ مَا

لقد كان مصدر الإمام عليه السلام الأول في هذه القمة من الفصاحة هو كلام الله وكلام
رسوله عليه السلام، فكان عليه السلام كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية، ويوظفها
في خطبه ورسائله، وقد أكد على ذلك الشريف الرضي بقوله: «لأن كلامه عليه السلام الكلام
الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عقبة من الكلام النبوى»^(٣).

فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام: «وما كل ذي قلب بلييب، ولا كل ذي سمع
بسميع، ولا كل ذي ناظر بصير». فإنه مأخوذ من قوله تعالى:
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^{(٤)، (٥)}.

(١) الشرح ١٩٥ / ١٩٥ . ونسبها المبرد الى محمد بن عبد الله العتبى مع اختلاف باللفظ. الكامل ٢ / ٤١ .

(٢) الشرح ٢٠ / ١٥٠ .

(٣) الشرح ١ / ٤٥ .

(٤) سورة الاعراف، الآية: ١٧٩ .

(٥) الشرح ٦ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

وقوله عليه السلام: «فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطعتم عن اوصل إخوانكم». مأخذ من قوله تعالى:

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾^{(١)، (٢)}.

ومن قوله تعالى:

﴿وَالْبَلْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(٣). اقتبس عليه السلام فقال: «فاعلم ان لكل ظاهر باطنًا على مثاله، فما طاب ظاهره، طاب باطنه، وما خبث ظاهره، خبث باطنه»^(٤).

اما قوله عليه السلام: «وقد ادبرت الحيلة، واقبلت الغيلة، ولات حين مناص».

فالعبارة الأخيرة لفظة قرآنية بعينها^(٥). وكذلك قوله عليه السلام:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾^(٦).

وقوله عليه السلام: «كن سمحاً ولا تكن مبدرأً، وكن مقدراً ولا تكن مقتراً».

مأخذ من قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٤٥.

(٢) الشرح ٢٨٣-٢٨٢ / ٧

(٣) سورة الاعراف، الآية: ٥٨.

(٤) الشرح ١٧٨ / ٩

(٥) سورة ص، آية: ٣. الشرح ١٢٥ / ١

(٦) سورة الدخان ٢٩. الشرح ١٢٦ / ١٣

مَلُومًا مَحْسُورًا^(١).

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٢).

اما اقتباساته من كلام الرسول عليه السلام . فعلى سبيل المثال قوله عليه السلام «فليعمل العامل منكم في أيام مهلة، قبل ارهاق اجله، وفي فراغه قبل او ان شغله، وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكمضمه، وليعهد لنفسه وقدمه، وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته». فهذا مأخذ من خطبة للرسول عليه السلام : «ايه الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وان لكم غاية فانتهوا إلى غاياتكم. إن المؤمن بين مخافتين، بين اجل قد مضى لا يدرى مالله صانع به، واجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت من مستعتبر، وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار»^(٣).

ولما تحدث عن الملائكة ذكر «منهم في حظائر القدس»^(٤) وهي لفظة وردت في حديث النبي عليه السلام^(٥). وقوله عليه السلام: «إني احذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة»^(٦) مأخذ من قوله عليه السلام : «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون!»^(٧).

(١) سورة الاسراء . ٢٧

(٢) سورة الاسراء . ٢٩

(٣) الشرح ٣٥٠-٣٥١ / ٦

(٤) الشرح ٤٢٦ / ٦

(٥) لم اهتد إليه في كتب الحديث.

(٦) الشرح ٢٢٨ / ٧

(٧) اخرجه الجاحظ: البيان والتين ٢ / ٢١. مسلم: الصحيح ٤ / ٢٠٩٨. اليعقوبي: التاريخ ٢ / ٨٠.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعود بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل». وقد دعا به لما عزم على المسير إلى الشام، ولكنه أضاف إليه: «ولا يجمعهما غيرك، لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً»^(١).

اما في نطاق الشعر، فقد كان الإمام علي عليه السلام على معرفة بالشعر والشعراء ففي محاورة بينه وبين أبي الأسود الدؤلي حول اشعر الشعراء، وكان رأي الأخير أنه أبو دواد اليادي^(٢). أما الإمام فيرى أن اشعرهم هو الذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة، الملك الضليل ذو القروح أمرؤ القيس^(٣).

وقد احتوى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد على طائفة من الأبيات الشعرية، قرر ابن أبي الحميد صحة نسبة بعضها للإمام، فيما شكك بالبعض الآخر، وبعضها جاء على شكل اراجيز في الحرب.

وسوف نرتّب هذا الشعر على أساس القوافي:

قافية الباء

لقد أتانا كاشفاً عن نايهٍ يهبط الناسَ على اعتذابِهٍ
فليأتنا الدهرُ بما أتى بهٍ^(٤)

(١) الشرح /٣ - ١٦٦ . وذكر الشريف الرضي هذا الدعاء للنبي ﷺ: المجازات النبوية ص ٤١ .

(٢) هو جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشريفي من قبيلة اياد من شعراء قبل الإسلام ابن قتيبة: الشعر والشعراء /١ - ١٦٣ .

(٣) الشرح /٢٠ - ٤ . وانظر ابن رشيق: العمدة /١ - ٤٢ . الزمخشري: ربيع الابرار /٤ - ٢٧٢ .

(٤) قاله لمارأى نزول معاوية في صفين. الشرح /٣ - ٣١٤ . أنظر المنقري: صفين ص ١٥٩ .

أنا عليٌّ وابنُ عبدِ المطلب مِنْا النَّبِيُّ الْمَصْطَفَى غَيْرُ كَذِبٍ نَحْنُ نَصْرَنَاهُ عَلَى كُلِّ الْعَرَبِ ^(١)	نَحْنُ لَعْمَرُ إِلَّا أُولَى بِالْكِتَبِ أَهْلُ الْلَّوَاءِ وَالْمَقَامِ الْحَجْبِ فَكَيْفَ بِهَذَا وَالْمُشِيرُونَ غُيَّبُ	فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورِيِّ مُلْكَتِ امْوَالِهِمْ وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجِبَتْ خَصِيمَهُمْ
وَمِنْ لَمْ يَغْمُضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَمِنْ يَتَبعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ	وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ عَاتِبٌ يَجْدِهَا وَلَا يَسْلِمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ ^(٢)	أَلَمْ تَرْ قَوْمِيْ إِنْ دَعَاهُمْ أَخْوَهُمْ حَفَظُوا غَيْبِيْ كَمَا كُنْتَ حَافِظًا
بَنُو الْحَرْبِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمْ امْهَاتِهِمْ	اجَابُوا، وَانْ يَغْضُبَ عَلَى الْقَوْمِ يَغْضُبُوا لَقَوْمِيْ أَخْرَى مِثْلَهَا إِنْ يَغْبِيُوا	
وَآبَاؤُهُمْ آبَاءَ صَدْقَ فَانْجَبُوا ^(٤)		

قافية الدال

إطعن بها طعن ابيك تحمد لا خير في الحرب إذالم توقد

بالمشرفي والقنا المسدد^(٥)

(١) قاله يوم صفين لما بрез إلى حرث مولى معاوية: الشرح ٥/٢١٥-٢١٦. وانظر المنقري: صفين

. ٢٧٣-٢٧٢.

(٢) قاله يوم السقيفة. الشرح ١٨/٤٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة ص ٥٠٣.

(٣) الشرح ١٩/٣٤.

(٤) قاله في جواب له على كتاب معاوية. الشرح ٣/٣١٤. المنقري: صفين ص ١٦٠.

(٥) قاله لولده محمد بن الحنفية يوم الجمل حيث كان يحمل اللواء. الشرح ١/٢٤٣. وانظر:

يَا شَاهِدًا إِنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَهْمَدُ

مِنْ شَكٍ فِي اللَّهِ فَإِنِّي مَهْدٌ^(١)

قافية الراء

أَيُومٌ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمٌ قَدْرٌ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَ
وَيَوْمٌ قَدْ قَدْرٌ لَا يَغْنِي الْحَذْرُ^(٢) فِيْ يَوْمٍ لَا يَقْدِرْ لَا ارْهَبَه
فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي
فَعَلَيْكَ كُنْتَ احْذَارُ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيَمُتْ

(٣)

سُوفَ اكِيسَ بَعْدَهَا وَاسْتَمْرَ لَقَدْ عَثِرْتَ عَثْرَةً لَا أَعْتَذْرَ

وَأَجْمَعَ الْأَمْرَ الشَّتِيرَتِيَّ^(٤)

يَا عَجَباً لَقَدْ سَمِعْتَ مُنْكِراً كَذِبَاً عَلَى اللَّهِ يَشِيبُ الشِّعْرَا

البغدادي: الفرق ص ٢٦. الخوارزمي: المناقب ص ١١٩.

(١) قاله للخوارج لما طلبوا منه أن يقر بالكفر ويعلن توبته. الشرح ٢/٢٧٨. وانظر المبرد: الكامل ١٨٩/٣. المرزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠.

(٢) قاله يوم صفين حينما حمل على أهل الشام. الشرح ٥/٨، ١٣٢/٥٥. أنظر المنقري: وقعة صفين ٣٩٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ١/١٢٣.

(٣) قاله يوم وفاة الرسول ﷺ. الشرح ١٩٧/١٩.

(٤) قاله بعد إن علم أن الكتاب الذي كتبه محمد بن أبي بكر وقع بيد معاوية بعد مقتل محمد بن أبي بكر. الشرح ٦/٧٣. بينما ذكر الطبرى انه قاله بعد مبايعته بالخلافة. تاريخ ٤/٤٣٦-٤٣٧. وانظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٤/١٨٠.

ما كان يرضي أهداً لو اخبرا	يسترق السمع ويغشى البصرا
شاني الرسول والمعين الآخر زرا	أن يقرنوا وصيه والأبتراء
قد باع هذا دينه فأفجرا	كلاهمـا في جنده قد عسكرا
بمـلـك مصر إن أصاب الظفرا!	من ذا بدنيا بيـعـه قد خسرا
شمـرـت ثوبـي ودعـوت قـبـرا	إـنـي إـذـا الموـتـ دـنـا وـحـضـرا
لا يدفعـ الحـذاـرـ ما قد قـدـرا	قـدـمـ لـوـائـي لا تـؤـخرـ حـذـرا
عبـأـتـ هـمـدانـ وـعـبـواـ حـمـيرـا	لـمـارـأـيـتـ الموـتـ اـحـمـرا
قرـنـ إـذـا نـاطـحـ قـرنـ كـسـرا	حـيـ يـمانـ يـعـظـمـونـ الخـطـرا
أـرـودـ قـليـلاـ أـبـدـ منـكـ الضـجرـا	قـلـ لـابـنـ حـربـ لـاـ تـدـبـ الخـمـرا
وـسـلـ بـنـاـ بـدـرـاـ مـعاـ وـخـيـبرا	لـاـ تـحـسـبـنـ يـاـ اـبـنـ هـنـدـ عـمـرا
لوـ أـنـ عـنـديـ يـاـ اـبـنـ هـنـدـ جـعـفـرا	يـوـمـ جـعـلـنـاـكـمـ بـبـدـرـ جـزـرا
رأـتـ قـريـشـ نـجـمـ لـيلـ ظـهـراـ (١)	أـوـ حـمـزةـ الـقـرـمـ الـهـمـ الـأـزـهـرا
إـنـ عـلـيـهاـ قـائـداـ عـشـتـراـ	فـإـنـ لـلـحـربـ عـرـاماـ شـرـرا
عـلـ ثـوابـيـهاـ مـزـجاـ زـجـراـ	يـنـصـفـ مـنـ أـحـجـرـ أـوـ تـنـمـرا

إذا ونین ساعۃ تغشمر ا^(۲)

ألا ترون قد حفرتُ حفراً
إِنْ رَأَيْتَ أَمْرًا مُنْكِرًا

(١) قاله بعد إن علم بالإتفاق الذي جرى بين معاوية وعمرو بن العاص على حربه. الشرح ١ / ١٤٨،

٤٣-٤٤/٢٩-٧٠. وانظر: المنقري: صفين ص.

(٢) قاله في جواب له على كتاب معاوية. الشرح ٣١٤ / ٣. المنقري: صفين ص ١٥٩.

أوقدت ناري ودعوت قنبرا^(١)

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة^(٢)

قافية الراي

كَ مُجِيب صوتُك غَير عاجزْ لَا تَعْجَلْنَ فَقَدْ أَنَا
يَرْجُو الْغَدَاء نَجَاهَ فَائِزْ ذُو نَيَّةٍ وَبِصَيْرَةٍ
مَعْلُوكَك نَائِحَةَ الْجَنَائِزْ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَقِيمَ
قَى ذَكْرَهَا عَنْدَ الْهَزاَهِرْ^(٣) مِنْ ضَرْبَةِ تَفْنِي وَيَبْ
وَلِلصَّمْتِ فِي بَعْضِ الْأَحَيَّينِ أَوْ جَرْ
فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاغِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزْ^(٤) يَخُوضُ اَنَّاسٌ فِي الْكَلَامِ لَيُوجِزُوا
إِذَا كُنْتَ عَنْ تَحْسِنِ الصَّمْتِ عَاجِزًا

قافية الصاد

سبعين الفا عاقدى النواصى لأوردن العاصى بن العاصى
قد جنبوا الخيل مع القلاص مستحبين حلق الدلاص

(١) قاله بحق الغلاة الذين ألهوه. الشرح ٥ / ٨، ١٩ / ٥. الملمطي: التنبية والرد ص ١٨ . ابن تيمية: منهاج السنة ١ / ٧.

(٢) قاله يوم خير لما برب إلى مرحباً إلى اليهودي. الشرح ١ / ١٢٧، ١٢٧ / ١٩، ١٢٧ / ١٩ . وانظر: الطبرى: تاريخ الحاكم: المستدرك ٣ / ٤١ . المزباني: معجم الشعراء ص ٢٨٠ . ابن المغازى: مناقب ص ١٣٢، ١٧٨ . الكنجي: كفاية الطالب ص ١٠٢ .

(٣) قاله في معركة الخندق سنة ٥ هـ لما برب إلى عمرو بن عبد ود العامرى. الشرح ١٣ / ٢٩٢ ، ٢٩٢ / ١٩ . وانظر الاسكافي: نقض العثمانية ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٤) قاله في معنى الكلام والصمت. الشرح ١٩ / ٢٦٥ .

اسود غيل حين لا مناص^(١)

قافية العين

اتأمرني بالصبر في نصر أَمْهَد	ووَاللَّهُ مَا قلتُ الَّذِي قلتُ جازعًا
ولكَنِّي أَحِبْتُ أَنْ ترَى نُصْرَتِي	وَتَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَزِلْ لَكَ طائعاً
سأَسْعِي لِوَجْهِ اللَّهِ فِي نَصْرِ أَمْهَدٍ	نَبِيُّ الْهُدَى الْمُحْمَودُ طَفْلًا وَيَا فَعًا ^(٢)

قافية الكاف

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ	وَمَنْ يَضْرِ نَفْسَهُ لِيَنْفَعُكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانَ صَدَعَكَ	شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمِعَكَ ^(٣)

قافية اللام

غَرْجَهْ وَلَأَمْلَهْ	يَمُوتُ مِنْ جَاْجِلَهْ
وَمَنْ دَنَامَنْ حَتْفَهْ	لَمْ تَغْنِ عَنْهُ حِيلَهْ
مَابَقَاءَ آخَرَ	قَدْغَابَ عَنْهُ أَوْلَهْ
وَالْمَرَءُ لَا يَصْحَبُهْ	فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلَهْ ^(٤)
سَمِحْتَ بِأَمْرٍ لَا يَطِقُ حَفِيْظَهْ	وَصَدَقاً وَإِخْوَانَ الْوَفَاءِ قَلِيلُ

(١) قاله يوم صفين ردًا على عمرو بن العاص. الشرح ٣/٦٦٩. المنقري: صفين ص ١٣٦-١٣٧ . الطبرى: تاريخ ٤/٥٦.

(٢) قاله لأبيه أبي طالب لما أمره أباه بنصرة النبي ﷺ. الشرح ١٤/٦٤.

(٣) في معنى الاخوة. الشرح ١٨/١١٣.

(٤) في إتباع الهوى وصدقه عن تذكر الآخرة. الشرح ٤/٣٢٠.

جزاك الله الناس خيراً فأنه	لعمرك فضل ما هناك جزيل	(١)
يا مرحباً بالقائلين عدلا	وبالصلة مرحباً واهلا	(٢)
يا حار همدان من يمت يبني	من مؤمن أو منافق قبلًا	(٣)

قافية الميم

فلو أني اطعت عصمت قومي	إلى ركن اليمامة أو شام	(٤)
ولكني متى أبرمت أمراً	منيت بخلف آراء الطعام	
دعوت فليأتي من القوم عصبة	فوارس من همدان غير لئام	
فوارس من همدان ليسوا بعزل	غداة الوغى من شاكر وشام	
بكل رديني وغضب تخاله	إذا اختلف الأقوام شعل ضرام	
لهمدان أخلاق كرام تزيينهم	وبأس إذا لاقوا وحد خصام	
وجد وصدق في الحروب ونجلده	وقوم إذا قالوا بغير آثام	
متى تأتهم في دارهم تستضيفه	تبت ناعماً في خدمة وطعم	
مجزى الله همدان الجنان فانها	سهام العدا في كل يوم زحام	

(١) قاله يوم صفين إلى عبد العزيز بن الحارث الجمحي. الشرح ٥/٢٤٣. المنقري: صفين ص ٣٠٨.

(٢) قاله يوم صفين في مدح أصحابه. الشرح ٨/١٤. المنقري: صفين ص ٣٣٠.

(٣) خاطب به الحارث بن عبد الله الهمданى وهو من أصحاب الإمام. الشرح ١٨/٤٣.

(٤) قاله بعد خديعة معاوية لاصحابه في الارتحال من أماكنهم خوف الغرق. الشرح ٤/١٩. وانظر:

المنقري: وقعة صفين ص ١٩١.

لقلت همدان ادخلوا بسلام (١)	فلو كنت بواباً على باب جنة
صباح الوجه صر عواحول هاشم وسفيان، وابنا معبد ذي المكارم إذا اخترطت يوماً خفاق الصوارم (٢)	جزى الله خيراً عصبة أسلمية يزيد وسعدان وبشر ومعبد وعروه لا يبعد ثناه وذكره
فلست برعديد ولا بلئيم وطاعة رب بالعباد رحيم (٣)	أفاطم ها السيف غير ذميم لعمري لقد جاهدت في نصر أحمد
من الدهر لم يبرح لها الدهر واجماً عليك امور ظل يلحاك لائماً (٤)	أخوك الذي إن اجرضتك ملمة وليس أخوك بالذى ان شعبت
كان رفيقاً وينا ذا ذمة يلتمس الجنة فيها شمة (٥)	يا رب إن الحارث بن الصمة قد ظل في مهماته مهمة

(١) قاله في مدح همدان يوم صفين. الشرح ٥/٧٨، ٢١٧/٨. المنقري: وقعة صفين ص ٢٧٤. ابن رشيق العمدة ١/٣٤-٣٥.

(٢) قاله في قتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص يوم صفين وكان من اصحاب الامام. الشرح ٨/٣٥. المنقري: وقعة صفين ص ٣٥٦.

(٣) قاله للسيدة فاطمة الزهراء -عليها السلام- بعد معركة أحد. الشرح ١٥/٣٥. ابن هشام: السيرة ٣/١٠٦. الطبرى: تاريخ ٢/٥٣٣. الحاكم: المستدرك ٣/٢٧. المرزباني: معجم الشعراء ٢٨٠. الخوارزمي: المناقب ١٠٧. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٦٤-١٦٥.

(٤) في معنى الاخوة. الشرح ١٨/١١٤.

(٥) قاله يوم أحد بعد ان ذهب الحارث يلتمس حزمه بأمر الرسول ﷺ. الشرح ١٥/١٦. أنظر: الواقدى: المغازي ١/٢٨٩.

محمد النبي أخي وصهري
وحرمة سيد الشهداء عمي
سبقتكم إلى الإسلام طرا
غلاماً ما بلغت أوان حلمي (١)

قافية اليماء

أضر بهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية

هوت به النار بأم هاوية (٢)

هذا هو كل ما جاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة من شعر الإمام علي عليه السلام، واللاحظ أن ابن أبي الحديد كان معجباً بشعر الإمام إلى درجة إنه لما أورد شعراً فصيحاً نادراً للشريف الرضي علق عليه قائلاً: «لا عجب لأن هذه الورقة من تلك الشجرة، وهذا القبس من تلك النار». (٣)

(١) الشرح ٤/١٢٢. وانظر: الطبرسي: الاحتجاج ١/١١٢. سبط ابن الجوزي: تذكرة ص ١٠٧ - ١٠٨.

. الحموي: معجم الأدباء ١٤/٤٨. الجويني: فرائد الس冨طين ص ٤٢٧.

(٢) قاله يوم صفين. الشرح ٨/٥٩. وانظر: المنقري: وقعة صفين ص ٤٠٤. الطبرى ٥/٤٢. وقد

نسبه ابن أبي الحديد في موضع آخر لمجزأة بن ثور. الشرح ٥/٢٤٠. وانظر المنقري: وقعة صفين

٣٠٥. المازندراني: مناقب ٢/١٩.

(٣) الشرح ١١/٢٦٦.

إشكالية نهج البلاغة والوضع

تجدر الإشارة إلى أن هناك رؤية لدى البعض بخصوص كتاب نهج البلاغة فحواها ان هذا الكتاب كلاً أو جزءاً ليس للامام علي -عليه السلام- بل هو من وضع الشريف الرضا أو أخيه الشريف المرتضى، هذه الرؤية التي اقدم من وجدها يثيرها هو ابن خلkan (ت ٦٨١هـ) إذ قال في ترجمة الشريف المرتضى: «وقد اختلف الناس في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- هل هو جمعه؟! أم جمع أخيه الرضا؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه. والله أعلم»^(١) وقد ذكر اليافعي^(٢) نص ابن خلkan هذا حرفيًا. وأشار له ابن كثير^(٣). وجاء الذهبي فقال في ترجمة الشريف المرتضى: «وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم انه مكذوب على امير المؤمنين علي رضي الله عنه ففيه ... من التناقض والاشياء الركيكة

(١) وفيات الاعيان ٣١٣ / ٣.

(٢) مرآة الجنان ٥٥ / ٣.

(٣) البداية والنهاية، ٥٣ / ١٢.

والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبينفس غيرهم من بعدهم من المتأخرین جزم بأن الكتاب اکثره باطل^(١). ومن أشار لذلك الصفدي في الوفي بالوفیات^(٢)، وابن حجر في لسان المیزان^(٣).

وقد اید هذا الرأي من المحدثین بروکلمان^(٤). وجرجی زیدان^(٥)، وشوقي ضیف^(٦). واللاحظ أن هذه التهمة، سابقة لابن خلکان، حيث كانت مائلة لدى ابن أبي الحدید، ولكننا لم نجد في المصادر السابقة له، التي ترجمت للشیرف المرتضی من أشار لذلك کتابیخ بغداد للخطیب البغدادی^(٧)، والمنتظم لابن الجوزی^(٨)، وابناء الرواۃ للقفطی^(٩).

هذه التهمة جوہت بالنقض الشدید من قبل مجموعة من الباحثین يأتي في مقدمتهم ابن أبي الحدیدي الذي اتخاذ موقفاً متشددأً حیال القائلین بالتهمة، إذ قال: «إن كثيراً من أرباب الهوى يقولون: إن كثيراً من نهج البلاغة كلام محدث،

(١) میزان الاعتدال /٣ ١٢٤ . ونونه بالفكرة أيضاً في كتابة تذكرة الحفاظ ١١٠٩ /٣ .

(٢) حيث قال(والناس يزعمون أن نهج البلاغة من أنشایه (الرضی)، سمعت الشیخ الامام العلامة تقی الدین احمد بن تیمیة يقول:ليس كذلك بل الذي فيه من کلام علي بن أبي طالب معروف والذي فيه للشیرف الرضی معروف) ٣٧٥ /٢ .

.. ٢٢٣ /٤ (٣)

(٤) تاریخ الأدب العربي ٦٤ /٢ .

(٥) تاریخ ادب اللغة العربية ١٨٩ /٢ ، ٥٩٨-٥٩٩ ..

(٦) الفن ومذاہبہ في الشیرف الرضی ص ٦٢ .

.. ٤٠٢-٣ /١١ (٧)

.. ١٢٦-١٢٠ /٨ (٨)

.. ٢٤٩-٢٥٠ /٢ (٩)

صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره، وهؤلاء قوم اعمت العصبية اعينهم، فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بنيات الطريق، ضلاله وقلة معرفة بأساليب الكلام».

ثم قال: ((وأنا أوضح لك بكلام مختصر ما في هذا الخاطر من الغلط. فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً، أو بعضه، وال الأول: باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلهم أو جلهم، والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني: يدل على ما قلناه، لأن من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والافصح، وبين الاصليل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، لا بد أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين. ألا ترى أن مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام، فوجدناه قد كتب في اثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره، لعرفنا بالذوق مبaitتها لشعر أبي تمام ونفسه، وطريقته ومذهبها في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمبaitتها لمذهبها في الشعر، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس شيئاً كثيراً، لما ظهر لهم أنه ليس من الفاظه، ولا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء، ولم يعتمدوا في ذلك إلا على الذوق خاصة».

طبقاً لذلك قال ابن أبي الحديد: ((وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً، واسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعض

من ابعاضه مخالفًا لباقي الاباض في الماهية، وكالقرآن العزيز، اوله كاوسطه واوسطه كآخره، وكل سورة منه، وكل اية ماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريقة والنظم لباقي الآيات والسور، ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحًا لم يكن ذلك كذلك، فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم ان هذا الكتاب أو بعضه منحول إلى امير المؤمنين عليه السلام.

ثم اضاف: ((وأعلم ان قائل هذا القول يطرق على نفسه ما لا قبل له به لأننا متى فتحنا هذا الباب، وسلطنا الشكوك على انفسنا في هذا النحو، لم نشق بصحة كلام منقول عن رسول الله عليه السلام وسلم أبداً، وساغ لطاعن أن يطعن ويقول: هذا الخبر منحول، وهذا الكلام مصنوع، وكذلك ما نقل عن أبي بكر وعمر من الكلام، والخطب والمواعظ والادب وغير ذلك كل أمر جعله هذا الطاعن مستندًا له فيما يرويه عن النبي عليه السلام، والائمة الراشدين، والصحابة والتابعين، والشعراء والمتسلين، والخطباء، فلناسري أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا إلى مثله فيما يرونـه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح»^(١).

هنا يمكن القول بها أن ابن أبي الحديد كان معتزلياً يعتمد تحكيم العقل في النصوص، ويعتمد التجربة، والممارسة، والذوق في النقد لذا نراه يبعد كل نص يبعده العقل أو التجربة، والذوق المنطلق من الممارسة والمران، لا الذوق العادي بل المستند إلى الخبرة. فهو هنا لا يقصد بالذوق الذوق الفطري الساذج، بل الذوق العلمي الذي اصلته الممارسة والدربة، وكثرة الرواية والحفظ. والواضح أن المقياس العقلي والذوقي ليسا في مرتبة المقياس النقلي في درجة اقرب إلى

اليقين. وهذا المقياس الذوقي قد اشترك مع المقياس التصنيفي كما في قوله «إما أن يكون كل النهج مصنوعاً أو بعضه، والأول باطل بالضرورة». وذلك بسبب التواتر. اذن المقياس الذوقي هنا استند إلى أساس المقياس العقلي التصنيفي ثم الاستدلال بالمقياس النقلي وجاء فيما بعد دور المقياس الذوقي^(١).

وعلينا الآن طرح بعض الحيثيات في المسألة أعلاه:

أولاً: إن من يستطيع أن يضع مثل هذا الكلام، والذي له هذا القدر الثابت في العلم بالله وآياته، كيف تطاوّعه نفسه ان يحيل بمثل هذا الكلام غيره، ويعطل نفسه، بحيث يبقى هو مهملاً في زوايا الخمول، إلا أن يكون مصاباً في عقله، والمصاب في عقله عن صنع مثل هذا الكلام ووضعه اعجز، وعن الورود في شرعة هذه الفلسفة المتعالية ابعد^(٢).

ثانياً: إن كتاب نوح البلاغة هو مجموعة من الخطب والحكم والمواعظ، الواضح عليها أنها قيلت في مناسبات مختلفة، فمنها ما كان جواباً لسؤال، أو خطاباً للاصحاب أو وصفاً للجنة والنار أو موعضة وغير ذلك، فهل تتبع جامعه كل هذه الحوادث والمناسبات واحصاها ووضع لكل حادثة خطبة أو كلاماً يلائمها^(٣).

ثالثاً: إن تصفحاً لمؤلفات الشريف الرضي تعطينا دليلاً على أن الشريف الرضي هو الجامع لنهج البلاغة ولا دخل للشريف المرتضى بذلك، وأن دور الشريف الرضي هو مجرد تجمیع هذه النصوص وترتيبها اخذًا بنظر الاعتبار اکثرها بلاغة.

(١) الظالمي: ابن أبي الحديد ص ٥٥.

(٢) الطباطبائي: علي والفلسفة الإلهية ص ٣٧.

(٣) مغنية: فضائل الإمام علي عليه السلام ص ٧٣ - ٧٤.

ففي كتابه - المجازات النبوية. ذكر الرضي كتاب نهج البلاغة خمس مرات وهي:

١. عند كلامه على قوله عليه السلام: «أغبط الناس عندي مؤمن من خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة» - قال «وبين ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «تحفّوا تلحقوا» وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بـ«نهج البلاغة» الذي أوردنا فيه مختار جميع كلامه»^(١).

٢. في كلامه عن الحديث «أسر عكن لحاقاً بي، اطولكن يداً» قال: ومثل ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام «ومن يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة»... وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم «بنهج البلاغة»^(٢)

٣. في قوله عليه السلام: «الا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة». قال: ((ويروى هذا الكلام على تغيير في الفاظه لامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام وقد اوردناه في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام في جميع المعاني والأغراض، والاجناس والاعراض»^(٣).

٤. في كلامه عن القرآن: «إن القرآن يتقلب وجوها، ويحتمل من التأويلات ضرورياً كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له فقال: «القرآن حمال

(١) ص ٤٠-٣٩ الشرح ١/٣٠١. الشريف الرضي: خصائص الأئمة، ط النجف، ص ٨٧. نهج البلاغة ص ٦٢-٦٣.

(٢) ص ٦٧. الشرح ١٩/٥٩. نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٣) ص ١٩٩. الشرح ٢/٩١. نهج البلاغة، ص ٧١.

ذو وجوه» أي يتحمل التصريف على التأويلات، والحمل على الوجوه المخالفات، وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة.^(١)

٥. قوله عليه السلام: «القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض». قال «بما نسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه، وقد ذكرنا في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب نهج البلاغة»^(٢).

ومثلكما أشار مؤلف المجازات النبوية بأنه مؤلف نهج البلاغة فان مؤلف نهج البلاغة قد أشار إلى أن له كتاباً باسم المجازات النبوية^(٣)، اذًّا فصاحب المجازات النبوية وهو صاحب نهج البلاغة ألا وهو الشريف الرضي، ولا دخل للمرتضى هنا.

ومن كتب الشريف الرضي كتاب حقائق التأويل الذي لم يصل إلينا منه إلا الجزء الخامس، وقد وردت فيه إشارة إلى نهج البلاغة، إذ قال في اشارته لعلو بلاغة القرآن: «لو كان كلام يلحق بعبارة أو يجري في مضماره بعد كلام رسول الله عليه السلام لكان ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان منفرداً بطريقة الفصاحة، لا تزاحمه عليه المناكب، ولا يلحق فيها الكادح الجاهد، ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فليمعن النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه بـ (نهج البلاغة)، ويشمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، في جميع الأنحاء والأغراض، والأجناس والأنواع، من خطب وكتب، وموعظ وحكم، وبوبناه

(١) ص ٢٥١. الشرح ١٨/٧١. نهج البلاغة ص ٤٦٥.

(٢) ص ٣٩١، الشرح ١٨/٣٤٦. نهج البلاغة ص ٤٩٥.

(٣) الشرح ٢٠/١٨٦. نهج البلاغة ص ٥٥٧.

أبواباً ثلاثة تشتمل على هذه الأقسام مميزة مفصلة، وقد عظم الانتفاع به وكثير الطالبون له، لعظيم ما ضمته من عجائب الفصاحة وبدائعها، وشرائع الكلم ونفائسها...»^(١).

وللشريف الرضي كتاب رابع يسمى «الخصائص» وهو خاص بخصائص الإمام علي عليه السلام، وقد وردت الإشارة لهذا الكتاب مرتين في كتاب نهج البلاغة، مما يدل على أن مؤلف الخصائص هو نفسه مؤلف النهج، ففي المرة الأولى قال مؤلف النهج في المقدمة: «إفاني كنت في عنفوان السن وغضاضة العصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليه يشتمل على محسن اخبارهم، وجواهر كلامهم حداي على غرض ذكره في صدر الكتاب، وجعلته امام الكلام ولما فرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً صلوات الله عليه وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام...»^(٤٨).

اما المرة الثانية فقد أشار إليه عند قوله عليه السلام -«تحفظوا تحلقوا» إذ قال: فما سمع كلام أقل منه مسموعاً، ولا أكثر مخصوصاً، وما ابعد غورها من كلمة وانفع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها^(٢).

رابعاً: هل إن ما ورد في نهج البلاغة من خطب الإمام وكلامه لم يرد في مصادر آخر؟ في الواقع إن ما ورد في نهج البلاغة ما هو إلا يسير مما ورد في مصادر التراث العربي الإسلامي ولذلك قام عدد من الباحثين بجمع خطب الإمام وكلماته من هذه المصادر وفي مقدمة أولئك كان ابن أبي الحديد الذي

(١) حائق التأويل ص ١٦٧.

(٢) الشرح ٣٠١/١.

الخذ منهجاً في شرحه للنهج الا وهو ذكر المصدر الذي وردت فيه الخطبة فعلى سبيل المثال بالنسبة إلى الخطبة الشقشيقية^(١)، فقد قال في آخر شرحها: «حدثني شيخي أبو الحير مصدقاً بن ييب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب^(٢)، المتوفى سنة خمسين وثمان وستين هذه الخطبة... وكان ابن الخشاب صاحب دعاية وهزل، قال: فقلت له: أتقول إنها منحولة؟! فقال: لا والله وإنني لأعلم إنها كلامه كما أعلم انك مصدق، قال: فقلت له: ان كثيراً من الناس يقولون: إنها من كلام الرضي - (رحمة الله تعالى)- فقال: إنى للرضي ولغير الرضي هذا النفس وهذا الاسلوب؟! قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقة وفنه في الكلام المثور وما يقع من هذا الكلام في خل ولا خمر. ثم قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يخلق الرضي بهائته سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء واهل الأدب قبل ان يخلق النقيب أبو احمد الرضي. قلت [ابن أبي الحديد]: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلاخي إمام البغداديين من المعتزلة. وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضي بمدة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبة^(٣)، أحد متكلمي الإمامية وهو

(١) مأخوذة من قوله-عليه السلام- تلك شقشقة هدرت ثم قرت، الشرح ١/٢٠٣.

(٢) أحد علماء اللغة العربية في عصره وله المام بالفلسفه والحساب والهندسه. توفي ٥٦٧هـ. أنظر: الشرح: ١٩١٢، ٢٠٥٧، ٢٦٥١١، ٦٧١٠، ١٣٥١٩، ٢٥١١٩. الخوانساري: روضات الجنات ٥/٢٢.

(٣) أنظر ترجمته، ابن النديم: الفهرست: ص ٢٥٠.

الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البخري (ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي - رحمة الله - موجوداً)^(١). ثم قام مجموعة من الباحثين بالبحث عن مصادر نهج البلاغة كما فعل عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابة مصادر نهج البلاغة واسانيده والذي صدر في أربعة أجزاء وقسم هذه المصادر على أربعة اقسام: أولاً: مصادر الفت قبل سنة ٤٠٠ هـ، وهي سنة صدور نهج البلاغة. ولا زالت موجودة إلى الآن.

ثانياً: مصادر الفت قبل سنة ٤٠٠ هـ، ولكنها فقدت، وتم النقل عنها بالواسطة.

ثالثاً: كتب ألفت بعد زمان الرضي ولكنها روت كلام الإمام علي عليه السلام- بإسناد متصل دون المرور بالشريف الرضي ولا على كتابه نهج البلاغة.

رابعاً: كتب صدرت بعد زمان الرضي ولكنها نقلت كلام الإمام علي عليه السلام بصورة تختلف عنها في نهج البلاغة مما يعتقد أن مصدرها غير نهج البلاغة^(٢).

ثم استدرك مجموعة من الباحثين قدماً وحديثاً على نهج البلاغة وذكروا خطباً ورسائل وكلاماً للإمام لم يرد في نهج البلاغة، كما فعل عبد الله بن إسماعيل بن أحمد الحلبي^(٣) في كتابه «التدليل على نهج البلاغة»^(٤) والشيخ هادي آل

(١) الشرح ١/٢٠٥-٢٠٦. وانظر كذلك ابراهيم الخوئي: الدرة النجفية ص ٦١، ٦٢.

(٢) عبد الزهراء الخطيب: مصادر نهج البلاغة واسانيده ١/٢٦-٢٧، ٤٨-٩٢.

(٣) لم أجده له ترجمة.

(٤) الشرح ١٨/٢٢٥.

كاشف الغطاء في كتابه مستدرك نهج البلاغة^(١)، والشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه -نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، وهو في ثمانية مجلدات^(٢).

خامسًاً: أما بالنسبة إلى الأشكالات التي أثيرت حول بعض مما ورد في نهج البلاغة فقد تكفل بالاجابة عنها عدد من الباحثين يأتي في مقدمتهم ابن أبي الحديد^(٣)، ومن المعاصرین عبد الزهراء الخطيب^(٤)، وحسن آل ياسين^(٥)، والشهرستاني^(٦)، وهادي آل كاشف الغطاء^(٧) ومغنية^(٨)، وحسين بستانة^(٩)، والفرطوسی^(١٠)، والصاغن^(١١)، والأبیاري^(١٢).

(١) ص ٢ وما بعدها.

(٢) طبع في بيروت ١٩٧٦.

(٣) أنظر مثلاً ١٢٩-١٢٦/١٠، ٢٠٥-٢٠٣/٦.

(٤) مصادر نهج البلاغة واسانیده ١٣٣-٢٢٢.

(٥) نهج البلاغة.. لمن؟ ص ٣١-٤٩.

(٦) ما هو نهج البلاغة؟ ص ٥٢-٦١.

(٧) مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه ص ١٩٥-٢٦٨.

(٨) فضائل الإمام علي ص ٧٣-٧٧. وايضاً له: في ضلال نهج البلاغة ١/٨-١٠.

(٩) أدب الإمام علي بن أبي طالب ونهج البلاغة ص ١٩٥-٢٠٣.

(١٠) غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى دراسة منهجية ص ٢٠-٢٢.

(١١) علي عليه السلام - بين أمه وأبيه ص ١٠٥-١١٠.

(١٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة تراث الإنسانية ميج ٢، ص ٤-١٣٣.

المبحث السابع

الإمام عليٰ - عليه السلام - وعلم الفلك

من خلال شرحه لنهج البلاغة اثبت ابن أبي الحديد أن الإمام عليه السلام سبق الفلكيين في التوصل لبعض المسائل الفلكية. كإشارته إلى أن منطقة الابلة هي أبعد موضع في الأرض عن السماء. فقد جاء في خطبة له عن البصرة إنها: « بعيدة عن السماء » فأكَدَ أن الإمام يشير إلى ما توصل إليه علماء الفلك في أن أبعد موضع في الأرض عن السماء هو « الابلة ». ومعنى ذلك هنا، هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاء، والبلاد تختلف في ذلك، وأكَدَ ابن أبي الحديد أن الالات الفلكية والارصاد دلت على أن أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الابلة.^(١)

إن الاشارة أعلاه تعد من خصائص أمير المؤمنين - عليه السلام - لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب، ولا تهتدي إليه، وهو أمر خاص بالمدققين من الحكماء، لذا عدت هذه الاشارة من اسراره وغرائبه البدعة.^(٢)

(١) الشرح ٢٦٧ / ١ . وعن الابلة، انظر الحموي: معجم البلدان ١ / ٧٨٧٦ .

(٢) الشرح ٢٦٨ / ١ . وانظر كلام الإمام في: الرمخشري: ربيع البار ٣٠٨ / ١ .

وفي قوله عليه السلام: «الحمد لله الذي لا تواري عنه سماء سماء، ولا ارض ارضا». فإنه يدل على إثبات ارضين بعضاها فوق بعض كالسموات السبع. لكن القرآن الكريم لم يشير لعدد الأرضين حيث قال تعالى: «الله الذي خلق سبع سموات، ومن الارض مثلهن»^(١)، ولذا قيل أنها ارض واحدة، ولكنها على سبعة اقاليم، فالمثلية التي أشار لها القرآن الكريم من هذا الوجه، وليس من تعدد الأرضين وقد يحمل كلام الإمام على ذلك، فيقصد عليه السلام أنها ارض واحدة، لكنها اقطار واقاليم مختلفة، وهي كروية الشكل، فمن كان على حدبة الكرة لا يرى من تحته، والذي تحت لا يرى من فوق، والذي على أحد الجانبين لا يرى من على الجانب الآخر^(٢).

ولاحظ ابن أبي الحديد أنه لا منافاة بين قول الإمام عليه السلام: «سماء ذات ابراج» وبين ما يقوله الحكماء والمتكلمين ان السماء كره لا زاوية فيها ولا ضلع، لأن الفلك وإن كان كره لكنها فيه من المتممات ما يجري مجرى اركان الحصن أو السور. فصح اطلاق لفظة الابراج عليه، والمتممات اجسام في حشو الفلك تخف في موضع، ولا مانع من حمل لفظة الابراج على ما يقوله الحكماء إن الفلك يقسم لاثني عشر قسماً كل قسم يسمى برجاً، والإمام -عليه السلام- أخذ اللفظة من القرآن في قوله تعالى: «والسماء ذات البروج»^(٣)^(٤).

اما بالنسبة إلى موقفه عليه السلام من التنظيم فهو ذو شقين الأول: إذا كان المدف

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٢) الشرح ٣٠٤ / ٩.

(٣) سورة البروج، الآية: ١.

(٤) الشرح ٣٩٣ / ٦.

من التنظيم معرفة الطرق البرية والبحرية فهذا لا باس به، الثاني: إذا كان لأغراض أخرى فهو محرم، حيث يقول عليه السلام: «ياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدي به في بر أو بحر، فإنها تدعوا إلى الكهانة؛ المنجم كالكاهن، والكافر كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار». وأشار عليه السلام أنه من صدق المنجمين فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله، ثم أنه سيحمد المنجم بدل الله سبحانه وتعالى. ^(١)

المبحث الثامن

الإمام علي عليه السلام وعلم الحيوان

ابدى الإمام علي عليه السلام بعض الآراء في عدد من الطيور مثل الخفافش الذي يبصر ليلاً ولا يبصر نهاراً، ثم إن طيرانها باجنبة من لحم وليس من ريش، وهي تحمل ولدها ملاصقاً لها فلا يقع حتى يكبر. وقد اتى عليه بالعلم الطبيعي في عدم ابصارها نهاراً، وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد، وقد يعرض مثل ذلك لبعض الناس، وهو المرض المسمى (روز كور)، أي اعمى النهار، ويكون ذلك عن افراط التحلل في الروح النوري فإذا لقي حر النهار، اصابه قمر، ثم يستدرك ذلك برد الليل فيزول، فيعود الابصار.^(١)

واشار إلى الطاووس وكيفية لقاحه الاثنى مشيراً أن وصفه جاء لمعاينته عليه للطاووس، وقد اثار ذلك طعن البعض إذ أين رأى الإمام علي عليه السلام الطاووس؟ والواقع أنه عليه رآه بالكوفة وليس بالمدينة، حيث كانت الكوفة عاصمة الدولة العربية الإسلامية تجبي لها الاموال والهدايا من الاصقاع.^(٢)

(١) الشرح ٩/١٨٣ . وانظر نص كلام الإمام عليه في بداية هذا الفصل.

(٢) الشرح ٩/٢٦٨

وقد رد عليه: «من يزعم أنه يلقي بدموعه تسفحها مدامعه، فتنقف في صفتني جفونه، وأن اثناء تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدموع المنجس، لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب».

حيث يرى البعض أن الذكر تدمع عينه، فتنقف الدموع بين اجفانه، فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدموع^(١). وقد انكر الإمام عليه السلام ذلك بالنسبة للطاووس، ولكنه أشار إلى مطاعمة الغراب، حيث يرى البعض أن لقاح الغراب يكون بانتقال جزء من الماء الموجود في قانصة الذكر إلى الانثى عن طريق منقارها.^(٢)

واشار عليهما إلى بعض الحشرات كالنملة التي قال فيها: «انظروا إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنان بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على ارضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع في حرها إلى بردتها، وفي وردها لمصدرها؛ مكفول برزقها، مرزوقة بوقتها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا اليابس، والجحر الخامس، ولو فكرت في مجاري اكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف، من شراسيف بطنها، وما في الراس من عينها واذتها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً».^(٣)

تجدر الاشارة ان للجاحظ تحليلاً للنملة ربما يكون أخذ فكرته من الإمام عليه السلام

(١) الجاحظ: الحيوان ٣/٤٦٤، ١٧٧. ويرى الدميري أن الغراب يتستر في لقاحه الانثى. حياة الحيوان الكبرى ٢/١٧٣.

(٢) الشرح ٩/٢٦٨-٢٧٠.

(٣) الشرح ٣/٥٥. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٤/٤٨١-٤٨٢.

الفصل الخامس: الإمام علي^{عليه السلام} مصدر الفكر العربي ٦٢٧
وزاد في تحليله. (١)

وتطرق الإمام علي^{عليه السلام} للجريدة فقال عنها:

«خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمَارَوْيَنِ، وَاسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمَارَوْيَنِ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيِّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السُّوِّيِّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَنَ الْقَوِيِّ، وَنَابَيْنِ بِهَا تَقْرِضَ، وَمَنْجَلَيْنِ بِهَا تَقْبِضَ، يَرْهَبُهَا الزَّرَاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِعُونَ ذَبَّهَا وَلَا اجْلِبُوهَا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرُدَ الْحَرَثَ فِي نَزْوَاتِهِا، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهْوَاتِهِا، وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ اصْبَعًاً مُسْتَدِمَةً». (٢)

(١) الشرح ١٣/٥٧-٦٣. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥/٥٤٢-٥٧٣.

(٢) الشرح ١٣/٥٦-٦٦. وانظر الجاحظ: الحيوان ٥/٥٤٣-٥٧٣. الزمخشري: ربيع البار .٤٥٩/٤

المبحث التاسع

الإمام علي عليه السلام وعلم التاريخ

كان الإمام علي عليه السلام يوجه عناية فائقة إلى الاستفادة من التاريخ حتى أصبح التاريخ عنصراً بارزاً في مختلف الموضوعات التي اثارت اهتمامه وعنایتہ عليه السلام ولكنها ليست كعنابة القاص أو السياسي الباحث عن الحيل السياسية واساليب التمويه ليعالج بها تذمر الشعب، وإنما هي عنابة رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي. فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الإنساني، وينفض جهود الانسانية على التكامل الروحي والمادي، ويعزز قدرته في تامين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الإنسانية. ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الواقع الا بمقدار ما تكون شواهدأً ورموزاً، وإنما تناول المسألة التاريخية بنظرية كلية شاملة والامام -عليه السلام- ليس مؤرخاً لذا لا نجد عنده نظرية المؤرخ واسلوبه في سرد الواقع، وتحليلها والحكم عليها، وإنما هو رجل دولة وحاكم، ورجل عقيدة ورسالة فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية، ولذا فهي تشكل حيزاً هاماً، على درجة

كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي. ^(١)

وتتضح عناته عليه السلام بالتاريخ من خلال وصيته لولده الحسن عليه السلام إذ يقول:
 «أي بني ؟ اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت في اعماهم،
 وفكرت في اخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم، بل كأني بها
 انتهى الي من امورهم، قد عمرت من او لهم إلى اخرهم، فعرفت صفو ذلك من
 كدره، ونفعه من ضرره» ^(٢).

واوضح عليه السلام الهدف من دراسة التاريخ: «احي قلبك بالموعة ... واعرض
 عليه اخبار الماضين، وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم
 وآثارهم فانظر فيها فعلوا وعما انتقلوا، واين حلوا ونزلوا، فانك تجدهم قد
 صرت كاحدهم» ^(٣).

ولكن يا ترى من أين استقى الإمام علي عليه السلام معرفته التاريخية؟ من خلال
 نصوص النهج وسيرة الإمام علي عليه السلام يتضح ان مصادره كانت متنوعة وهي:
 أولاً: القرآن الكريم: حيث تضمن القرآن دعوى لدراسة التاريخ «قل
 سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلكم» ^(٤). ثم
 شمول القرآن لمادة تاريخية مثلت ثلث القرآن حيث أشار القرآن لقصة خمسة
 وعشريننبياً، وإلى عدد من الاقوام السابقة وبعض الشخصيات، ثم اشارته
 لاحداث العرب قبل الإسلام ولما كان عليه السلام على علم بالقرآن، حيث قال عليه السلام:

(١) محمد مهدي شمس الدين: حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام. ص ٣١-٣٢.

(٢) الشرح ٦٧/١٦.

(٣) الشرح ٦٢/١٦. وانظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة ٣٩٢.

(٤) سورة الروم .٤٢

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي»^(١). وقال عليه السلام: «ولا تسألوني عن آية ابليس نزلت أم بنهار أم بسهل أم بجبل»^(٢).

وللذا نجد التأثير القرآني واضحًا في فكر الامام التاريخي منهجاً و موضوعاً^(٣).

ثانياً: تربية الإمام علي عليه السلام في بيت النبي كان لها الاثر في ثقافته التاريخية حتى تميز من بين أصحابه بأنه يملك تسعه اعشار العلم^(٤)، وشارك الآخرون في العشر العاشر، وقد قال فيه عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» كما مر بنا أول الفصل.

ثالثاً: السنة النبوية الشريفة: اشتغلت السنة النبوية على مادة تاريخية متنوعة شكلت مصدراً افاد الإمام في المعرفة التاريخية.

رابعاً: قراءات الإمام لما وجد من مؤلفات سواء باللغة العربية أو بغيرها وخاصة في تنقلاته بين الحجاز والعراق واليمن.^(٥)

خامساً: الاثار القديمة: من الإمام عليه السلام في تنقلاته بين الاقاليم بعض الاثار القديمة وهذا واضح من كلامه «وسررت في اثارهم» وكان عليه السلام قد عاش في اربعة اقاليم، وهي الحجاز واليمن والعراق وسوريا، فالحجاز هو مهده الأول حيث

(١) أنظر مصادره فيما سبق من هذا الفصل.

(٢) أنظر مصادره في مبحث الإمام علي وعلوم القرآن.

(٣) محمد المهدي: حركة التاريخ عند الإمام علي ص ٣٤.

(٤) اخرجه ابن المغازى: مناقب ص ٢٨٦-٢٨٧. ابن عبد البر: الاستيعاب ١٠٤ / ٣. البلوي: الفباء / ٢٢٢. النووي: تهذيب الأسماء ١٤ / ١. ابن كثير: البداية والنهاية ٧ / ٣٦٠ ..

(٥) محمد المهدي: حركة التاريخ ص ٣٤-٣٧.

مكة والمدينة وما حواليهما في خير و الطائف وغيرها من مدن وسط الجزيرة.
اما اليمن ففي اثناء ولايته قضاءها أيام النبي عليه السلام . في حين كان العراق أيام
خلافته منتقلأً بين البصرة والكوفة واحيراً سورياً في اثناء حرب صفين. (١)

سادساً: لقاءاته مع علماء الثقافات الاجنبية ومناظراته معهم شكلت
مصدراً للامام. ففي شرحه لخطبة الامام «ولاه ما نفع اضطراب فيها»
قال ابن أبي الحميد: «فيه رد على المجوس والتنوية القائلين باهتمامه، وله فيها
خطب طويل يذكر اصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة ما يقال: ان امير
المؤمنين عليه السلام كان يعرف آراء المتقدمين والمتاخرين، ويعلم العلوم كلها، وليس
ذلك بعيد من فضائله ومناقبه عليه السلام» (٢).

لقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى سنة من سنين التاريخ الإلهية «سنة الله في الذين
خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» (٣). فاشارة عليه السلام ان الذنب لا يلزم من
اقترفه فقط، بل يشمل من رضى به، ولذلك إذا نزل العذاب شمل الجميع كما
حصل لقوم ثمود لما عقروا الناقة، فكان العاقر شخصاً واحداً، ولكنهم رضوا
به لذا شملهم العذاب، يقول عليه السلام «ايه الناس ؟ إنما يجمع الله بالعذاب لما عمّوه
بالرضا» (٤).

ومن اشاراته التاريخية الاجمالية، أشار إلى هذه الاقوام القديمة كالعلقة (٥)،

(١) محمد المهدي: حركة التاريخ ص ٣٧-٣٨.

(٢) الشرح ١/٨٠.

(٣) سورة الأحزاب ٦٢.

(٤) الشرح ١٠/٢٦١-٢٦٤.

(٥) الشرح ١/٩٣-٩٤.

والفراعنة^(١)، واصحاب مدين^(٢). وكان هدفه عليه السلام من اشاراته اهذه الاقوام هو العظة والعبرة بحالهم إذ يقول: «وان لكم في القرون السالفة لعبرة! أين العمالقة، وابناء العمالقة! أين الفراعنة، وابناء الفراعنة! أين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين، واطفئوا سنن المرسلين، واحيوا سنن الجبارين! أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الالوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن»^(٣).

والمح عليه السلام في إحدى خطبه لحياة العرب قبل الإسلام. كيف كانوا تحت تسلط الاكاسرة والقياصرة، حيث يبعدون العرب عن الارض ذات الخصب والزرع، فازاح الاكاسرة العرب عن بحر العراق (دجلة والفرات)، وطرد القياصرة عرب الشام عن مراعي ومتجمعات الشام، فالجوئهم إلى منابت الشيخ - وهو من نباتات الصحراء - وإلى ضيق العيش وقلته، فكان ذلك له اثره في تركهم فقراء، ليس لهم الا الاعتماد على الجمل والضأن، مما جعلهم «اذل الام داراً»، وفيه إشارة لعدم وجود معامل وحصون منيعة فيها، «واجد بهم قراراً» لعدم الزرع والشجر والتخل بها. وعلل - عليه السلام - سبب فرقه العرب لعدم وجود دعوة دينية أو غيرها يتبعون إليها، ولا هناك «ظل الفه يعتمدون على عزها»، وهذا ادى إلى «الأحوال مضطربة، والآيدي مختلفة، والكثرة متفرقة» وهذا ترك آثاراً سلبية كان من جملتها: «باء ازل، واطباق جهل، من بنات مؤودة، واصنام معبدة، وارحام مقطوعة، وغارات مشلونة»^(٤).

(١) الشرح .٩٤/١٠

(٢) الشرح .٩٥-٩٤/١٠

(٣) الشرح .٩٢/١٠

(٤) الشرح .١٧٧-١٧١/١٣

واشار إلى معتقدات العرب قبل الإسلام حيث يقول: «واهل الأرض يومئذ ملل متفرقة». فاوضح ابن أبي الحديد^(١) مراد الإمام عليه السلام في شرحه لعقائد العرب قبل الإسلام حيث قسمهم إلى العرب المعطلة وغير المعطلة. فكان المعطلة يقسمون إلى:

١- من انكر الخالق والبعث والاعادة. وقالوا: «ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر»^(٢)، حيث جعلوا الجامع لهم الطبع والمهرك الدهر.

٢- من اعترف بالخالق وانكر البعث، وهم الذين قال عنهم القرآن «قال من يحيي العظام وهي رميم»^(٣). وقال احدهم^(٤):

اخبرنا ابن ك بشه ان سنجيا
وكيف حياة اصداء وهام
إذا ما الرأس مال بمنكبيه
فقد شبع الانيس من الطعام
ويحيني إذا رمت عظامي
ايقتلني إذا ما كنت حياً

٣- من اقر بالخالق ونوع من الاعادة، وانكروا الرسل، وعبدوا الاصنام، وزعموا إنها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا لها ونحرروا الهدي، وقربوا

(١) الشرح ١١٧ / ١٢٠ . وانظر الشهريستاني: الملل: ٢١٩ / ٣ . الآلوسي: بلوغ الارب: ١٩٧ / ٢ .

(٢) سورة الجاثية ٢٤ .

(٣) سورة يس ٧٨ .

(٤) قالها شداد بن الأسود في رثاء قتلى معركة بدرا. ابن هشام: السيره ٣ / ٢٩ . الشهريستاني: الملل ٣ / ٢٢١ .

القراين، وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب الذين قال عنهم القرآن «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق»^(١)، وكانوا للاصنام ذوي آراء مختلفة فمنهم من يجعلها شريكة لله، فيقولون في التلبية: «الله لهم ليك، لا شريك لك، الا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك». ومنهم من لا يطلق عليه لفظ الشريك، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الله سبحانه، وهم الذين قالوا: «وما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفي»^(٢).

٤- المشبهة والمجسمة: ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي من شعره:

من فوق عرش جالس قد حط رجل يه إلى كرسيه المنصوب^(٣)

٥- ومنهم من يعتقد بالتناسخ، وتنقل الأرواح في الأجساد، ومنهم أرباب الهامة، والهامة شيء يخرج من القبر على شكل صوت، وقد انكره الرسول عليه السلام بقوله: «لا عدو ولا هامة ولا صفر»^(٤). وهذا الاعتقاد بقي سارياً حتى العصر الأموي.^(٥)

٦- ومن العرب من مال إلى إلحادية كجماعة من التابعية^(٦)، وملوك اليمن. أو إلى النصرانية كبني تغلب، والعبادين رهط عدي بن زيد، ونصارى

(١) سورة الفرقان .٧

(٢) سورة الزمر .٣

(٣) الشرح ١١٩/١. وانظر ديوانه ص ١٦٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه: صحيح ١/١، ٢١/٢، ٢٧٠/٢. الطحاوي: شرح معاني الآثار ٤/٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨. الشهرستاني: الملل والنحل ٣/٢٢١.

(٥) الشرح ١١٩/١. وانظر ديوان توبة بن حمير ص ٤٨. السيوطي: شرح شواهد المغنى ٢/٦٤٤.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن التابعية أنظر: محسن مشكك الحجاج: دولة التابعية ص ٩ وما بعدها.

نجران، ومنهم من مال للصابة والقول بالنجوم.^(١)

اما غير المعطلة فهم المتألهون اصحاب الورع والتحرج عن القبائح وهم عبد المطلب وولديه عبدالله وأبو طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل^(٢)، وقس بن ساعدة الايادي وغيرهم.^(٣)

واشار عليه السلام إلى حي من احياء العرب عرف بالشجاعة وهم «بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة»^(٤). حيث تمنى عليه السلام أن يكون له الف فارس منهم بدلًاً من كل هذه الالوف التي معه. ومن بنو فراس كان حامي الضعاف حيًاً وميتاً وهو -ربيعة بن مقدم بن حرثان بن جذيمة بن علقة بن فراس». حيث لم يحم الحرثي ميتاً غيره، فبعد ان اصيب نصب رحماً واتكاً عليه، واشار على الضعاف بالروح، ومات، وتصور اعدائه انه حي فلم يهاجموا الضعاف حتى سلمت.^(٥)

والمح عليه السلام إلى بعض من سيرة الاشعث بن قيس، حيث اسر مرتين الاولى قبل الإسلام حيث اسره بنو الحارث بن كعب، وتم فدائوه بثلاثة الاف بعير. والثانية: اسر في الإسلام، وذلك لما ارتدت بنو وليعة.، وهزموا امام زيد بن لبيد والي الخليفة أبو بكر فذهبوا مستنجدين بالاشعث فابى مساعدتهم إلا أن يملكون عليهم، فملكونه عندها سار إلى زيد فانهزم امام زيد، وطلب الامان له

(١) الآلوسي: بلوغ الارب /٢-١٩٧ /٢٥٢.

(٢) أحد الاحناف قبل الإسلام. أنظر الشهريستاني: الملل والنحل /١٣ /٢٢٧، ٢٣٥.

(٣) الآلوسي: بلوغ الارب /٢ /٢٢٣-٢٢٤.

(٤) هم انجذ العرب، والواحد يعدل بعشرة. ابن عبد ربه: العقد الفريد /١ /١٣٦.

(٥) الشرح /١ /٦٦. أبو الفرج: الأغاني /١٦ /٨٩. وانظر البرد: الكامل /٤ /٢-٣٤١، ٢٣٣.

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٣٧

ولعشرة من أصحابه، مقابل تسلیم الحصن، فقبل زياد وارسله إلى الخليفة الذي عفا عنه وزوجه اخته أم فروة، ولذلك عرف الاشت عرف النار وهو اسم للغادر عند قومه ^(١).

وقد قال الإمام بحقه «ان امرؤ دل على قومه السيف، وساق إليهم الحتف، لحري ان يمقته الاقرب، ولا يأمنه الا بعد» ^(٢).

(١) الشرح ٢٩٢-٢٩٧.

(٢) الشرح ٢٩١/١.

المبحث العاشر

الإمام على عليه السلام والغيبيات

الغيب لغة: ما غاب عنك^(١). والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. أما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به إنسان تنقشع من أمام عينيه حجب القرون، وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد أو الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها.^(٢) وقد جاء في كلام الإمام عليه السلام - اشارات مستقبلية تنبأ بها؛ إذ أن كلامه عليه السلام «داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغيبية وخروجهما عن وسع الطبيعة البشرية»^(٣).

إن معرفة الأمور الغيبية أمر غير مستحيل فبعض الأنفس يمكن أن تختص بخاصية تدرك بها الغيبيات، ولكن ليس كل الغيبيات، لأن القوة المتناهية لا تحيط بأمور غير متناهية، وكل قوة في نفس فهي حادثة فهي متناهية، إذن وجب

(١) الرازى: مختار الصحاح ص ٤٨٥. ابن منظور: لسان العرب ٢/٤٧.

(٢) محمد المهدى شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة ص ١٢.

(٣) الشرح ١/٤-٥.

أن يحمل كلام الإمام -عليه السلام- في معرفته الغيب لا على إنه يريد به العالمية، بل يعلم أموراً محدودة من المغيبات مما أقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى تأهله لعلمه، وكذا الحال بالنسبة إلى الرسول عليه السلام^(١).

ويقول ابن أبي الحديد: «أنا لا ننكر أن يكون في نوع البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب ولكن كل ذلك مستند إلى البارئ سبحانه باقداره وتمكينه، وتهيئة أسبابه، فإن كان الخبر عن الغيوب من يدعي النبوة لم يخبر أن يكون ذلك إلا بان الله سبحانه وتمكينه وأن يريد به تعالى أستدلال المكلفين على صدق مدعى النبوة، لأنه لو كان كاذباً لكان يجوز أن يمكن الله تعالى الجن من تعليمه ذلك إضلالاً للمكلفين وكذلك لا يجوز أن يمكن الله سبحانه الكاذب في ادعاء النبوة من الأخبار عن الغيب بطريق السحر، وتسخير الكواكب^(٢) والطسمات^(٣) ولا بالزجر^(٤) ولا بالقيافة^(٥) ولا بغير ذلك من الطرق المذكورة لما فيه من

(١) الشرح ١٠/١٢.

(٢) أي ما عرف بعلم احكام النجوم وهو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من اوضاعها، على الحوادث الواقعه في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان. انظر طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٣٧.

(٣) معنى الطسم: عقد لا ينحل، وهو علم يبحث عن كيفية تزييق القوى السماوية الفعالة بالقوى الارضية المنفعلة في ازمنة مناسبة مع بخورات مناسبة قوية غالبة لروحانية ذلك الطسم. طاش كبرى: مفتاح السعادة: ١/٣٣٩-٤٠.

(٤) الزجر عكس الفأل ويراد منه طلب الهرب عن الأمر وهو تشاؤم الانسان بشيء يراه أو يسمعه. خاصة في سفره أو اقادمه على أمر. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٦٢-٣.

(٥) علم يبحث عن تتبع اثار الاقدام أو الاستدلال بهيات اعضاء الانسان على صحة نسبة. طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة: ١/٣٥٣-٤.

استفساد البشر وإغواطهم، وأما إذا لم يكن الخبر عن الغيوب مدعيا للنبوة نظر في حاله، فإذا كان ذلك من الصالحين الأنقياء نسب ذلك إلى إنه كرامة أظهرها الله تعالى على يده ابانته له وتميزا من غيره كما في حق علي عليه السلام وإن لم يكن كذلك يمكن أن يكون ساحرا أو كاهنا أو نحو ذلك، وبالجملة فصاحب هذه الخاصية أفضل وشرف من لا تكون فيه، من حيث اختصاصه بها، فإن كان للانسان منها مزية أخرى يختص بها توازيها، أو تزيد عليها، فترجع إلى التمييز والترجح بينهما، والا فالمختص بهذه الخاصية ارجح واعظم من الخالي منها على جميع الأحوال^(١).

كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الأيام إذ يقول: (فاسئلوني قبل ان تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناءً على وسائلها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً، ولو قد فقدتوني ونزلت بكم كرائمه الامور وحواجز الخطوب لطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين)^(٢).

وقال أيضاً: (والله لو شئت ان أخبر كل رجل منكم بمخرجه وموبلجه وبجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف ان تكفروا في برسول الله عليه السلام). ولذلك اضطر عليه السلام إلى أن يبلغه فقط إلى (الخاصة من يؤمن بذلك منه)^(٣) وكان عليه السلام يكيل العلم كيلا بلا

(١) الشرح: ١٣-١٢/٥.

(٢) الشرح: ٤٤/٧. وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٧. الطوسي: آمالي الطوسي ط. النجف ١/٥٨. الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٤.

(٣) الشرح: ١٠/١٠.

ثمن، ولكنه لا يجد حملة لهذا العلم) ^(١).

قد اسند الإمام عليه السلام غيبياته إلى الرسول عليه السلام باعتباره المصدر الإصيل له، حيث بعد أن أشار إلى بعض الغيبيات قام إليه أحد أصحابه وقال: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!) وهنا ضحك الإمام عليه السلام وأوضح للسائل ما اشكل عليه، قائلاً: «ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عند الله سبحانه وتعالى بقوله: «إن الله عنده علم الساعة...» ^(٢) فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله لنبيه فعلمنيه، ودعا لي بان يعيه صدرى وتضطمس عليه جوانحي» ^(٣).

ولكن لماذا ضحك الإمام عليه السلام من قول الرجل: لقد اوتيت علم الغيب؟ الا يعد هذا زهواً في النفس وعجبًا بالحال؟

وأقعا ان ذلك حدث للنبي عليه السلام حينما دعا الله سبحانه وتعالى ان يسقيهم فكثر المطر في المدينة، فأخذ عليه يشير على السحاب لينساب عن المدينة، فأخذ عليه يضحك سرورا بنعمة الله سبحانه وتعالى عليه ^(٤)، حيث ان السرور احيانا يؤدي إلى الضحك وذلك ليس بمذموم إذا خلا من التيه والعجب، وقد قال تعالى في صفة أوليائه:

(١) الشرح: ٦/١٣٤ . وانظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢/٣٣٠ .

(٢) سورة لقمان ٣٤ . وتكمeltasها (ان الله عنده علم الساعة ويتنزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي ارض تموت ان الله علیم خبیر).

(٣) الشرح: ٨/٢١٥ .

(٤) الشرح: ١/٨٠-٨١ . وانظر ابن هشام: السيرة ١/٣٠٠ .

﴿فَرِحْيَنَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١) (٢).

وكان من جملة الأمور الغيبة الخمسة التي أشار لها القرآن: «وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً» أفلأ يتعارض هذا بما كان يعلمه النبي عليه السلام من الله تعالى عن أمور سيكتبها مستقبلاً كفتح مكة، واعلامه للإمام بقتاله للناكثين والقاسطين والمارقين. إن المراد بالآية بأنه لا تدرى نفس جميع ما تكسبه في مستقبل زمانها، وذلك لا ينفي جواز أن يعلم الإنسان بعض ما يكتسبه في مستقبل زمانه. (٣)

لم يُعرف أحد قال: «سلوني قبل ان تفقدوني» لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الإمام علي عليه السلام حتى ان أحد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء (٤). وقد أكد عليه السلام «فانا أعلم بطرق السماء مني بطرق الارض» فيه إشارة إلى ما اختص به من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الاخبار الغيبة لا مره ولا مائه مره، حتى زال الشك والارتياح في انه اخبار عن علم وليس اتفاقاً. (٥)

ولكن قصور أدراك بعض الناس جعلهم يشكون بل ويکذبون الإمام علي عليه السلام، وقد صارحوه بذلك مراراً، فكان عليه السلام يرد على تكذيبهم فقال: «لقد بلغني انكم

(١) سورة آل عمران . ١٧٠

(٢) الشرح: ٢١٧/٨ .

(٣) الشرح: ٢١٨-٢١٧/٨ .

(٤) الشرح: ١٣/١٠٧-١٠٩. وانظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٣٦٣-١٦٦٣. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٥. الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢/٣٦٨.

(٥) الشرح: ١٣/١٠٦ .

تقولون: علي يكذب، قاتلوكم الله تعالى، فعلى من اكذب! اعلى الله فانا أول من امن به، أم على نبيه؟ فانا أول من صدق به». ثم قال عليهما: «كلا والله، لكنها لهجة غبت عنها، ولم تكونوا من أهلها». ويحتمل ان الامام يقصد لهجة رسول الله عليهما بتعليمه إياه، أو يقصد لهجته هو عليهما فيقول: «إنها لهجة غبت عن منافعها، واعدمتم انفسكم ثمن مناصحتها»^(١). وقال أيضاً: «لا تتراموا بالابصار عندما تسمعونه مني، فهو الذي فلق الحبة، وبرا النسمة، ان الذي انبأكم به عن النبي الامي عليهما ما كذب المبلغ ولا جهل السامع»^(٢).

بل ان وجهات نظر سامييه قد تناقضت بعد ما سمعوا كلامه فحينما قال: «لو كسرت لي وسادة حكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقائهم، وما من اية في كتاب الله انزلت في سهل أو جبل الا وأنا عالم متى انزلت، وفيمن نزلت». فقال رجل: يا الله والدعوة الكاذبة! وقال آخر: أشهد انك أنت رب العالمين. وقال قوم: الله ابوه ما افصحه كاذباً.^(٣)

وبعد إن أوضح عليهما مصدر معلوماته قال لهم: «ولتعلمون نباء بعد حين»^(٤)، وفيه إشارة إلى أن هذه الحقائق التي يخبر بها الإمام لا يدرك حقائقها الناس في حياته وإنما بعد وفاته^(٥). قال ابن أبي الحديد «لقد إمتحنا إخباره فوجدناه

(١) الشرح: ١٣٣/٦.

(٢) الشرح: ٩٨/٧.

(٣) الشرح: ١٣٦/٦ . وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٧.

(٤) سورة ص ٨٨.

(٥) الشرح: ١٣٤/٦.

موفقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة... وكم له من الأخبار عن الغيوب الحاربة هذا المجرى بما لو أردنا استقصائه، لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مسروحة»^(١).

اذن هذه النصوص صريحة بأن علمه عليه السلام بالغيوب مأخوذ من النبي عليه السلام ولكن هل يمكن التصور إنه عليه السلام أفضى للإمام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث، فالظرف الزمانى الذى جمع النبي بالإمام لا يسع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: «فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدى مائة، وتظل مائة، إلا أنباتكم...»^(٢) ويقول: «فلا أنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض...»^(٣) ويقول: «والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه وموجهه وجميع شأنه لفعلت...»^(٤) فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزمانى الذى قضاه الإمام مع النبي عليه السلام ولكن الإمام يصرح بأن علمه مستقى من النبي عليه السلام فكيف التوفيق في ذلك؟

الظاهر إنه عليه السلام أفضى للإمام عليه السلام بكليات الأمور، ثم كان نشاط القوة الخفية المودعة للإمام فتكشف له ما محجوب من أحشاء zaman وثنايا المكان، لأن الإمام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى أنشطت في التفوذ إلى المغيب المحجوب، وكان عليه السلام بعد أن أوضح للإمام عليه السلام الكليات هداه للسبيل التي تؤدي به إلى أرفع درجات الحالة الروحية

(١) الشرح: ٤٨/٧.

(٢) الشرح: ٤٤/٧.

(٣) الشرح: ١٣/١٠١.

(٤) الشرح: ١٠/١٠.

التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله
الرسول عليه السلام^(١).

وفي تخليله للخطب التي يرد فيها ذكر الامور الغيبة (الملاحم) وجد ابن أبي
الحديد إن هناك خطبا تجوز نسبتها للإمام عليه السلام وأخرى لا يجوز لذا لم يوردها^(٢).
ومن هذه الخطب والتنبوءات^(٣):

أولاً: في خلافته عليه السلام:

- لما طلب منه عليه السلام الناس البيعة بعد مقتل الخليفة عثمان قال: «دعوني
والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمرا له وجوه والوان، لا تقوم له القلوب ولا
ثبتت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت». فكلامه هذا
له باطن وغور عميق ومعناه الأخبار عن غيب يعلمه عليه السلام هو ويجهلونه هم، وهو
الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، وإختلاف الكلمة وظهور الفتنة^(٤).

- وخطب عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته فقال: «إن حمدآ... خلف
فينا رأية الحق... دليلها مكث الكلام... فإذا أنتم النتم له رقابكم، وأشارتم
إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به...». هنا عليه السلام كنى عن نفسه، وإعلمهم
بأنه سيفارقهم، بعد إجتماعهم عليه وطاعتهم له، وهكذا وقع الأمر فان أهل

(١) محمد المهدي شمس الدين. دراسات في نهج البلاغة ص ١٣٨-١٤١.

(٢) الشرح: ١٠/١٤.

(٣) لقد نقل الهاشمي أكثر ما جاء لدى ابن أبي الحديد في موضوع المغيبات. عند شرح الأول نهج
البلاغة كتاب اسماء منهاج البراعة. أنظر ٤/٣٤٠، ٣٧٥-٣٤٠، ٧/٨٢، ٨٠-٤٨٢، ٤-١٧١، ٢-١٧١،

. ٢١٥-٤٤، ٩٣/١٠، ١٦٥/٩، ٣٦١-٣٤٦، ٢١٠، ٢٠٤، ٢٩٨، ٤٤-٣٤٧.

(٤) الشرح: ٧/٣٣-٣٤.

العراق لم يكونوا أشد اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه، حيث عقد لابنه الحسن على عشرة الآف، ولأبي أيوب الانصاري على عشرة الآف حتى اجتمع له مائة الف، وخرج مقدمته للشام فضربه ابن ملجم فانقضت تلك الجموع^(١).
— وفي أثناء مراسلاتة مع معاوية قبيل معركة صفين كتب الإمام قائلاً:
«كأني بجماعتك يدعونني جزاً من السيف إلى كتاب الله». وهذا أما أن يكون فراسة نبوية صادقة وهذا عظيم، أو أخبار عن غيب مفصل وهو أعظم وأعجب وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب^(٢).

— وفد غالب بن صعصعة^(٣) على الإمام علي عليه السلام ومعه ولده الفرزدق فقال له الإمام: يا أبا الأخطل^(٤) من هذا الغلام معك؟ قال: ابني وهو شاعر، قال: علمه القرآن فهو خير له من الشعر.

فتحت قوله^(٥): (يا أبا الأخطل) قبل أن يعلم إن ذلك الغلام ولده وهو شاعر، سر غامض، ويكان يكون أخباراً عن غيب.

— كان عليه السلام جالساً في مسجد الكوفة فأقبلت امرأة مختمرة لا تعرف، فقالت

(١) الشرح: ٩٣، ٨٤ / ٧.

(٢) الشرح: ٨٣ / ١٥.

(٣) هو ابن صاحب الموقف المعروفة في مسألة وأد البنات. فكان أبوه صعصعة يشتري البنت من أبيها لذا قال الفرزدق:

ووجدي الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوأد
ديوان الفرزدق ١٧٣ / ١.

(٤) الأخطل: هو الحفيظ السريع، والمتفوّه في القول. ابن منظور: لسان العرب ١٣ / ٢٢١ - ٢٢٢.

(٥) الشرح: ١٠ / ٢٢ - ٢١. وانظر الزمخشري: ربيع الابرار ٢ / ٧٨.

للامام عليه السلام: يا من قتل الرجال، وسفك الدماء، وايتم الصبيان، وارمل النساء!
 فقال عليه السلام: وإنها هي هذه السلقلقة^(١) الجمعة^(٢) الجمعة^(٣)، وإنها هي هذه
 شبيهة الرجال والنساء! التي ما رأى دماً قط. فولت هاربة منكسة رأسها،
 فتبعها أحدهم فقال لها: لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلني
 متزلي حتى أهبه لكِ واكسوكِ، فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها
 وزرع ثيابها لينظر صدق قول الإمام عليه السلام فبكت وسألته لا يكشفها، وقالت: أنا
 والله كما قال لي، لي ركب النساء، وانشيان كأثنى الرجال، وما رأيت دماً قط.
 فتركها ورجع للامام واحبره، فقال الإمام عليه السلام: إن خليلي رسول الله عليه السلام: أخبرني
 بالمتربدين علي من الرجال والنساء حتى تقوم الساعة^(٤).

ثانياً: مصير أصحابه:

كان للإمام عليه السلام عدد من الإصحاب يفضي إليهم بأسراره وعلومه لذا كان
 السبيل لوصول بعض معارف الإمام عليه السلام إلينا، وأولئك الصحابة كانوا موضع
 انتقام من الدولة الأموية التي استلمت مقاليد الحكم. لذلك كان الإمام عليه السلام قد
 تنبأ بمصيرهم:

قال عليه السلام لعمر بن الحمق الخزاعي^(٥): «إنك لم قتول بعدي، وان رأسك

(١) من السلق وهو شدة القول باللسان، قال تعالى (سلقوكم بالسنة حداد) سورة الأحزاب (١٩).

الرازي: مختار الصحاح ص ٣٠. ابن منظور: لسان العرب ٢٥ / ١٢ .

(٢) هي المرأة التي ترك الحياة وتتكلم بالقيبح. ابن منظور: لسان العرب ٤٠٢ / ٩ .

(٣) هي المرأة المتكلمة بالفحش والقليلة الحياة. ابن منظور: لسان العرب ٢١٠ / ١٠ .

(٤) الشرح: ٢٨٨ / ٢ .

(٥) أسلم بعد الحديبية وهاجر إلى المدينة، وقد شهد حروب الإمام علي عليه السلام. أنظر ابن قتيبة: المعارف =

لنقله، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا إسلاموك برمتك، الا هذا الحي منبني عمرو بن عامر من الأزد، فانهم لن يسلموك ولن يخذلوك، قال: فوالله ما مضت إلا أيام حتى تنقل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب، خائفاً مذعوراً حتى نزل في قومه من بني خزانة، فاسلموه، فقتل وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام وهو أول رأس حمل من بلد إلى آخر في الإسلام».^(١)

قال عليه السلام: جويرية بن مسهر العبدى^(٢): «أما والذي نفسى بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم، فليقطعنَّ يدك ورجلك ول يصلبك تحت جذع كافر، قال: فوالله ما مضت إلا أيام على ذلك حتى أخذ زiad بن أبيه جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه»^(٣).

وقال عليه السلام ليثم التمار^(٤): «إنك تؤخذ بعدي وتصلب، فإذا كان اليوم الثاني أبدر منخراك وفمك دما، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طعت بحربة يقضى عليك فانتظر ذلك، والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو

.٢٩١. الطبرى: تاريخ /٤، ٣٢٦، ١٧٩ /٥، ٤-٣٩٣، ٣-٣٧٢، ٢٣٦، ٩-٢٥٨، ٢٦٥.

الكتبي: رجال ص ٤٦-٤٨. ابن حجر: الاصابة /٢/ ٥٣٢-٣.

(١) الشرح: ٢٨٩/٢. وانظر ابن حبيب: المحرر ص ٤٩٠. البهقى: المحاسن والمساوئ ص ٣٦٦.

(٢) أنظر ترجمته: الكشي: رجال ص ٩٨.

(٣) الشرح: ٢٩٠/٢. وانظر ابن المفید: الإرشاد ص ١٢٠. الطبرى: اعلام الورى ص ١٧٢.

(٤) هو ميثم التمار الأسدى، كان مولى لإمرأة فاشترأه الإمام علي عليه السلام واعتقه وأصبح من أخلص أصحابه. أنظر: ابن حجر: الاصابة /٣/ ٥٠٤-٥.

ابن حرث (١)، انك لعاشر عشرة أنت اقصرهم خشبة واقربهم إلى المطهرة- يعني الأرض - ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها».

وقد قبض على ميشم أيام ولاية عبيد الله بن زياد الكوفة، فلما رفع على الخشبة أجمع الناس حوله على باب دار عمرو بن حرث، فأخذ ميشم يحذفهم بفضائل آل البيت، فأمر ابن زياد بإلجامه، فكان أول مخلوق يلجم في الإسلام، فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراته وفمه دما، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات. (٢)

وقبض زياد بن أبيه على رشيد المجري (٣) فقال له زياد: ما قال خليلك لك؟ قال: تقطعون يدي ورجلي وتصلبواني. فقال زياد: أما والله لا كذلك في حديثه. ثم قال: ردوه لا نجد شيئاً أصلح مما قال لك صاحبك، انك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، أقطعوا يديه ورجليه، ثم قال: أصلبواه خنقاً في عنقه، ثم قطعوا لسانه. (٤)

وكان مزرع (٥)، أحد أصحاب الإمام عليه السلام يحدث في أيام معاوية؛ ليؤخذن رجل فليقتلن، ول يصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، فقيل له: انك لتحدث

(١) عمرو بن حرث من أهل الكوفة روى عن النبي ﷺ. ابن حجر: الأصابة ٢/٥٣١.

(٢) الشرح: ٢٩١-٢٩٤. وينظر ابن المفید: الإرشاد ص ١٢١-١٢٠. الطبری: اعلام الوری ص ١٧٢-١٧٤.

(٣) رشید بضم الراء. أنظر، الكشي: رجال ص ٧١-٧٣.

(٤) الشرح: ٢٩٤/٢. وانظر ابن المفید: الإرشاد ص ٣٦. الطوسي: الامالي ١/١٦٧-١٦٨. الطبری: اعلام الوری ص ١٧٤.

(٥) هو مزرع بن عبد الله أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام. المفید: الإرشاد ص ١٢١-١٢٢.

بالغيب. فقال: حدثني الثقة على بن أبي طالب - قال: فما أتت جمعة حتى أخذ مزرع وقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد^(١).

- كان مالك بن ضمرة الرؤاسي^(٢) يدعوه: اللهم لا تجعلني أشقي الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجل يرمي من فوق طمار ورجل تقطع يداه ورجله ولسانه ويصلب، ورجل يموت على فراشه، فكانت الناس تستهزأ به وتقول: هذا من أكاذيب أبي تراب، لأنه كان من خواصه، وان هاني بن عروة قد رمي من قصر طمار^(٣) لوقوفه مع مسلم بن عقيل سفير الحسين عليهما السلام إلى الكوفة أيام عبيد الله بن زياد، ورشيد الهجري قطع وصلب، أما مالك بن ضمرة فهات على فراشه^(٤).

ثالثاً: الدولة الأموية:

تنبأ الإمام علي عليه السلام بقيام الدولة الأموية من بعده، حيث قال لأصحابه «أما إنه سيظهر عليكم من بعدي رجل رحب باللعم، مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، إلا إنه سيأمركم بسببي والبراءة مني،

(١) الشرح ٢٩٤-٢٩٥ / ٢. وانظر المفيد: الإرشاد، ص ١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر ابن حجر: الأصابة ٣/٣٨٣-٤.

(٣) هو قصر بالكوفة. البغدادي: مراصد الاطلاع ٩٨٢ / ٢. وإلى ذلك يقول الشاعر في مسلم بن

عقيل وهاني بن عروة الشيباني:

إذا كنت لا تدرى من ما الموت فأنظري

إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه

واخر يهوي من طمار قتيل

مقاتل الطالبيين: ص ٧٢.

(٤) الشرح ٢٩٥ / ٢.

فاما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، واما البراءة فلا تبرؤا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة»^(١).

والإمام هنا يقصد توقيع معاوية للحكم، حيث كان موصوفاً بالتهم وكثرة الأكل، وكان بطيناً يقعد بطنه إذا جلس على فخديه، وكان يحب كثرة الأكل، حتى قال فيه الشاعر^(٢):

صاحبُ لِي بَطْنُهُ كَاهَاوِيَّةٌ كَأَنْ فِي أَحْشَائِهِ مَعَاوِيَّةٌ

هذا التنبؤ قد وقع، حيث لما توقيع معاوية الحكم أمر في جميع الأقاليم بسب الإمام والبراءة منه، وإستمر ذلك حتى خلافة عمر بن عبد العزيز^(٣)، ولذلك مدحه الشريف الرضي^(٤):

فتى من أمية لبكيرتك	يا ابن عبد العزيز لو بكت العين
وإن لم يطب ولم ينزل بيتك	غير أنني أقول إنك قد طبتَ
فلو أمكن الجزاء جزيتك	أنت نزهتنا عن السب والقذفَ

واستمر خلفاء بنى أمية وولاتهم على هذا المنوال^(٥).

قال الاسكافي - أحد معتزلة بغداد -: ((إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه، والبراءة

(١) الشرح / ٤ ٥٤، ١٠٨. وانظر أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين. ص ٤٤. الطبرسي: أعلام الورى ص ١٧٢ ..

(٢) الشرح / ٤ ٥٤-٥٥. الميداني: مجمع الأمثال / ١ ٨٧.

(٣) الشرح / ٤ ٥٦-٦٣. وانظر كتاب سليم بن قيس ص ١٤٤-١٤٩.

(٤) الشرح / ٤ ٦٠. لم أجده في الديوان المطبوع.

(٥) الشرح / ٤ ٥٦-٦٣.

منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله. فاختلقوا ما أرضاه، منهم عمرو بن العاص، والمعيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»^(١).

وتنبأ عليه السلام لوصول مروان بن الحكم إلى تولي الحكم إذ يقول عليه السلام: «يحمل راية ضلاله بعدهما يشيب صدغاه، وإن له أمرء كلعقة الكلب انفه، وهو أبو الأكبش الأربعـة. وستلقـي الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»^(٢).

إن ما أشار إليه الإمام عليه السلام قد وقع، فمروان وصل للحكم بعد أن بلغ الخامسة والستين، وقد فسر البعض -الأكبش الأربعـة- بأولاد عبد الملك الأربعـة الذين تولوا الخلافة-الوليد، سليمان، يزيد، هشام- فيما يرى ابن أبي الحديـد إن الأكبش الأربعـة هو أولاد مروان لصـلبه وهم عبد الملك، وعبد العزيـز، وبـشر، ومـحمد، حيث تولـي عبد الملك الخلافـة، وأما عبد العـزيـز فـتولـي مصر، فيما تـولـي بـشر العـراق، في حين تـولـي محمد أـقلـيم الجـزـيرـة^(٣).

ـ وتنبأ عليه السلام لـعبد الملك بن مـروـان حيث جاء في إحدـى خطـبـه: «لـكـانـي أـنـظـرـتـ إـلـيـ ضـلـيلـ قـدـ نـعـقـ بـالـشـامـ، وـفـحـصـ بـرـايـاتـهـ فيـ ضـواـحـيـ كـوـفـانـ، فـإـذـاـ فـغـرـتـ فـاغـرـتـهـ، وـاشـتـدـتـ شـكـيـمـتـهـ، وـنـقـلـتـ فيـ الـأـرـضـ وـطـائـهـ، وـعـضـتـ الـفـتـنـةـ أـبـنـاءـهـ بـأـنـيـاـهـ، وـماـجـتـ الـحـرـبـ بـأـمـواـجـهـ، وـبـدـأـ منـ الـأـيـامـ كـلـوـحـهـ، وـمـنـ الـلـيـالـيـ كـدوـحـهـ فـإـذـاـ أـيـنـعـ زـرـعـهـ، وـقـامـ عـلـيـ يـنـعـهـ، وـهـدـرـتـ شـقـائـقـهـ، وـبـرـقـتـ بـوـارـقـهـ، عـقـدـتـ رـايـاتـ

(١) الشرح ٤/٦٣.

(٢) الشرح ٦/١٤٦. وانظر: ابن سعد: الطبقات ٥/٤٣. الشريف الرضا: نهج البلاغة. ص ١٠٢.
الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٢.

(٣) الشرح ٦/١٤٧-١٤٨.

الفتن المغسلة، وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتقط»^(١).

كلام الإمام أعلاه كناية عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٤ـ٨٦هـ)، لأن هذه الصفات والإمارات فيه أتم منها في غيره - لأنه قام في الشام حين دعا إلى نفسه، وهو معنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة. تارة حين شخص بنفسه إلى العراق، وقتل مصعباً، وتارة لما استخلف الإماء على الكوفة كبشر من مروان أخيه وغيره حتى أنتهى الأمر إلى الحجاج وهو زمان أشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته، وحيثئذ صعب الأمر جداً، وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الأشعث، فلما كمل أمر عبد الملك - وهو معنى «أين زرعه» هلك، وعقدت رایات الفتن المغسلة من بعده، كالحروب التي دارت بين أولاده وبينبني المهلب، وزيد بن علي، وفتنة الكوفة أيام يوسف بن عمرو وخالد القسري وعمر بن هبيرة وغيرهم، وما جرى من استصال الأموال والأنفس^(٢).

ونفى ابن أبي الحديد أن يكون قصد الإمام أعلاه هو معاوية لأن الأخير كان في أيام الإمام نعى بالشام، ودعاهم لنفسه، والكلام يدل على إنسان ينبع فيما بعد، حيث يقول عليه السلام: «كأني أنظر إلى ضليل قد نعى بالشام»^(٣).

وأكد ابن أبي الحديد ذلك بكلام آخر للإمام أشار به إلى عبد الملك إذ قال عليه السلام: «كأني به قد نعى بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان، فعطف عليهم عطف الضروس وفرش الأرض بالرؤوس، قد فغرت فاغرتة، وثقلت

(١) الشرح ٩٨/٧.

(٢) الشرح ٩٩/٧.

(٣) الشرح ١٠٠/٧.

في الأرض وطأته، بعيد الجولة، عظيم الصولة والله ليشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يقي منكم إلا قليل كالكحل في العين، فلا تزالون كذلك حتى تؤوب إلى العرب عوازب أحلامها»^(١).

وهذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام، وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث ومصعب بن الزبير^(٢).

- ودل كلامه «أما والله ليسلطنه عليكم غلام ثقيف الذيال ميال، يأكل خضرتكم ويذيب شحاتكم، آية أبا وذحة». على الحجاج فهو غلام ثقيف، وكان -عليه السلام- يعلم من حال الحجاج ونجاسته بالمعاصي والذنوب، التي لو شوهدت بالبصر ل كانت بمنزلة البعر الملتتصق بشعر الشاة، لذا كنّاه «أبا وذحة»، وهذه الكنية إما لدمامته في نفسه، وحقارة منظره، وتشويه خلقته، حيث كان قصيراً ذمياً نحيفاً، أخفش العينين معوج الساقين، قصير الساعدين، مجذور الوجه، أصلع الرأس، فكناه الإمام عليه السلام بأحرق الأشياء وهو الburger^(٣).

- وحينما كان الإمام عليه السلام يخطب بذكر بعض الملاحم، قال له أعشى همدان^(٤)

(١) الشرح ٩/٤٦-٤٧.

(٢) الشرح ٩/٤٧، ٨٩.

(٣) الشرح ٧/٢٧٧-٢٨٠، ٨-٢٨١.

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، يكنى أبا المصبح، شاعر من أهل الكوفة في العصر الأموي، خرج مع ابن الأشعث فوقع اسيراً بيد الحجاج وقتله صبراً. أبو الفرج: الأغاني

«يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافه»^(١) فقال عليه السلام: «إن كنت آثماً فيما قلت ياغلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك الله حرمة إلا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: يقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكترة ما يخرج من جوفه». وفعلاً فقد أسر أعشى همدان بعد خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث، وأمر به الحجاج فقتل^(٢).

- وتنبأ عليه السلام لما قام به عبد الله بن الزبير في الحجاز بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام: «صنب صنب، يروم أمراً، ولا يدركه، ينصب حباله الدين لإصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش»^(٣).

ـ وأشار عليه السلام إلى الوالي الأموي - يوسف بن عمرو الثقفي بقوله: «... يأتيكم صاحب اليمن، حتى يحل بين أظهركم، فإذا أخذ العمال وعمال العمال، رجل يقال له يوسف بن عمرو، ويقوم عند ذلك رجل منا أهل البيت فانصروه فإنه داع إلى الحق». وقيل إن قصد الإمام هذا هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام -^(٤).

(١) هو رجل من عذرة استهونه الجن، ولما رجع أخذ يكلم عنهم فكذب وسمى حديثه حديث خرافه: الميداني: مجمع الأمثال ١/١٩٥.

(٢) الشرح ٢/٢٨٩. ابن حبيب: اسماء المغتالين ٧/٢٦٥-٧ وذكرها أبو الفرج مع الأشعث: مقاتل الطالبين ص ٢٠.

(٣) الشرح ٧/٤٨.

(٤) الشرح ٢/٣٠٦. روی الاصفهانی أن الإمام علياً - عليه السلام - قال: يخرج بظهر الكوفة رجل يقال له =

— وصف عليهما الولاة الأمويين: «أثروا عاجلاً، وأخرروا آجلاً وتركوا صافياً، وشربوا أجنا، كأنى أنظر إلى فاسقهم، وقد صحب المنكر فألفه، وبسى به ووافقه، حتى شابت عليه مفارقه، وصبغت به خلائقه، ثم أقبل مزبداً كالتيار لا يبالي ماغرق أو كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق»^(١).

ثالثاً: كربلاء:

كانت كربلاء قد شغلت آل البيت كثيراً لأنه رغم تعدد الفجائع التي حلّت بالآل البيت النبوي، لم يشهدوا فاجعة كفاجعة كفاجعة كربلاء، إذ تعرض بيت زعيم الدولة الإسلامية للنبي في دولته، وكأنهم في ذلك يجازون النبي مقابل تبليغه للدعوة. «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى»^(٢) ومثلما تنبأ النبي عليهما السلام بأحداث كربلاء^(٣). نجد الإمام علي عليه السلام تشغله تلك الفاجعة فيذكرها بمزيد من الألم.

— فلما توجه إلى صفين وقف عليهما في موضع كربلاء وقال: ذات كرب وبلاء. وأومأ بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالم، ومناخ ركابهم، ثم أومأ إلى

= زيد في أبهة (والإلهة الملك) لا يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل عمله، يخرج يوم القيمة هو وأصحابه معهم الطوامير أو شبه الطوامير حتى يتخطوا عنان الخلاف فتلقاهم الملائكة فيقولون هؤلاء خلف الخلف ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله عليهما السلام فيقول: يابني قد عملتم ما أمرتم به فادخلوا الجنة بغير حساب. مقاتل الطالبين ص ٨٨ وانظر الصاحب بن عباد: عنوان المعارف ص ٥٠.

(١) الشرح ٩/٨٨.

(٢) سورة الشورى، ٢٣. وأنظر تفسيرها القرطبي: الجامع ١٦/٢١-٢٣.

(٣) أنظر في ذلك المحب الطبرى: ذخائر العقبى ص ١٥٦-١٥٨. وأنظر الحاكم: المستدرك ٣/١٩٤،

١٩٦. المتقي الهندى: كنز العمال ١٣/١٠٨، ١١١-١١٤.

مكان آخر، فقال: ها هنا مراق دمائهم. فسأله رجل: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم، فقال الرجل: ما معنى ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم النار^(١).

- لما نزل الإمام كربلاء أخذ من ترابها فشمها ثم قال: واهأ لك ياثري! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، فسمعه هرثمة بن سليم، فلما كان أيام ابن زياد كان ضمن الجيش الخارج لحرب الحسين-عليه السلام- ، فلما وصل كربلاء عرف المكان وتذكر قول الإمام-عليه السلام- فترك الجيش وأنسحب^(٢).

- وفهم ابن أبي الحديد من قول الإمام عليه السلام «فالأرض لكم شاغرة وأيديكم فيها مبسوطة وأيدي القادة عنكم مكفوقة، وسيوفكم عليهم مسلطة، وسيوفهم عنكم مقبوضة» بأنه عليه السلام يرمي إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله، وكأنه يشاهد ذلك عياناً، ويخطب عليه ويتكلّم على الخاطر الذي سُنح له، والأمر الذي كان أخبر به^(٣).

- قال عليه السلام للبراء بن عازب^(٤): يا براء: أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره!

(١) الشرح ٣/١٧٠، ٧/٤٨. وأنظر: المنقري: صفين ١٤١-٢. المفید: الإرشاد ص ١٢٣. ابن طاووس: الملاحم والفتن ص ٩٢-٩٣. محمودي: نهج السعادة ١/١٣٢-١٣٢.

(٢) الشرح ٣/١٦٩-١٧٠. المنقري: صفين ص ١٤٠-١٤١. المفید: الإرشاد ص ١٢٣.

(٣) الشرح ٧/١١٧، ١٢٠. وأنظر النص في نهج البلاغة ص ١٥١.

(٤) هو من الأنصار ويعد من الصحابة، غزا مع الرسول عليه السلام أربع عشرة غزوة، وفتح الري، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع الإمام علي عليه السلام- ومات أيام مصعب بن الزبير: الكشي: رجال

ابن حجر: الأصابة ١/٤٦-٤٦. ابن حجر: الأصابة ١/٤٢-٤٣.

فقال البراء لا كان ذلك يا أمير المؤمنين. فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك: ويقول: أعظم بها حسرة! إذ لم أشهده وأقتل دونه^(١).

- وخطب عليه قائلاً: «سلوني قبل أن تفقدوني، فهو الله لا تسألوني عن فئة تضل مئة أو تهدي مائة إلا أنباتكم بناعقها وساقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله، وجميع شأنه». فقام إليه - تميم بن أسامه بن زهير بن دريد التميمي - فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال عليه: أما والله إني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أخْبرت بقيامك ومقالك، وقيل لي: إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطان يستفزك واية ذلك ان في بيتك سخلافاً يقتل ابن رسول الله عليه السلام ويحضر على قتله.

إن ما أخبر به الإمام عليه قد وقع حيث كان وقتها لتميم ولد يدعى - حصين^(٢) - طفلاً يرضع اللبن، وأصبح فيما بعد صاحب شرطة عبيد الله بن زياد فأرسله الأخير إلى عمر بن سعد يأمره بمحاربة الحسين عليه فقتل الحسين عليه بصيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته^(٣).

ولما قال عليه: «سلوني قبل أن تفقدوني» قال له أنس النخعي: أخبرني ما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر، فقال عليه: «والله لقد حدثني خليلي إن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك، وإن كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، وإن في بيتك سخلافاً يقتل ابن رسول الله عليه السلام، ولقد كان ابنه سنان^(٤)

(١) الشرح ١٠/١٥ . وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٢٣ . الاربلي: كشف الغمة ١/٢٨٢ .

(٢) ينظر الطبرى: تاريخ ٥/٣٧٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٥ - ٤٣٤ ، ٤٤٩ (متفرقة).

(٣) الشرح ١٠/١٤ - ١٥ . وانظر: الطبرى: اعلام الورى ص ١٧٤ .

(٤) ينظر: الطبرى: تاريخ ٥/٤٤٥ - ٤٦٨ .

يومها صغيراً و هو من اشترك في قتل الحسين عليهما السلام^(١).

قال رجل للإمام عليه السلام: «يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى^(٢)، فوجدت خالداً بن عرفة^(٣) قد مات، فاستغفر له». فقال عليهما السلام والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلاله، صاحب لواهه حبيب بن حمار، فقام رجل وقال: يا أمير المؤمنين: أنا حبيب بن حمار، واني لك شيعة ومحب. فقال عليهما السلام أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم. فقال له ثانية: والله انك لحبيب بن حمار؟ فقال: أبي والله. قال عليهما السلام: أما والله إنك لحاملاها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب - وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة. قال الراوي: فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليهما السلام وجعل خالد بن عرفة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل^(٤).

رابعاً: الخوارج:

حفل كلام الإمام الوارد في نهج البلاغة بالإشارات المستقبل الخوارج منذ

(١) الشرح ٢٨٦/٢ . وانظر المفيد: الإرشاد ص ١٢٣ . الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٤-١٧٥ .

(٢) وادي القرى: بين المدينة والشام وهو من اعمال المدينة، الحموي: معجم البلدان ٩-٣٣٨

. ٣٤٥/٥

(٣) هو منبني عذرة وحالفبني زهرة، شارك في القادسية. الطبرى، تاريخ ٣/٤٨٩ ، ٥٣٠-

٢، ٥٣٧، ٥٦٥، ٥٧٤، ٥٧٨، ٦١٩، ٥٣/٤، ٢٦٨/٥، ١٩/٦، ٧/٨٤. الحاكم: المستدرك

. ٣١٦. ابن حجر: الاصابة ١/٤١٠ .

(٤) الشرح ٢٨٦/٧-٢٨٦/١٢٣-١٢٢ . وانظر المفيد ص ١٢٢-١٢٣ . الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٥ . ابن

طاووس: الملحم ص ٩٢ . ابن حجر: الاصابة ١/٤١٠ وذكر الاصفهانى على إنها راية معاوية

. لما دخل الكوفة. مقاتل الطالبين ص ٤٦-٤٧ .

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦١
عصره إلى العصر العباسي.

- في لقاءه بالخوارج يوم النهروان، قال له أصحابه: إن القوم قد عبروا جسر النهروان فقال: مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة^(١).

هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة بالإشتهار ونقل الناس كافة له، لذا أصبح من معجزات الإمام عليه السلام، وأخباره المفصلة عن الغيب، والأخبار تنقسم على قسمين، فهناك الأخبار المجملة التي لا أعجاز فيها كما يفعل الملوك والإمراء عادة حيث يعدون أصحابهم بالنصر، فلا يدل وقوع ذلك على أخبار عن غيب يتضمن إعجازاً، أما الأخبار المفصلة عن الغيب مثل هذا الخبر، فإنه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، وقد وقع الأمر بعد المعركة كما أخبر به -عليه السلام- من غير زيادة أو نقص «وذلك أمر الهي عرفه من جهة رسول الله عليه السلام وعرفه رسول الله عليه السلام من جهة الله سبحانه وتعالى والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا، ولقد كان له من هذا الباب مالم يكن لغيره»^(٢).

- بعد معركة النهروان أمر أصحابه بالبحث عن جثة- المخدج ذي الثدية فلم يجده أصحابه، فقال: «ما كذبت ولا كذبت» وهذه إشارة لما أخبره الرسول عليه السلام: «إنك مقاتلهم، وقاتلهم، وإن المخدج ذا الثدية منهم، وأنك ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فلما إستبطأ الإمام عليه السلام وجود

(١) الشرح ٣/٥. وانظر: المفيد: الإرشاد ص ١١٨-١١٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة. ص ٩٣. الخوارزمي: المناقب ص ١٨٥.

(٢) الشرح ٥/٣، ٧/٤، ٤٨.

المخدج مع القتلى، وأشفق من دخول شبهه على أصحابه لما كان أخبرهم بقتله
قال: «ما كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ» أي ما كذبت على رسول الله عليه السلام . ولا كذبني رسول
الله عليه السلام (١) .

- وقال عليه السلام للخوارج: «أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً وسيفًا قاطعاً،
وأثره يتخذها الظالمون فيكم سنة». إن هذا الأخبار عن مستقبل الخوارج قد وقع،
حيث سلط الله عليهم بعد الإمام الشافعي ، والسيف القاطع، والأثر من
السلطان، وما زال حاكم يضمحل، حتى فني أكثرهم بسيف المهلب وبنيه (٢).
ولما قال أصحاب الإمام بعد النهروان «هلك القوم بأجمعهم» فقال عليه السلام:
«كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء وكلما نجم منهم
قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلائين» (٣).

وهذا إخبار صحيح فإن الخوارج لم يهلكوا جميعهم في النهروان، وإن
دعوتهم سيدعوا بها قوم لم يخلقوا أيام الإمام، وتحقق أيضاً نبؤة الإمام بأن
آخرهم لصوص سلائين، فإن دعوتهم اضمحلت، وفني رجالهم، حتى انقضى
الأمر بهم إلى أن صاروا قطاعاً للطرق متظاهرين بالفساد والفسق مثل الوليد

(١) الشرح ٦/١٣٠ . وانظر: الطبرسي: اعلام الورى ص ١٧٠ .

(٢) الشرح ٤/١٣٢ . ولمزيد من التفاصيل الشرح ٤/١٣٢ ، ٢٧٨-١٣٢ /٥ ، ١٢٩-٨٠ /٤ . وانظر المبرد:
الكامن ٣/٤٠٣-٤١٤ ، الطبراني التاريخ ٦/١١٩-١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٩٥-١٩٩ ، ٢١١ ، ٢١٥-٢١٥ ،

٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٨٤-٢٥٧ ، ٣٠٠-٣١١ .

(٣) الشرح ٥/١٤ . وانظر محمودي: نهج السعادة ٢/٣١٦ .

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦٣

ابن طريف الشيباني أيام الرشيد^(١)، وابن عمرو الخثعمي^(٢) أيام المتوكل
(٢٤٧-٢٣٢) الذي ذمه البحتري^(٣) في إحدى قصائده^(٤).

قال ابن أبي الحميد: «ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تم بهم صدق
قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إنهم نطف في اصلاح الرجال، وقرارات النساء):
عكرمة مولى ابن عباس^(٥) ... والمنذر بن الجارود العبدي^(٦) ومنهم يزيد بن
أبي مسلم^(٧) مولى الحجاج... و منهم صالح بن عبد الرحمن^(٨) صاحب ديوان
العراق. ومن ينسب إلى هذا الرأي من السلف جابر بن زيد^(٩) وعمرو بن

(١) الشرح ٥/٧٣-٤. وانظر: الطبرى: تاريخ ٨/٢٥٦. ابن خلkan: وفيات ٦/٣١-٣٤.

(٢) الشرح ٥/٧٦٧٤.

(٣) ديوان البحتري ٢/١٣٧٣.

(٤) الشرح ٥/٧٤-٧٦.

(٥) ذكر الشهريستاني انه من الخوارج. الملل ١/٢٨٥.

(٦) الشهريستاني: الملل ١/٢١٨. الطوسي: الفهرست ص ٧٠. الكشي: رجال ص ١٩٩.

(٧) هو مولى الحجاج وتولى خراج الكوفة والبصرة أيام الوليد بن عبد الملك سنة ٩٥ حتى عزله

سليمان سنة ٩٦ وقتل في افريقيا سنة ١٠٢ هـ. الطبرى: ٦/٤٩٣، ٣٧٤، ٥٠٦، ٦١٧.

(٨) ولاد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ على خراج العراق: الطبرى ٦/٥٠٦، ٥٠٨، ٥٢٢، ٥٢٥.

(٩) الطبرى: المنتخب ص ٦٤٦، ٦٧٩. أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/٨٥-٩١. الطوسي: الفهرست

ص ٧٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٧٢.

دينار^(١) ومجاهد^(٢) وأبو عبيدة معمر بن المشنى التميمي^(٣)، يقال: إنه كان يرى رأي الصفرية^(٤)، ومنهم اليهان بن رباب^(٥)، وكان على رأي البيهسية^(٦)، وعبد الله بن يزيد^(٧)، ومحمد بن حرب^(٨) ويحيى بن كامل^(٩)، وهؤلاء

(١) هو راوٍ وفقيه ومن خرج على الحجاج مع ابن الأشعث. الطبرى: تاريخ /١١٥، ٢٢٥، ٣٤٤، ٢١٩/٢، ٣٦٦، ٤٨٨/٦، ٣٤٥/٥، ٣٩/٤، ٣٢، ٢٤٠، ٩٠-٣٨٩، ٣٨٤، ٢١٩/٢، ٤٨٨/٦.

(٢) هو مجاهد بن جبر من الرواة في الفقه والتفسير، خرج على الحجاج مع ابن الأشعث، فحبسه الحجاج حتى مات الحجاج. وشارك في غزوة القسطنطينية عام ٩٨ مع مسلمة. الطبرى ٥٣٠، ٤٨٨/٦.

(٣) هو صاحب المؤلفات في اللغة والأخبار. ابن قتيبة: المعارف ص ٥٤٣. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٨٤. ابن النديم: الفهرست ص ٧٩-٨٠. ابن خلkan: وفيات ٥/٢٤٣-٢٣٥.

(٤) هي إحدى فرق الخوارج تنسب إلى زياد بن الأصفر. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٦٩. الملطي: التنبيه والرد ص ٥٢، ١٧٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٣-٥.

(٥) هو من زعماء الخوارج وله مؤلفات في ذلك اكثراً ردود على مخالفين. أنظر ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٦) نسبة إلى أبي بيته الميسن بن جابر الذي قتل أيام الوليد. الأشعري: مقالات الإسلاميين ١/١٧٧-١٨٢. الملطي: التنبيه ص ١٨٠. الشهرستاني: الملل ١/١٦٩-١٧٢.

(٧) هو من الخوارج الأباء، وله كتب في الرد على المعتزلة. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٨) هو من متكلمي الخوارج وله مؤلفات. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

(٩) كان مرجئياً ثم أصبح خارجياً وله مؤلفات في الرد على المخالفين. ابن النديم: الفهرست ص ٢٥٨. الشهرستاني: الملل ١/١٨٥.

اباضية^(١). وقد نسب إلى هذا المذهب أيضاً من قبل أبو هارون العبدى^(٢)، وأبو الشعثاء^(٣)، واسماعيل بن سميع^(٤) وهبيرة بن بريم^(٥) ونسب أبو العباس محمد بن يزيد المبرد^(٦)، إلى رأي الخوارج لاطنا به في كتابه المعروف -الكامل- في ذكرهم وظهور الميل منه إليهم^(٧).

خامساً: زوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية

في أكثر من نص نجد الإمام قد أشار إلى أن الدولة الأموية ستزول وتقوم مقامها الدولة العباسية، ومنها:

- «إن لبني أمية مروداً يجرون فيه، ولو قد أختلفوا فيما بينهم، ثم لو كادتهم الضياع لغليتهم».

إن الأخبار أعلى هو عن غيب صريح، فالأنمويون لم يزل ملوكهم منتظراً حينما لم يكن هناك اختلاف بينهم، بل حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية للإمام في صفين، وحرب يزيد لأهل المدينة في موقعة (الحرة)، وعبد الله بن الزبير في

(١) نسبة إلى عبد الله بن اباض وهي إحدى فرق الخوارج. الشهرستاني: الملل: ١٨٠ / ١ . ١٨٢

المطبي: التنبيه ص ٥٢ ، ١٧٨ .

(٢) الشهرستاني: الملل: ١ / ١٨٥ .

(٣) هو جابر بن زيد. الطبرى / ٥ ، ٢٢٤ ، ٢٣٧ ، أبو نعيم: حلية الاولياء / ٣ ٩١-٨٥ . الشهرستاني: الملل: ١ / ١٨٥ .

(٤) هو اسماعيل بن سميع. الطبرى: تاريخ / ٥ ٧٣ . الشهرستاني: الملل / ١ / ١٨٥ .

(٥) ترجمناه ص ٢٥٣ في نهاية موضوع الإمام علي عليه السلام والعلم الاهلي .

(٦) هو صاحب كتاب -الكامل في الأدب- وقد تحدث كثيراً عن الخوارج لذا اعتمدته ابن أبي الحميد كمصدر عن الخوارج. أنظر الكامل / ٣ ١٦٤ / ٤١٤ .

(٧) الشرح ٥ / ٧٦-٧٧ .

مكة، وحرب مروان بن الحكم للضحاك، وحرب عبد الملك بن مروان مع ابن الأشعث وابن الزبير، وحرب يزيد بن عبد الملك لبني المهلب، وحرب هشام بن عبد الملك لزيد بن علي، لكنه لما تولى الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وقتلها، أختلفت بنو أمية فيما بينها وجاء الوعد، وصدق من وعد به، فإنه منذ قتل الوليد دعت دعوة بني العباس بخراسان، وأقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوماً من بني أمية، وكان زوال ملتهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله، وأعظمهم فقراً ومسكناً، وفي ذلك تصدق قوله -عليه السلام- ثم لو كادتهم الضياع لغلبهم^(١).

- وقال عليه السلام بالمعنى نفسه: «فأقسم بالله يابني أمية عما قليل لتعرفنها في أيدي غيركم، وفي دار عدوكم». وقد وقع الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، فان الخلافة بقيت بأيديهم تسعين سنة ثم عادت للهاشميين، وإنthem الله منهم بأيدي أشد الناس عداوة لهم^(٢).

- وأشار ثالثة: فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وأدخله الظلمة ترحة، وأدلجوا فيه نسمة، فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر... فأقسم ثم أقسم لنتخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة، ثم لا تذوقها ولا تتطعم بطعمها أبداً، ما كرّ الجديدان».

وهذا النص أيضاً إخبار عن الدولة الأموية، وزوال أمرهم بعد تفاقم

(١) الشرح ٢٠/١٨٣-١٨٤

(٢) ٧/١١٧، ١٢٠-١٢١. وانظر المحمودي: نهج السعادة ١/٢٢٢-٣

الفصل الخامس: الإمام علي عليه السلام مصدر الفكر العربي ٦٦٧
أحوالهم. (١).

— وفي نص تنبأ الإمام لزوال الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية إذ يقول:
«ألا وإن أخواف الفتنة عندي عليكم فتنة بنى أمية فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها، وخصت بليتها، وأصابت البلاء من أبصر فيها، وأخطأت البلاء من عمي عنها، وأيم الله لتجدون بنى أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس، تعدم بفيهما، وتخبط بيدهما، وتزين برجلها، وتنعن درها، ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائير بهم. ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربها، والصاحب من مستصبحه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى ولا علم يرى، نحن أهل البيت منها بنجاة، ولسنا فيها بدعة، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم، بمن يسومهم خسفاً، ويسوقهم عنفاً، ويسبقهم بكأس مصبرة لا يعطيهم إلا السيف، ولا يخلصهم إلا الخوف، فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطوني» (٢).

— إنَّ كلام الإمام أعلاه إشارة إلى أن فتنة بنى أمية، سوف تعم الكل من حيث كانت رياضة شاملة لكل أحد، وحظ أهل البيت وشيعتهم من بلاءها أعظم، والذين لا يزالون الناس قتلاً حتى لا يتركوا الأمان ينفعهم أبقاءه، أو لا يضرهم تركه، حتى يكون إنتصار الناس منهم كانتصار العبد من مولاه، هذا يعني انهم لا يتتصرون منهم لأن العبد لا يتتصر من مولاه

(١) الشرح ٢١٨/٩.

(٢) الشرح ٤٥/٧.

أبداً. ولا يزال الأمر كذلك حتى ينفرج عنكم بمن يسومهم خسفاً ويوليمهم ذلاً، وهذا الكلام أخبار عن ظهور المسودة ورایات بنى العباس، وانقراض الدولة الأموية، وقد وقع الأمر كما أخبر عليه السلام - وصدق في قوله «لقد تود قريش» حيث إن الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بإزاره في صف خراسان: لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الرأية بدلاً من هذا الفتى^(١).

— وبعد أن أشار عليه السلام إلى «ضليل قد نعى بالشام» وهو إشارة إلى عبد الملك ابن مروان قال: «وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحسود». وهو كناية عن ظهور الدولة العباسية، وقوله عليه السلام (يحصد القائم ويحطم المحسود) كناية عن قتل الأمراء الأمويين في الحرب، وقتل المأسورين صبراً، فحصد القائمون هو قتل المحاربة، وحطم الحصيد هو القتل صبراً، وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن علي والسفاح^(٢).

سادساً: الدولة العباسية:

— ويرى بعض المعتزلة أن قوله عليه السلام «لتعطفن الدنيا علينا بعد شناسها عطف الضروس على ولدها» في هذا إشارة إلى خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، حيث أزالوا الدولة الأموية، وبهم عطفت الدنيا على بنى عبد المطلب عطف الضروس^(٣).

— أخبر عليه السلام عبد الله بن عباس بانتقال الأمر لأولاده، حيث لما ولد لعبد الله

(١) الشرح ٥٣/٧.

(٢) الشرح ٩٨/٧، ١٠١.

(٣) الشرح ١٩/٢٩.

حنكه الإمام بتمرة قد لا يكفيها ثم دفعه لأبيه قائلاً: «خذ اليك أبا الأملاء»^(١).

— أشار عليه السلام إلى مقتل محمد ذي النفس الزكية في «إنه يقتل عند أحجار الزيت»^(٢). قوله عن أخيه إبراهيم قتيل باخمرى^(٣) «يقتل بعد أن يظهر، ويظهر بعد أن يظهر» قوله فيه أيضاً « يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيما بؤساً للرامي: شلت يده ووهن عضده»^(٤).

— وتنبأ للأئمة من ولده في طبرستان^(٥) كالناصر^(٦) والداعي^(٧) وغيرهما بقوله: «إن لآل محمد بالطالقان»^(٨) كنزًا سيظهره الله إذا شاء، دعاوه حق، يقوم بأذن الله فيدعوا إلى دين الله»^(٩).

(١) الشرح ٧/٤٩-٥٠. وانظر: مؤلف مجهول: أخبار العباس، ص ١٣٤.

(٢) أحجار الزيت: موضع بالمدينة المنورة. الحموي: معجم البلدان ١/١٠٩.

(٣) باخمرى: موضع بين الكوفة وواسط. الحموي: معجم البلدان ١/٣١٦.

(٤) الشرح ٧/٤٨. وانظر ٣/٣٠٧-٣١٢. الأصفهانى: مقاتل الطالبين ١٥٧-٢٥٦.

(٥) طبرستان: من أقاليم بلاد فارس فتحت مدنهما منذ عهد الخليفة عثمان. الحموي: معجم البلدان ٤/١٣-١٦. الحميري: الروض ص ٣٨٣-٥.

(٦) هو الداعي ناصر الحق الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن الحسين بن علي. ابن النديم. الفهرست ص ٤-٢٧٣.

(٧) هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن الحسين بن علي أنظر: الهمذاني: تكميلة تاريخ الطبرى ص ٣٤٤. ابن النديم: الفهرست ص ٢٧٤. الشهري: الملل ١/٢١٨. ابن المرتضى: طبقات المعزلة، ص ١١٧.

(٨) الطالقان: بلدان في خراسان. الحموي: معجم البلدان ٤/٦-٨. الحميري: الروض ص ٣٨٠-١.

(٩) الشرح ٧/٤٨.

— وأشار إلى قتلـ وـ وج^(١)ـ وـ قولهـ فيـ هـمـ خـيرـ أـهـلـ الـأـرـضـ». (٢)
 — وـ تـنـبـأـ لـقـيـاـنـ الدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ (٣)، وـ اـشـارـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ أـنـ الـإـمـامـ عليهـ السلامـ صـرـحـ بـذـكـرـ قـبـيلـةـ كـتـامـةـ (٤)ـ الـتـيـ كـانـ لهاـ الدـورـ الـأـكـبـرـ فـيـ مـناـصـرـةـ الدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ—
 إـلـاـ أـنـهـ لـمـ يـشـرـ إـلـىـ النـصـ الـذـيـ ذـكـرـهـ— وـ قـوـلـهـ عليهـ السلامـ فـيـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ الـمـهـدـيـ: «ثـمـ يـظـهـرـ صـاحـبـ الـقـيـرـوـانـ الـغـضـ الـبـضـ، وـ الـنـسـبـ الـمـحـضـ، وـ الـمـتـجـبـ مـنـ سـلـالـةـ ذـيـ الـبـدـاءـ، وـ الـمـسـجـىـ بـالـرـدـاءـ». وـ قـدـ كـانـ عـيـدـ اللهـ الـمـهـدـيـ أـيـضـ مـتـرـفـاـ مـشـرـبـاـ بـحـمـرةـ،
 وـ خـصـ الـبـدـنـ، نـاءـ الـأـطـرـافـ، أـمـاـ ذـوـ الـبـدـاءـ فـهـوـ اـسـمـاعـيلـ بـنـ جـعـفرـ الصـادـقـ عليهـ السلامـ وـ هوـ الـمـسـجـىـ بـالـرـدـاءـ، لـأـنـ أـبـاهـ الـصـادـقـ عليهـ السلامـ قدـ سـجـاجـهـ بـرـدـائـهـ لـمـاـ مـاتـ، وـ اـدـخـلـ إـلـيـهـ
 وـ جـوـهـ أـصـحـابـهـ لـيـعـلـمـوـاـ مـوـتـهـ وـ تـزـوـلـ الشـبـهـةـ عـلـيـهـمـ فـيـ اـمـرـهـ (٥).

(١) أـسـمـ يـطـلـقـ عـلـىـ الطـائـفـ قـدـيـاـ، نـسـبـةـ إـلـىـ وـجـ بـنـ عـبـدـ الـحـيـ مـنـ الـعـالـقـةـ، وـلـمـ أـحـاطـهـاـ قـسـيـ وـهـوـ ثـقـيفـ بـطـوـفـ سـمـيـتـ الطـائـفـ. أـنـظـرـ: الـهـمـدـانـيـ: مـخـتـصـرـ كـتـابـ الـبـلـدـانـ، صـ٢ـ٢ـ. الـشـرـيفـ الرـضـيـ: الـمـجازـاتـ الـنـبـوـيـةـ صـ٦ـ٣ـ. الـحـمـوـيـ: مـعـجمـ الـبـلـدـانـ ٤ـ/ـ٩ـ، ٥ـ/ـ٣ـ٦ـ١ـ. الـحـمـيرـيـ: الـرـوـضـ الـمعـطـارـ صـ٦ـ٠ـ٨ـ، ٣ـ٧ـ٩ـ، ١ـ٧ـ.

(٢) الـشـرـحـ ٧ـ/ـ٤ـ٨ـ. لـمـ يـتـسـنـ لـيـ مـعـرـفـةـ قـصـدـ الـإـمـامـ، وـلـمـ يـوـضـعـ اـبـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ مـرـادـ الـإـمـامـ مـنـ قـتـلـ—
 وـجـ، وـقـدـ ذـكـرـ أـبـوـ عـدـيـ عـبـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الـعـبـلـ الـأـمـوـيـ الـقـرـشـيـ تـ١ـ٤ـ٥ـ، وـهـوـ شـاعـرـ
 مـخـضـرـمـ فـيـ الدـوـلـتـيـنـ الـأـمـوـيـةـ وـالـعـبـاسـيـةـ، وـمـنـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ، وـكـانـ فـيـ أـيـامـ الـدـوـلـةـ الـأـمـوـيـةـ يـذـمـهـمـ
 وـيـمـيـلـ لـبـنـيـ هـاشـمـ وـلـمـ آـلـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـعـبـاسـيـنـ اـكـرـمـوـهـ. وـقـدـ ذـكـرـ «ـوجـ»ـ فـيـ شـعـرـ لـهـ إـذـ =ـ يـقـولـ:

وـقـتـلـ بـوـجـ وـبـالـلـابـتـينـ
 مـنـ يـشـرـبـ خـيرـ مـاـ اـنـفـسـ

أـبـوـ الفـرـجـ: الـأـغـانـيـ ٤ـ/ـ٣ـ٣ـ٢ـ. وـلـمـ يـتـضـحـ لـيـ الـمـقصـودـ بـقـتـلـ وـجـ.

(٣) لـمـ زـيـدـ مـنـ التـفـاصـيلـ عـنـهـ، أـنـظـرـ: الـمـقـرـيـزـيـ، أـتـعـاظـ الـخـلـفـاـ بـذـكـرـ الـأـئـمـةـ الـفـاطـمـيـنـ الـخـلـفـاـ. الـمـقـرـيـزـيـ:

الـخـطـطـ ١ـ/ـ٤ـ٩ـ٦ــ٣ـ٤ـ٨ـ. حـسـنـ اـبـرـاهـيمـ حـسـنـ: تـارـيـخـ الـدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ.

(٤) إـحـدـيـ الـقـبـائـلـ الـمـغـرـبـيـةـ، أـنـظـرـ مـوـسـىـ لـقـبـالـ: دـورـ كـتـامـةـ فـيـ تـارـيـخـ الـدـوـلـةـ الـفـاطـمـيـةـ.

(٥) الـشـرـحـ ٧ـ/ـ٤ـ٩ـ.

— وتنبأ عليه السلام لبعض الحركات في العصر العباسي كحركة القرامطة بقوله: «ينحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقليل، واية ذلك قتلهم وارثنا وهجرهم أحداثنا».

إن ما أخبر به عليه السلام قد وقع — لأن القرامطة قتلت من آلبني طالب عدداً كثيراً. ويدرك أنــ أبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي^(١)ــ من بجيشه بارض الغري^(٢)ــ والخائز^(٣)ــ، ولم يزر أيهما ولا دخل ولا وقف. وأشارــ عليهــ إلى ما يفعلونه بالحجر الأسود: «كأني بالحجر الأسود منصوباً هاهناً، ويحتم إن فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه واسمه، يمكث ها هنا برهةــ وأشارــ إلى البحرينــ ثم يعود إلى مأواه، وام مثواه»ــ وقد وقع الأمر في الحجر الأسود حسبما أخبر به عليهــ^(٤).

ــ وفي كلامه عليهــ للأحنف بن قيس أشار بعض ما سيجري في البصرة، ومنها اشارته إلى ظهور حركة^(٥) الزنج «يا احنف، كأني به وقد سار بالجيش

(١) هو أحد زعماء القرامطة. أنظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الاعيان ١٤٨ / ١٥٠. ابن تغري: النجوم الظاهرة ٣ / ٢٢٥.

(٢) هو القطعة من الجبل، والشىء الحسن، وسمى الموقع الذي فيه مرقد الإمام علي عليه السلام. بالغري. الحموي: معجم البلدان ٤ / ١٩٨ - ٢٠٠.

(٣) هو الموضع الذي يتحير فيه الماء. وسمى مرقد الحسين عليه السلامــ بالخائز. الحموي: معجم البلدان ٢٠٨ / ٩.

(٤) الشرح ١٣ / ١٠ - ١٤. وعن أخذهم الحجر الأسود ثم ارجاعه أنظر: الهمداني: تكميلة تاريخ الطبرى ص ٤-٢٦٣، ٣٧١.

(٥) لمزيد من التفاصيل أنظر الطبرى: تاريخ الطبرى ٩ / ٤١٠ - ٦٦١. ناجي: تاريخ الطبرى مصدرأً عن ثورة الزنج ص ١١٦ - ١٥٧. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج ص ٣٧ - ٩٢. صاحب =

الذي لا يكون له غبار ولا جب، ولا قعقة لجم، ولا حمامة خيل، يشرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام» وأشار الشريف الرضا: إن الإمام يقصد بذلك حركة الزنج التي ظهرت في العصر العباسي (٢٥٥-٢٧٠)، وقد ترك ظهورها اثاراً سلبية على مدينة البصرة حيث يقول الإمام: «ويل لسکكم العامرة، والدور المزخرفة التي لها اجنحة كالجنة النسور! وخراطيم كخراطيم الفيلة؛ من أولئك الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غالبيهم»^(١).

وبناءً على ذلك بفتنه ترك اثار سلبية على مدينة البصرة^(٢) إذ يقول: «فتنه كقطع الليل المظلم، لا تقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدتها، ويحييدها راكبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم، يجاهدهم في الله قوم اذلة على المتكبرين، في الأرض مجاهلون، وفي السماء معروفون فوييل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله! لا رهيج له ولا حس، وسيبتل اهلك بالموت الأحمر، والجوع الاعبر».

وقد اختلفت الآراء في طبيعة هذا الجيش، ورأى البعض أن الإمام يقصد به حركة الزنج. ولكن ابن أبي الحديد لا يرى ذلك، لأن جيش الزنج كان ذا حس ورهيج خلاف ما وصفه الإمام أعلاه، وأنه انذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتنة، حيث لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على

=الزنج، ص ١١-٢٣.: فوزي: التاريخ الإسلامي ص ٣٢٣-٣٦٦.

(١) الشرح /٨ . ١٢٥ . ابن طاووس: الملائم ص ١٠١ ، ١٠٩ . تجدر الاشارة إلى أن ابن أبي الحديد تحدث بالتفصيل عن حركة الزنج واقتبس ما جاء لدى الطبرى ولكن يشار إلى انه حذف كثيراً مما جاء لدى الطبرى ولم يأت بشيء جديد ولم يبد أي تحليل للموضوع لذا فلا فائدة مما جاء به خاصة وإن الطبرى موجود لدينا. أنظر: الشرح /٨ . ١٢٦-١٤٢ . ناجي: تاريخ الطبرى ص ٨١-٨٢ .

(٢) ينظر سنن أبي داود /٤ . ١١٣-٤ .

الصفات التي ذكرها الإمام علي عليه السلام^(١).

— وتنبأ عليه السلام لظهور البوهين بقوله: «يخرج من ديلمان بنو الصياد» حيث كان أبوهم صياد سمك وهي مهنته التي يتقوت منها، فأخرج الله من صلبه ثلاثة ملوك، وأنشرت ذريته، ثم أشار عليه السلام لزيادة امرهم «ثم يستشري أمرهم حتى يملكون الزوراء، ويخلعوا الخلفاء». فقال له قائل: فكم مدتهم يا أمير المؤمنين؟ قال: مائة أو تزيد قليلاً. وقال عليه السلام فيهم: «المترف ابن الأجدم، يقتله ابن عمه على رجله» وفي هذا إشارة إلى عز الدولة بختيار^(٢) بن معز الدولة أبي الحسين، وكان معز الدولة أقطع اليد، قطع يده للنكوص في الحرب، وكان ابنه عز الدولة بختيار متراً، صاحب هو وشرب قتله - عضد الدولة فننا خسرو - ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب، وسلبه ملكه^(٣). وأما خلعهم للخلفاء العباسيين، فقد خلع معز الدولة - الخليفة العباسي المستكفي ورتب بدله المطبع^(٤)، وبهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ووضع مكانه القادر، أما مدة حكمهم فكان كما ذكر عليه السلام - بلغت مائة سنة وثلاث عشرة (٤٤٧-٣٣٤)^(٥).

— وقد تنبأ عليه السلام لظهور التتار بقوله «كأني اراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتان، ويكون هناك استحرار

(١) الشرح ٧/١٠٤.

(٢) عن بختيار أنظر: ابن الأثير: الكامل ٨/٥٧٥-٦٣١، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٩١. الشاعبي:

تيمية الدهر ٢/٢٦٠، أبو حيان: الامتناع والمؤانسة، ٣/٧٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧.

(٣) ينظر ذلك في ابن الأثير: الكامل ٨/٦٩١.

(٤) ينظر ذلك في ابن الأثير: الكامل ٨/٤٥٠-٤٥١.

(٥) الشرح ٧/٤٩.

قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت أقل من المأسور^(١).

قال ابن أبي الحديد: «وأعلم أن هذا الغيب الذي أخبر الله عنه قد رأيناه نحن عياناً، وقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونـه من أول الإسلام، حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا وهم التـار»^(٢).

وقد استنجد ابن أبي الحذيف من كلام الإمام «ويكون هناك استحرار قتل»
بأن الإمام أتى بالكاف، حيث إذا وقعت عقب الإشارة أفادت بعد، فنقول
للقريب هنا، وللبعيد هناك كما هو في لغة العرب إذ لو كان لهم استحرار قتل في
العراق فلا يقول: هناك، بل المفروض أن يقول: هنا لأنه-^{ليلة}- خطب خطبته
هذه في البصرة وهي بغداد ضمن بلد واحد وهو العراق. وعلق قائلاً: «فليم صح
هذا الموضع فإنه لطيف»^(٣).

إن ابن أبي الحديد كان وقت إحاطة المغول لبغداد يكتب شرح نوح البلاغة، وقد لاحظ أن جند بغداد قد حققوا بعض الانتصارات على المغول مما أدى لانسحاب المغول عن بغداد قبيل عام ٦٤٩هـ وهي السنة التي انتهى بها من الشرح. وقد تناصي ابن أبي الحديد أن بغداد أيام الإمام لم تكن موجودة، وأنه لا

(١) الشرح /٨٢٥ . وانظر التفاصيل الشرح /٨٢٤-٢١٨ . وورد كذلك في سنن أبي داود /٤١٢ .
ابن طاووس: الملاحم ص ١٠٩ . وتجدر الاشارة ان ابن أبي الحديد اعتمد في ما جاء لديه عن التمار على ما جاء لدى ابن الاثير في الكامل في التاريخ وإن كان ابن أبي الحديد قد أغفل الاشارة عنها في ذلك، وادعى أنه لم يسبقه أحد للكتابة عن التمار، وبعد المقارنة وجدنا ابن أبي الحديد ينقل مادته من ابن الاثير حتى سنة ٦٢٧هـ، أما ما جاء في الفترة (٦٤٣-٦٢٧) وهي قليلة جداً فلم يشر للمصادر ويمكن أن يكون هو مصدرها. قارن: الكامل في التاريخ /١٠ /٣٥٨-٥٠٤ .

. ٢١٨ / ٨) الشرح (٢)

٢٤١ / ٨) الشرح (٣)

يمكن استخدام ضمیر الإشارة القريب لمكان يبعد حوالي (٦٠٠) كم عن البصرة.
— وتنبأ عليه السلام لغرق مدينة البصرة بقوله: «كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبقها
الماء، حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤ جؤ طير في لجة بحر»^(١).

قال ابن أبي الحديد في شرحه: «أما أخباره اللهم بأن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر إن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبيقى مسجدها. وال الصحيح إن الخبر به قد وقع، فإن البصرة غرفت مرتين،مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله غرفت باجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤ جؤ الطائر، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين الله، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ^(٢)، وخرقت دورها، وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها وأخبار هذين الغريقين معروفة عند أهل البصرة، يتناقلها خلفهم من سلفهم» ^(٣).

- وتنبأ^{الله} لظهور العناصر الأجنبية وكثرتها بعد بناء مدينة بغداد، وما يتيح ذلك من تطور في الجوانب العمرانية إذ يقول: «إذا كثرت فيكم الأخلاط، وأستولت الأنباط، دنا خراب العراق، ذلك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار، فإذا غلت فيها الأسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، وأشتد البلاء، وتفاخر الغوغاء؛ دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلاء، وستكون قبل الجلاء أمور يتшиб منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، ويبهت

(١) الشرح ١/٢٥١. الخوارزمي: المناقب، ص ١٢١. ابن طاووس: الملاحم ص ١٠٢.

(٢) هو جبل قريب من البصرة، الحموي: معجم البلدان ٣ / ٢٦٠.

(٣) الشرح ١/٢٥٣. وانظر، الخوئي: الدرة النجفية ص ٧١.

اللبيب، يعاجلون بالسيف صلتا، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون، فيا لها مصيبة حينئذ! من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصريح، في ذلك أمر الله - وهو كائن»^(١).

- وأشار عليه السلام إلى ما يجري في مستقبل الزمان ما يكون سبباً في عدم الأمان: «ذلك عند ترد الإشرار، وطاعة أولى الخسار، ذاك أوان الحتف والدمار، ذاك ادبار أمركم، وإنقطاع أصل لكم، وتشتت الفتكم؛ وإنما كان ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسق، حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال؛ حين لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله في سمائه، حين تسكون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة وتكذبون من غير إراج. تتفكهون، وتبادرن بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزور، واعمالكم الغرور، فعند ذلك لا تؤمنون بآيات، فيا له من آيات ما أشد ظلمته! ومن صالح ما افظع صوته! ذلك بيان لا ينمّي صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبيانواع البلاء تضربون، وبالسيف تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعظكم البلاء كما يغضّ الغارب القتب^(٢). ياعجباً كل العجب، بين جمادى ورجب^(٣). من جمع أشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات... سبق القضاء.. سبق القضاء»^(٤).

- وأشار أنه سيأتي على الناس زمان تتقلب فيه الأمور الدينية إلى أضدادها

(١) الشرح ٦/١٣٤-١٣٥.

(٢) الغارب: كاحل البعير. والقطب: رحل صغير على قدر السنام: ابن منظور: لسان العرب ٢/١٣٦.

(٣) أول من قالها عاصم بن المشعر. حيث لما قتل الخنفي بن حشرم الشيباني أخوه عاصم وأسمه أبيده، في آخر يوم من أيام جمادى الآخرى، أراد عاصم أن يقتل الخنفي قبل هلال رجب فأدركه وقتلته وقال المثل الميدانى: مجمع الأمثال ٢/٢٤.

(٤) الشرح ٦/١٣٥.

ونقائضها، وقد شهد ذلك ابن أبي الحديد في عصره إذ يقول عليه السلام «سيأتي عليكم زمان يكفا فيه الإسلام كما يكفا فيه الإناء بما فيه»^(١). وقال أيضاً: «انه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس منه شيء أخفى من الحق. ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه...» وقد وقعت هذه الموصفات على عصر ابن أبي الحديد وعصر من كان قبله بشهادته.^(٢)

وقال عليه السلام أيضاً: « يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقة فيه عزماً، وصله الرحيم مناً، والعبادة أستطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الإماماء، وإمارة الصبيان وتدمير الخصيان»^(٣). -وتربأ- عليه السلام - لخروج جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف به^(٤).

سابعاً: الإمام المهدي:

شغلت فكرة الإمام المهدي^(٥) حيزاً في كلام الإمام علي عليه السلام وهو عليه السلام وإن لم

(١) الشرح ٧/١٠٠-١١٣.

(٢) الشرح ٩/١٠٤-١٠٥.

(٣) الشرح ١٨/٢٦٠. وانظر الحويي: الدرة النجفية ص ٣٦٢.

(٤) الشرح ٢/٢٩٥. وانظر: أبي داود: سنن ٤/١٠٨. ابن طاووس: الملاحم ص ٥٣.

(٥) عن فكرة المهدي: أنظر أبي داود: سنن ٤/١٠٦-١٠٩. الطبرسي: اعلام الورى ص ٣٨٠-

٤٧٨. سبط ابن الجوزي: تذكرة ٥-٣٦٣. ابن طاووس: الملاحم ص ١٣-٣٧. الاربلي:

كشف الغمة ٣/٢٣٣-٢٦٣. ابن كثير: البداية والنهاية ١/٣٧-٤١. الهيثمي: الصواعق

المحرقة ص ١٦٧-١٦٠. الصبان: اسعاف الراغبين ص ١٣٣-١٤٨. الشبلنجي: نور الابصار

ص ١٦٨-١٧٢.

يصرح به ولكن أشار له بالرمز، وقد وظف ابن أبي الحميد كلام الإمام بما يطابق وجهة نظر الإعتزال وإذا ما أشكل عليه يلجأ إلى التأويل أو طرح الإحتمالات. ومن النصوص الواردة في النهج بخصوص الإمام المهدى:

- «وبنا تختتم لا بكم»^(١).

- «فيما بن حرة الاماء، متى تنتظر، أبشر بنصر قريب من رب رحيم إلا فوييل للمتكبرين، عند حصاد الحاقدسين وقتل الفاسقين، عصاة ذي العرش العظيم، فبأبي وأمي من عدة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهرة. قد دنا حينئذ ظهورها»^(٢).

- «فأنصروا أهل بيته، فإن لمدوا فألدوا، وإن أستنصروكم فإنصروهם، فليفرجن الله الفتنة برجل من أهل البيت، بأبي ابن خيرة الاماء، لا يعطيهم الا السيف، هرجاً هرجاً، موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر، حتى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاماً ورفاتاً، ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقليلاً، سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً»^(٣)^(٤).

وبعد أن أشار الإمام عليه السلام إلى نفسه كناديه قال: «فلبشتكم بعده ما شاء الله، حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم»^(٥).

(١) الشرح ٢٨١ / ١.

(٢) الشرح ١٣٥ / ٦.

(٣) مأخوذه من قوله تعالى في سورة الأحزاب آية ٦٢.

(٤) الشرح ٢١٢-٢١١ ص ٥٨ / ٧.

(٥) الشرح ٢١٢ ص ٨٤ / ٧.

«يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن، إذا عطفوا القرآن على الرأي»^(١).

يا قوم هذا إبان ورود كل موعود، ودنو من طلعة ما لا تعرفون. ألا وإن من أدركها منا يسري فيها بسراج منير، ويحذر فيها على مثال الصالحين، ليحل فيها ربيقاً، ويعتق منها رقاً، ويتصدع شعباً، ويشعب صدعاً، وفي ستره على الناس لا يضر القائم^(٢) أثره، ولو تابع نظره^(٣).

«قد لبس للحكمة جنتها، وأخذها بجميع ادبها، من الاقبال عليها، والمعرفة بها، والتفرغ لها، فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترب إذا اغترب الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه، والصق الأرض بجرانه، بقيه من بقايا حجته وخلفة من خلافة الأنبياء»^(٤).

«إن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله أمام الحق من آل محمد عليهما السلام»^(٥).

«لتعطفن الدنيا علينا بعد شناسها عطف الضروس على ولدها»^(٦).

«إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيجتمعون إلى كما يجتمع فرع

(١) الشرح ٤/٩.

(٢) هو الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل باخيه وايهه. ابن منظور: لسان العرب.

. ٢٠٢/١١

(٣) الشرح ١٢٦/٩

(٤) الشرح ٩٥/١٠

(٥) الشرح ٤٥/١٣. وانظر أبو الفرج: مقاتل الطالبين ٤٤

(٦) الشرح ٢٩/١٩. وانظر الزمخشري: ربيع البار، ١/٨٠..

من خلال النصوص السابقة يطرح ابن أبي الحديد وجهة نظر المعتزلة في فكرة المهدى، فهو من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام اسمه اسم الرسول عليه السلام، ولكنه لم يخلق بعد - كما تقول الإمامية^(٢) - وانما سيخلقه الله آخر الزمان^(٣). ومن صفاتاته انه من ولد الحسين عليه السلام وانه اجل^(٤) الجبين، اقنى^(٥) الانف، ضخم البطن، أزيل^(٦) الفخذين، أبلغ الثنایا، بفخذه الأيمن شامة^(٧)، اما أمه فهي أم ولد حيث يقول عليه السلام «يابن خيرة الاماء»^(٨).

إنَّ الفترة السابقة لظهور المهدى تتميز بالفتنة والإضطرابات كخروج دابة الأرض، وفتنة الدجال، وظهور السفياني^(٩)، ولذانجد الإمام المهدى في بدء أمره

(١) الشرح ١٩/١٠٤ ..

(٢) عن رؤية الإمامية للمهدى أنظر المفيد: الإرشاد ص ٢٤٠-٢٥٤.

(٣) الشرح ١/٢٨١، ٩٤، ٥٩/٧، ٢٨١، ٩٦/١٠، ٤٥/١٦، ٩٦/١٩، ٤٥/١٠٥، ٢٩/١٩.

(٤) الأجل: الخفيف الشعري الذي انجل الشعر عن جبهته. ابن منظور: لسان العرب ٨/١٦٤-١٦٥.

(٥) هو ارتفاع في أعلى الأنف، واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه. ابن منظور: لسان العرب ٦٥/٢٠.

(٦) الازل: هو الخفيف الوركين، ابن منظور: لسان العرب ١٣/٣٢٨.

(٧) الشرح ٢-٢٨١. وانظر: ابن قتيبة: غريب الحديث ٢/١١٧. أبي داود: سنن ٤/١٠٧. ابن طاووس: الملاحم ص ١١٣. ابن منظور: لسان العرب ١٨/١٦٤. ابن كثير: نهاية البداية والنهاية ١/٣٩.

(٨) الشرح ٧/٥٨.

(٩) الشرح ٦/١٣٤، ٥-١٢٨/٩. وانظر أبي داود: سنن ٤/١١٥١٨. وابن كثير: نهاية البداية والنهاية ١/١٩٠، ٥٠-١٦٥.

مستتراً فترة من الزمن، وهذا ما يذهب إليه الإمامية، ولكن ابن أبي الحديد يرى أن هذا الإستار يتكون في آخر الزمان بعد أن يخلق إذ يقول: «ليس ذلك بنافع للإمامية في مذهبهم، إن ظنوا أنه تصرّح بقولهم، وذلك لأنّه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، ويكون مستتراً مدة وله دعاء يدعون إليه، ويقدرون امره ثم يظهر بعد ذلك الاستثار. ويملك المالك: ويقهر الدول ويعهد الأرض»^(١). أكّد الإمام علي عليه السلام أن المهدى لا يصرّه القائف، ولا يعرف اثراه حتى لو تابع النظر والتأمل^(٢).

وفي إشارته إلى أن المهدى سيقضي على الأمويين يأتي التساؤل: وهل هناك وجود لبني أمية آخر الزمان؟ هنا ابن أبي الحديد يطرح رؤيتين: الأولى: رؤية الإمامية. حيث يقولون بالرجعة^(٣)، ويرون إنه سيعاد قوم باعياً لهم إلى الدنيا من الأمويين وغيرهم، إذا ظهر المهدى فيقطع أيدي وارجل البعض ويسلّم عيون آخرين ويصلب وينتقم من أعداء آل البيت -عليهم السلام-.

الثانية: رؤية الاعتزال: إنَّ المهدى يظهر بعد ظهور السفياني الوارد في الأخبار الصحيحة^(٤) وهو من ولد أبي سفيان بن حرب بن أمية فيسطر على كثير من ممالك الإسلام، فيظهر المهدى ويقتلها ويقتل أنصاره، ثم ينزل السيد المسيح عليه السلام وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض، ويبطل التكليف-

(١) الشرح ٩-١٢٨/٩

(٢) الشرح ٩-١٢٦/٩

(٣) عن فكرة الرجعة، انظر: الخوارزمي: مفاتيح العلوم ص ١٨.

(٤) عن السفياني أنظر. سنن أبي داود ٤/١٠٧-١٠٨.

ويتحقق قيام الأجساد عند النفح في الصور^(١).

ويشير الإمام علي عليه السلام إلى أن أمر المهدى يكون أولاً مضطرباً ثم يستقر وفي هذا ما يؤيد رؤية الإمامية، إلا أن ابن أبي الحميد يرى، «لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدى الذي يظهر آخر الزمان مضطرباً بالأمر، منتشر الملك في أول مرة لمصلحة يعلمها الله تعالى ثم بعد ذلك يثبت ملكه وتنظم أموره»^(٢).

وقد اطلق الإمام لفظة حجة على المهدى وهو أيضاً ما يطابق رؤية الإمامية، فيما يرى ابن أبي الحميد إن لفظة (حجـة) غير مقتصرة على الإمامية، بل يطلقها أهل التصوف على أصحابهم، ويستخدمها أيضاً الفلاسفة، أما المعتزلة فيطلقونها على العلماء المؤمنين في كل عصر، لأنهم حجـج الله^(٣).

وأشار الإمام علي عليه السلام إلى بعض من سياسة المهدى، ومنها العمل بالقرآن وترك الرأي والقياس^(٤) وقد انفتقت الفرق الإسلامية على أن الدنيا والتکلیف لا تنقضی إلا بعد ظهور المهدى^(٥).

تجدر الاشارة إلى أن بعض ما تنبأ به الإمام -عليه السلام- وفسره ابن أبي الحميد، لم يشر إلى مصدر معلوماته، ولم يشر للدليل الذي يثبت قصد الإمام -عليه السلام- بأن هذا عبد الملك، أو الزنج أو التتار.

(١) الشرح ٥٩/٧.

(٢) الشرح ١٠٥/١٩.

(٣) الشرح ٩٨/١٠-٩٩. وانظر رد ابراهيم الخوئي: الدرة النجفية ص ٢١٣-٢١٢.

(٤) الشرح ٤٠/٩..

(٥) الشرح ٩٦/١٠.

وبعد هذا العرض لفكرة الإمام علي عليه السلام- يخلص ابن أبي الحميد^(١) للقول: «إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وإن قيل وعظ وتذكير، فهو أبلغ الواعظين والمذكرين، وإن قيل: فقهه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين وإن قيل عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والوحدين^(٢).

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

(١) الشرح ٢٠٣/٧

(٢) بيت لأبي نؤاس: ديوان أبي نؤاس ص ٤٥ . الشعالي: التمثيل والمحاضرة ص ٨٠ ..

ملحق رقم (١)

قصيدة لابن أبي الحديد

في مدح الإمام علي عليه السلام

وسرت بليل في عراصك خروع
الا وأنت من الاحبة بلقع
جون السحائب فهي حسرى ضلوع
صبري دثورك مذ محتك الادمع
حتى تبدل فهو أنكد أشنع
فيه فيشفعه ضلام أسفع
بيد الهوى فأنا الحررون فأتابعُ
ويصبح بي داعي الغرام فأسمعُ
عقباه إلا أنه لا يرجعُ
وأعز إلا في حراك فأخضعُ
في تلك الربي وأنا الجليل فأخنعُ

يارسم لارسمتك ريح زعنعُ
لم الف صدرى من فؤادي بلقعا
جارى الغمام مداععي بك فأنشت
لايمحك الهتن المثل فقد محا
ما تم يومك وهو أسعد أيامن
شروع الزمان يضيء صبح مسفر
لله درك والضلال يقودني
يقتادني سكر الصبابه والصبا
دهرا تقوض راحلا ما عيب من
يأيها الوادي أجلك واديا
واسوف تربك صاغرا وأذل

وعلى سبيلك و هي لحب مهیعُ
في غير اوجهه مطلع لا تطلع
والسمر تشرع في الوتين فتشروع
العقبان تردى في الشکيم وتترىع
والخو أزهرا بالعتبر مردعا
قيظ الخطوب به ربیع مرئ
أو مزنه في عارض لاتقلع
فكأن زنجيا هناك يجدع
أتراك تعلم من بارضك موعد
عيسي يقفه وأحمد يتبع
رافائيل والملا المقدس أجمع
لذوي البصائر يستشف ويلمع
المجتبى فيك البطين الانزع
بالخوف للبهم الكماه يقنع
فكأنها بين الا ضالع أصلع
واد يفیض و لا قلیب يتزع
ومفرق الاحزاب حيث تجموا
حتى تقاد لها القلوب تصدع
شرب الدماء بغله لا تنفع
يعلوه من نقع الملاحم برفعُ

(أسفى على معناك إذ هو غابة
أيام أنجم قضب دريه
والبيض تورد في الوريد فترتوى
والسابقات اللاحقات كأنها
والربع أنور بالنسيم مضمخ
ذاك الزمان هو الزمان كأنها
وكأنها هوروضة مطورة
قد قلت للبرق الذي شق الدجى
يابرق إن جئت الغري فقل له
فيك ابن عمران الكليم وبعده
بل فيك جبريل وميكال واس
بل فيك نور الله جل جلاله
فيك الإمام المرتضى فيك الوصي
الضارب الهم المقنع في الوغى
والسمهريه تستقيم وتنحنى
والمترع الحوض المدعع حيث لا
ومبدد الأبطال حيث تأبوا
والحبر يصدع بالمواعظ خاشعا
حتى إذا أستعر الوغى متلظيا
متجلبها ثوبا من الدم قانيا

زهد المسيح وفتكة الدهر الذي
 هذا ضمير العالم الموجود عن
 هذى الأمانه لا يقوم بحملها
 تأبى الجبال الشم عن تقليدها
 هذا هو النور الذي عذباته
 وشهاب موسى حيث أظلم ليله
 يامن له ردت ذكاء ولم يفز
 ياهازم الاحزاب لايشنيه عن
 يا قالع الباب الذي عن هزها
 لولا حدوثك قلت انك جاعل
 لولا ماتك قلت انك باسط
 ما العالم العلوى الا تربة
 ما الدهر إلا عبدك القن الذي
 أنا في مدحوك الكن لا اهتدى
 أقول فيك سميعد كلا ولا
 بل أنت في يوم القيمة حاكم
 ولقد جهلت و كنت احذق عالم
 وقد فضلت معرفتي فلست بعارف
 لي فيك معتقد ساكشف سره
 هي نفثة المصدور يطفئ بردها

أودى به كسرى وفوز تبع
 عدم وسر وجوده المستودع
 خلقاء هابطه واطلس أرفع
 وتضج تيهاء وتشفل يولع
 كانت بجهة آدم تتطلع
 رفعت له لالؤه تتشعشع
 بنظيرها من قبل إلا يوشع
 خوض الحمام مدجج ومدرع
 عجزت أكف أربعون وأربع
 الأرواح في الاشباح والمتنزع
 الأرزاق تقدر في العطا وتوسع
 فيها لجثتك الشريفه مضجع
 بنفوذ امرك في البريه مولع
 وأنا الخطيب المهزبri المصقع
 حاشا لمثلك أن يقال سميدع
 في العالمين وشافع ومشفع
 اغرار عزمك أم حسامك اقطع
 هل فضل علمك أم جنابك اوسع
 فليصح ارباب النهى وليسمعوا
 حر الصباة فاعذلوني أو دعوا

الدُّنيا ولا جمُوعَ البريه مجمُع
شهب كنسن وجن ليل أردع
والصبح ايض مسفر لا يدفع
و هو الملاذ لنااغدا والمفزع
سيضر معتقدا له أو ينفع
نعم المراد الرحب و المستربع
نار تشب على هواك و تلذع
خلقا وطبعا لا كمن يتطبع
أهوى لأجلك كل من يتثنى
مهديكم وليومه اتوقع
كاليم اقبل زاخر ايتدفع
مشهوره ورماح خط شرع
اسد العرين الربد لا تتکعکع
نفس تنا زعني وشوق ينزلع
بالطف حتى كل عضو مدمع
ما يستباح بها وماذا يصنع
نهب تقاسمه اللئام الرضع
يعنف بها والسياط تقنع
لكع على حنق وعبد اکوع
ـهن الخمار ويستباح البرقع

والله لولا حيدر ما كانت
من أجله خلق الزمان وضوئت
علم الغيوب إليه غير مدافع
إليه في يوم المعاد حسابنا
هذا إعتقدادي قد كشفت غطاءه
يا من له في أرض منزلي منزل
أهواك حتى في حشاشة مهجتي
وتکاد نفسي ان تذوب صبابه
ورأيت دين الإعتزال وأنني
ولقد علمت أنه لابد من
يحميه من جند الإله كتائب
فيها لال أبي الحديد صوارم
ورجال موت مقدمون كانهم
تلك المنى أما اغب عنها فلي
ولقد بكيت لقتل آل محمد
عقرت بنات الاعوجيه هل درت
وحريرم آل محمد بين العدا
تلك الضعائن كالاما متى تسق
من فوق أقطاب الجمال يسلها
مثل السبايا بل أذل تشق من

فمصحف في قيده لا يفتدي
 تالله لا أنسي الحسين وشلوه
 متلفعا حمر الثياب وفي غد
 طأ السنابك صدره وجبينه
 والشمس ناشرة الذواب ثاكل
 هفي على تلك الدماء تراق في
 بأبي أبو العباس أحمد أنه
 فهو الولي لثارها وهو الحمو
 الدهر طوع والشبيبة غضةُ
 فكريمة تسبي وقرط ينزع
 تحت السنابك بالعراء موزع
 بالخضر من فردوسه يتلفع
 والأرض ترجم خيفة وتضعضعُ
 والدهر مشقوق الرداء مقنعُ
 أيدي أمية عنوة وتضييع
 خير الورى من أن يطل ويمنعُ
 لُّ لعبتها إذ كل عود يضلُّ
 والسيف عصب والرؤاد مشيغُ

ف---رس
المصادر
والرجوع

فهرس

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

- القرآن الكريم

١. الإنجيل، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط٤، بيروت، ١٩٩٣.
- الآبى: أبو سعيد منصور بن الحسين ت ٤٢١هـ.
٢. نثر الدرر، تحرير: محمد علي قرنة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٤.
- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ.
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، بـ. محقـ. المكتبة الإسلامية، طهران، بـ. تـ.
٤. الكامل في التاريخ، بـ. محقـ. دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.
٥. اللباب في تهذيب الأنساب، بـ. محقـ. القاهرة، ١٣٨٦هـ. ابن الأثير:
أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم ضياء الدين الشيباني ٥٥٨ - ٦٣٧هـ.
٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحرير: احمد الحوفي- بدوي طباعة، ط٢، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٤ - ١٤٠٣ / ١٩٨٤ - ٨٣.
- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ٥٤٤ - ٦٠٦هـ.

٦٩٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحرير طاهر احمد الزاوي - محمود الطناحي، ط١، القاهرة، ١٩٦٣.

ابن أخي تبوك: أبو الحسين عبد الوهاب بن محمد بن الوليد ت ٣٩٦ هـ.

٨. مناقب علي بن أبي طالب، تحرير محمد باقر البهبودي، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٤ هـ.

الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت ٦٩٣ هـ.

٩. كشف الغمة في معرفة لأئمة، مط النجف، ١٣٨٤ هـ.

الازدي: أبو زكريا يزيد بن محمد ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ هـ.

١٠. تاريخ الموصل، تحرير علي حبيبه، القاهرة، ١٩٦٧.

الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله (كان حيا في ٢٤٨ هـ)

١١. أخبار مكة، تحرير رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، مكة المكرمة، ١٣٨٥ هـ.

ابن إسحاق: محمد ت ١٥١ هـ.

١٢. السير والمغازي، تحرير سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٧٨.

الاسكافي: أبو جعفر محمد بن عبد الله ت ٢٤٠ هـ.

١٣. نقض العثمانية منشور مع كتاب العثمانية للجاحظ، تحرير محمد عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٥.

الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٣٤ هـ

١٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المسلمين، تحرير محمد محبي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٥٠.

ابن أبي أصيبيعة: موقف الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ت ٦٦٨ هـ.

١٥. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء: شرح وتحقيق: د. نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥.

الآلوي: أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني ١٢١٧ - ١٨٠٢ / ١٢٧٠ - ١٨٥٤.

١٦. سرح الخريدة الغيبة في شرح القصيدة العينية، ب. محق. ط حجريه، شرحها في ١٢٧٠ هـ. ب. مكا. ب. ت.

امريء القيس بن حجر بن الحارث ٨٠ ق. هـ / ٥٤٥.

١٧. ديوان امرؤ القيس، تتح: محمد أبو الفضل، ط ٢، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨. ابن أنس: الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩) هـ.

١٨. الموطأ، تتح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٧.

الأنصاري: حسان بن ثابت ت ٤٥٥ هـ / ٦٧٤ م.

١٩. ديوان حسان بن ثابت، ب. محق، بيروت، ١٩٦٦.

الأنصاري: كعب بن مالك ت ٥٥٠ هـ / ٦٧٠ م.

٢٠. ديوان كعب بن مالك، دراسة وتح، سامي مكي العاني، بغداد، ط ١، ١٩٦٦.

٢١. الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣ هـ.

٢٢. البحترى: تصحيح: الأب ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، بيروت، ١٩٥٧.

البحترى: الوليد بن عبيد ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ.

٢٣. ديوان البحترى، تتح: حسن كامل الصيرفي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

- البحرياني: ميشم بن علي ت بعد ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م.
٢٤. شرح نهج البلاغة، ب. محق، مؤسسة النصر، طهران، ١٣٧٨ - ١٣٨٤ هـ.
- البحرياني: يوسف بن أحمد ت ١١٨٦ هـ.
٢٥. لؤلؤة البحرين: تح: محمد صادق بحر العلوم، مط النعيمان، النجف، ب. ت.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).
٢٦. الصحيح، الطباعة المنيرية، مصر، ب. ت.
- البرقي: أبو جعفر احمد بن أبي عبد الله ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م.
٢٧. الرجال، تح: السيد كاظم المياومي، طهران، ١٣٨٣ هـ.
- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ت ٤٢٩ هـ.
٢٨. الفرق بين الفرق، تح: محمد زاهد الكوثري، ب. مكا. ١٣٢٧ هـ.
- البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩ هـ.
٢٩. البغدادي: لاع، تح: علي محمد البحاوي، ط١، القاهرة، ١٩٥٥،
- البغدادي: عبد القادر بن عمر ١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ.
٣٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط١، بولاق، ب. ت.
- ابن بكار: الزبير (١٧٢ - ٢٥٦ هـ)
٣١. جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح، محمود محمد شاكر، مط المدنى، القاهرة، ١٣٨١ هـ.
٣٢. الأخبار الموقفيات، تح: سامي مكي العاني، بغداد، ١٩٧٢.
- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ.
٣٣. معجم ما أستعجم، تح: مصطفى السقا، ط١، القاهرة، ١٩٤٥ - ١٩٤٩.
- البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ.

فهرس المصادر والمراجع ٦٩٧

- . ٣٤. أنساب الأشراف، ج ١، تحرير: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ب. ت.
- . ٣٥. أنساب الأشراف، ج ٢، تحرير: محمد باقر المحمودي، ط ١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٤.
- . ٣٦. أنساب الأشراف، ج ٣، تحرير: محمد باقر المحمودي، ط ١، بيروت، ١٩٧٧.
- . ٣٧. أنساب الأشراف، ج ٥، تحرير: جوتين، برييس، ١٩٣٦.
- . ٣٨. فتوح البلدان، تحرير: علي بهجت، ط ١، القاهرة، ١٩٠١.
البلخي: أبي القاسم الكعبي ت ٣١٩ هـ.
- . ٣٩. باب ذكر المعتزلة من كتاب مقالات الإسلاميين، تحرير: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.
- . ٤٠. البلوي: أبو الحجاج يوسف بن محمد بن محمد ٥٢٩هـ - ١١٣٥هـ / ١٢٠٧ - ١٢٠٧هـ.
- . ٤١. ألفباء، ب. محق، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٧هـ.
البيضاوي: ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ت ٧٩١هـ.
- . ٤٢. تفسير البيضاوي، ب. محق، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
البيهقي: إبراهيم بن محمد ق ٤هـ.
- . ٤٣. المحاسن والمساوئ، ب. محق، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ.
- . ٤٤. السنن الكبرى. بلا محقق، ط ١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٢هـ.
- . ٤٥. صحيح الترمذى بشرح ابن العربي المالكى، ب. محق. ط ١، الأزهر، ٣١-٣٤.
- . التسترى: محمد تقى

- ٦٩٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٤٦. بحث الصياغة في شرح نهج البلاغة، طهران، ط١، ١٤١٨ هـ.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف ٨١٣-٨٧٤ هـ
٤٧. النجوم الزاهرة، ط١، تحرير: احمد العدوى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦.
- أبو تمام الطائي: حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م.
٤٨. ديوان أبي تمام، شرح وتعليق: د. شاهين عطية، ط١، بيروت، ١٩٦٨.
- التهانوي: محمد أعلى بن علي ت ١١٥٨.
٤٩. كشاف اصطلاحات العلوم، بيروت، ١٩٦٦.
- ابن تيمية: أبو العباس احمد بن تيمية الحراني ت ٧٢٨ هـ.
٥٠. منهاج السنة النبوية، ط١، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، ١٣٢١ هـ.
- التعالبي: أبو منصور عبد الملك (٣٥٠-٤٢٩ هـ).
٥١. تتمة يتيمة الدهر، شرح وتح: مفید محمد قمیحة، ط١، بيروت، ١٩٨٣.
٥٢. التمثيل والمحاضرة، تحرير: عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.
٥٣. يتيمة الدهر، شرح وتح: مفید محمد قمیحة، ط١، بيروت، ١٩٨٣.
- التعالبي: عبد الرحمن بن مخلوف ت ٨٧٥ هـ.
٥٤. الجوادر الحسان في تفسير القرآن، بـ. محق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، بـ.
- ت.
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠-٢٥٥ هـ)
٥٥. البيان والتبيين، تحرير: عبد السلام محمد هارون، ط٥، القاهرة، ١٩٨٥.
٥٦. الحيوان، تحرير: عبد السلام محمد هارون، ط١، مصر، ١٩٣٨-١٩٤٥.
٥٧. رسائل الجاحظ، تحرير: السندي، ط١، القاهرة، ١٩٣٣.

٥٨. رسائل الجاحظ السياسية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٥٩. رسائل الجاحظ الكلامية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٠. رسالة استحقاق الإمامة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦١. رسالة الأوطان والبلدان، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٢. رسالة الحكمين، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٣. رسالة صناعة الكلام، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٤. رسالة العثمانية، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٥. رسالة في فضلبني هاشم على عبد شمس، ضمن رسائل الجاحظ السياسية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٦. رسالة في فضلبني هاشم علىبني عبد شمس، ضمن رسائل الجاحظ للستندي، ط١، ١٩٣٣، ص٦٧١٦.
٦٧. رسالة في خلق القرآن، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٨. رسالة في النابتة، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، تتح: علي أبوملحم، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
٦٩. العثمانية، تتح وشرح: عبد السلام محمدهارون، دار الكتاب العربي، مصر

- ٧٠٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد . ١٩٥٥
- الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي ٧٤٠-١٣٤٠ هـ / ١٤١٣-١٣٤٠ م.
- ٧٠ . التعريفات، ب. محق. الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧١ .
- الجزري: شمس الدين أبو الحسن محمد بن محمد ت ٨٣٣ هـ
- ٧١ . غاية النهاية في طبقات القراء، عني بشره بر جستراسر، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م.
- الجهمي: أبو عبد الله محمد بن عبد ربہ ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م.
- ٧٢ . الوزراء والكتاب، تحرير: مصطفى السقا وآخرين، ط١، القاهرة، ١٩٣٨ .
- ابن الجوزي: جمال الدين: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥١٠ هـ / ٥٩٧ م.
- ٧٣ . صفة الصفوة، تحرير: محمود فاخوري محمد رواسی قلعه جی، ط٢، دار المعرفة،
- . ١٩٧٩ .
- ٧٤ . مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحرير: زينب القاروطة، ط١، بيروت، . ١٩٨٠ .
- ٧٥ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ب. محق، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠ .
- الجوهري: إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ / ١٠٣ م.
- ٧٦ . الصحاح، تحرير: احمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٦ .
- الجويني: إبراهيم بن محمد ت ٦٤٤ هـ / ٧٣٠ م.
- ٧٧ . فرائد السمطين، تحرير: محمد باقر المحمودي، ط١، بيروت؛ ١٩٧٨ م.
- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن ت ٣٢٧ هـ
- ٧٨ . كتاب الجرح والتعديل، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٢ / ١٩٥٣ م.
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦١ هـ .
- ٧٩ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح: محمد شرف الدين

- بالتقايا رفعت بيلكه الكلبيسي، ب. مكا، ١٩٤١.
- الحاكم الجشمي: أبو السعد المحسن بن محمد ت ٤٩٤ هـ
٨٠. الطبقتان الحادية عشره والثانية عشرة من كتاب سرح العيون، نشر مع كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحر: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.
- الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ٣٢١ هـ / ٩٣٣ - ١٠١٤.
٨١. المسحيب: لى الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن حبيب: محمد البغدادي تما بعد ٢٧٩ هـ
٨٢. أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، منشور ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة السادسة، تحر: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة، ١٩٥٤ ص ١٠٦ - ٢٣٥.
٨٣. المحبر، تحر: أيلزه ليختن شتير، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٤٢.
٨٤. المنق، تحر: خورشيد احمد فاروق ؛ ط١، حيدر اباد الدكن ساہند، ١٩٦٤ هـ / ١٣٨٤ م.
- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي ت ٧٧٣ هـ / ٨٥٢.
٨٥. الاصادبة في تميز الصحابة، ط١ مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨ هـ
٨٦. تقريب التهذيب، ت؛ عبد الوهاب عبد اللطيف، المدينه المنوره، ١٣٨٢ هـ.
٨٧. تهذيب التهذيب، ط١، بـ. محق، حيدر اباد - الدكن، الهند، ١٣٢٥ هـ
٨٨. لسان الميزان، بـ. محق، ط١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ.

- ٧٠٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- . ٨٩ . ابن أبي الحميد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٦٥٦-٥٧٦هـ)
- . ٩٠ . شرح نهج البلاغة، تحرير: محمد أبو الفضل، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧
- . ٩١ . القصائد السبع العلويات، شرح: محمد صاحب المدارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥.
- الحريري: أبو القاسم بن علي ت ٤٤٦-٤٤٦هـ
- . ٩٢ . المقامات، تحرير: عيسى سبابا، بيروت، ١٩٦٥
- ابن حزم: أبو محمد بن أحمد ت ٤٥٦هـ
- . ٩٣ . جمهرة انساب العرب، ت؛ عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١
- . ٩٤ . الفصل في الملل والآهواء والنحل، تحرير: محمد ابراهيم نصر عبد الرحمن عميرة، ط١، الرياض، ١٩٨٢
- الخلبي: علي بن برهان الدين الشافعی (٩٧٥-١٥٦٧هـ) / ١٤٤٠هـ
- . ٩٥ . السيره الخلبيه، بـ. محق، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٩٧١
- الخلي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦هـ)
- . ٩٦ . رجال العلامة الخلي، تحرير: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط٢، النجف، ١٩٦١
- . ٩٧ . كشف اليقين، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١هـ
- الحموي: ياقوت ٦٢٦هـ
- . ٩٨ . معجم الادباء، ط الاخيره، مكتبة عيسى الخلبي، مصر ١٩٣٦
- . ٩٩ . معجم البلدان، بـ. محق، بـ. ط. بيروت، ١٩٥٧-١٩٥٥
- الحميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (٤٢٠-٤٨٨هـ)

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٣

١٠٠. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، تتح: ابراهيم الأبياري، ط٢، ١٩٨٩. بيروت، ١٩٨٩.
- ابن حمیر: توبۃ ت ٨٥ هـ
١٠١. دیوان توبہ بن حمیر، تتح: خلیل العطیه، بغداد، ١٩٦٨.
- الحمیری: السيد إسماعیل بن محمد (١٠٥ ١٧٣ هـ)
١٠٢. دیوان السيد الحمیری، جمع وتح: شاکر هادی شکر، دار مکتبة الحیاة، بیروت، ب. ت.
- الحمیری: محمد بن عبد المنعم ت ٧٢٧ هـ
١٠٣. الروض المعطار في خبر الاقطار، تتح: احسان عباس، بیروت، ١٩٧٥.
- ابن حنبل: أبو عبد الله احمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ)
١٠٤. المسند، ب. محق. القاهره، ١٨٩٦ م.
- الحنبلی: أبو الفلاح عبد الحی بن العماد ت ١٠٨٩ هـ.
١٠٥. شدرات الذهب في اخبار من ذهب، ب. محق. مکتبة القدسی، ١٣٥٠ هـ ١٣٥١ هـ
- أبو حیان التوحیدی: علي بن محمد ت نحو ٤٠٠ هـ
١٠٦. الامتعة والمؤانسة، صصححه: احمد امین و احمد الزین، بیروت، ١٩٥٠ هـ ١٩٥١.
- الخطیب البغدادی: أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ هـ
١٠٧. تاريخ بغداد، ب. محق. مط السعادۃ، القاهرۃ، ١٩٣١.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت ١٤٠٦ هـ / ٨٠٨ م.
١٠٨. العبر و دیوان المبتدا و الخبر، دار الكتاب اللبناني، بیروت، ١٩٥٩.

- ٧٠٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ١٠٩ . المقدمه، ب.محق. ط٢، بيروت، ١٩٦١.
- ابن خلkan: أبو العباس احمد بن محمد (٦٠٨ - ٦٨١ هـ).
- ١١٠ . وفيات الاعيان، تج: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ٦٨ - ١٩٧١.
- الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف هـ٣٨٧
- ١١١ . مفاتيح العلوم، ب.محق. ط١ مصر، ١٣٤٢ هـ.
- الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد البكري (ت القرن السادس الهجري)
- ١١٢ . المناقب، قدم له: محمد رضا الخرسان، النجف، ١٣٨٥ هـ.
- الخوانساري: محمد باقر الموسوي ت ١٣١٣ هـ.
- ١١٣ . روضات الجنات، تج: أسد الله إسماعيليان، بيروت، ١٣٩٠ - ١٣٩١ هـ.
- الخياط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد (ت ٣٠٠ هـ)
- ١١٤ . الانتصار، تصحيح: نيرج، بيروت، ١٩٥٧.
- ابن داود الحلي: تقي الدين الحسن بن علي (فرغ من الكتاب هـ٧٠٧).
- ١١٥ . الرجال، نشر: جلال الدين الحسيني، طهران، ١٣٨٣ هـ.
- أبو داود: سليمان بن الأشعث (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)
- ١١٦ . سنن أبي داود، تج: محمد محى الدين عبد الحميد، بيروت، ب. ت.
- الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن احمد ٩٤٥ هـ
- ١١٧ . طبقات المفسرين، ط١، بيروت، ١٩٨٣.
- دحلان: احمد زيني ت ١٣٠٤ / ١٨٨٦ م.
- ١١٨ . أنسى المطالب في نجاة أبي طالب، تعليق: علي بن الحسين الماشمي، طهران، هـ١٣٨٢
- ١١٩ . السيره النبوية والآثار المحمدية، بهامش السيرة الخلبية، ب.محق. القاهرة،

- الدميري: كمال الدين ت ٨٠٦ هـ.
١٢٠. حياة الحيوان الكبرى ب.محق. المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٦.
- الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٦٦ هـ ١٥٥٩.
١٢١. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، ١٢٨٣ هـ.
- ابن الديبغ: عبد الرحمن بن علي ت ٩٤٤ هـ.
١٢٢. تيسير الوصول إلى جامع الأصول، ب.محق. مصر، ١٩٣٤.
- الديلمي: الحسن بن أبي الحسن ت ٨٤١ هـ.
١٢٣. إرشاد القلوب، دار الشري夫 الرضي، ١٤١٢ هـ.
- الديلمي: مهيار ت ٤٢٨ هـ.
١٢٤. ديوان مهيار الديلمي، تحر: احمد نسيم، ط١، القاهرة، ١٩٢٥.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد ١٣٤٧ هـ / ٧٤٨ م.
١٢٥. تذكرة الحفاظ، تحر: عبد الرحمن بن يحيى المعلميس، ط٤، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٤.
١٢٦. تجريد أسماء الصحابة، بمحق، دار المعرفة، بيروت، بـ ت.
١٢٧. تلخيص المستدرك على الصحيحين، ط١، بهامش المستدرك، تحر مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
١٢٨. دول الإسلام، ب.محق، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦٤ هـ.
١٢٩. العبر في خبر من غبر، تحر: ابوهاجر محمد السعيد بيروت، دار الكتب العلمية، بـ ت.
١٣٠. معرفة القراء الكبار، تحر: محمد سيد جاد الحق، ط١، القاهرة،

٧٠٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

. ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م.

١٣١ . ميزان الاعتدال، تحرير: علي محمد البجاوي، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية،
١٩٦٣.

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت بعد ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م.

١٣٢ . مختار الصحاح. ب.حق، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢

الراوندي: قطب الدين ت ٥٧٣ هـ.

١٣٣ . الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم، ب.ت.

١٣٤ . أبو رشيد النيسابوري: سعيد بن محمد بن سعيد ت حوالي ٤٠٠ هـ.

١٣٥ . المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تحرير: د. معن زياده رضوان

السيد، ط١ ، بيروت، ١٩٧٩.

ابن رشيق: أبو علي الحسن ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م.

١٣٦ . العمدة، تحرير: محمد محبي الدين عبد الحميد، ط٤ ، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٢

ابن زبالة: محمد بن الحسن ت ١٩٩ هـ.

١٣٧ . منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ تحرير: اكرم ضياء العمري، ط١ ، المدينة المنورة، ١٩٨١.

الزبيري أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (١٥٦ - ٢٣٦ هـ)

١٣٨ . نسب قريش، تحرير: ليفي برو فنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.

أبو زرعه الرازي: عبيد الله بن عبد الكريم ٢٠٠ - ٨١٥ هـ / ٢٤٦ - ٨٧٨ م.

١٣٩ . الضعفاء، دراسة وتحقيق: سعدي الهاشمي، ط١ ، المدينة المنورة، ١٩٨٢.

الزنخري: جار الله محمود بن عمر ت ٥٢٨ هـ

١٤٠ . ربیع الابرار ونصوص الاخبار، تحرير: سليم النعيمي، مط العاني، بغداد،

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٧
١٩٨٢.

١٤١. الفائق في غريب الحديث، تتح: علي محمد البحاوي محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، القاهرة، ١٩٤٥-١٩٤٨.
١٤٢. كتاب الامكنة والمياء، تتح: ابراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٤٧
١٤٣. الكشاف عن حقائق وغواصات التنزيل وعيون الاقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت.
- زين العابدين: علي بن الحسين ٣٨-٩٥ هـ
١٤٤. الصحيفة السجادية، بخط الحاج يحيى سلوم السامرائي، بغداد، ب. ت. ابن الساعي: أبو طالب علي بن أنجب ٦٧٤-١٢٧٥ هـ
١٤٥. الجامع المختصر، تتح: مصطفى جواد، بغداد، ١٩٣٤.
- سبط ابن الجوزي: يوسف بن قراغلي بن عبد الله البغدادي ٥٨١-٦٥٤ هـ.
١٤٦. تذكرة الخواص، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، النجف، السبكي: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت ٧٧١ هـ
١٤٧. طبقات الشافعية الكبرى، ب. محق. ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٢٤ هـ. ابن سعد: محمد ت ٢٣٠.
١٤٨. الطبقات الكبرى: تتح: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٨.
- السكتواري: علي دده بن مصطفى الملقب بشيخ التربة، ت ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م.
١٤٩. محاضرة الاوائل ومسامرة الاخر، ب. محق. ط١، المطبعة العامرية الشرقية، السلمي: عرام بن الاصبغ ت نحو ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م. ١٣١١ هـ.

- ٧٠٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ١٥٠ . أسماء جبال تهامة وسكانها، تح: عبد السلام هارون، ط١، ١٩٥٥، منشور ضمن نوادر المخطوطات، المجموعه الثامنة، ص ٣٧٤ - ٣٨٨.
- السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين ت ٤١٢ هـ
- ١٥١ . طبقات الصوفية، تح: نور الدين شريعة، ط١ دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٣ هـ / ١٣٧٢ م.
- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م.
- ١٥٢ . الانساب، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٦٢ - ١٩٧٨.
- السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ٥٠١ - ٥٨١ هـ.
- ١٥٣ . الروض الآنف، مط الجمالية، مصر، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤.
- ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله (٣٧٠ - ٩٨٠ هـ / ٩٧٣ - ٤٢٨ م).
- ١٥٤ . الاشارات والتنبيهات، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥ - ١٩٥٨.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٤٩ - ٩١١ هـ
- ١٥٥ . الإتقان في علوم القرآن، بـ. محق، القاهرة، ١٣٦٨ هـ.
- ١٥٦ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، تصحيح: محمد أمين الخانجي، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.
- ١٥٧ . تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، بيروت، ١٩٥٢.
- ١٥٨ . التعظيم والمنة في أن أبي رسول الله في الجنة، بـ. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
- ١٥٩ . الجامع الصغير، شرح: محمد عبد الرؤوف المناوي، ط١، مصر، ١٩٣٨ م.

- فهرس المصادر والمراجع ٧٠٩
١٦٠. الخصائص الكبرى، تحرير: محمد خليل هواس، مطب المدنى، مصر، ١٩٦٧.
١٦١. الدر المنشور في التفسير بالمؤشر، ب. محق. بغداد، ١٣٧٧ هـ.
١٦٢. الدرج المنيف في الآباء الشريفة، ب. محق، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
١٦٣. السبل الجليلة في الآباء العلية، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤.
١٦٤. شرح شواهد المغني، تعليق: احمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، ب. مكا، ب. ت.
١٦٥. مسالك الحنفاة في ولدي المصطفى ﷺ، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
١٦٦. مقامه السندينية في النسبة المصطفوية، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
١٦٧. الوسائل إلى مسامرة الأوائل، ب. محق. مطب النجاح، بغداد، ١٩٥٠.
١٦٨. نشر العلمين المتيقن في إحياء الآبوين، ب. محق. ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
- الشابستي: أبو الحسن علي بن محمد ت ٩٩٨ هـ / ٣٣٨ م.
١٦٩. الديارات، تحرير: كوركيس عواد، مطب المعارف، بغداد، ١٩٥١ م. الشافعى: محمد بن ادريس (١٥٠ هـ ٢٠٤)
١٧٠. الام، تصحيح: محمد النجار، ط٢، بيروت، ١٩٧٣.
- أبو شامة المقدسي: شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ.
١٧١. ذيل الروضتين، تحرير: محمد زاهد الكوثري، ط١، دار الكتب الملكية، القاهرة، ١٩٤٧.

- ٧١٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- الشريف الرضي: أبو الحسن بن الحسين (٣٥٩-٩٧٠ هـ / ١٤٠٦-١٥١٥ م).
١٧٢. حقائق التاویل في مشابه التنزیل، شرح: محمد رضا آل کاشف الغطاء، بیروت، ب. ت.
١٧٣. خصائص الأئمة، ب. محق، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
١٧٤. خصائص الأئمة، ب. محق، النجف، ١٣٩٦ هـ.
١٧٥. دیوان الشريف الرضی، ب. محق، بیروت، ١٩٦١.
١٧٦. المجازات النبوية، تحریر: طه محمد الزینی، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٧.
١٧٧. نهج البلاغة، ضبط نصه: صبحي الصالح، ط١، بیروت، ١٣٨٧ / ١٩٦٧.
- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين علم الهدى (٣٥٥-٤٣٦ هـ).
١٧٨. تنزیه الأنبياء والائمه، ط٣، النجف، ١٩٧٤.
١٧٩. الشافی في الامامة، ب. محق. ط حجرية، ب. مکا، ١٣٠١ هـ.
١٨٠. القصيدة المذهبة للسيد الحمیری، تحریر: محمد الخطیب، ط١، دار الكتاب الجديد، بیروت، ١٩٧٠.
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكریم ت ٤٨ هـ ٥٤٥.
١٨١. الملل والنحل، بهامش الفصل في الملل والاهواء والنحل، ب. محق. ب. مکا. ب. ت.
- الصاحب بن عباد اسماعیل (٣٢٦-٣٨٥ هـ) ١٧٧.
١٨٢. دیوان الصاحب بن عباد، تحریر: محمد حسن آل یاسین، ط١، بغداد، ١٩٦٥.
١٨٣. عنوان المعارف وذكر الخلافات، منشور ضمن نفائس المخطوطات ص ٦١
٦٣-٦٣ (تح: محمد حسن آل یاسین ط٢، بغداد، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م).
١٨٤. نصرة مذاهب الزیدیة، تحریر: ناجی حسن، بغداد، ١٩٧٥.

فهرس المصادر والمراجع

- ٧١١..... ابن الصباغ المالكي: نور الدين علي بن محمد (٧٨٤ - ١٣٨٣ هـ / ١٤٥١ م).
١٨٥ . الفصول المهمة. ب.حق، ط٢، النجف، ب.ت.
الصبان: محمد بن علي ت ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م.
١٨٦ . اسعاف الراغبين، بهامش: نور الابصار للشبلنجي، بيروت، ب.ت.
الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي (٣٠٥ - ٣٨١ هـ).
١٨٧ . الامالي. ب.حق. ط١ ، النجف ، ١٩٧٠ .
١٨٨ . علل الشرائع، مكتبة الداودي، قم، ب. ت.
١٨٩ . معاني الاخبار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٣ هـ.
الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك ت ٧٦٤ هـ.
١٩٠ . الوافي بالوفيات، ج١، ط٢، باعتماء: هلموتير، فيسبادن، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ .
١٩١ . الوافي بالوفيات، ج٢ ، باعتماء: س. دريد ينبع، مط وزارة المعارف، استانبول، ١٩٤٩ .
١٩٢ . الوافي بالوفيات، ج٣ ، باعتماء: س. دريد ينبع، مط الهاشمية، دمشق، ١٩٥٣ .
١٩٣ . الوافي بالوفيات، ج٤ ، باعتماء: س. دريد ينبع، مط الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩ .
الصفوري الشافعي: عبد الرحمن بن عبد السلام ١٤٨٩ هـ / ١٣٩٤ م.
١٩٤ . نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ب.حق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٦ هـ .
ابن أبي الصلت: أمية
١٩٥ . ديوان امية ابن أبي الصلت، دراسة وتح: بهجة الحديثي، ط٢، بغداد، ١٩٩١ .

- الصناعي: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١ هـ / ٨٢٧ م.
١٩٦. المصنف، تحرير: حبيب عبد الرحمن الأعظمي، ط١، بيروت، ١٩٧٠ - ١٩٧٢.
- الطائي: حاتم ت ٦٠٥ م.
١٩٧. ديوان حاتم الطائي، تحرير: كرم البستاني، بيروت، ١٩٦٣.
- طاش كبرى زادة: احمد بن مصطفى ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م.
١٩٨. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحرير: كامل بكري عبد الوهاب لبو النور، دار الكتب الحديثية، ب. ت.
- أبو طالب بن عبد المطلب ت ٣ قهـ.
١٩٩. ديوان أبي طالب، جمع: أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي العبدى، تصحيح: محمد صادق البحري العلوم، النجف، ١٣٥٦ هـ.
٢٠٠. ديوان أبي طالب، صنوعه: علي بن حمزة البصري ت ٣٧٥ هـ، تحرير: محمد حسن آل ياسين، ب. مكا، ب. ت.
- ابن طاووس: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى الحسني ت ٦٦٤ هـ
٢٠١. الملائم والفتن، ط٤، مطب الحيدرية النجف، ١٩٧٢
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ)
٢٠٢. المعجم الكبير، تحرير: حمدي السلفي، ط٢، دار إحياء التراث العربي الإسلامي، الموصل، ١٩٨٦.
- الطبرسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد ٥٥٣ هـ
٢٠٣. بشارة المصطفى، ط٢، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣.
- الطبرسي: أبي منصور: احمد بن علي بن أبي طالب نحو ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م.
٢٠٤. الاحتجاج، بـ محققاً، مؤسسة الاعلمي، بيروت، بـ ت.

الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت ٤٨ هـ.

٢٠٥. إعلام الورى بأعلام الهدى، قدم له: السيد محمد مهدي، ط ٣، النجف، ١،

١٩٧٠

الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ.

٢٠٦. تاريخ الرسل والملوك، تتح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٤، دار المعارف، ٦١

. ١٩٦٨ ٢٠٢. جامع البيان عن تأویل آی القرآن، ب. محق، ط ٣، ١٩٧٨.

٢٠٧. المتتخب من كتاب ذيل المذيل، ط ٢، تتح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

الطحاوى: أبو جعفر احمد بن محمد ت ٣٢١ هـ.

٢٠٨. شرح معانى الاثار، تتح: محمد زهدي النجار، ط ١، دار الكتب العلميه،
بیروت، ١٩٧٩.

٢٠٩. مشكل الاثار، ب. محق، ط ١، حيدر اباد الدکن، الهند، ١٣٣٣ هـ. الطغرائي:
أبو اسماعيل الحسين بن علي (٤٥٣ - ٥١٥ هـ)

٢١٠. ديوان الطغرائي، تتح: علي جواد الطاهر يحيى الجبورى، بغداد، ١٩٧٢.
ابن الطفيلي: عامر ت ١١ هـ.

٢١١. ديوان عامر بن الطفيلي، تتح: كرم البستاني، بیروت، ١٩٦٣.
ابن الطقطقى: محمد بن علي طباطبات ٩٧٠ هـ / ١٣٠٩ م.

٢١٢. الفخرى في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، ب. محق، بیروت، ١٩٦٠.
ابن طلحه الشافعى: كمال الدين أبو سالم محمد ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م.

٢١٣. مطالب المسؤول في مناقب آل الرّسول، ب. محق، النجف، ب. ت.
الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م.

- ٧١٤.....الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٢١٤. الامالي، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، مط النعيمان، النجف، ١٩٦٤.
٢١٥. الامالي، ب.محق، دار الثقافة للنشر، قم، ١٤١٤هـ.
٢١٦. التبيان في تفسير القرآن، تحر: احمد حبيب العاملی، دار الاندلس، بيروت، ب.ت.
٢١٧. تلخيص الشافی، تحر: السيد حسين آل بحر العلوم، النجف، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٢١٨. الرجال، تحر: محمد صادق آل بحر العلوم، ط١، النجف، ١٩٦١.
٢١٩. الرسائل العشر، تحر: واعظ زادة الخراساني، جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.
٢٢٠. الفهرست، صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، ط٢، النجف، ١٩٦٠.
٢٢١. مصباح المتهجد، ب.محق، بيروت، ١٤١١هـ. ابن الطيب البصري: أبو الحسن محمد بن علي ت ٤٣٦هـ.
٢٢٢. المعتمد في اصول الفقه، تحر: محمد حميد الله، وآخرين، دمشق، ٦٤-١٩٦٥. العامري: عماد الدين يحيى بن أبي بكر (٨٩٣-٨١٦هـ)
٢٢٣. بهجة المحافل وبغية الامثال، ب.محق، المدينة المنورة، ١٣٣١هـ. ابن عبد البر: أبو بكر يوسف ت ٤٦٣هـ.
٢٢٤. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحر: علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٠.
٢٢٥. جامع بيان العلم وفضله، ب.محق، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ب.ت. ابن عبد ربه: أبو عمر احمد بن محمد ت ٣٣٤هـ.
٢٢٦. العقد الفريد، تحر: احمد امين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٠.

- أبو عبيد: القاسم بن سلام الهمروي ت (١٥٧-٧٧٤ هـ / م ٨٣٨) .
 ٢٢٧. غريب الحديدين، ب. محق، بيروت، ١٩٦٤ .
- أبو العتاھیه: اسماعیل بن القاسم ت ٢٢١ هـ / م ٨٢٦ .
 ٢٢٨. دیوان أبي العتاھیه، تحقیق: کرم البستانی، بيروت، ١٩٦٤ .
- ابن عدی: أبو احمد عبد الله الجرجانی (٢٧٧-٣٦٥ هـ) .
 ٢٢٩. الكامل في ضعفاء الرجال، تحقیق: عادل احمد عبد الموجود وآخرين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ .
- ابن عذاري: أبو العباس احمد بن محمد (كان حيا في ٧١٢ هـ / م ١٣١٢) .
 ٢٣٠. البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقیق: کولان بروفنسال، ط٢، بیروت، ١٩٨١ .
- العرّاقی: الحافظ زین الدین أبو الفضل عبد الرحیم (٧٢٥-٦٨٠ هـ) .
 ٢٣١. طرح التشریب في شرح التقریب، بیروت، دار إحياء الكتاب العربي، ب.ت.
- ابن العربي المالکی: محمد بن عبدالله (٤٦٨-٤٥٤ هـ) .
 ٢٣٢. صحيح الترمذی بشرح ابن العربي، ب. محق. ط١، المطبعة المصرية بالازھر، ١٩٣٤-٣١ .
- ابن عطاء: واصل (٨٠-١٣١ هـ) .
 ٢٣٣. كتاب خطبة واصل بن عطاء، منشور ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الثانية، ط٢، ١٩٧٣، تحقیق: عبد السلام محمد هارون، ص ١١٨-١٣٦ .
- أبو العلاء المعري: احمد بن عبد الله بن سليمان (٣٦٣-٩٧٣ هـ / م ١٠٥٧-٤٤٩) .
 ٢٣٤. شروح سقط الزند، تحقیق: مصطفی السقا وآخرين، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب، ١٩٦٤ .

٧١٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

. ٢٣٥ لزوم ما لا يلزم، ب. محق، بيروت، ١٩٦١.

العمري: عبد الباقي (١٢٠٤ - ١٢٧٨ هـ).

. ٢٣٦ ديوان عبد الباقي العمري، تصحيح: الحافظ عثمان الموصلي، الموصل،

١٣١٦ هـ.

ابن عنبه: السيد جمال الدين احمد بن علي الحسيني ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م.

. ٢٣٧ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، دار الاندلس، النجف، ١٣٥٨ هـ.

الغزالى: أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥ هـ

. ٢٣٨ المستقسى من علم الاصول، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ب.ت.

ابن فارس: أبو الحسن احمد ت ٩٥٣ هـ / ١٠٠٤ م.

. ٢٣٩ المجمل، دراسة وتح: زهير عبد المحسن سلطان، ط ١، بيروت، ١٩٨٤

الفتال: أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٥٠٨ هـ

. ٢٤٠ روضة الواعظين، ب. محق، دار الرضي، ب.ت.

أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ت ٧٣٢ هـ

. ٢٤١ المختصر في اخبار البشر، ب. محق، ط ٢، المطبعه الحسينيه، ب.ت.

أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م.

. ٢٤٢ الاغانى، شرح: عبد علي وسمير جابر، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية،

١٩٨٦.

. ٢٤٣ مقاتل الطالبين، ب. محق، مط الديواني، بغداد، ١٩٦٥.

ابن فرhone: برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد ت ٧٧٩ هـ / ١٣٩٧ م.

. ٢٤٤ الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب، ط ١، مصر، ١٣٥١ هـ.

الفرزدق: همام بن غالب ت ١١٤ هـ / ٧٣٣ م.

فهرس المصادر والمراجع

- ٧١٧.....
- . ٢٤٥ . ديوان الفرزدق، تحرير: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦ .
- الفiroز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ.
- . ٢٤٦ . تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه، منشور ضمن نوادر المخطوطات، المجموعة الأولى، تحرير: عبد السلام هارون، ط ٢، ١٩٧٢، ص ٩٧ - ١١٠ .
- . ٢٤٧ . القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣ .
- الفiroز آبادي:
- . ٢٤٨ . فضائل الخمسة من الصالحة الستة، النجف، النجف، ١٣٨٣ - ١٣٨٤ هـ.
- . ٢٤٩ . القاضي عبد الجبار عماد الدين أبي الحسن بن احمد ت ٤١٥ هـ.
- . ٢٥٠ . شرح الأصول الخمسة، تحرير: عبد الكريم عثمان، ط ١، القاهرة، ١٩٦٥ .
- . ٢٥١ . فرق وطبقات المعتزلة، تحرير: علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، الاسكندرية، ١٩٧٢ .
- . ٢٥٢ . فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومبaitهم لسائل المخالفين، تحرير: فؤاد السيد، تونس، ١٩٧٤ .
- . ٢٥٣ . المختصر في أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، تحرير: محمد عماره، دار الهلال، ١٩٧١ .
- . ٢٥٤ . المغني في أبواب العدل والتوحيد، تحرير: عبد الحليم النجار وسلیمان دینا، الدار المصرية، ب.ت.
- . ٢٥٥ . القالي: أبو علي اسماعيل بن القاسم (٢٨٨ - ٩٠١ هـ / ٩٦٧ - ٩٣٥ م)
- . ٢٥٦ . ذيل الامالي والنواذر، ب.محقق، دار الفكر للطباعة والنشر، ب.ت.
- ابن قتيبة: ابو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ.
- . ٢٥٧ . الامامة والسياسة (المنسوب)، ب.محقق، القاهرة، ب.ت.

٢٥٨. الشعر والشعراء، ب. محق، دار الشقاقة، بيروت، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
٢٥٩. عيون الاخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٥ - ١٩٣٠.
٢٦٠. غريب الحديث، تحرير: عبد الله الجبوري، ط١، بغداد، ١٩٧٧.
٢٦١. المعارف، تحرير: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.
القرشي: عبد القادر بن محمد ت ٥٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م.
٢٦٢. الجواثر المضية في طبقات الحنفية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٢ هـ.
القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م.
٢٦٣. الجامع لاحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٠.
القططاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٨٥١ هـ / ٩٢٣ هـ.
٢٦٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ب. محق، بولاق، ١٢٩٣ هـ.
القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ)
٢٦٥. الرسالة القشيرية في علم التصوف، ب. محق. بغداد. ب. ت.
ابن قطلو بغا: أبو العدل زين الدين قاسم ت ٨٧٩ هـ.
٢٦٦. تاج الترجم في طبقات الحنفية، ب. محق، بغداد، ١٩٦٢.
القططي: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ت ٤٤٦ هـ / ١٢٤٨ م.
٢٦٧. إنباء الرواية على أنباء النهاة، تحرير: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٠
- ١٩٥٥.
٢٦٨. تاريخ الحكماء، تحرير: يوليوس ليبرت، لايبزيك، ١٩٠٣.
٢٦٩. المحمدون من الشعراء، تحرير: رياض عبد الحميد مراد، دمشق،
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
القلقشندى: أبو العباس احمد بن علي ت ٨٢١ هـ.

- . ٢٧٠. صبح الاعشى في صناعة الانشا، ب.محق، القاهرة، ١٩٦٣.
- اللکنوی الہندی: أبو الحسنات محمد عبد الحی
- . ٢٧١. الفوائد البهية في تراجم الخنفية، ط١، مصر، ١٣٢٤ھ.
- الكتبي: محمد بن شاكر
- . ٢٧٣. فوات الوفيات، تحرير: احسان عباس، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي ت ٧٦٤ھ.
- . ٢٧٤. البداية والنهاية، ط٢، مكتبة المعرف، بيروت، ١٩٧٧.
- . ٢٧٥. تفسير ابن كثير، ب.محق، دار احياء الكتب العربية، ب.ت.
- . ٢٧٦. نهاية البداية والنهاية، تحرير: محمد فهيم، ط١، الرياض، ١٩٦٨.
- الکشی: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزیز ت ٣٤٠ھ/٩٥١م.
- . ٢٧٧. الرجال، تحرير: السيد احمد الحسيني، مؤسسة الأعلمی، کربلاء، ب.ت.
- الکنجی الشافعی: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (استشهد في ٦٥٨ھ).
- . ٢٧٨. کفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب رض، تحرير: محمد هادي الأمینی، ط٢، النجف، ١٩٧٠.
- الکندي: أبي عمر محمد بن يوسف ٢٨٣-٣٥٠ھ.
- . ٢٧٩. الولاة والقضاة، تصحیح: رفن کست، بيروت، ١٩٠٨.
- ابن ماجه: محمد بن یزید (٢٠٩-٢٧٣ھ).
- . ٢٨٠. صحیح سنن ابن ماجه، تحریر: محمد ناصر الالباني، ط١، بيروت، ١٩٨٦.
- المازندرانی: رشید الدین أبي عبد الله محمد بن علي (٤٨٩-٥٨٨ھ)
- . ٢٨١. معالم العلماء، ب.محق، ط٢، النجف، ١٩٦١.
- . ٢٨٢. مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحیدریة، النجف، ١٣٧٦ھ/١٩٥٦م.

٧٢٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

المبرد: أبي العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ

٢٨٣ . الكامل في اللغة والادب، تح: محمد أبو الفضل والسيد شحاته، دار النهضة، القاهرة، ب.ت.

المتنقي الهندي: علاء الدين بن علي ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م.

٢٨٤ . كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ط ٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٠ مـ ١٩٦٧ .

المتنبي: أبو الطيب ت ٣٥٤ هـ

٢٨٥ . ديوان المتنبي، شرح: عبود احمد الخزرجي، بغداد، ١٩٨٨ .

ابن متويه: أبو محمد الحسن بن احمد ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ مـ .

٢٨٦ . التذكرة في احكام الجواهر والاعراض، تح: سامي نصر فيصل عون، القاهرة، ١٩٧٥ .

مؤلف مجهول (ق ٣ هـ)

٢٨٧ . اخبار العباس وولده، تح: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطليبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١ .

٢٨٨ . العيون والخدائق في اخبار الحقائق، تح: دي غويه، بريل، ١٨٧١ .

٢٨٩ . كتاب الحوادث وهو الكتاب المسمى وهو بالحوادث الجامعية والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، تح: بشار عواد معروف و عماد عبدالسلام رؤوف، ط ١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧ .

المجلسى: محمد باقر ت ١١١ هـ

٢٩٠ . بحار الأنوار، دار الرضا، بيروت، ب.ت.

محب الدين الطبرى: أبو جعفر احمد بن عبد الله ٦٩٤ هـ / ٦١٥ مـ .

٢٩١. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، تقديم ومراجعة: جليل ابراهيم حبيب، بغداد، ١٩٨٤.
٢٩٢. الرياض النصرة، تحرير: سليمان حسن عبد الوهاب، ط٢، مصر، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م.
- ابن المرتضى: احمد بن يحيى ت ٤٨٠هـ.
٢٩٣. طبقات المعترلة، تحرير: مؤسسة ديفلد فلزر، استانبول، ١٩٦٠. المرزباني: أبو عبيد الله محمد بن عمران (٢٩٧ - ٣٨٤هـ).
٢٩٤. معجم الشعراء، تهذيب: سالم الكونكوري، القاهرة، ١٣٥٤هـ. المرصفي: سيد بن علي ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م.
٢٩٥. رغبة الآمل من كتاب الكامل، ط١، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٣٠ - ١٩٢٧هـ. المسعودي: ابوالحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ.
٢٩٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحرير: محمد محبي الدين، مصر، ١٩٦٧. مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٠٤ - ٢٦١هـ)
٢٩٧. صحيح مسلم، تحرير: محمود توفيق، مطهمجازي، القاهرة، ب. ت. ابن المعتر: عبد الله (٢٤٧ - ٢٩٦هـ)
٢٩٨. طبقات الشعراء، تحرير: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦. ابن معد: شمس الدين أبو علي فخار ت ٦٠٣هـ.
٢٩٩. الحجه على الذاهب إلى تكfir أبي طالب، تحرير: محمد السيد بحر العلوم، ط٢، بغداد، ب. ت، (كانت ط١ في ١٩٦٥).
- ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد الشافعى ت ٤٨٣هـ.
٣٠٠. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحرير: محمد باقر البهبودي، المكتبه الإسلامية،

طهران، ١٣٩٤ هـ.

المفید: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (٣٨٨-٤١٣هـ)

٣٠١. الإرشاد، تحرير: حسين الأعلمي، ط٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠١.

٣٠٢. إيمان أبي طالب، تحرير: محمد حسن آل ياسين، منشور ضمن نفائس المخطوطات، ط٢، بغداد، ١٩٦٣.

٣٠٣. مسار الشيعة بـ. محق. المؤتمر العالمي للشيخ المفید، قم، ١٤١٣هـ.

٣٠٤. المقنعة، بـ. محق، المؤتمر العالمي للشيخ المفید، قم، ١٤١٣هـ.

المقریزی: تقی الدین أبو العباس احمد بن علی ت ٤٤٥هـ / ١٤٤٢م.

٣٠٥. اتعاظ الحنفی باخبار الأئمة الفاطمیین الخلفاء، ت؛: جمال الدین الشیال و محمد حلمی احمد، القاهرة، ٦٧-١٩٧١.

٣٠٦. الخطوط المقریزیة، بـ. محق، بولاق، ١٢٩٤هـ.

٣٠٧. التزاع والتناقض، فيما بينبني امية وهاشم، لیدن، ١٨٨٨.

الملطی: أبو الحسین محمد بن احمد الشافعی ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م.

٣٠٨. التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع، تحرير: محمد زاہد الكوثری، بيروت، ١٩٦٨.

المناوی: محمد بن عبد الرؤوف ٩٥٢-١٠٣١هـ

٣٠٩. فيض القدير بشرح الجامع الصغير، ط١، مصر، ١٩٣٨.

المنذری: زکی الدین ابو محمد عبد العظیم بن عبد القوی (٥٨١-٦٥٦هـ).

٣١٠. تهذیب الترغیب والترھیب، تحریر: عونی نعیم، الزرقاء، الاردن، ١٩٩٠.

٣١١. التکملة لوفیات النقلة، تحریر: بشار عواد، النجف، ١٩٦٩-١٩٦٨.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدین محمد بن مکرم ٦٣٠-٧١١هـ.

٣١٢. لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة. ب. ت.
- ابن منقذ: الامير اسامه بن مرشد بن علي ت (٤٨٨ هـ ٤٥٨٤).
٣١٣. لباب الاداب، تح: احمد محمود شاكر، القاهرة، ١٩٣٥.
- المنقري: نصر بنمزاحم ت ٢١٢ هـ.
٣١٤. وقعة صفين، تح: محمد عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٨٢ هـ.
- الميداني: أبو الفضل احمد بن محمد ت ١٨٥ هـ.
٣١٥. مجمع الامثال، تح: محمد محبي الدين عبد الحميد، ط ٢، مط السعادة، مصر، ١٩٥٩.
- التابغة الذبياني ت ٦٠٢ م.
٣١٦. ديوان التابغة، تح وشرح: كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣.
- الناشيء الأكبر: أبو العباس عبد الله بن محمد ٢٩٣ هـ / ٩٠٦.
٣١٧. مسائل الإمامه، تح: يوسف فان آس، بيروت، ١٩٧١.
- ابن نباته، جمال الدين محمد بن محمد ت ٧٦٨ هـ.
٣١٨. سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط ٤، مصر، ١٣٢١ هـ.
- النباوي: أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي (القرن الثامن الهجري).
٣١٩. تاريخ قضاة الاندلس، المكتب التجاري، بيروت، ب.ت.
- النجاشي: احمد بن علي بن احمد بن العباس (٣٧٢ - ٤٥٠ هـ).
٣٢٠. الرجال، تصحیح: جلال الدين الاملي، ب.مکا، ب.ت.
- ابن النديم: محمد بن اسحق (ت مطلع القرن الخامس الهجري).
٣٢١. الفهرست، ب.محق، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (٢١٥ - ٣٠٣ هـ).

٧٢٤ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

٣٢٢ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحرير: محمد هادي الأميني، النجف، ١٩٦٩.

٣٢٣ . سنن النسائي بشرح السيوطي، المطبعة المصرية بالازهر، ط١، ١٩٣٠هـ / ١٣٤٨هـ.

أبو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني ت ٤٣٠هـ.

٣٢٤ . حلية الاولى وطبقات الاصفقاء، بـ. محق، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

٣٢٥ . دلائل النبوة، بـ. محق، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٧ .
أبو نؤاس: الحسن بن هانئ ١٣٦ - ١٩٥ أو ١٩٧هـ

٣٢٦ . ديوان أبي نؤاس، تحرير: احمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٣.

النووي: أبو زكريا يحيى الدين ت ٦٥٦هـ.

٣٢٧ . تهذيب الاسماء واللغات، بـ. محق، بـ. ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)

٣٢٨ . نهاية الارب، تحرير: محمد أبو الفضل، القاهرة، ١٩٧٧ .

الهاشمي: حبيب الله

٣٢٩ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تصحيح: ابراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٧٨ - ١٣٨٣هـ.

ابن هشام: عبد الملك ت ٢١٨هـ ..

٣٣٠ . السيرة النبوية، تحرير: مصطفى السقا وآخرين، دار الفكر، بـ. ت.

ابن هلال الثقفي: أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سعيد ت ٢٨٣هـ / ٨٩٦م.

٧٢٦ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

. ٣٤١ . أسباب التزول، ب. محق، القاهرة، ١٩٦٨.

الواسطي: تقي الدين أبو الفرج (٦٧٠ هـ ٦٧٤٤ هـ).

. ٣٤٢ . طبقات خرقه الصوفية، ب. محق، القاهرة، ١٣٠٥ هـ.

الواقدی: محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧ هـ.

. ٣٤٣ . المغازی، تح: مارسدن جونس، أكسفورد، ١٩٦٦.

اليافعی: ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ.

. ٣٤٤ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠.

اليعقوبی: احمد بن أبي يعقوب ت بعد ٢٩٢ هـ.

. ٣٤٥ . التاريخ، تح محمد صادق بحر العلوم، ط ٤، النجف، ١٩٧٤.

ثانياً: المراجع الثانوية

الآلوزي: محمود شكري البغدادي ت ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م.

. ٣٤٦ . بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجت الاثري، ط ٣، مصر، ١٣٤٢ هـ.

الامین: محسن العاملی ت ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م.

. ٣٤٧ . أعيان الشيعة، تح: حسن الامین، بيروت، ب. ت.

الأميني: عبد الحسين بن احمد النجفي ت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.

. ٣٤٨ . الغدیر في الكتاب والسنّة والادب، مركز الغدیر للدراسات الإسلامية، ط ١، ١٩٩٥.

بدوي: عبد الرحمن

. ٣٤٩ . مذاهب الاسلاميين، ط ٣، دار العلم للملائين، ١٩٨٣.

بروكليمان: كارل

٣٤١. تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الخليل النجار، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.
٣٥٠. بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن
٣٥١. بنات النبي عليه الصلاة والسلام، دار الهلال، مصر الجديدة، ١٩٦٣.
- البهادلي: احمد كاظم
٣٥٢. مفتاح الوصول إلى علم الاصول، ط١، بغداد، ١٩٩٤.
- بينيس
٣٥٣. مذهب الذرہ عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود، نقله عن الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدہ، القاهرة، ١٣٦٥ھ/١٩٤٦.
- الجابري: محمد عابد
٣٥٤. العقل السياسي العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩١.
- جار الله: زهدی
٣٥٥. المعتزلة، ط٢، بيروت، ١٩٧٤.
- جرداق: جورج
٣٥٦. الإمام علي عليه السلام صوت العدالة الإنسانية، قدم له: ميخائيل نعيمة، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٨.
- الجميلي: خضير عباس
٣٥٧. قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام، بغداد، ٢٠٠٢.
- جواد: مصطفى
٣٥٨. أبو جعفر النقيب، مط الهلال، بغداد، ١٩٤٩.
- حسن: حسن ابراهيم

- ٧٢٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
- ٣٥٩ . تاريخ الدولة الفاطمية، ط٣، الجيزة، ١٩٦٤.
- الحسيني: هاشم معروف
- ٣٦٠ . سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٦.
- حسين: طه
- ٣٦١ . الفتنه الكبرى (علي وبنوه)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦.
- الحفني: عبد المنعم
- ٣٦٢ . موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والاحزاب والحركات الإسلامية، ط٢، ب. مكا، ١٩٩٩.
- الحلاوي: ناصر (وآخرين)
- ٣٦٣ . البلاغة والتطبيق، ط١، بغداد، ١٩٨٨.
- الخزرجي: عبود احمد
- ٣٦٤ . روائع الحكم في أشعار الإمام علي عليه السلام، بغداد، ١٩٨٨.
- الخطيب: عبد الزهراء
- ٣٦٥ . مصادر نهج البلاغة واسانيده، ط١، النجف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- الخنيزي: عبد الله
- ٣٦٦ . أبو طالب مؤمن قريش، ط٢، بيروت، ١٩٦٤.
- الخوئي: ابراهيم ت ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م.
- ٣٦٧ . الدرة النجفية في شرح نهج البلاغة، ط حجرية، ب. مكا، ١٣٢٥هـ.
- الدسوقي: عمر
- ٣٦٨ . الفتوة عند العرب، القاهرة، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
- الراوي: عبد الستار عز الدين

. ٣٦٩. ثورة العقل (دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد)، ط٢، بغداد، ١٩٨٦.

الربعي: احمد

. ٣٧٠. العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحميد، مط العاني، بغداد، ١٩٨٧.

الزركلي: خير الدين

. ٣٧١. الأعلام، ط٨، دار العلم للملائين، بيروت، ١٩٨٩.

الزنجاني: ابراهيم

. ٣٧٢. عقائد الإمامية، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٣.

زيدان: جرجي ت ١٣٣٢ هـ.

. ٣٧٣. تاريخ آداب اللغة العربية، دارمكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

السامرائي: خليل ابراهيم

. ٣٧٤. دراسات في تاريخ الفكر العربي، الموصل، ب. ت.

الشبلنجي: مؤمن بن حسن مؤمن (١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م - ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م).

. ٣٧٥. نور الابصار، ب.محق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

الشهراني: حسين علي

. ٣٧٦. حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى اللحد، بيروت، ٢٠٠٥.

شمس الدين: محمد مهدي

. ٣٧٧. حركة التاريخ عند الإمام علي^{عليه السلام}، ط١، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠٥ هـ.

. ٣٧٨. دراسات في نهج البلاغة، المطبعه العلمية، النجف، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

الشهرستاني: السيد هبة الدين

. ٣٧٩. ما هو نهج البلاغة ، ط٢، دار الثقافة، النجف، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.

الشنقيطي: محمد حبيب الله بن عبد الله (١٢٩٥-١٣٦٣ هـ / ١٨٧٨-١٩٤٤ م).

- ٣٨٠..... الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد
٣٨٠. كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحرير: محمد علي صالح، ط١، مطب الاستقامة، ١٩٦٣.
- الصائغ: مجید
٣٨١. علي عليه السلام بين أمه وأبيه، بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- صالحیه: محمد عیسی
٣٨٢. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢-١٩٩٥.
- صبحی: احمد محمود
٣٨٣. في علم الكلام، ط٢، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٦.
- صلیلیا: جمیل
٣٨٤. المعجم الفلسفی، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.
- صفوت: احمد زکی
٣٨٥. جمھرة رسائل العرب، ط١، القاهرة، ١٩٣٧.
- ضیف: شوقي
٣٨٦. الفن ومذاہبہ في التشریع العربي، ط٩، دار المعارف، مصر، ب.ت.
- الطباطبائی: محمد حسين
٣٨٧. علي عليه السلام والفلسفة الالهیة، الدار الإسلامية، ١٣٤٩ هـ.
- العاملي: السيد محمد علي شرف الدين
٣٨٨. شیخ الابطح، مطب دار السلام، بغداد، ١٣٤٩ هـ.
- عثمان: عبد الكريم
٣٨٩. قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد الهمданی، بيروت، ١٩٦٧.

العزيزى: روکس بن زائد

. ٣٩٠. الإمام علي عليهما السلام وأسد الإسلام وقديسه، مط النجف، ب.ت.

العسكري: مرتضى

. ٣٩١. معلم المدرستين، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ١٤٢٤هـ، . ٢٠٠٣.

العقد: عباس محمود

. ٣٩٢. عبقرية الإمام علي عليهما السلام، دار الفكر، بغداد، ب.ن.

. ٣٩٣. فاطمة الزهراء والفاتميون (عليهم السلام)، دار الهلال، ب.ت.

عمر: فاروق

. ٣٩٤. التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد، . ١٩٨٥

. ٣٩٥. العباسيون الأوائل، ط٢، بغداد، ١٩٧٧

أبو علم: توفيق (رئيس مجلس ادارة مسجد السيدة نفيسة (عليها السلام))

. ٣٩٦. أهل البيت، ط١، بمكا، ١٩٧٠

الغالي: د. بلقاسم

. ٣٩٧. الجانب الاعتزالي عند الجاحظ، ط١، بيروت، ١٩٩٩

غرابه: حمودي

. ٣٩٨. أبو الحسن الأشعري، بيروت، ب. ت.

غربال: محمد شفيق

. ٣٩٩. الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، ١٩٨٠

فروخ: عمر

٧٣٢ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

. ٤٠٠ . تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط٤، بيروت، ١٩٨٣.

أبو القاسم الخوئي

. ٤٠١ . معجم رجال الحديث، ط٢، النجف، هـ١٣٩٨ / م ١٩٧٨.

كاشف الغطاء: الماهدي

. ٤٠٢ . مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه، مكتبة الاندلس، بيروت، ب.ت.

. ٤٠٣ . مستدرك نهج البلاغة، مكتبة الاندلس، بيروت، ب.ت.

حاله: عمر رضا

. ٤٠٤ . اعلام النساء، ط٣، بيروت، ١٩٧٧.

. ٤٠٥ . معجم قبائل العرب، بيروت، ١٩٦٨.

لقبال.موسى

. ٤٠٦ . دور كاتمه في تاريخ الدولة الفاطمية، الجزائر، ١٩٧٩.

متز: آدم

. ٤٠٧ . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الماهدي أبو

ريدة، القاهرة، ١٩٤٠.

محفوظ: حسين علي

. ٤٠٨ . الصحيفة السجادية، بغداد، ١٩٦٧.

محمد السيد، د. محمد صالح

. ٤٠٩ . أبو جعفر الاسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار إحياء الكتب، القاهرة،

. ١٩٩٨

المحمودي: محمد باقر

. ٤١٠ . ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر، ط١،

- فهرس المصادر والمراجع ٧٣٣
- بيروت، ١٩٧٥.
٤١١. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، ١٩٧٦.
- محبي الدين: عبد الرزاق
٤١٢. ادب المرتضى في سيرته وآثاره، ط١، مط المعرف، بغداد، ١٩٥٧.
- مذكر: محمد سلام
٤١٣. مناهج الاجتهداد في الإسلام، ط٢، الكويت، ١٩٧٧.
- معنى: محمد جواد
٤١٤. فضائل الإمام علي^{عليه السلام}، ط٢، بغداد، ١٩٦٤.
٤١٥. في ظلال نهج البلاغة، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨.
٤١٦. المكتبة العلمية
٤١٧. ديوان أمير المؤمنين^{عليه السلام}، بغداد، ب.ت.
- اللاح: محمود
٤١٨. تشریح شرح نهج البلاغة لابن أبي الحذيف، بغداد، ١٩٥٤.
- اللاح: هاشم يحيى
٤١٩. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، الموصل، ١٩٩٤.
- منغم: اميل دور
٤٢٠. حياة محمد، ترجمة: عادل زعير، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت.
- النعمي: د. عماد
٤٢١. مدرسة البصرة الاعتزالية، دار الحكمة، البصرة، ١٩٩٠.
- نقطي: جعفر
٤٢٢. زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء، النجف، ١٣٥٦ هـ.

الوردي: علي

٤٢٣ . مهزلة العقل البشري، ب.مكا، ١٩٥٦.

ياسين: نجمان

٤٢٤ . تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، الموصل، ١٩٩٠.

اليوسف: عبدالقادر احمد

٤٢٥ . الامبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٦٦.

يوليوس، فلهاؤزن

٤٢٦ . تاريخ الدولة العربية، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨.

ثا لثا: الرسائل الجامعية

الاعرجي: ستار جبر محمود

٤٢٧ . منهج المتكلمين في فهم النص القرآني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٠ م.

البطاط: أخلاق مرتضى

٤٢٨ . قاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٩.

المجاج: محسن مشكل فهد

٤٢٩ . دولة التابعه في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٩.

حمادي: عبد الخضر

٤٣٠ . الحركة الفكرية في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٤.

الحياني: مظفر شاكر محمود

٤٣١. الامام الدارقطني وجهوده في الحديث وعلومه، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٨.

الدخيلي: مهدى عربى

٤٣٢. بسطام بن قيس ذو الجدين، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٨٩.

الدوري: مزاحم مهدى ابراهيم

٤٣٣. قاضي شريح واراؤه الفقهية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٨.

الراوى: عبد الستار عز الدين محمود

٤٣٤. قاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي وفكرة الاسلامي، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة، الاسكندرية، ١٩٧٧.

الزوار: منعم عبد الرحيم حميد

٤٣٥. الفكر السياسي عند الخوارج، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠.

الظالمي: حامد ناصر عبود

٤٣٦. ابن أبي الحديد جهوده النقدية والبلاغية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٦.

عبد الكريم: عبد الجبار سالم

٤٣٧. شعر عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد ت ٦٥٦هـ، جمع وتح ودراسة، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد،

. ١٩٩٦

عبد الله: محمد رمضان

٤٣٨ . الباقلاني واراؤه الكلاميه، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة، كلية اصول الدين،

جامعة الازهر، ١٩٧٨.

ال عجيل: عبد الواحد خلف وساك

٤٣٩ . جهود ابن أبي الحديد النحوية في شرح نهج البلاغة، رسالة ماجستير

غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧ .

العلي: كفاية طارش

٤٤٠ . ابوحنف ودوره في التدوين التاريخي، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية

الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٧ .

الفحام: عباس علي

٤٤١ . التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية

التربية، جامعة الكوفة، ١٩٩٩ .

الفرطوسى: سعد وحيد عيسى

٤٤٢ . غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى دراسة منهجية، رسالة ماجستير

غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٣ .

فياض: حسن حميد محسن

٤٤٣ . ابن أبي الحديد ناقدا، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية القائد للتربية للبنات،

جامعة الكوفة، ١٩٩٧ .

كااظم: شاكر مجید

٤٤٤ . التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة،

كلية الاداب، جامعة البصرة، م ٢٠٠٢.

محبي الدين: علي جواد

٤٤٥ . ابن أبي الحديد سيرته واثاره الادبية والنقدية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، القاهرة، ١٩٧٧.

المشهداني: يحيى محمود احمد

٤٤٦ . فلسفة أبي القاسم الكعبي، اطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة الكوفة، ١٩٩٧.

النصر الله: جواد كاظم

٤٤٧ . المقرizi دراسة في سيرته الشخصية وآرائه في الازمات الاقتصادية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

رابعاً: الدوريات

الأبياري: ابراهيم

٤٤٨ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، مجلة تراث الانسانية، المؤسسة العربية، مج ٢، ص ١٢٥ - ١٣٩.

بستانة: حسين

٤٤٩ . أدب الإمام علي عليه السلام ونهج البلاغة، مجلة الاعتدال، ع ٤ ، س ٥ ، النجف، ١٩٣٩ ، ص ١٨٩ - ٢٠٣.

الجادر: د. محمود عبد الله

٤٥٠ . الرؤى الاجتماعية والأخلاقية في شعر الشريف الرضي، مجلة آفاق عربية، ع ٧٤، ١٩٨٥ ، ص ٩٥ - ١٤٠.

الجنابي: د. احمد نصيف

٧٣٨ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

٤٥١ . لغة الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥، ص ٣١١ - ٣٢٨.

جواد: مصطفى

٤٥٢ . بعض مستندات ابن أبي الحميد في شرح نهج البلاغة، مجلة لغة العرب، مج

٩، ع ٧، ١٩٣١، ص ٥٤٣ - ٥٤٦.

٤٥٣ . عبد الحميد بن أبي الحميد المدائني شارح نهج البلاغة، مجلة المعرفة، بغداد،

س ٢، ع ٢٩، ١٩٦٢، ص ٦٠٤ - ٦٣٤.

خلوصي: صفاء

٤٥٤ . مصادر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج

٩، س ١٩٦١، ص ٣٤٠ - ٣٤٨.

٤٥٥ . الكنوز الدفينية في شرح نهج البلاغة، مجلة المعلم الجديد، مج ٢٤، ج ٣ - ٤،

س ١٩٦١، ص ١ - ٢٢.

الشيببي: د. كامل مصطفى

٤٥٦ . حجازيات الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥، ص ٢٣ - ٢٦.

الصائغ: د. عبد الإله

٤٥٧ . الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥،

ص ٢٤٧ - ٣١٠.

الصفار: د. ابتسام مرهون

٤٥٨ . المؤثرات العامة في شعر الشريف الرضي، مجلة افاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥،

ص ٦٣ - ٩٣.

العبادي: علي غانم جثير

٤٥٩ . ذو الرأي الحباب بن المنذر الخزرجي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج

فهرس المصادر والمراجع ٧٣٩

. ١٨٦-١٤٩، ع ٧، ١٩٩٨، ص .

العسلي: د. خالد صالح

٤٦٠. عام الفيل صورة من الصراع العربي الحبشي، مجلة دراسات في التاريخ

. والآثار، ع ٢، ١٩٨٢، ص ١٧١ ١٩٢.

العطية: مروان

٤٦١. الشريف الرضي الشاعر الأبي والأديب العبقري، مجلة ثقافة الهند، نيودلهي،

. الهند، مج ٤٣، ع ٢، ١٩٩٢، ص ٤٠ ٦٢-

العمر: سمير صالح حسن

٤٦٢. موقف كبار الصحابة من مقتل عثمان، مجلة ادب الرافدين، ع ٢٠٠٢، ٣٥ م.

. ص ١٤٩ - ١٦٠.

عواود: كور كيس

٤٦٣. الشريف الرضي في اثار الدارسين، مجلة افاق عربية، ع ٧، ١٩٨٥، ص ٣٢٩

. ٣٥٣

ناجي: عبد الجبار

٤٦٤. تاريخ الطبرى مصدرا عن ثورة الزنج في القرن الثالث للهجرة، مجلة المورد،

. مج ٧، ع ٢، ١٩٧٨، ص ٣٧-٩٢.

٤٦٥. التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج، مجلة المؤرخ العربي، ع ٧، ١٩٧٨

. ص ١١٦ - ١٥٧.

٤٦٦. صاحب الزنج، مجلة المورد، مج ١، ع ٤-٣، ١٩٧٢، ص ١١ - ٢٣.

آل ياسين: حسن

٤٦٧. نهج البلاغة لمن؟ مجلة البلاغ، ع ٣، س ٥، ١٩٧٥، ص ٣١ - ٤٩.

٧٤٠ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد

خامساً: المحاضرات

الموسوي: د. محمد جواد

٤٦٨ . محاضرات ألقاها على طلبة الدكتوراه عام ١٩٩٩-٢٠٠٠.

المحتويات

المحتويات

٥	الإهداء
١١	شكر وتقدير
١٧	المقدمة
٤٣	مدخل: التفضيل عند المعتزلة
٨٣	الفصل الأول: عراقة النسب
١٥٥	الفصل الثاني: نشأة الإمام علي ^{عليه السلام}
٢٥٣	الفصل الثالث: خصائص الإمام علي ^{عليه السلام}
٣٠٧	الفصل الرابع: الإمام علي ^{عليه السلام} ونظام الحكم
٣٠٧	المبحث الأول: قبل الخلافة
٣٥٩	المبحث الثاني: خلافة الإمام علي ^{عليه السلام}
٣٧٣	معركة الجمل

الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد	٧٤٤
معركة صفين	٣٨٧
معركة النهروان	٤٣٥
الفصل الخامس: الأئمّة على عليه السلام مصدر للفكر	٤٩٣
المبحث الأول: الإمام علي عليه السلام مدينة العلم	٤٩٣
المبحث الثاني: الإمام علي عليه السلام والعلم الإلهي	٥٠١
المبحث الثالث: الإمام علي عليه السلام مصدر للتصوف	٥٠٩
المبحث الرابع: الإمام علي عليه السلام وعلم الفقه	٥١٧
المبحث الخامس: الإمام علي عليه السلام وعلوم القرآن	٥٣١
المبحث السادس: الإمام علي عليه السلام والبلاغة	٥٣٧
إشكارالية نهج البلاغة والوضع	٦٠٩
المبحث السابع: الإمام علي عليه السلام وعلم الفلك	٦٢١
المبحث الثامن: الإمام علي عليه السلام وعلم الحيوان	٦٢٥
المبحث التاسع: الإمام علي عليه السلام وعلم التاريخ	٦٢٩
المبحث العاشر: الإمام علي عليه السلام والغيبيات	٦٣٩
ملحق رقم (١): قصيدة لأبن أبي الحديد	٦٨٥
فهرس المصادر والمراجع	٦٩٣
المحتويات	٧٤٣